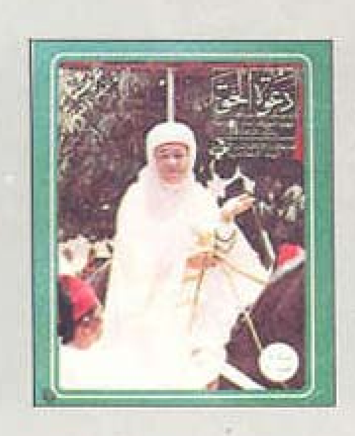
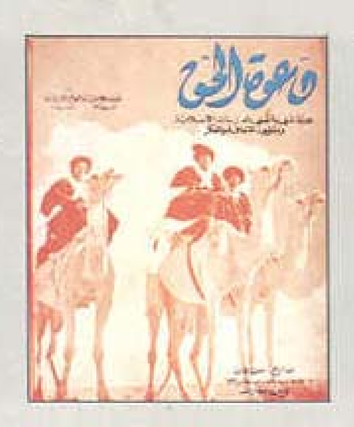




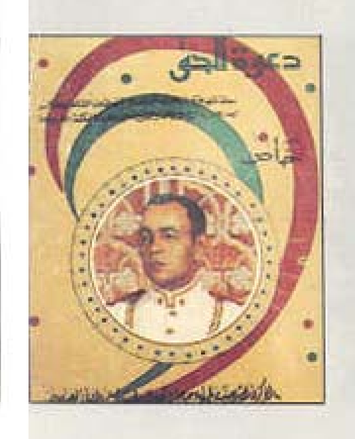


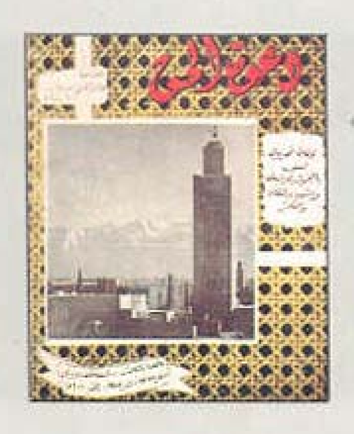












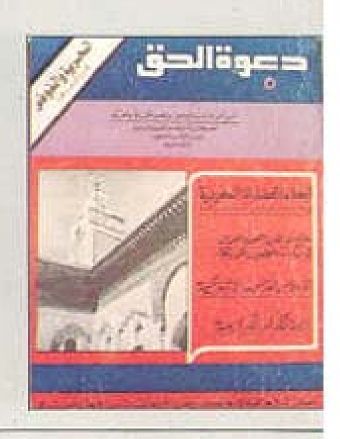












العيد الفضي : 25 سنة

بيانات إدارية :



شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات إلى العنوان التالي :

مجلة « دعـوة الحـق »
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الرباط - المغرب

الهاتف :
التحرير : 601.85 - التوزيع : 627.03 -
الإدارة : 627.04 - 608.10

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهما للداخل و 67 درهما للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة : 8 أعداد. لايقبل الاشتراك إلا عن سنة كاملة .

• تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
مجلة « دعـوة الحـق » رقم الحساب البريدي 485.55 - الرباط.

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان أعلاه.

• لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

هذا العدد

جاء في افتتاحية العدد الأول :

مولاي صاحب الجلالة، الملك المعظم، سيدي محمد الخامس

نصركم الله وأيدكم، وأبقاكم لأمتكم الوفية المخلصة، أملا باسما، ومنارا هاديا، وضمانا لاستقرار حاضرها، ولازدهار مستقبلها، ولبلوغها أقصى ما تصبو إليه في ظل عرشكم المجيد من الرفاهية والسعادة والتقدم.

مولاي :

ان وزارة الأوقاف إذ تتقدم إلى كريم أعتابكم بالعدد الأول من مجلة (دعوة الحق) إنما ترد إلى جلالتكم بضاعة أنتم في الحقيقة أهلها، وتضع بين يديكم نتاج عقول أنتم ملهمها ومربيها ورائدها، وتنفذ أمرا تفضلتم بإصداره إليها، استجابة لرغبة ملحة، وتحقيقا لأمنية طالما داعبت قلوب العاملين والمصلحين من أفراد شعبكم المخلص، وحرصا على هذه الأمة الكريمة ألا تضل بين الدعوات، وألا تتفرق بها السبل، وألا تضطرب في خضم التيارات الجارفة، وألا تنخدع بقشور الحضارة عن لبابها، وألا تغفل عن مقدساتها وتاريخها، وألا تنسى أن صرح المجد الذي تسعى جادة لبنائه، لن يكون متينا إلا إذا قام على أساس متين من هذه المقدسات ومن هذا التاريخ.

لقد أدركتم - يامولاي - ببصيرتكم النافذة، وبتوفيق الله الذي لايتخلى، ولن يتخلى عنكم أبدا، أن أمتكم في الظروف التي تجتازها الآن، أحوج ماتكون إلى صوت يدعوها بدعوة الحق، لينير لها الطريق إلى الحق، وان غاية ما ترجوه هذه المجلة، أن تكون عند حسن ظن جلالتكم، وأن توفق في ضم أصوات الدعاة والمصلحين والعلماء والشباب المثقف من أبناء هذا القطر السعيد، بعضها إلى بعض، لتجهر جميعا بهذه الدعوة، ولعلهم ان فعلوا، أن يجدوا - لهذا الصوت - من الصدى أكثر مما كانوا يتوقعون، والفضل أولا وأخيرا لكم، فأنتم الداعية الأكبر، وأنتم المثال الحي للإخلاص والتضحية والدين المتين.

لقد علمتمونا يامولاي، بسلوككم المثالي، وبتوجيهاتكم القيمة الطريق الحق، هي من جهة، التمسك بأهداب الدين، والتحلي بالفضيلة واحترام القيم العليا.

ومن جهة أخرى، الأخذ بأسباب الحضارة، والاستفادة من العصر وأفكاره وفلسفاته، بعد تمييز صحيحها من سقيمها، ولبابها من قشورها، ونافعها من ضارها، ولعل هذه المجلة أن توفق في السير باستمرار في هذه الطريق، لاتحيد عنها أبدا، وانها لبالغة من ذلك ما ترجوه إن شاء الله.

وتقبلوا يامولاي خالص ولائنا لسدتكم العالية، وعرشكم المجيد.

وان هيئة تحرير هذه المجلة، لتغتنم الفرصة، فتضم صوتها إلى صوت حكومتكم المخلصة وشعبكم الوفي، راجية أن تحققوا للأمة المغربية أمنيتها الغالية بعقد ولاية العهد لنجلكم البار الأمير الجليل مولاي الحسن، حفظه الله ورعاه، وسدد خطاه، وأعانه على ما يضطلع به من المسؤوليات الكبرى والمهام الجسيمة، انه سبحانه وتعالى سميع مجيب.

العدد الأول السنة الأولى عام 1957

العدد 223

رمضان / شوال 1402
يوليـــوز 1982

الثمن : 5 دراهـــم



حضرة صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني حفظه الله ونصره



تهنئة

... و"دعوة الحق" تحتفل بالذكرى الفضية لصدورها على يد والدكم المقدس، مع إشراقة فجر الاستقلال

وفي الذكرى الثالثة والخمسين لميلاد جلالتكم بشرى خير وفأل يمن لهذا الشعب ..

وبينما تتوالى انتصارات المغرب، بفضل قيادتكم الواعية المتبصرة، في المجالات العسكرية والديبلوماسية، دفاعا عن السيادة والوحدة، وفي الميادين الديمقراطية والسياسية، دعما للملكية الدستورية، وفي الحقول الاقتصادية والاجتماعية، إقرارا لمبدأ التكافل والتمازج ..

.. تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي تصدر بأمر مولوي سام مجلة "دعوة الحق" بأن تتقدم إلى جلالتكم بأطيب التهاني وأجمل الأماني أن ينصركم الله نصرا عزيزا، ويؤيدكم بروح من عنده، ويبقيكم ملاذا وذخرا للبلاد والعباد، ونصيرا للإسلام والمسلمين، سائلة الله أن يقر عينكم بولي عهدكم السعيد الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير الواعد المولى رشيد وكافة أفراد العائلة المالكة الشريفة.

وتغتنم "دعوة الحق" هذه المناسبة السعيدة فتؤكد لجنابكم الشريف تعلقها الدائم بالسياسة الإسلامية الرشيدة التي تتبعونها، وانتهاجها سبيل الرشاد والحكمة التي خططتموها بإلهام وتوفيق من الله ذبا عن نصاعة الفكر الإسلامي، وحماية للغة القرآن، وصونا لحضارة الأمة الخالدة.

بسم الله الرحمن الرحيم





●● ارتبطت مجلة (دعوة الحق) بالتاريخ الفكري والثقافي للمغرب المستقل، فقد واكبت نهضته، وسايرت تطوره، وعايشت الاحداث الاسلامية والادبية والعلمية فعكستها وبلورتها وتعقبتها بالعرض والتقديم تارة، وبالنقد والتحليل تارة اخرى، وبالشرح والتفسير في غالب الاحيان.

● **وتمثل مجموعات** (دعوة الحق) **سجلا حافلا عن تطور الحياة العقلية في** المغرب على مدى خمس وعشرين سنة بصورة تعكس الواقع وترصد الظاهرة وتسجل الحدث وتبرز الفكرة الايجابية البناءة وتفند الراي السلبي الهدام. ولعل ميزة (دعوة الحق) أنها جمعت، في ساحة فكرية نادرة مختلف تيارات الراي والثقافة والادب والفكر في المغرب والمشرق دون ان تحيد يوما ما، عن الخط الواضح المستقيم الذي رسم لها في عددها الاول، مما جعلها تؤسس مدرسة متطورة في الصحافة الاسلامية تقوم على التفتح والانفتاح والمرونة واليسر والحلم العلمي وسعة الصدر وطول النفس. وفي ثبت الاسماء التي نشرت في (دعوة الحق) طوال ربع القرن ما يثبت هذه المزايا والمميزات التي تكاد تنفرد بها المجلة بين رصيفاتها في البلاد العربية والاسلامية.



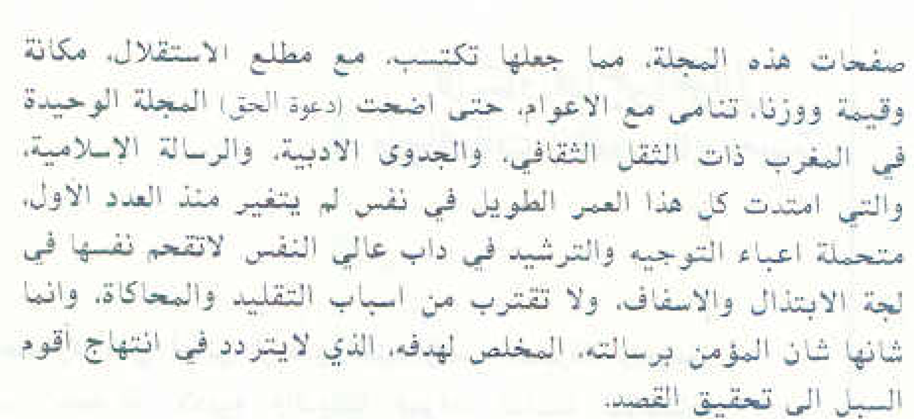
●● **وإذا كان الاستمرار في الصدور بهذا التواصل غير المنقطع يحسب** لـ (دعوة الحق)، **فان تنوع مادتها واعتدال منهجها عنصران مهمان جعلا منها** ملتقى الاراء ومنتدى الافكار ومنبرا متحركا للاعلام الثقافي والصحافة الفكرية والدعوة الاسلامية، وأحسب ان مصدر هذه القدرة على التفاعل الذكي الواعي هو المنطلق الاساسي الذي يقوم عليه كياننا الوطني والذي يستمد شرعيته من جوهر الاسلام وشرف العروبة وكرامة العقل.

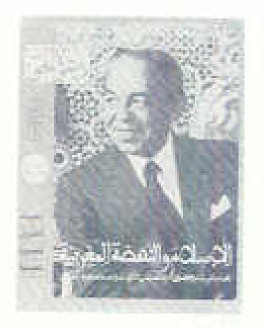


ومن حق هذه المجلة علينا ان نسجل ان جميع كتاب المغرب، الرواد منهم والمخضرمون وجيل ما بعد الاستقلال، نشروا انتاجهم بها، وان معظم أصحاب المدارس الادبية والاتجاهات الفكرية المعاصرة بداوا كتابا وشعراء وقصاصين ونقادا ودعاة الى الاسلام ومبشرين بحضارته على

افتتاحية







صفحات هذه المجلة، مما جعلها تكتسب، مع مطلع الاستقلال، مكانة وقيمة ووزنا، تنامى مع الاعوام، حتى اضحت (دعوة الحق) المجلة الوحيدة في المغرب ذات الثقل الثقافي، والجدوى الادبية، والرسالة الاسلامية، والتي امتدت كل هذا العمر الطويل في نفس لم يتغير منذ العدد الاول، متحملة اعباء التوجيه والترشيد في داب عالي النفس لاتقحم نفسها في لجة الابتذال والاسفاف، ولا تقترب من اسباب التقليد والمحاكاة، وانما شانها شان المؤمن برسالته، المخلص لهدفه، الذي لايتردد في انتهاج اقوم السبل الى تحقيق القصد.



●● واذا كانت المجلات مراة الحياة العقلية، فان (دعوة الحق) بالمميزات التي تنفرد بها، تعكس بصدق التطورات الفكرية والثقافية التي شهدها المغرب على مدى ربع قرن، وتعتبر خير شاهد على مستوى الابداع، وقيمة العطاء، وحجم الاسهام في وضع اسس النهضة العلمية ذات **المجالات المتعددة والمتصلة بالفكر والثقافة والأدب من منطلقات عربية** اسلامية، ووطنية مغربية.

ولئن كانت هذه المجلة قد حافظت على مستواها الرفيع وسمتها المتميز، فان الفضل في ذلك يعود، بعد عون الله سبحانه وتعالى، الى حرص وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية على اعطاء هذه المجلة ماهي جديرة به من عناية ودعم متواصلين، باعتبارها واجهة المغرب، وسفيرته المتنقلة، ومظهر تقدمه الفكري، ورسالته الى الشعوب العربية والاسلامية.



ان (دعوة الحق) مجلة المغرب ودعوته، وهي احد الرموز المضيئة للحرية الادبية والفكرية في المغرب، تشهد على عراقة مبدا حرية التعبير واصالة الاجتهاد والمبادرة والجراة على التفكير وابداء الراي.

وتلك، وايم الحق، من اسباب تفوق (دعوة الحق) وتجددها المستمر.



للأستاذ الهاشمي الفيلالي
وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية

تقوم الحضارة على أساس ازدهار العلم، وتقدم المعرفة، وحرية الفكر، وتعتبر الصحافة الأدبية والدينية قنوات أساسية لتوصيل الأفكار والآراء والاجتهادات إلى القاعدة العريضة من المواطنين. وكلما أحسنت الصحف والمجلات أداء رسالتها، ووفقت إلى ذلك توفيقا تيسر خلق نهضة فكرية وثقافية تنشط الدورة الأدبية في سرايين المجتمع، وتجدد الدم، وتنعش خلايا العقل والقلب والوجدان.

ولقد اقترنت نهضات الأمم، منذ أقدم العصور بمدى فعالية الأجهزة المفكرة ذات التأثير البالغ في الرأي العام. ونحن نذكر على سبيل المثال لا الحصر، وتوضيحا للصورة، ما لعبته اليقظة العقلية في مستهل القرن الميلادي الحالي من دور أساسي في المشرق والمغرب، في سبيل تهيئة المناخ السياسي والاجتماعي لتقبل الأفكار الإصلاحية والدعوات التجديدية التي التف حولها، منذ أزيد من قرن الصفوة المختارة من أبناء هذه الأمة.

واني لأذكر، ونحن نحتفل بالذكرى الفضية لمجلة رائدة، كيف تصديت للكتابة في هذا الموضوع منذ أربعين سنة مفتتحا سلسلة مقالات في العدد الأول من مجلة (رسالة المغرب) في مطلع الاربعينيات التي كان يصدرها أخي ورفيقي في الكفاح الرائد الكبير الأستاذ محمد غازي.

كنت أكتب، تحت عنوان (رسالة المغرب) نظرات وآراء وأفكارا واستنتاجات وتحليلات أردت بها معالجة قضية شغلتنا ولا تزال تلح على الفكر الوطني، وأعني بها دور المغرب عبر التاريخ وخصائص رسالته الحضارية. وكنا نجد في العمل الصحافي، وسط ظروف غير ميـسرة، المتنفس لابلاغ رؤيتنا الإسلامية العربية المغربية إلى أهلنا الخاضعين يومئذ للهيمنة الاستعمارية المحكمة. وأستطيع أن أقـول، وقلبي ملىء بالثقة واليقين، أن الصحافة الفكرية والأدبية في عهد الحماية نهضت بعبء ثقيل وساهمت بدرجة متفوقة في التمهيد لما كنا نهيىء أنفسنا له من أدوار على ساحة الكفاح الوطني دفاعا عن سيادتنا وكرامتنا ووحدتنا الترابية.

وأشرق فجر الاستقلال الوضاح، وتهيأت البلاد للبدء في مواجهة جديدة مع رواسب العهد البائد، وكان من جملة ما استعانت به مجلة أنشأها ملك البلاد لتكون منبرا للتحرير الفكري والاستقلال الثقافي والخلاص الروحي من مخلفات مرحلة استثنائية في تاريخ المغرب غاب فيها العقل المؤمن وساد خلالها الجهل المطبق.

وكذلك، تحملت (دعوة الحق) نصيبها الموفور من أعباء بناء المغرب المستقل، مستمدة من توجيهات بطل الحرية والاستقلال حافز التواصل والاستمرار والدأب، حتى استطاعت أن تستوي في الساحة الفكرية مجلة كاملة العدة تذود عن الحق وتدعو إليه عن بصيرة وهداية وعلم. فاكتسبت ثقة الجميع، ونالها من حظوظ النجاح النصيب الأوفر. فتمكنت، وترسخت، وذاع صيتها، وانتشرت في الافاق بشيرة خير، وسفيرة حضارة عريقة ضاربة في العمق هي المغرب بكل جلال تاريخه وعظمة دوره في الفكر والثقافة، وفي الأدب واللغة، وفي النحو والفقه، وفي التاريخ والشعر، وفي الجهاد والفتح، وفي الحضارة والتقدم، حتى صرنا اليوم نذكر (دعوة الحق) فيتمثل لنا جهاد ثقافي موصول وعطاء أدبي موفور وإسهام في التجديد والتنوير ملحوظ.

لقد حددت مقاصد (دعوة الحق) في أول عهدها بالصدور، فلم تترك للمصادفات والارتجال، ولكنها التزمت بخط فكري مستقيم، وبرسالة إعلامية سامية، تعبر بها عن أصالة هذا الوطن، وجذوره الإيمانية وانتماءاته الدينية والقومية، وتطلعاته القارية والدولية،

وإشعاعاته عبر العالم هداية وتنويرا، دفاعا عن الحق وانحيازا إليه. فكان ان اجتمع حول (دعوة الحق) المغربي والجزائري والتونسي، والمصري والسوداني والشامي والعراقي، وابناء الجزيرة والخليج، وقادة الفكر واعلام البيان ورجال الدعوة والإصلاح من باكستان والهند، ومن سمرقند وبخارى، ومن تركيا وإيران، ومن أوروبا والأمريكتين، على مدى ربع قرن، في ألفة وود، وفي إخاء وصفاء، تعاونا على البر والتقوى، في مضمار إحياء الفكر الإسلامي وإنعاش الأدب العربي وازدهار الثقافة الإنسانية الحرة بعيدا عن الاهواء والاغراض، وفي منأى عن شطحات العقل واوهام النفس. وبذلك أضحت هذه المجلة مدرسة في الصحافة الإسلامية والاعلام الثقافي ذات أصول وتقاليد، يشهد لها بالريادة القاصي والداني.

ان (دعوة الحق)، وهي تشق طريقها اللاحب، تضع أمامها ثلاثة معالم مضيئة :

أولا : الكلمة السامية لجلالة الملك المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه التي صدرت العدد الاول الصادر في مثل هذا الشهر من سنة 1957.

ثانيا : المقال الهام الذي كتبه للمجلة ولي العهد الأمير مولاي الحسن ونشر بالعدد الثاني من نفس السنة.

ثالثا : الكلمة التاريخية المؤثرة التي خص بها جلالة الملك الحسن الثاني المجلة لسنة 1973 بمناسبة الدعوة الرائدة إلى البعث الإسلامي.

وياتي على رأس هذه المعالم المنيرة التي تهتدي بها دعوة الحق وسيكون لها بالغ التاثير في مسيرة المستقبل بإذن الله هذه الرسالة البليغة المعنى، البالغة التأثير، التي أبى جلالة الملك ـ وهو يواجه مسؤوليات الدولة الجسام واعباء البناء والتنمية والدفاع والتوجيه ـ إلا أن يوجهها إلى الأمة الإسلامية، وهي على عتبة القرن الهجري الجديد ترشيدا لها وتقويما، وهداية وتنويرا، وتصحيحا وتصويبا لعمل اليوم والغد إن شاء الله.

وفي هذا الإطار، وعلى هدي هذه المشاعل الملكية التي تشع مشاعر وإحساسات وعواطف مولوية طافحة بالحب والتقدير، تواصل (دعوة الحق) أداء المهام المنوطة بها في الحياة الثقافية تبصيرا بحقائق الدين الحنيف، وتبشيرا بقيم ومثل انعقد حولها الإجماع، ودعوة إلى الاستقامة في الفكر، والموضوعية في التحليل، والإنصاف في الحكم، والدقة في المعالجة، والروية في الفهم، والإخلاص في الكتابة.

وتستشعر (دعوة الحق) جسامة هذا العبء، وثقل هذه الأمانة، ولكنها لاتتوجس خيفة من المضي في هذه السبيل ولا تتردد في مواصلة عملها يشد من أزرها كتابها وقراؤها معا، ويقوي من عزيمتها ثقة الرأي العام الأدبي في المشرق والمغرب.

فهنيئا لقراء (دعوة الحق) بالعيد الفضي لمجلتهم، وهنيئا لكتابها الأفاضل بذكرى مرور خمس وعشرين سنة على مجلتهم ومنبر أفكارهم وملتقى أرائهم.





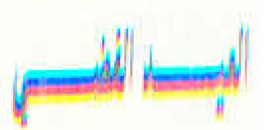
رسالة القرن الخامس عشر الهجري

من جلالة الملك الحسن الثاني إلى الأمة الإسلامية

●● تتضمن الرسالة الملكية السامية، التي وجهها صاحب الجلالة نصره الله إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن خلاصة التوجيهات التي يمكن بها ترشيد مسيرة الإسلام والمسلمين في القرن الجديد. وتعتبر هذه الرسالة التاريخية التي تم إبلاغها إلى جميع اصقاع الأرض وثيقة عمل للتغيير الإسلامي المنشود، سواء في الفكر والتصور والرأي والتنظير، أو في الواقع والحركة والفعل الحضاري لأمتنا من جهة، وللإنسانية جمعاء من جهة ثانية.

وقد تجلى في الرسالة الملكية بعد نظر جلالة الملك وحصافة فكره وسعة أفقه، بحيث يمكن القول، وفي دائرة الاهتمامات الفكرية والإيديولوجية ومن واقع الرصد الدقيق للتيارات والمدارس العقلية السائدة، إن جلالة الملك بلغ شأواً بعيداً في الأفكار التي طرحها حفظه الله والدعوة التي وجهها والتحليل الذي ساقه للواقع المتعدد الجوانب في البلاد الإسلامية.

وقد سبق لهذه المجلة أن نشرت النص الكامل للرسالة الملكية السامية، ويسرنا ونحن نحتفل بالذكرى الثالثة والخمسين لميلاد كاتب رسالة القرن جلالة الملك الحسن الثاني، ونحيي في نفس الوقت الذكرى الفضية لصدور هذه المجلة التي أنشأها ملك رائد كبير، أن نعيد نشر رسالة القرن الخامس عشر حتى نتيح لقرائنا فرصا جديدة للقراءة والتعمق والتأمل والتدبر ●●



...مد لله وحده   والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

...ن عبد الله المعتمد على الله المتوكل عليه في سره ونجواه أمير المؤمنين ...ن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين



...عم الله أمره، ورفع قدره، وخلد في الصالحات ذكره، إلى ...بنائه المغاربة خصوصا، وإخوانهم المسلمين في جميع أقطار ...الأرض عموما.

وفقكم الله وهداكم، وجعل فيما يرضيه محياكم ومماتكم، ...وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد شاءت الأقدار الإلهية، والعناية الربانية، ...أن نحيى وتطول أعمارنا، حتى نشهد فترة حاسمة في تاريخ أمتنا ...وحياة ملتنا قلّما يشهدها الجميع، ألا وهي نهاية القرن الرابع عشر ...الهجري الذي كان مليئاً بالمكايد والمغامرات، وبداية القرن ...الخامس عشر الهجري الذي يلوح في الأفق أنه سيكون مليئاً ...بالتحديات والمفاجآت، ولا شك أنه ما من أحد من خاصة ...المسلمين وعامتهم الذين شهدوا هذا الحادث التاريخي السعيد، ...إلا وهو مدعو للتأمل في الماضي القريب والبعيد، تأملاً دقيقاً، ...

المستقبل، واستشراف ما يتوقع فيه من وقائع وأحداث تنعكس آثارها على مسيرة الإسلام وحياة المسلمين.

وقد أرشدنا كتاب الله إلى أن في تداول الليالي والأيام، فضلاً عن توالي السنين والأعوام، عبراً وعظات ينبغي استغلالها والاستنارة بها للسير قدماً إلى الأمام. فقال تعالى "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً" (س. الفرقان 62)، فمن وجد خيراً حمد الله وشكره، ومن وجد غيره تدبر واعتبر، وأصلح ما فرط منه فيما مضى وغبر.

وامتثالاً لما نصت عليه الأحاديث النبوية الشريفة من أن الدين النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، وأن النصح لكل مسلم شرط أساسي في صحة الانتماء إلى الإسلام "وأن من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم" "وأن كل مسلم ذكراً كان أو أنثى، صغر شأنه أو كبر، يعتبر راعياً ومسؤولاً عن رعيته كل في دائرة اختصاصه ومسؤوليته". وتجديداً لتقليس شريف متعارف عليه منذ عهد أجدادنا المنعمين، ملوك المغرب الميامين، كلما انتهى قرن، وبزغ فجر قرن جديد، رأينا من الواجب علينا، بصفتنا قائداً من قادة المسلمين وأميراً من أمراء المومنين، أن نتوجه في هذه المناسبة التاريخية العظيمة بالنصح الخالص والإرشاد، إلى أبنائنا الأوفياء في هذه البلاد، وإلى إخواننا المومنين الأعزاء في بقية البلاد. بمقتضى كتاب الله كافة المومنين على أن يتواصوا بالحق حتى يتجنبوا الوقوع في مزالق الباطل، وأن يتواصوا بالصبر حتى يواجهوا بعزم وحزم جميع التحديات والأزمات، ولا يبخلوا في سبيل نصرة ملتهم، ...

بالصَّبْرِ" (س العصر).

معاشر المسلمين

إنّ من منّ الله على خلقه ورحمته بهم أن بعث فيهم سيّدنا محمداً صلوات الله وسلامه عليه برسالة إلهية هي خاتمة الرسالات، تهديهم إلى محجة الصواب، وتفتح لهم من وجوه الخير والبر كل باب، فأدى الرسالة، وبلغ الأمانة، وترك من بعده كتاباً محكم الآيات، من تمسك به لم يضل، وسنة وثيقة الأسانيد والروايات، من اقتفى أثرها لم يزل. واقتضت حكمة الله أن يضع على عاتق خلفاء المسلمين وأمرائهم أمانة خلافته في الأرض بجعل من أولها على رأس مهامهم مسؤولية الذود عن الشريعة والحفاظ على الدين وحماية المجتمع الإسلامي من كل زيغ أو ضلال مبين. وقد امتاز المغرب الإسلامي بتعاقب ملوك بررة جعلوا الحفاظ على الإسلام والدفاع عنه فيما وراء البحار، ونشره فيما جاوره من الأقطار مهمتهم الأولى، وتثبيت تعاليمه في النفوس غايتهم المثلى، ومن بينهم ملوك شرفاء من آل البيت الكرام، في طليعتهم أسلافنا الملوك العلويون المنعمون في دار السلام.

ومنذ ولانا الله أمر هذا الجانب الغربي من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز جانب الدين في كل حين، ولم ننفك عن العمل المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، اقتداء بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة والسلام، وإيماناً منا بأن دين الحق لا بد أن يبقى قائماً مستمراً على مر الأيام مصداقاً لقوله تعالى "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً" (س الفتح 28).

معاشر المسلمين.

لقد أكرمنا الله بدين متين الأساس راسخ البنيان، صالح لكل زمان ومكان ما من شعيرة من شعائره، ولا شريعة من شرائعه، إلا وهي مؤسسة على تقوى من الله ورضوان، فهو دين يقدر كرامة الإنسان، ولا يرضى له بالتعرض للذل والهوان وهو دين العلم والحرية، الذي لا يعرف التعصب ولا التقية، يدعو أتباعه دعوة ملحة إلى تعلم العلوم والفنون واللغات، ويسمح لهم بالتفتح على جميع أنواع الحضارات، إذ بذلك ينالون أسباب القوة والخلود، ويتفادون أخطار الجمود والجحود، وهو دين الوفاء بالعهود، والعدل الوارف الظلال والإحسان الشامل للوجود، وهو دين تقوم تكاليفه على أساس الرفق والتيسير، ورفع الحرج والبعد عن كل تعسير، وهو دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية، ويحذر المسلمين من التنازع المؤدي الى الفشل، ويحضهم على وحدة الصف والهدف والعمل، فبالوحدة يجمعون أمرهم، ويتغلبون على الصعاب التي تعترض سبيلهم، ويتمكنون من استيناف البناء والتشييد والإصلاح والتجديد، في عالم الإسلام الواسع المديد، وإذا جمعت المسلمين كلمة التوحيد ووحدتهم شريعة الإسلام، فلا خوف عليهم من غوائل الدهر وفجاءات الأيام. قال تعالى

وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(س الأنعام 153).

معاشر المسلمين

من حقنا أن نحمد الله حمداً كثيراً، ومن واجبنا أن نشكره شكراً جزيلاً على أن جعل ديننا ديناً ملائماً للفطرة القويمة، تستسيغه وتنسجم معه كل الطباع والعقول السليمة، فهو دين يحل جميع "الطيبات" ويجعلها في متناول الإنسان، دون كلفية ولا عنجهية، ولا يحرم عليه - وقاية له - إلا "الخبائث" التي لا يقبلها الطبع ولا تعود عليه بمنفعة حقيقية، وهو دين يعتبر كل عمل صالح وسعي نافع نوعاً ممتازاً من العبادة ما دام

تعرف من نفس العمل خدمة الفرد والجماعة، وتبادل الإفادة والاستفادة، وهو دين يحض على التفكر في ملك الله وملكوته الواسع الأكناف، ويدعو إلى التدبر في آياته المبثوثة في الكون الشاسع الأكناف، تعزيزاً لعقيدة الإيمان، وتعريفاً بأسرار الكون المسخر لمنفعة الإنسان. قال تعالى "فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" (س الروم 30). وقال تعالى "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (س النحل 97). وقال تعالى وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (س الجاثية 13).

معالم المسلمين

إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة حكيمة في مبادئها، ومتفتحة في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل. وفي نطاق مبادئها وقواعدها والمحافظة على روحها يمكن لكل مجتمع أن يبلغ غاية ما يطمح إليه من التطور والنمو، والكمال والسمو. وكلما تقدمت البشرية خطوة إلى الأمام، وجدت مثل الإسلام العليا سابقة لها متقدمة عليها، تمهد لها الطريق على الدوام وإنما يتوقف الأمر على من يستوعب نصوصها، ويدرك مقاصدها ويفهم أسرارها ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها، وهذا أمر مرهون بإعداد مجموعة كافية من العلماء والمفكرين، يكونون مثل سلفهم مستوفين لشروط الاجتهاد والتفكير في أصول الدين، ويكرسون جهودهم لإحياء تراث الإسلام الثمين، وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة جماهير المسلمين.

فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام العاملين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية، حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء. كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء. فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات ويتصدى بفعالية ونجاح لمواجهة كثير من التحديات ويمارس مسؤولية تطوره ونموه بنفسه وفي نطاق حضارته، دون أدنى تبعية، ولا ضغوط خارجية. قال تعالى "فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (س التوبة 122) وقال تعالى "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات" (س آل عمران 104-105).

معالم المسلمين

إن الإسلام دين تتركز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظاً منها يضيق أو يتسع، بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه، من مرافق خاصة أو عامة، وإن مراقبة الله، والشعور بالمسؤولية أمام خلقه، لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها، ودافع قوي للقيام بالتكاليف والواجبات في وقتها والمبادرة بتدارك ما فات منها، ولن تؤتي المسؤولية أكلها إلا إذا كان المسؤول يقدر مسؤوليته حق قدرها، ولا يعتبر تكليفاً

في أمرها، وإلا إذا أعطى القدوة الحسنة من نفسه للقريب والبعيد، وضرب أكبر حظ من نشاطه في العمل المبين والقول الصريح، وإن الظلم كل الظلم في إهمال المسؤولية بعد حملها، أو وضعها في أيدي المتطفلين عليها ومن ليسوا من أهلها، إذ بذلك تضيع الحقوق وتتعرض المصالح المشروعة للإهمال، ويختل نظام المجتمع ويصاب بالتفكك والانحلال. وعلينا نحن المسلمين كافة، فرادى وجماعات، أن نتحمل مسؤوليتنا التاريخية بكل شهامة وحزم، داخلاً وخارجاً، حتى يواصل الإسلام سيره دون تراجع ولا توقف، ويستعيد سيرته الأولى ومركزه الممتاز في مقدمة الشعوب، قال تعالى "إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ" (س الأحزاب 72) وقال تعالى "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ المُنتَهَى" (س النجم 39-40).

معاشر المسلمين

لقد شرفنا الحق سبحانه وتعالى بأمر عظيم، عندما كلفنا بهداية أنفسنا وهداية الإنسانية، ودعانا إلى أن نتمسك بالخلق الكريم والسلوك القويم، حتى يصبح كل مسلم إنساناً كاملاً في نفسه وأسوة حسنة لعموم البشرية. وعندما أراد أن يجعل أمتنا "خير أمة أخرجت للناس" لم يجعل خيريتها مشتقة من سمو في العرق والجنس والسلالة، إذ لا فضل في الإسلام لآدمي على آدمي إلا بالتقوى، "وكلكم من آدم وآدم من تراب" كما قال نبينا عليه الصلاة والسلام. وإنما جعل خيرية أمتنا قائمة على مقدار ما تبذله من جهود صادقة في إصلاح شؤون البلاد والعباد وتطهير الأرض من الفساد.

ثم عندما حققت أمة الإسلام في عصرها الذهبي مراد الله منها في إقامة معالم الخير والبر، ونشر ألوية المروءة والفضيلة، وضمان العدل والإحسان لجميع بني الإنسان، استخلفها الله في الأرض، فأصبحت خير الأمم وأعلاها شأناً وأعمها ازدهاراً وأوسعها عمراناً، وأقواها نفوذاً وأعظمها سلطاناً، وقامت تحت ظلها أكبر دولة عرفها التاريخ تمتد من شواطئ المحيط الأطلسي غرباً إلى مياه المحيط الهادي شرقاً، وأتم الله عليها نعمته، فجعل أهم الممرات العالمية من مضايق وبواغيز تحت إشرافها وفي رعايتها، فلا وسيلة للاتصال بين أبناء الإنسانية إلا عن طريقها وفي نطاقها، وليس في إمكان بقية الأمم أن لا تتعاون معها أو تتجاهلها وتسقطها من الحساب، وهي في سرة العالم وبيدها مفاتح أهم الممرات والأبواب. كما جعل الحق سبحانه وتعالى تربة أراضيها تربة طيبة مباركة تختلف مناخها من إقليم إلى آخر، وتصلح بمجموعها لمختلف صنوف الزرع والنبات في جميع الفصول والأوقات، وادخر فيها لخير المسلمين ورفاهيتهم والإنسانية جمعاء أهم ما يتوقف عليه العالم من مواد أولية وكنوز طبيعية وثروات، هذا مع الاتصال الطبيعي والجغرافي المباشر بين كافة أجزائها، مما يعد عاملاً مهماً من العوامل المساعدة على تلاحمها وتضامنها وعلى يسرها ورخائها. وهكذا منح الحق سبحانه وتعالى أمتنا المسلمة من عناصر الخلود والبقاء ما يجعلها أمة حية قوية الكيان، لا تنال منها عوامل الفناء وإن طال الزمان، قال تعالى "وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (س الأنفال 26). وقال تعالى "وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً" (س الأحزاب 27) وقال عليه السلام "إن الله زوى لي الأرض - أي طواها وجمعها - فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها".

معاشر المسلمين

إذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية أعظم منة، بجعل ظهورها على مسرح التاريخ حدًّا فاصلاً بين مرحلتين من مراحل التاريخ البشري، ومنطلقاً لتغيير جذري عميق في خريطة العالم، اثنوغرافياً وجغرافياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً وحضارياً، وآتاها من فضله أضخم ثروات طبيعية مكنوزة في جوف الأرض، وبارزة فوق سطح الأرض، فما ذلك إلا لنحسن استثماره، ونحكم الانتفاع به في كل عصر، بالوسائل التي تناسب ذلك العصر، بحيث لا نتركه هملاً، ولا نقضي حياتنا سبهللاً، بل ننتفع به في أنفسنا، وننفع به غيرنا. قال تعالى "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا" (س الحجرات 13)

وقال تعالى "لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" (س الممتحنة 8).

وإذا كان الله تعالى قد امتن على أمتنا الإسلامية بأزكى تراث روحي وحضاري عرفته البشرية، فما ذلك إلا لنكون أمناء عليه، حماة له من الضياع والنسيان، وما ذلك إلا لتكون حياتنا الخاصة والعامة مرآة ساطعة له في كل حين، وما ذلك إلا لنعمل على تقريبه غضاً طرياً، إلى كل المتشوفين إليه، والراغبين في الاطلاع عليه، من أبناء الأمم الأخرى. قال تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (س الأنبياء 107).

وإذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام، حسبما أدركوه وتصوروه وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور، لكن على نحو جديد وشكل بديع يتناسب مع معطيات هذا العصر، وإن في الإسلام - والفضل لله - لطاقات زاخرة لا تزال مكنونة لم تستثمر لحد الآن، فما علينا إلا أن نكشف الستار عنها، ونستثمرها أفضل استثمار، لتنعم أمتنا ومعها الإنسانية جمعاء، وأنها لكفيلة بصنع المعجزات وتحقيق أروع المنجزات. قال تعالى "نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ" (س القمر 35). وقال تعالى "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ" (س إبراهيم 7).

معاشر المسلمين

إذا أردنا تدارك ما فات، والتغلب على المصاعب والأزمات، فعلينا أفراداً وجماعات، أن نستغل رصيدنا من الوقت أحسن استغلال، في جميع الظروف والأحوال، فمن لم يقدر الوقت بوضع لبنات جديدة في صرح الحضارة والعمران، واتكل على جهود من سبقوه من بني الإنسان، ولم يحاول أن يكون في تقدم مستمر، بفضل طاقاته الفكرية ومدخراته من الوقت، لم يلبث إلا قليلاً حتى يصبح في تأخر متقهقر يهوي به إلى الهاوية. إذ الإنسان في هذه الحياة سائر لا واقف، فإما أن يتجه إلى أمام، وإما أن يتجه إلى وراء، إما أن يصعد إلى أعلى، وإما أن ينزل إلى أسفل.

وكما قال أحد حكماء العلماء: "ليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة، ما هي إلا مراحل تطوى طياً، بسرعة وبطء، وتقدم وتأخر، وإنما يتخالف الناس في جهة المسير، وفي السرعة والبطء، وليس في الطريق واقف، اللهم إلا إذا كان الوقوف لمجرد الاستجمام، والعودة للسير مع الركب إلى الأمام". قال تعالى في محكم كتابه "وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ كَلَّا وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ نَذِيراً لِّلْبَشَرِ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ" (س المدثر 32 - 38)

معاشر المسلمين

إن الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية لا يحول بينها وبينه حائل، لكن ...

لضمان ذلك أن لا تقتصر عنايتها على الجانب المادي وحده، وعليها أن توجه حظاً كافياً من اهتمامها إلى الحفاظ على تلاحم الأسرة المسلمة وحمايتها من عوامل التفكك والانحلال، وأن تعير للتربية الدينية والخلقية ما كان لها من الاعتبار والأهمية في تنشئة الأجيال، وأن تجعل من الأم المسلمة أماً مثالية تعتز بأن تكون هي المربية الأولى للناشئة والأطفال براءة لربها، وإخلاصاً لوطنها، وأن تجعل من المدرسة والكلية والجامعة - إلى جانب المسجد - الملتقى المفضل والرائد للعلم والإيمان، وأن تتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان، وأن تزيل من طريق التضامن الإسلامي الكامل والشامل كل ما يعرضه للانتكاس والاختلال، وأن تقبل على حل مشاكلها الطارئة والمزمنة بجرأة وواقعية وتخطيط، بدلاً من اللامبالاة والإهمال والارتجال.

وسنجد في تراثنا الروحي والحضاري الخالد ما يعيننا على طرح هذه المشاكل طرحاً واضحاً معقولاً، وحلها حلاً إسلامياً مرضياً ومقبولاً، ولا غرابة في ذلك، ما دام ديننا الحنيف هو دين الحق وأمتنا المسلمة هي "أمة الحق" بشهادة قول الله تعالى في محكم كتابه "هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ" (س الفتح 28) وقوله تعالى في منزل خطابه "وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" (س الأعراف 181).

ولعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا، ألا وهو طابع الاعتدال والوسط، المنافي لكل إسراف وشطط، والمترفع عن كل تهريج ولغط. ففي نطاق المبدأ الإسلامي "الوسط" والحد العلائقي "الوسط" لا كبت ولا إباحية، وإنما علاقات شرعية أخلاقية، وفي نطاق المبدأ الإسلامي "الوسط" لا محل للإسراف والتبذير، كما أنه لا محل للشح والتقتير، ولا محل للغنى الفاحش، كما أنه لا محل للفقر المدقع، ولا محل للفوضى، كما أنه لا محل للاستبداد، ولا محل للغلو في الدين، كما أنه لا محل للتطاول على قداسة الدين ولا محل لطغيان مطالب الروح على مطالب الجسد، كما أنه لا محل لطغيان مطالب الجسد على مطالب الروح.

وحيث أن "الأمة الوسط" هي الأمة المثالية التي تقوم الحياة فيها على قاعدة التوازن والانسجام، والتكامل والتناسق التام، فقد اختار الله لنا أن نكون "أمة وسطاً" رحمة بنا، وحفاظاً على وحدتنا وألفتنا وضماناً لاستمرار حياتنا، وحماية لنا من أخطار التطرف التي قد تمزق وحدتنا، فقال تعالى "قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (س البقرة - 142-143)

معاشر المسلمين

لنتوجه إلى الله العلي القدير - ونحن في مفتتح هذه المرحلة الجديدة من تاريخ أمتنا - سائلين منه سبحانه أن يلهمنا نعمة السداد والتوفيق وأن يسلك بنا وبالإنسانية جمعاء أقوم طريق، ولنستقبل هذه الحقبة الجديدة من حياتنا بكل اطمئنان وتفاؤل، ولنعمل على تصفية ما يبدو في الجو من بعض الغيوم العابرة، بإحياء روح التآخي والتواصل، وأن خير ما نستقبل به هذا القرن الجديد هو الاجتماع على كلمة سواء تجعل منا بحق أمة الوحدة والتوحيد. قال تعالى "إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (س الأنبياء 92). ولنعقد العزم على تأدية رسالتنا، بأداء حقوق الله وحقوق العباد، وعون عشاق الحرية على التحرر والخلاص في كافة أرجاء البلاد، ولا سيما إخواننا الأماجد من أبناء شعب فلسطين المجاهد، وقبلتنا

لأولى وقرسنا التهذيب الخالق، ولنقف على قدم الاستعداد، كل ما يلزم من العدة والعتاد واثقين بحقنا، متمسكين في نفس وقت بديننا، معتزين بحضارتنا، حريصين على حفظ مقوماتها الدفاع عن كياننا، ملتزمين في حياتنا اليومية بآداب عقيدتنا تعاليم شريعتنا ولنتسلح لمواجهة مسؤولياتنا الثقيلة والمتنوعة هذا العصر باكتساب القوة الفكرية التي هي "قوة العلم" أدوات القوة المادية التي هي "قوة السلاح" وكذلك القوة الروحية التي هي "قوة الأخلاق". ولنجعل شعارنا اليومي دائماً "العلم النافع، والعمل الصالح والإنتاج المستمر، والكسب المشروع، والرقي المطرد، والتنافس المحمود، والسير الدائم إلى الأمام، وضرب المثل لبقية الأقوام". ولنحول دنيا الإسلام الواسعة التي لا تغيب عنها الشمس إلى "مسجد كبير" نعبد الله جميعا في محرابه، ونقوم فيه بالخلافة عن الله في الأرض، كل وفقاً لما جاء في كتابه، كل بقدر ما آتاه الله من علم وفهم وخبرة وتجربة، وما وهبه من مواهب فكرية ومكتسبة. ولنكن معاشر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في مستوى مسؤوليات هذا القرن الجديد، ولنجعل منه حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد، وعلينا أن نتخذ كتاب الله في جميع خطواتنا دستوراً ورائداً، ونجعل رسوله المصطفى إماماً وقائداً، وبذلك نعود إلى حظيرة الإسلام الصحيح ونربط الماضي بالحاضر، ونعد الحاضر للمستقبل، ونفتح صفحة أخرى بيضاء نقية في تاريخ أمتنا وتاريخ البشرية قال تعالى "وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ" (س محمد 2). وقال تعالى "وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (س فصلت 33) وقال تعالى "قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَٰنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" (س يوسف 108) والسلام على أبنائي المسلمين وإخواني المسلمين في كل مكان ورحمة الله وبركاته.



جلالة الملك الحسن الثاني يخص مجلة "دعوة الحق" بكلمة سامية عن البعث الإسلامي

●● بمناسبة الدعوة الكريمة إلى البعث الإسلامي بالمغرب التي أعلن عنها جلالة الملك الحسن الثاني سنة 1973، خص جلالته حفظه الله مجلة «دعوة الحق» بكلمة سامية حلل فيها بعقل المؤمن وفهم القائد صاحب الرسالة أبعاد هذه الدعوة من حيث أنها منهاج للعمل الإسلامي وفق أساليب التغيير القرآنية.

وقد نشرت (دعوة الحق) هذه الكلمة المولوية الهادية إلى سبيل الخير في العدد 8 من سنتها 15 الصادر في شهر صفر 1393 هـ الموافق مارس 1973م.

عندما استقر عزمنا على أن تكون هذه السنة سنة بعث إسلامي، وخاطبنا شعبنا الوفي لننبئه بما اختلج في صدرنا وجال بفكرنا، فإن نيتنا اتجهت في الواقع إلى تأدية أمانة أمام الله سبحانه، ووأمام التاريخ الذي خلد الكثير مما فعله أجدادنا المنعمون في هذا المضمار.. لقد قمنا بتذكير شعبنا، والذكرى تنفع المؤمنين، بأن المعاملة بالحسنى وطهارة الروح وراحة الضمير هي المحصنات الضرورية ضد الزيغ والإنحراف وانفصام حبل التشبث بالمبادىء الأصيلة والقيم الروحية المرعية في هذا البلاد.

وحانت المناسبات منذ خاطبنا شعبنا العزيز لوضع صيغ عملية تفضي بسعينا إلى بلوغ القصد، والوصول إلى الهدف.

فأبرزنا تصميمنا على وجوب التفكير في إطار الفكر الإسلامي وبلغة الفكر الإسلامي حتى تستنير لجيلنا الحاضر ولأجيالنا المقبلة طريق التوحيد وسبل الحق والهداية.

ولازلنا نعتبر أنه لن يتأتى ذلك، ولن يوتي ثماره المرغوبة إلا إذا استطعنا إقناع هذه الأجيال ـ بماضي الإسلام المجيد عندما كان رائدا للحضارة، ومجسما لها بقادته وحكمائه وفلاسفته وعلمائه وآثاره المادية والفكرية..

وبحاضر الإسلام ـ الذي فرض عليه خمود مفتعل، وتكالب عليه مناوئوه مستهدفين قبل كل شيء إثارة الحيرة في نفوس معتنقيه وإشعارهم بقصوره..

وأخيرا بمستقبل الإسلام الذي سيتمكن من تحطيم كل محاولات الإستعباد الفكري كما حطم مظاهر العبودية الأخرى في الماضي وسيثبت بالإضافة إلى هذا، وبقوة أكثر مما مضى، بأن أمة الإسلام هي «خير أمة أخرجت للناس»، وذلك بفضل ما تختزنه هذه العقيدة من الحيوية والقوة المتجددتين، وما تدعو إليه من التعامل الشريف، والتحرر المطابق للفلسفة الحديثة في السياسة والحكم، والمحافظة على حقوق الجماعة قبل حقوق الأفراد، وعلى المصلحة العامة قبل الخاصة.

لقد كرم الله المسلم ـ كرمه بأن وضع بين يديه دستور القرآن الخالد، ليقوم، وباستمرار، كحجة على الزيف والفساد والتحريف.

ـ كرمه بربط قيمته بتقواه، بصرف النظر عن لونه وسلالته.

ـ كرمه إذ أبعده عن التقليد الأعمى، التقليد الذي يسيء إلى الأصالة ويسمح بالتبعية ويصرف عن طلب الحقيقة.

إن أهم ما يجب أن ينتبه إليه المسلم هو ما تعمد إليه الإديولوجيات الهدامة في معالجة الاخلاق كشيء مجرد، ومعالجة الإنسان منفصلا عن الأخلاق، فهذا (الانشطار) هو ما يجب أن نتصدى له بكل قوانا، لأن الديانة هي العمود الفقري لكيان الإنسان، والأمر أكثر وضوحا بالنسبة للمجتمع، فلا مجتمع بدون قانون خلقي، وشريعة روحانية.

وإذا كان التقدم المادي قد خطا خطواته العملاقة بموجب ذلك التقسيم، أي على حساب القيم الإنسانية، فإنه يسير، ولعله قد وصل الآن، إلى متاهات الضياع، فأصبحت المجتمعات المتقدمة تبحث عن نفسها أو عن نصفها الضائع، وهذا البحث يشكل إحدى معضلات العصر الكبرى، وأبرز أسباب القلق فيه.

وإن أبناء هذه الأمة يعتزون أيما اعتزاز بأن ديانتهم السمحاء المتحررة تولت الدفاع بأمانة عن القيم والمثل العليا، وكانت وما تزال وستظل قوة لخدمة الحق والسلام. وأنهم ليعتبرون أن سلاح اليقين، وسمو النفس وصلابة الإيمان، كل ذلك هو أفضل ما يجب أن تواجه به مشاكل العصر، كما أنهم متأكدون أن بعثا إسلاميا حقيقيا هو وحده الكفيل، لا بالوقوف في وجه المذاهب الدخيلة فحسب، كما هو واقع الآن، ولكن أيضا كقوة فكرية وروحية لا تضاهى من حيث المناعة والتكامل والشمول.

إن المغرب الذي كان طيلة تاريخ طويل، الساهر اليقظ، على تراث الإسلام ومعطياته الحضارية، سيخوض معركة التنمية الخلقية موقنا بأن ذلك يشكل ضمانا لا بديل له للانتصار في معركة التنمية والتقدم.

«ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا»

يا شباب المغرب

بقلم: حضرة صاحب السمو الملكي
الأمير مولاي الحسن
ولي عهد المملكة المغربية
أبريل 1952

●● وجه جلالة الملك الحسن الثاني وهو بعد ولي للعهد سنة 1952 نداء سياسيا هاما إلى الشباب المغربي نشره في العدد الممتاز من مجلة (رسالة المغرب) الخاص بالربيع والشباب، والصادر في شهر رجب 1371 هـ الموافق أبريل 1952 م.

وتود أسرة تحرير (دعوة الحق) أن تجدد هذه الدعوة الموجهة إلى شباب جيل الكفاح من أجل الاستقلال في مطلع الخمسينات بنشره في هذا العدد لتكون في متناول جيل المسيرة والتحدي..

قلب الأمة النابض، شبابها، فالشباب مناط آمالها، وذخر مستقبلها، فيهم تتجلى مظاهر حيويتها، وبهم يستشهد على نبوغها ورقيها، وبقدر كدهم يكال لكل أمة ما تستحقه من ثناء، وما تستهدف له من ملامة وهجاء.

قد يصعب علينا - معشر شباب المغرب - الادعاء بأننا جديرون بكل اطراء وثناء، فكل ما نأمله في هذا الطور هو التشجيع والإعتناء، وعلى من حنكتهم تجارب الأيام، ان يأخذوا بيد شبيبتها إلى الامام، فيدلوها على أقوم السبل لتسلكها، وينبهوها إلى المهاوي لتجتنبها، عليهم أن يرشدوا هذا الجيل الجديد إلى رسالة الشباب المقدسة، ويحببوا إليها وسائل الكفاح الناجعة، عليهم أن يبينوا للشبيبة مالها من مسؤولية خطيرة، وأن يصارحوها بأن الحياة كلها محن واختبارات شديدة.

ويسرني أن أتوجه ـ بصفتي طالبا ـ إلى أصدقائي الطلبة الذين أسعدهم الحظ فارتقوا مدارج المعالي وادركوا بكدهم أعز الأمالي :

إن المغرب ـ أصدقائي ـ لا يزال ينتظر منكم شتى الجهود. وأن المستقبل يتطلب منكم أن لا تركنوا للجمود والركود. فسيروا دوما في مقدمة القافلة جادين. واجتنبوا أن تكونوا في مؤخرتها شأن الجامدين. شيدوا لهذه البلاد العزيزة صرحا من الفخار متينا. وجددوا أياما كان فيها العز لها قرينا.

إن التاريخ ـ وهو الحكم العدل ـ سيقول كلمته فيكم فإما ثناء على إخلاصكم وصدقكم. وإما لوم على تهاونكم وتفريطكم. على أن همتكم كفيلة بأجل النتائج. ونشاطكم يبرهن على أتباعكم أحسن المناهج وليعلم الطلبة الذين هم خارج المغرب أنهم بمثابة سفراء لبلادهم. فليقدروا إذن قدر مهمتهم.

فإذا لم يكن بإمكاننا اليوم أن نزاحم أبناء الشعوب الأخرى في ميادين الإنتاج المادي. فإنه بإمكاننا أن ندلوا بدلونا. ونزاحمهم في ميادين الفكر والثقافة والأدب والفلسفة.

وإن جمعية الطالب ـ رغم فتوتها ـ بذلت مجهودا يشكر، واعتنت بالطلبة اعتناء يذكر. فألفت بينهم. وجمعت كلمتهم. ونسقت اتجاههم. وقد أبى أعضاؤها إلا أن يبرهنوا على حيويتهم بإصدار هذا العدد الممتاز من «رسالة المغرب» الغراء. الحافل بالمقالات الطريفة، والأبحاث المفيدة. وهو عمل جدير بكل تشجيع واعتبار حقيق بكل تقدير وإكبار. ليظل مسترسلا. ويضحى مستمرا متواصلا.

وختاما أمل أن تكونوا دائما ـ أيها الأصدقاء ـ عند حسن ظن عاهل البلاد المعظم بكم. وأن تحققوا ما يعقده عليكم من آمال. وما يرتجيه للبلاد وللأمة من حسن المآل. كونوا عونا لملكنا المحبوب. في رقي هذا الشعب وتقدمه وسندا لجلالته فيما يصبو إليه من سؤدده ورفاهيته. وبذلك نكفل جميعا لوطننا عزا مكينا. ولأنفسنا مستقبلا زاهرا آمنا. وما ذلك على همة شباب المغرب الناهض بعزيز.



مقال هام بقلم جلالة الملك الحسن الثاني في العدد الثاني من السنة الأولى

سنة 1957

الإسلام والنهضة المغربية

تعتبر المرحلة التي يجتازها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر، من أهم المراحل في تاريخ الإسلام وعلاقته بالتقدم الفكري والحضاري.

فالمسلمون، من جهة، أخذتهم العزة بأنفسهم، بعدما استذلهم الأوروبيون سنين طوالا، فاشتد إحساسهم بقيمهم الروحية والمادية، وأخذوا يجاهرون لاستعادة مكانتهم المرموقة القديمة، والمساهمة من جديد في تطور البشرية وتقدمها مثلما فعل آباؤهم الأولون في القرون الأولى التي تلت ظهور صاحب الدعوة الإسلامية، والغربيون، من جهة أخرى، عنوا عناية فائقة بدراسة الدين الإسلامي، وما يكمن فيه من قوى وإمكانيات عملت عملها في أفكار معتنقيه قديما، فجعلتهم يخلدون ذكرى أو أي ذكر في التاريخ، وترفعهم الآن إلى نهضة كبرى لم تعد بوادرها تخفى على أحد، ولا تلبث حتى يسمع لها صدى بعيد في نهاية هذا القرن والذي يليه.

فهناك تشابه بين العالمين الإسلامي والمسيحي في **دراسة التعاليم الإسلامية وآثارها في أفكار المومنين بها، والرغبة في الاستفادة منها لإيجاد النظم الصالحة وتحقيق المثل العليا التي يسعى المفكرون الخيرون في تمتيع البشرية بها.**

والناظر في نهضة المغرب الحديثة، المراقب **لتطورها، يدرك أنها نهضة تهدف إلى إقامة مجتمع سليم** على مثال مادعت إليه تعاليم الإسلام النقية الطاهرة تلك التعاليم الداعية إلى الإيمان بالله، والعمل على ما فيه سعادة الدارين والحكم العادل الذي يربط الحاكمين والمحكومين برباط الألفة والمودة، والتعاون على تحقيق الخير للمجموع، وضمان حرية العقيدة والفكر والتصرف في حدود القانون وحماية كل ما يعتز به الإنسان من أسرة ووطن وتراث مادي ومعنوي، واستثمار الموارد الطبيعية التي سخرها الله لنا، وجعل التمتع بها حلالا طيبا.

وهذه التعاليم كلها مبنية على ما ورد في القرءان، من آي وآثر عن الرسول الكريم من حديث، ومتجلية في سير **رجالات الإسلام الأولين** من خلفاء وأئمة ومفكرين أفادوا الإنسانية شتى الافادات، لما حافظوا على ءاثار الحضارات التي تقدمتهم، وادخلوا عليها من تنقيح وتكميل، ساعد على قيام الحضارة الكبرى التي يعيش العالم في كنفها الآن.

وقد وجه جلالة والدي، عنايته ـ وهو يقود النهضة المغربية الكبرى ـ إلى إحياء التعاليم الإسلامية النقية وبناء

المجتمع المغربي الجديد على أسـسها ومحاربة ما شابها وشأنها أثناء فترة الركود والخمول، من أفكار رجعية ودعايات وثنية، تبعد كل البعد أن تكون ذات صلة بالإسلام، فحارب البدع والالحاد. ونشر المعرفة ومهد السبيل للعلم، وحمى الحريات في النطاق الذي تبيحــــه الشرائع السماوية والقوانين الوضعية، وقرب المسافات بين الطبقات الشعبية حتى لا تطغى واحدة وتستخذي أخرى. ودعا إلى الأخوة الإسلامية التي لاتميز بين الألوان واللغات والأوطان، والتسامح المباين للتعصب المقيت بين الملل والمعتقدات وبث روح التآزر والتعاون في نفوس جميع المواطنين، وعزم على إنشاء حكم ديموقراطي صالح، لاغنى عنه للأمم التي تنشد حياة الأمن وعيشة الاستقرار.

والشباب المغربي الذي يحيى في عصر تعددت فيه المذاهب واختلفت النزعات مدعو إلى الضرب بسهمه في تجلية محاسن الإسلام، ورفع الحجب عن قواه المستورة. وسيرى أن بين يديه كنوزا من المعنويات أغلى بكثير من الكنوز التي يروج لها الدعاة في هذه الأيام. وبها يستطيع أن يشارك مع المخلصين من الشباب الإسلامي العامل في خلق النهضة الإسلامية المرتقبة، التي لا تعصف بها الإنقلابات، ولا تذهب بها الفتن والثورات.





السنوات	صدر العدد الأول	صدر العدد الثاني	سنة المجلة	الأعداد المزدوجة
س 1	ع 1 (يوليوز 57)	ع 22 (يونيو 58)	12 عددا	(5 - 4)
س 2	ع 1 (شتنبر 58)	ع 10 (يوليوز 59)	10 أعداد	
س 3	ع 1 (أكتوبر 59)	ع 10 (يوليوز 60)	10 أعداد	
س 4	ع 1 (أكتوبر 60)	ع 9 - 10 (يوليوز 61)	10 أعداد	(10 - 9)
س 5	ع 1 (أكتوبر 61)	ع 10 (يوليوز 62)	10 أعداد	(9 - 8)
س 6	ع 1 (أكتوبر 62)	ع 10 (يوليوز 63)	10 أعداد	(9 - 8)
س 7	ع 1 (أكتوبر 63)	ع 10 (يوليوز 64)	10 أعداد	(9 - 8)
س 8	ع 1 (نوفمبر 64)	ع 9 - 10 (يوليوز - غشت 65)	10 أعداد	(10 - 9) (7 - 6)
س 9	ع 1 (نوفمبر 65)	ع 9 - 10 (يوليوز - غشت 66)	10 أعداد	(10 - 9) (7 - 6)
س 10	ع 1 (نوفمبر 66)	ع 9 - 10 (يوليوز - غشت 67)	10 أعداد	(10 - 9) (7 - 6)
س 11	ع 1 (نوفمبر 67)	ع 9 - 10 (غشت 68)	10 أعداد	(10 - 9) (7 - 6)
س 12	ع 1 (نوفمبر 68)	ع 9 - 10 (غشت 69)	10 أعداد	(10 - 9)
س 13	ع 1 (نوفمبر 69)	ع 9 - 10 (نوفمبر 70)	10 أعداد	(10 - 9) (6 - 5)
س 14	ع 1 - 2 (يناير 71)	ع 10 (يناير 72)	10 أعداد	(7 - 6) (2 - 1)
س 15	ع 1 (مارس 72)	ع 9 - 10 (ماي 73)	10 أعداد	(10 - 9) (6 - 5)
س 16	ع 1 (يونيو 73)	ع 10 (مارس 75)	10 أعداد	(5 - 4)
س 17	ع 1 (ماي 75)	ع 10 (دجنبر 76)	10 أعداد	(3 - 2)
س 18	ع 1 (يناير 77)	ع 10 (دجنبر 77)	10 أعداد	(8 - 7)
س 19	ع 1 (يناير 78)	ع 10 (دجنبر 78)	10 أعداد	(3 - 2)
س 20	ع 1 (يناير 79)	ع 10 (دجنبر 79)	10 أعداد	(7 - 6)
س 21	ع 1 (مارس 80)	ع 8 (دجنبر 80)	8 أعداد	(7 - 6) (3 - 2)
س 22	ع 1 (مارس 81)	ع 8 (دجنبر 81)	8 أعداد	

رأي بشأن

توحيد أسماء الشهور العجمية

للأستاذ عبد الله كنون

●● أبى الأستاذ الكبير عبد الله كنون إلا أن تكون مشاركته في هذا العدد الممتاز في صورة بحث جديد كل الجدة لم يسبق أن عولج أو تطرقت إليه مجلة عربية من قبل. وقد خص الكاتب الفاضل مجلتنا بهذا البحث الهام الفريد من نوعه كعربون على اعتزازه بالإسهام المتواصل في (دعوة الحق) التي شقت طريقها عبر خمس وعشرين سنة بفضل مؤازرة أمثاله وتعبيرا عن تقديره العميق للدور الثقافي والإسلامي الذي تنهض به ـ على هدى وبصيرة ـ هذه المجلة ●●

تلقى معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط رسالة من المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بعمان تشير إلى القرار الذي اتخذته الأمانة العامة للمنظمة بدراسة إمكانية توحيد أسماء الشهور الميلادية بين أقطار الوطن العربي وقد تفضل المعهد المذكور فأحال علي الرسالة المشار إليها لإبداء رأيي في هذه المسألة.

وإني أشكر المعهد على حسن ظنه بي وأحيي المنظمة على هذه البادرة الطيبة التي هي خطوة إيجابية في سبيل توحيد الفكر العربي ومفاهيمه.

وأبادر فأقول لو اننا عبرنا بالشهور العجمية لكان أولى لأنها ليست كلها ميلادية على الأقل في أصل استعمالها ولا يعبر عنها فلكيو العرب وعلماء التوقيت إلا بالشهور العجمية. وعلى كل حال فالمقصود اسماء الشهور القبطية والسريانية والرومية وهذه تسمى الآن بالافرنجية وهي مستعملة في المغرب العربي وحدها وفي بقية البلاد العربية بالإضافة إلى القبطية والسريانية.

ففي مصر تستعمل الأسماء الثلاثة أي القبطية والسريانية والرومية. وفي سوريا ولبنان والعراق تستعمل السريانية والرومية وفي بقية الأقطار العربية نرى الميل إلى استعمال الرومية أكثر.

ومن ذلك يعلم أن انتشار الأسماء الرومية أكثر من غيرها فهي مستعملة في الأقطار العربية كلها إن لم يكن أساسا فبالتبع كأن يكتب مثلا : آذار (مارس) وذلك لهذا الانتشار الذي اكتسبته الأسماء الرومية بسبب الاتصال بالثقافة الأروبية والحضارة الغربية والاقتباس منهما والنقل عنهما فضلا عن عدم معرفة الأسماء الأخرى في كثير من الشعوب العربية وخاصة في المغرب العربي.

ونرجع إلى التاريخ وكتب الفلك والتوقيت والطب والفلاحة عند العرب فنجد الأمر في الماضي كما هو في الحال مبنيا على الازدواجية في ذكر اسماء الشهور السريانية والرومية معا وذلك في مقابلة اسماء الشهور العربية أعني القمرية، وفي رصد الظواهـر الجويـــــة وحلول الفصول الأربعة وموافقة الأمزجة والطبائع المختلفة للإنسان والنبات حال العلاج والغراسة وغير ذلك.

لكن هذا في كتب المشارقة، أما في كتب المغاربة التي بأيدينا من أهل الأندلس والمغرب الكبير فإننا نجد الاعتماد على الأسماء الرومية، ولينظر كتاب الفلاحة لابن بصال وفلاحة أبي الخير وفلاحة ابن العوام الأندلسيين ونظم أبي مقرع المغربي في التوقيت وروضة الأزهار للجادري والمقنع للمرغيثي وكتب ابن البناء العددي الذي كان من أعظم رياضي القرن الثامن فإن الأمر عند هؤلاء كلهم لا يعدو ما ذكرنا.

ويحسن هنا أن ننقل عبارة لابن البناء في كتابه «منهاج الطالب لتعديل الكواكب» نشر وترجمة إخوان برنط إلى الاسبانية طبع تطوان 1942 ومن اسم هذا الكتاب - المنهاج - أخذ الأجانب كلمة (AL MANAC) وهذه العبارة هي التي تقول : «وأشهر تاريخ العجم عندنا بعد تاريخ الهجرة تاريخ الروم».

وحيث الأمر كذلك فإن أمر توحيد اسماء الشهور العجمية أو الميلادية بتعبير آخر رسالة المنظمة في الأقطار العربية لا يكون إلا باختيار أحد هذه الأسماء، ولا يكون بترضية هذه الجهة أو تلك، وإلا لأخذنا أربعة أشهر من القبطية وأربعة من السريانية وأربعة من الرومية، وهذا غير معقول أو لسميناها بما يشار به إليها من الشهر الأول والشهر الثاني ..الخ ولكن ما لنا ولهذه الحسابات.

إن الاختيار إما يكون بالمرجحات التي تغلب كفة على كفة.. ولعل الجانب العلمي الذي اشرنا إليه آنفا كاف في ترجيح الأسماء الرومية، إضافة إلى أنها المستعملة والمعروفة أكثر من غيرها في جميع الأقطار العربية، حتى أنها تؤخذ تفسيرا لغيرها. يزاد على ذلك أنها الأسماء الوحيدة للشهور الميلادية في عالم الغرب، والموافقة في هذا الباب مع العالم المعني بالتاريخ الميلادي أكثر منا، مما يرغب فيه، وقد كان النبي (ص) يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينه عنه.

بقيت قضية تعريب الأسماء فقد وقع فيها اضطراب كبير في العصر الحديث، وذلك من قصور التراجمة وعدم اطلاعهم على تعريبها السابق الذي قام به العرب الأولون، وصقلوا هذه الأسماء وصاغوها على نهجهم الأصيل فقالوا فيها : يناير - فبراير - مارس - أبريل - ماي - يونيو - يوليو - غشت - شتمبر - أكتوبر - نونبر - دجنبر.

ويقولون في ماي - مايو - ومايه وفي يونيو - يونيه - وفي يوليو - يوليه - ويوليوز فما نسمعه أو نقرأه اليوم من جنفيي وفبراير أو فڤريي وجوان وأوت وستمبر وديسمبر كله يجب أن يلغى لأن صيغته تتبدل أيضا من بلد إلى بلد فتنتفي فكرة التوحيد. ولأن من المقرر مجمعيا أن **ما عربته العرب سابقا لا يعاد تعريبه وإنما يستعمل بالصيغة التي نطقوه بها.**

خلاصة

الشهور غير العربية تسمى الشهور العجمية.

وهي ثلاثة السريانية والقبطية والرومية وهذه الأخيرة تسمى اليوم بالإفرنجية والميلادية.

أسماء الشهور السريانية : تشرين الأول - تشرين الثاني - كانون الأول - كانون الثاني - شباط - آذار - نيسان - إيار - حزيران - تموز - آب - ايلول.

اسماء الشهور القبطية : توت - بابه - هتور - كيهك - طوبه - امشير - برمهات - برمودة - بشنس - بؤنة - أبيب - مسرى.

أسماء الشهور الرومية ، وهي الافرنجية والميلادية ، يناير - فبراير - مارس - أبريل - مايو - يونيه - يوليه - غشت - شتمبر - أكتوبر - نونبر - دجنبر

وهذا ينبغي ألا يغيب عن الذهن أن ابتداء السنوات السريانية والقبطية والرومية مختلف فأول شهر في السنة السريانية هو كانون الثاني وفي السنة القبطية هو امشير وفي الرومية هو يناير.

وإذا شئنا المزيد من التدقيق في التعبير فلنقل في تشرين الثاني تشرين الأخير وكذا في كانون الثاني كانون الأخير لأن الثاني إنما تقال عندما يكون هناك ثالث وكذا القول في ربيع الثاني وجمادى الثانية من اسماء الشهور العربية يقال فيها ربيع الآخر وجمادى الاخرة. ولكن هذا لا دخل له في أمر التوحيد. زيادة على أنه لا يلتزم به أحد.

٥٥٥٥٥

هذا وقد تلقيت رسالة شكر وتنويه من المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس بعمان على يد معهد الدراسات والأبحاث بالرباط. مما يدل على الموافقة المبدئية على هذا الرأي. وبالله التوفيق

عبد الله گنون



رسالة السلفية والأصالة واليقظة الإسلامية

للأستاذ أنور الجندي
(القاهرة)

بعد سنوات قليلة من استقلال المغرب سنة 1954 انطلقت مجلة «دعوة الحق» كالشهاب المضيء في الأفق فوصلت إلى أقصى العالم الإسلامي شعلتها ونورها حاملة لواء دعوة السلفية الإسلامية والأصالة واليقظة من حيث كانت تلك الأرض تحفظ رسالة الإسلام منذ القرن الأول وتحتفظ به ازاء التحديات الخطيرة التي واجهها عالم الإسلام منذ حروب الصليبيين وحروب الفرنجة سنوات طويلة من الصراع الاستعماري كان خلالها المغرب صخرة صامدة أمام الأحداث . ومن المغرب انطلق التوسع الإسلامي إلى أوربا عبر اسبانيا، وفرنسا. وكان عليه أن يحمي ذلك الجناح الأيسر للعالم الإسلامي منذ بدأت حركة اليقظة التي حمل لوائها الإمام محمد بن عبد الوهاب وتوالت جنود الحق فظهر في المغرب دعاة السلفية من الدكالي إلى كنون إلى العلوي العربي إلى علال الفاسي. ومن ثم فقد ولدت مجلة «دعوة الحق» على طبول الاستقلال الذي كان قد انطلق من السلفية أساسا ومن ثم ظهر هذا العدد الضخم من أعلام المغرب في مختلف مجالات الشريعة والعقائد والأخلاق والتاريخ واللغة العربية فحفلت بهم هذه المجلة العملاقة التي لم تتوقف عند هذا الحد بل انطلقت تمثل الفكر الإسلامي المغربي كله بأبطاله وأعلامه وتاريخه (تونس. والجزائر. والمغرب). وحملت لواء دعوة الوحدة المغربية التي هي جزء من الوحدة الإسلامية وكانت في مفاهيمها ومنهجها إسلامية خالصة على أصفى ما يكون المنهج استقامة فكر وسلامة هدف حتى ليستطيع الباحث من خلال مجلداتها الخمسة والعشرين اليوم أن يجد أمامه مرجعا ضخما يشكل ايديولوجية الإسلام الحقيقية وتاريخه وتاريخ هذا الجناح الأيسر من الإسلام على نحو رائع. فقد حملت مفاهيم اليقظة الإسلامية الحقيقية وحررت الفكر الإسلامي المعاصر من مختلف الشبهات والتحديات التي آثارها الاستشراق والتغريب والباطنية ومفاهيم الفلسفات المادية.

ولم يتوقف كتابها عند أعلام المغرب بل حشدت كتاب الفكرة الإسلامية المعاصرون فقرأنا فيها لجميل بيهم. ومحمد المبارك. وطه الولي. وأبو الحسن الندوي. والدكتور مصطفى جواد. وزكي المحاسني. محمد البهي. وأبو الأعلى المودودي. وأحمد حسين. وعشرات هذا بالإضافة إلى أعلام الفكر الإسلامي في المغرب ، عبد الله كنون. عبد العزيز بن عبد الله. أبو بكر القادري. الرحالي الفاروقي. عبد الهادي التازي. زين العابدين الكتاني. الحسن السائح. محمد بن تاويت الطنجي. الدكتور تقي الدين الهلالي. المهدي بن عبود. وعبد السلام الهراس. عبد القادر الصحراوي. عبد القادر زمامة.

وكثير لا يخطئهم الحصر منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا.

أولا : دائرة معارف إسلامية :

ولقد حاولت مراجعة السنوات العشر الأولى من مجلة «دعوة الحق» لأرى إلى أي مدى وصلت ريادتها في مجال الفكر الإسلامي فوجدت حصيلة ضخمة تفوق الوصف.

1 ـ ففي مجال الدراسات الإسلامية : وجدت عدد من الدراسات الخصبة عن الشريعـة الإسلاميـة، وعالمية الدين الإسلامي (التهامي الوزاني) والمنهج العلمي التجريبي الإسلامي، ونظرة الإسلام إلى التمثيل والأفلام السينمائية (محمد الطنجي) وثيقة خطيرة حول تسابق الإسلام والنصرانية في إفريقيا (المهدي الصقلي) الصوفية وموقف ابن عربي من علماء أهل الظاهر (محمود قاسم) الفقه الإسلامي، مرونته، المرأة في الإسلام، الدبلوماسية الإسلامية، المسكوكات الإسلامية.

2 ـ وفي مجال تاريخ الإسلام : عشرات الدراسات الخصبة، منها دراسة التاريخ الإسلامي وكتابته وأصول الاستنتاج التاريخي (المهدي البرجالي) فتح بيت المقدس وتسامح عمر (أبو العباس التجاني) دفاع عن الأتراك العثمانيين (عبد القادر القادري) سفارات النبي العربي إلى بلاد فارس والروم (عبد الهادي التازي).

3 ـ الاقتصاد الإسلامي : وقد وجدت عشرات الأبحاث عن الموارد المالية في دولة الإسلام، وعدالة الشريعة الإسلامية، الإسلام والنظم المعاصرة (أبو الأعلى المودودي) والمصارف والبنوك في نظر الإسلام، والإسلام ونظرية جيسل في التداول (علال الفاسي ونظريـــة إسلامية في المال والاقتصاد (عبد الكامل الكتاني).

4 ـ تاريخ افريقيا والمغرب : (وهذا مجال واسع لعشرات الدراسات التي تناولت أهم موضوعات هذا التاريخ في القديم والحديث.

(1) دراسة (تاريخ المغرب في عصوره المختلفة تاريخيا وثقافيا وأدبيا وتناول رجاله وأعلامه) بلاد السنغال، افريقيا القارة المسلمة، موقف المغرب من الحملات الصليبية، أقاليم الشمال الإفريقي الدولة العلوية وأسطولها، الموحدون والحضارة، عصر السعديين، رحلة ابن بطوطة وابن جزى كاتب الرحلة، الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا، حملة البرتغال على المغرب، حضارة الأدارسة، المغرب في عهد الرومان، الرحالة المغاربة وآثارهم (1) الفن الإسلامي زمن الأغالبة.

(2) المغرب الحديث ، وقد تناولت دراسات موسعة عن الاتحاد المغربي ووحدة المغرب العربي، والدبلوماسية المغربية في العصر الحديث، وتاريخ القضاء المغربي، الوحدة المغربية حقيقة تاريخية، قضايا المغرب بعد الاستقلال، دراسات عن الجزائر في طريق الاستقلال الأوضاع الإسلامية في افريقيا.

4 ـ العالم الإسلامي : وقد تناول البحث عشرات الموضوعات في مقدمتها ، العروبة والإسلام (المهدي المنجرة) الجامعة الإسلامية (التهامي الوزاني) خمسة قرون من التوسع الاستعماري (عبد القادر القادري)، ودراسات عن ماليزيا، أفغانستان، استراليا، جزر الهند الغربية، الفيلبين، الداهومي، اليابان، بريطانيا، سيراليون.

5 ـ اللغة العربية : وقد حظيت بعشرات الأبحاث : العربية لغة عالمية، العربية في إفريقيا، استئناس الكلمات واستيحاشها، أزمة اللغة العربية، توحيد اللغة العربية، الهجوم على سعيد عقل وقضيته الهدامة للغة العربية، اللغات الأجنبية والبرامج التعليمية، اللغة العربية والمصطلحات العلمية، ضوابط في العربية

كما كتب الأستاذ الجليل الدكتور تقي الدين الهلالي فصولا مطولة تحت عنوان (تقويم اللسانين) وما زلت أذكر لهذا العالم الجليل كتاباته في المنار والفتح قبل خمسين سنة أطال الله عمره.

1) رحلات المغاربة والأندلسيين إلى المشرق ، المغافري، ابن جبير، ابن رشيد، ابن بطوطة، المقري، العبدري، العياشي، ابن سعيد.

6 ـ **الأدب العربي** : وقد تناولته عشرات الموضوعات منها الأدب العربي المغربي القديم والأدب التونسي ومؤرخه زين العابدين التونسي. وكتابة الشعر العربي الأندلسي في الأداب العربية، ونشأة الفن الإسلامي وأصوله وتأثيره على فنون أوربا. مدخل إلى علم العروض. بردة البوصيري ونهج البردة لشوقي فضلا عن فصول كتبها الأستاذ عبد القادر زمامه تحت عنوان (الوجادات) تناول فيها قطوفا رائعة من كتب التراث القديم.

7 ـ **ديوان دعوة الحق** : علال الفاسي. مفدي زكريا. محمد المختار السوسي. محمد الحلوي. عبد المجيد بن جلون. عبد الكريم التواتي. عبد المالك البلغيثي.

8 ـ **الاعلام** : وفيها تناولت «**دعوة الحق**» عشرات من الاعلام في مقدمتهم نور الدين زنكي. يوسف بن تاشفين. المقري ورسالة إغاثة الأمة بكشف الغمة. أبو حامد الغزالي. والنسبية وابن رشد والتوفيق بين الشريعة والفلسفة. عبد الله بن ياسين. مجدد الإسلام في افريقيا. ثابت بن قره ودوره في التمدن الإسلامي. قتيبة بن مسلم. الشريف الإدريسي. لسان الدين ابن الخطيب. الإمام البخاري.

وقد كتبت أبحاث عديدة مطولة عن ابن خلدون والتربية عند ابن خلدون وعن ابن بطوطة وابن الأزرق. كما كتبت دراسات متعددة عن الإمام مالك. والخلدونية ومذهب الإمام مالك.

7) وفي العصر الحديث تناولت «**دعوة الحق**» عددا كبيرا من الأعلام في مقدمتهم محمد البشير الإبراهيمي. مالك بن بني. الشيخ محمد عبده. أبو شعيب الدكالي. المولى سليمان (رائد السلفية في المغرب) جمال الدين الأفغاني. محمد إقبال. محمد علي جناح. مصطفى صادق الرافعي. عبد الحميد بن باديس.

9 ـ **القرآن الكريم** : وقد حفلت صفحات «**دعوة الحق**» بدراسات عن القرآن الكريم منها : القرآن ولغة قريش. الكلمات القرآنية الجارية مجرى الامثال في المغرب. تفسير القرآن في مصر. تفسير الزمخشري وتفسير ابن عطية. من إعجاز القرآن الكريم.

10 ـ **مراجع الكتب والتراث** : وقد حفلت «**دعوة الحق**» بعرض ومراجعة عشرات الكتب الغربية عن المغرب والعالم الإسلامي وتصدت للرد على مافيها من شبهات كما ردت على كتب المستشرقين وتناولت أبحاثا مطولة عن الإستشراق وقضايا الإسلام كتبها العلامة محمد المنتصر الريسوني كما ردت على المستشرق برنارد لولي. وعلى المستشرق هاملتون جب في كتابه (بنية الفكر الإسلامي) كما ناقش علامتنا الكبير وشيخنا الجليل عبد الله كنون : منجد الأداب والعلوم وكشف عن أخطائه كما رد على كتاب (هل يمكن الاعتقاد بالقرآن) وهي رسالة الماركسي الشيوعي (رحماتوف) كذلك عرضت «**دعوة الحق**» بالرد على كتاب اليهودي المستشرق رودنسون : الإسلام والرأسمالية (1969).

ومن هذه الرسائل : كتاب الجمان في مختصر أخبار الزمان. تواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان. أوصاف الناس في التاريخ والصلات للوزير لسان الدين ابن الخطيب. كتاب صبح الأعشى للقلقشندي. صفات الأولياء ومناقب الأصفياء والمن بالامامة.

ثانيا : الدعوة السلفية والأصالة :

قدمت مجلة «**دعوة الحق**» منهجا إسلاميا جامعا. مقدمة تعريف بمهمة الحركة السلفية في المغرب. هذه الدعوة التي قام عليها منهج العمل السياسي والاجتماعي يقول الحسن السائح : لقد عرف المغرب الحركة السلفية لما حمل الحجاج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى المولى سليمان ثم جاء عبد الله السنوسي من المشرق وما كاد الشيخ محمد عبده يرفع عقيرته مهب الدعوة في الشرق حتى كان لها صدى كبير في المغرب ثم جاء أبو شعيب الدكالي الذي بدأ حركة السلفية .

علال الفاسي :

ويكتب العلامة علال الفاسي عن نمو الأصالة الإسلامية لتحرير الاداء العربي فيقول : هذا الاختلاط بين الكلمات في مدلولها العربي ومدلولها الأجنبي صعب على شبابنا التفاهم مع بعضه فأصبح الذين يتقنون اللغات الأجنبية يتكلمون بعربية غير مفهومة باعتبار المقاصد التي يعطونها لها وأصبحوا هم أيضا لايفهمون اخوانهم الذين يتكلمون بالعربية حسب مدلولاتها التي أعطاها لها الفكر العربي أو المغربي على الأقل. فالسيطرة عن طريق اللغة احدثت وتحدث في وطننا خسارة لاحد لها ولا يمكننا أن نعتبر أنفسنا أحرارا بمعنى الكلمة الحقيقي إلا إذا حررنا فكرنا عن اللغة الأجنبية وحررنا كلماتنا القومية من المدلولات الأجنبية والتي اعتبرها خطوة اساسية لتحقيق فكر اجتماعي صحيح.

وفي عديد من الموضوعات كتب هذا الرائد العظيم ومحاضرته عن الشيخ محمد عبده من المراجع الهامة للحركة السلفية الإسلامية. وله كتابات عن العلاقة بين الفلسفة وبين الدين.

ابن باديس :

قال جمال البغدادي القادري : حينما نهض رجل عملاق في الجزائر لينذر الشعور بالوجود بالجزائري. وليرفع راية الجهاد الأكبر على العدو الأكبر : نعم استطاع عبد الحميد بن باديس أن يثير الحماس وأن يهز الناس ويجعلهم يتفهمون رسالتهم وواجبهم وذلك في كلمات تلخص فلسفة أول مصلح جزائري وأبى نهضتها. هذا الثالوث هو العروبة والإسلام والجزائر. العروبة كامنة في اللغة العربية والإسلام هو مضمون دستورها الأخلاقي والفلسفي والجزائر هي الأرض المحتلة إلى أن تطهر من رجس المستعمر الغاصب.

عبد الله كنون :

أما العلامة عبد الله كنون فقد واصل أبحاثه فكشف عن أخطاء قاموس «المنجد» الذي يعتمد عليه عشرات الباحثين فقال : رأينا أنه في حاجة إلى إعادة النظر في كثير من موارده ومعلوماته. ويجب أن لاننسى أنه عمل فردي وانه مشروع كان يتحتم أن تقوم به جماعة من أهل العلم ليخلو من المآخذ. والمسؤول عن الأخطاء الكثيرة التي يحتويها هذا المعجم هو المصادر التي اعتمد عليها المؤلف فهي جميعها مصادر غير أصيلة لأنها تتراوح بين مصادر أجنبية ومصادر محدثة. وانه ليس بين هذه المصادر مرجع أصلي من الكتب العربية القديمة المعتمدة في كثير من المواد التي يشتمل عليها المعجم. أضف إلى ذلك أن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيرا ما يعتريها لفظ الشيء المترجم وخاصة إذا كان اسم محل أو شخص غريب لاعلم للمترجم: به فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع إلى المصادر الأصلية التي تورده على وجهه.

وفي موضع آخر تحدث عن خطبة طارق تعليقا على ماكتبه الأخ الجليل الدكتور عبد السلام الهراس الذي أثرى مجلة **«دعوة الحق»** بأبحاثه وخاصة أبحاثه في تحليل ودراسة منهج العلامة «مالك بن نبي» وفي تعليق العلامة كنون على خطبة طارق قال : لم يكن (المقري) وحده هو الذي اثبت الخطبة ولكن الهراس قدم خمسة مصادر أخرى وأضاف كنون مصدرا سابعا هو أبو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك.

عبد السلام الهراس :

وتحدث الدكتور الهراس في أبحاث متعددة عن الدعوة الإسلامية فقال : عن توحيد الدعوة الإسلامية أن العالم الإسلامي لفي أشد الحاجة إلى قيادة مذهبية تشكل حياته وفق ثقافة وفكرة حضارية وبذلك فقط يمكن أن يقضي على المشاكل التي يتخبط فيها. ان الدعوة الإسلامية تكاد تكون غائبة من ميدان المعركة الرهيبة التي يخوضها العالم الإسلامي مع نفسه والخارج.

عبد العزيز بنعبد الله :

وكتب الدكتور عبد العزيز عشرات الأبحاث. ومنها بحثه عن التبادل الفكري بين المغرب والمشرق قال : لعل

أبلغ الروابط وأعمقها بين المشرق والمغرب العربي قد تحققت على يد رسل الفكر الذين كانوا يتواردون من المغرب بالآلاف كل عام على مختلف أقطار الشرق فيصلون أسانيد المغرب بأسانيد المشرق ويتبادلون ألوان العلوم والفنون ويجددون الأواصر المتينة التي مافتئت تتجلى منذ أزيد من ألف عام في الوحدة الفكرية والروحية القائمة بين العروبة والإسلام وأشار إلى ماذكره كودار في تاريخ المغرب المصنف عام 1860 أن ثلاثة آلاف مغربي يسافرون كل سنة إلى الخارج منهم أربعمائة أو خمسمائة إلى أوربا والباقي إلى الشرق .

الدكتور المهدي بن عبود :

كذلك فقد كتب الدكتور المهدي بن عبود عشرات الموضوعات على طريقته الخاصة في الدعوة الإسلامية. ومنها أحاديثه عبر الأمة الإسلامية حيث يقول :

ان الأمة الإسلامية هي الوحيدة التي يمكن أن يطلق على نفسها بحق وبدون مكابرة انها أمة ذات رسالة كان الله سبحانه قدر ظهورها من جديد لمعارضة الباطل في المذاهب العلمانية والصهيونية وساق عن طريق الوعي والاستدراج تاريخ البشرية الحاضر إلى الشعور بحاجة إلى توحيد البشرية تدريجيا مع نظام قدر له منذ الأزل أن يسمى دين التوحيد.

ويقول أن العالم يواجه الآن تيارات أربع : الرأسمالية والماركسية وأبوهما التيار الصهيوني (البارز في مفاهيم الفلسفة الاجتماعية والنفس والفنون) أما التيار الرابع فهوالإسلام فهو التيار الشامل. ولكن المشاهدة النزيهة المجردة أوضحت أن أرقى الناس ماديا أشقاهم معنويا. وأشار إلى فساد الخطط السياسية والاقتصادية من ماركسية وصهيونية ورأسمالية وقال : لم يعبد العجل الذهبي في أي زمان من الأزمان كما هو معبود اليوم فأصبح الاقتصاد هو إله العصر والأبناك مساجده .

ثالثا أبحاث رائدة :

وإذا كنا قد استعرضنا أبحاث سنوات كثيرة من مجلة **«دعوة الحق»** . لاعداد هذا البحث وسنستوفي ذلك في كتابة الفصل الخاص بهذه المجلة في كتابنا (تاريخ الصحافة الإسلامية) فإن هناك عشرات من القضايا الهامة التي يجب تقديم مفاهيمها لتكون دلالة هامة على الإضافات الهامة التي قدمها مفكرو المغرب الإسلاميين في هذه الموضوعات ومن أبرز هذه الموضوعات.

1 ـ الإسلام والقوميات : وقد عالج هذا الموضوع العلامة عبد الله كنون في بحث ضاف قال فيه أن الإسلام لم يتجاهل الشخصية المميزة ولا الواقع التاريخي للشعوب وما أتى به من نظام للحكم وتوجيه شامل للاقتصاد وتربية روحية للإنسان إنما قصد به بناء المجتمع البشري على أساس من العدالة الحق.

(1) اسناد الحكم إلى النخبة الممتازة من ذوي الخبرة والنزاهة والسابقة .

(2) تحريم الربا الذي يعد دعامة ثابتة في المعاملات المالية وعامل تحرير الاقتصاد من الاستغلال والاحتكار والمصالح الشخصية.

(2) تربية الناس على مراقبة الخالق والاستعداد ليوم المعاد وقد أقر الإسلام مبدأ التفاضل بين الناس لشيء آخر غير الأصل وهو التقوى.

هذه المقاصد التي لم تمس المشخصات الجنسية للشعوب ولا كيانها الخاص. لكل قوم كيانهم المستقل لكن لا على أصل التنابذ والمنافرة كما هو الواقع حال معظم الشعوب اليوم. وانما على أصل التعارف والمعاملة لتبادل المصالح وعمارة الارض . فالإسلام لاينكر القوميات بل يعترف بها لأن وجودها طبيعي. ومما يقتضيه ضرورة العمران. غير أنه يميل بها عن الجاهلية وتفاخرها بالاباء والاجداد وعن تعصب الشعوب وأنانيتها. وعن نظرية الجنس السامي والعنصرية المقيتة وان القومية في الإسلام ما وجدت الا لتكون سبيلا للتعارف والتعاون.

2 ـ نظرية العقد الاجتماعي بين الفكر الغربي والشريعة الإسلامية :

وقد تناول هذا الموضوع الأستاذ عبد النبي ميكو فقال :

الإسلام هو الشريعة الخالدة التي أتت لتنظم علاقات الإنسان بربه وعلاقاته بغيره من الناس. ينظم علاقات الأفراد بعضهم ببعض وكذلك علاقتهم بالدولة كما عمل على تنظيم العلاقات الدينية والدنيوية والأخروية والعلاقات الاجتماعية وبتعبير أدق فهو دين ودولة خلاف المسيحية التي كانت دينا فقط ولم تكن دولة.

2 ـ في تاريخ المغرب : عشرات القضايا والأبحاث منها معركة القصر الكبير يقول الأستاذ عبد الله العمراني : حول معركة وادي المخازن الشهيرة التي انتصر فيها المغرب على عدة دول أوربية ساندت حملة البرتغال الاجرامية فكانت هذه المعركة حدا فاصلا في تاريخ المغرب قطعت أطماع الأوروبيين فيه عدة قرون.

4 ـ اللغة العربية : وقد تناولتها عشرات الأبحاث منها بحث الأستاذ عبد الله العمراني الذي قدم ثلاث حقائق هامة :

(1) هذا التاريخ الطويل والعمر المديد للغة العربية هو الذي اغناها مفردات وقواعد ظن بعض غير المتمكنين انها مستعصية على التعليم والفهم الصحيح بينما الواقع أن بعض اللغات المعروفة بالهندية ـ الأوربية وبعض لغات الشرق الأقصى أكثر تشعبا وصعوبة.

(2) ان ثراء اللغة العربية الواسع وتاريخها الطويل لم يحولا دون احتكاكها بقوتها وفعاليتها حتى في احلك فترات تاريخها ولا شك أن للقرآن الكريم آثرا خطيرا في بقائها وخلودها الذي تحوطه العناية الربانية (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)

(3) ليست العبرية أقدم اللغات السامية كما أدعى أحبار اليهود من قبل وليست الكلمات المتشابهة في العربية والعبرية مثلا مفردات اقتبسها العرب من العبرانيين كما يحلو للبعض أن يدعي. وإنما هي في الغالب كلمات عربية أصيلةربما كان مصدر أن التشابه ان كلتا اللغتين استمدتا من اللغة الأم.

5 ـ ابن خلدون :

لاشك أن تراث ابن خلدون مما يحتفل به المغرب الكبير (ففي تونس والجزائر والمغرب) دراسات واسعة متعددة عن هذا العلامة العظيم. كذلك في القاهرة التي دفن بها وفي عشرات العواصم الغربية دراسات عنه ولكن الملاحظ أن كتابا في المغرب تناولوه من جهات مختلفة منها مقال الأستاذ حسن السائح الذي يعارض وجهة نظر ابن خلدون في انتشار المذهب المالكي في المغرب من حيث يقول المؤرخ الكبير أن السبب أولا جغرافي لأن رحلة المغاربة كانت غالبا إلى الحجاز والثاني : اجتماعي ويرجع للبداوة المتجلية على المغاربة والأندلسيين.

ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأصل العراق وكانوا إلى أصل الحجاز اميل أما الأستاذ حسن السائح فيرى أن المغاربة رحلوا إلى العراق وإلى الشام وإلى مصر وليس إلى الحجاز فحسب. كما أن جميع المسلمين رحلوا إلى الحجاز من مختلف الأقطار والاصقاع وفيهم الشافعية والحنفية والحنابلة.

(2) وكذلك فقد نشر الدكتور النشار كتاب ابن الأزرق (بدائع السلك في طبائع الملك) وهو نقد وتحليل لفلسفة ابن خلدون وتصحيح لبعض نظرياته.

6 ـ الأتراك العثمانيون والسلطان عبد الحميد

وكان بحث الأستاذ عبد القادر القادري عن الأتراك العثمانيين عام 1969 في مقدمة الأبحاث التي ظهرت من بعد وتصدرت ملتقيات الجزائر للفكر الإسلامي سنوات 1971 ـ 1972 عن الأخطاء التاريخية المثارة حول الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وقد أثبت هذا الباحث المنصف أن العثمانيين ليسوا هم المسؤلين عن تأخر العرب وكشف عن حقيقة ارتباط العرب بالدولة العثمانية وانه لم يكن استعمارا وإنما كان تضامنا للوقوف في وجه موجة

النفوذ الأجنبي وكذلك أهمية ما كتب عن السلطان عبد الحميد في رفضه إقامة وطن قومي لليهود

٥ ٥ ٥

هذا وأعتقد أن هناك مجالا واسعا لدراسة :

1 ـ الحركة السلفية في المغرب .

2 ـ دور المغرب في الفقه والأدب والتاريخ.

3 ـ موقف المغرب من الحملات الصليبية ومعارك الاسبان والبرتغال في تونس والجزائر.

4 ـ مذهب مالك وأثره في الفكر الإسلامي.

5 ـ التراث المغربي ورحلات المغاربة إلى المشرق.

6 ـ الممالك الاسلامية في افريقيا.

7 ـ الحضارة المغربية.

8 ـ اعلام المغرب في سياق الدول والفتح والعلم.

9 ـ ردود المغاربة على الاستشراق في التاريخ المغربي وافريقيا.

10 ـ الشريعة والاقتصاد والتربية الإسلامية في المغرب.

وهذه هي الأبواب التي أرجو أن أعالجها في دراستي عن مجلة **«دعوة الحق»** في كتابنا (تاريخ الصحافة الإسلامية) ولا ريب أن هذا البحث متصل بما حرره كاتب هذه السطور في كتابه (الفكر والثقافة في شمال إفريقيا) ، تلك الدراسة التي ظهرت عام 1970 بفضل جهود أعلام المغرب ، الأساتذة عبد الله كنون، عبد الكريم غلاب، ولا ننسى هنا أن نذكر فضل أمثال الأستاذ أبو بكر القادري صاحب مجلة الايمان. وعبد العزيز بنعبد الله. وعبد السلام الهراس. أما الدكتور تقي الدين الهلالي فهذا رائد عظيم قرأنا له منذ خمسين عاما في مجلة الفتح ولا ننسى اثاره الهامة في كتابه تاريخ المغرب في العصر الحديث.

أنور الجندي



ربع قرن في خدمة الحضارة الإسلامية

«دعوة الحق» في عيدها الفضي

للأستاذ عبد اللطيف أحمد خالص

أبت الأقدار إلا أن تستمر مجلة «دعوة الحق» الغراء في أداء رسالتها الإسلامية والأدبية طوال خمس وعشرين سنة، وأبت الأقدار إلا أن تسمح لنا معشر المثقفين المغاربة بأن نواكب هذه المسيرة المظفرة متتبعين، عن كثب، مختلف الخطوات الموفقة التي تخطوها والمراحل المباركة التي تقطعها. وإذا كان لي، شخصيا، شرف الانتساب إلى أسرة هذه المجلة الفيحاء، والمشاركة في موافاتها من حين لآخر ببعض الدراسات والأبحاث والأبيات الشعرية المتواضعة التي تنبثق من البضاعة الثقافية المزجاة التي من الله بها علي، فإني أعترف بالجميل الذي أسدته هذه المجلة إلي، أولا، وإلى الثقافة المغربية، ثانيا، ذلك أن صدور هذه المجلة بتواصل واستمرار، رغم الصعاب والعراقيل التي يلقاها السادة المشرفون عليها، في سبيل الاضطلاع بمسؤولياتهم الأدبية، وأداء مهمتهم حسب مستطاعهم - جازاهم الله على ذلك أحسن الجزاء - أقول، إن صدور هذه المجلة بكيفية متتابعة، سمح لي، شخصيا، بالاطلاع الدقيق على جانب كبير من إنتاجنا الأدبي نثره وشعره، وتتبع دراسات وأبحاث كثيرة في موضوعات معينة تشمل العقيدة الدينية والحضارة الإسلامية والثقافة المغربية كما سمح لي هذا التتبع بالتعرف على كتاب جدد، وأدباء محدثين، وشعراء ينتمون إلى الجيل الحديث زيادة على التمكن من استمرار الاتصال بالكتاب والأدباء والشعراء والمؤرخين الذين يعدون، بحق، من رواد النهضة الفكرية والأدبية والثقافية المغربية وذوي الفضل الأول في اقتحام ميدان الإبداع الفكري والابتكار الأدبي. وما دام الأمر يتعلق بالأسماء اللامعة من المثقفين والأدباء والعلماء والشعراء الذين زخرت بهم مجلتنا «دعوة الحق» أطال الله عمرها، فإن من دواعي اعتزازي وافتخاري أن تكون أهم المقالات والدراسات والقصائد التي ساهمت بها في هذه المجلة الخالدة مخصصة للوضع الثقافي في بلادنا، وللتعريف بملامح النهضة الأدبية والفكرية المعاصرة، والكتابة عن عدد من الأعلام المعاصرين سواء خلال حياتهم، أو بعد مماتهم، أذكر منهم على الخصوص، الفقيد العزيز سيدي محمد المختار السوسي الذي أغنى مجلة «دعوة الحق» بمقالاته وقصصه وقصائده في أوائل مراحل حياتها، والأديب الرباطي الكبير سيدي أحمد الزبيدي شيخ أدباء الرباط في عصره، والعلامة الجليل السيد الحاج محمد بن عبد الله وهو من كبار الفقهاء، والكتاب المغاربة وأول قاض شرعي بمدينة الرباط في بداية عهد الاستقلال رحم الله الجميع.

أما الدراسات المتعلقة بالوضعية الأدبية في بلادنا فقد تنوعت وتعددت في هذا الموضوع بالذات، وتوافرت

وتجددت في أشكال وألوان حسب المراحل التي مرت بها مجلتنا «دعوة الحق» خصوصا في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري، والستينات من القرن العشرين الميلادي حيث تفقدت وتعهدت مختلف مناحي الإنتـــاج الأدبي الوطني سواء منه المكتوب باللغة العربية أو المحرر باللغات الأجنبية أو المنقول والمترجم كما أثارت هذه المقالات والأبحاث بعض المناقشات الأدبية على صفحات مجلة «دعوة الحق» أو المنشورات الثقافية الأخرى كـ «الآفاق» و «البحث العلمي» وغيرهما من المجلات والجرائد وفي البرامج الثقافية بالإذاعة الوطنية أو الحلقات الأدبية التي كانت تعدها التلفزة المغربية في أوائل عهدها.

ويتضح من هذا العرض السريع الموجز أن دور مجلة «دعوة الحق» في تشجيع الحركة الأدبية ببلادنا، وتحديد معالم النهضة الدينية والفكرية بوطننا كان دورا عمليا ورائدا فقد استقطبت العديد من أرباب الفكر وذوي القدم الراسخة في الإنتاج العلمي والأدبي، كما فتحت صدر صفحاتها النيرة، رغم طابعها الديني، للشيوخ والكهول والشباب منهم، ولم تراع في قبول هؤلاء المبدعين إلا الشروط الضرورية لكل إنتاج أدبي محترم أساسه سلامة التفكير، واستقامة التعبير، ووضوح الأسلوب، وجمال العرض وجلال الموضوع. وقد مكنت بهذه الطريقة المتسامحة، للعديد من ذوي الطموح في مضمار الأدب والكتابة، من التعبير عن آرائهم بكل حرية، والإدلاء بدلوهم بصدق لهجة، وحسن طوية، ويكفي أن يتصفح المرء هذه المجموعات الزاهية من «دعوة الحق» ليتأكد مما نقول.

فما هي ياترى الأسباب والدواعي التي ساعدت «دعوة الحق» والمشرفين عليها من الاضطلاع بهذه التبعة الفكرية على أحسن وجه، وتحمل هذه المسؤولية الثقافية في أبهى صورة ؟ وما هي المميزات والصور التي اتصفت بها «دعوة الحق» خلال هذه المسيرة المديدة التي نرجو من صميم القلب، أن تتواصل بحول الله ؟ وما هي الاقتراحات العملية البناءة التي تسمح لأنفسنا بتقديمها إلى القائمين بهذا العمل الأدبي الجليل ؟ وما هي الآمال التي يعلقها رجال العلم والأدب والثقافة على «دعوة الحق» والمسؤولين عنها وهي تدخل ربع قرن من عمرها ؟ ذلك ما سنحاول، بإخلاص وإيجاز، أن نتعرض له في الفقرات التالية :

لعل من أهم الأسباب التي مكنت «دعوة الحق» من الاضطلاع برسالتها الأدبية والفكرية استمرارها في الصدور بطريقة تكاد تكون بانتظام رغم ما تتعرض له من خلل في بعض الأوقات كصدور العدد متأخرا، أو جمع عددين اثنين في عدد واحد. وقد نتج عن هذا الاستمرار الجدير بالتقدير ثقة القراء بالمجلة وخلق جو من الألفة بينها وبين هؤلاء القراء الذين صاروا يترقبون صدورها، ويتتبعون الدراسات والأبحاث المطولة التي كان بعضها يفوق العشرين في بعض الأحيان كما نتج عن هذا الاستمرار التزام ثابت من طرف الكتاب والشعراء والمثقفين، بصفة عامة، إذ صاروا يوافونها بالمقالات والأشعار باستمـــرار وبانتظـــام هـــم بدورهـــم، وهـــذا مـــا أدى بـ «دعـوة الحق» إلى الحفاظ على علاقات وطيدة بينها وبين بعض كبار العلماء والكتاب والشعراء الذين قل أن يخلو عدد منها من دراساتهم وأشعارهم ومقالاتهم. ومما لا ريب فيه أنه كان لمواظبة الكتاب والشعراء على تزويد مجلة «دعوة الحق» بانتاجهم الأثر المحمود في رفع مستوى المجلة، ومواكبتها للتطور الثقافي والنهضة الدينية والعلمية التي عرفها المغرب، أولا، والتي يعيشها العالم العربي والإسلامي، ثانيا. وقد سمح هذا الصدور المنتظم للمجلة من خلق نقاش أدبي، ومساجلات فكرية بين بعض كتاب المجلة فيما بينهم من جهة وبينهم وبين بعض النقاد من جهة أخرى الشيء الذي جعل من «دعوة الحق» منبرا تتلاقى فيه مختلف الآراء والأفكار، وتتصارع من فوقه، عدد من النظريات والتيارات بالإضافة إلى خلق وسيلة للتعاون بين الباحثين والمفكرين المغاربة وغيرهم الذين أثروا المجلة بأبحاثهم المستفيضة التي يكمل بعضها البعض واغنوا الثقافة المغربية العربية

الإسلامية بعدد وافر من المعلومات والوثائق والمخطوطات والمؤلفات التي ما كان لها أن تظهر إلى الوجود لولا هذا التعاون الذي نشأ بين الكتاب والباحثين والمفكرين والمثقفين والذين كانوا يتجاوبون على صفحات مجلتنا، ويتعاونون فيما بينهم للوصول إلى الحقائق العلمية باتئاد وأناة رائدهم في ذلك، خدمة الثقافة المغربية والتاريخ الوطني والحضارة العربية الإسلامية.والحقيقة أن فرص النقد التي أتاحتها «دعوة الحق» خلال سنوات معدودة كانت ذات أهمية بالغة لأنها مكنت من تصحيح بعض المفاهيــــم، وتأكيد بعض المعلومات والمعارف الضرورية، ووضع النقط على الحروف في كثير من القضايا العلمية والفكرية. ومما زاد هذا العمل فعالية وإيجابية أن الحوار الذي كان يدور بين كتاب المجلة لم يكن يتسم بالجدل العقيم، والمعارك الكلامية الفارغة المشحونة بالقدح والسباب وتبادل التهم والتراشق بالعبارات الرخيصة بل كان هذا الحوار والنقــد بناءين يغلب عليهما طابع الجدية والاحترام المتبادل ويطغى، خلالهما، جانب التعقل والرزانة والرغبة في الوصول إلى الحقيقة العلمية عن طريق الدفاع بالإقناع، والإدلاء بالحجج البالغة، نعم ! لقد ساد بعض المناقشات نوع من الحدة في بعض الأحيان خصوصا عندما ينشب الخلاف بين علماء وباحثين يتوفرون على مستوى عظيم من العلم والمعرفة أولهم نفوذ مشترك أو باع طويل متقارب في بعض الميادين العلمية والأدبية، ولكن هذه الحدة نفسها لم تبلغ، في أي عدد من الأعداد مبلغ التشاجر والتطاحن، وتبادل الكلام القاذف، والدخول في حلبة من الترهات والأباطيل، والزج بالمجلة في خضم الحملات المسعورة، وتبادل التهم الرخيصة، وإصدار الأحكام الطائشة الجائرة، وغير ذلك من الأقوال والكتابات والكلمات المنبوذة.

وإن من أهم دواعي نجاح هذه المجلة اعتمادها على كبار الكتاب والشعراء والمفكرين والمثقفين في المشرق والمغرب، فقد كانت «دعوة الحق» حسب مبلغي من العلم، أول مجلة يلتقي فيها الأدباء والعلماء في الأقطار العربية والإسلامية لا فرق في ذلك بين المغاربة والمشارقة وبين من يسكن قرب المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط من جهة، وبين من يسكن الخليج أو أقاصي القارتين الأسيوية والأفريقية من جهة أخرى، وهذا العمل وحده كاف لالتفاف الكتاب والقراء حول المجلة لأنه مكنها من الانتشار في طول الأرض وعرضها، وجعلها ملتقى عربيا إسلاميا يحفل بأقلام وطنية لامعة، ويزخر بأسماء أعلام، وجهابذة عظام من كل أنحاء العالم العربي والإسلامي سواء كانوا يكتبون باللغة العربية أو بلغات أخرى أو لهجات محلية، فقد كان هؤلاء الأعلام يبعثون بكتاباتهم منقولة إلى لغة الضاد أو كانت مجلة «دعوة الحق» تتكفل بعمليات النقل من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وأعتقد أن مشاركة الداعية الإسلامي الكبير أبي الأعلى المودودي وغيره باستمرار وانتظام، وخلال سنوات عديدة، في مجلة «دعوة الحق» كانت من أعظم المساهمات الإسلامية التي أضفت على مجلتنا طابع التعمق نظرا لما كانت تتسم به دراسات هذه الداعية الكبير رحمه الله من وضوح وشمول، وما كان يتصف به من سعة في الاطلاع، وعمق في التفكير، ودقة في التحليل، وتوفيق في حسن عرض أفكاره ونظرياته، وتبحر في الفلسفة الإسلامية الحق، وتمكن من سبر أغوار الفكر الإسلامي.

ومما لا مراء فيه أن استمرار المجلة في الصدور بانتظام، ومساهمة كبار الكتاب والمفكرين في العالمين العربي والإسلامي في تحرير كثير من الدراسات والأبحاث المفيدة والقصائد الرائعة يرجعان إلى الجهود المتواصلة التي تبذلها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للسهر على مجلة «دعوة الحق» ومساعدتها على التوفر على الإمكانات المادية والمعنوية التي تتوقف عليها، وإعادة تنظيم الهياكل الإدارية المشرفة عليها من حين لآخر، وتوزيعها، بالمجان، على أوسع نطاق داخل المملكة المغربية وخارجها، وتشجيع

الكتاب والشعراء الذين يساهمون بإنتاجهم العلمي والأدبي في المجلة.

وقد أصبحت «دعوة الحق» بفضل مساعدة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لها، ومشاركة عدد كبير من الكتاب والشعراء المغاربة وغيرهم، مجلة محترمة مرموقة ذات مستوى فكري لائق ووفائق وذات أبواب وفصول متعددة ومتنوعة تنقلك من الدراسات الأدبية والعلمية إلى الأبحاث الفلسفية والدينية والتحليلات التاريخية، ودواوين شعرية مع احترام عدد من المبادئ والمعتقدات، والتمسك بإطار من المعارف والأفكار والنظريات، والتزام خط عربي إسلامي وسلوك نهج وطني قومي لا أثر فيه للدعوات الباطلة، والإيديولوجيات المتصارعة في العالم، والقوميات الضيقة، والحملات المسعورة ضد بعض الدول أو بعض الأنظمة، والصراعات القائمة بين الكتلتين الغربية والشرقية، والخلافات الناشئة بين الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية، أو بين الأقطار العربية أو الإسلامية بعضها مع بعض إلى غير ذلك من الموضوعات التي يمكن أن تزج بـ «دعوة الحق» في متاهات لا متناهية أو بحر لجي من الترهات والظلمات لا يعلم إلا الله إلى ما قد يؤدي بالمجلة لو دخلت فيه، وقد زاد هذا الموقف الرزين المتزن «دعوة الحق» مكانة في قلوب جميع القراء الذين يرغبون في الاغتراف من معين الثقافة الحق دون تورط في صراعات مذهبية، أو نزاعات عنصرية، أو خلافات مبدئية لا فائدة في طرحها على المجتمع الذي هو مجتمع عربي إسلامي، أولا وقبل كل شيء، لا يهمه من الآراء والأفكار، والخواطر والأشعار، إلا ما يقوي عقيدته، ويصلح سريرته، ويوضح له رسالة الإسلام، ويعينه على تفهم وتذوق بلاغة القرآن، ويساعده على الوقوف على الجوانب الخفية والغنية من الحضارة المغربية والتمدن العربي الإسلامي، وإن من باب العدل والإنصاف، أن نؤكد أن «دعوة الحق» قد نجحت في هذه المهمة، وأنها حققت جزءا كبيرا من رسالتها السامية في هذا السبيل.

وإذا كنا نكن لهذه المجلة الصامدة المزيد من التقدير والإكبار نظرا للمسيرة المظفرة التي سارت عليها حتى الآن فإننا مع ذلك نسمح لأنفسنا بتقديم بعض الاقتراحات التي نود أن يعمل بها المسؤولون عن هذه المجلة في مستقبل الأيام حتى تزيد مكانة في القلوب، ومقاما رفيعا بين مختلف المجلات والمنشورات التي تصدر في المغرب وفي العالمين العربي والإسلامي، وأن أول هذه الاقتراحات هو العمل على إصدار المجلة بانتظام مرة أو مرتين في الشهر، نعم إن «دعوة الحق» تصدر في كل شهر وتحاول أن تحافظ على صدورها في نظام وانتظام وهي أحسن المجلات من حيث الصدور في الوقت المعين ولكننا نطمح في الكمال ونريد أن نرى هذه المجلة تصدر في الأسبوع الأول أو الأخير من كل شهر وخلال سائر شهور السنة كما نأمل أن تبذل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية جهودا إضافية لإصدار عددين في الشهر إن امكن وذلك حتى تسد «دعوة الحق» الفراغ الروحي والثقافي الذي يشعر به عدد من المثقفين من طلبة وأساتذة وغيرهم، وأعتقد أن تنظيم صدور المجلة سيساعد على الزيادة في عدد القراء والمتتبعين كما سيدفع بالكتاب والشعراء الذين يوافونها بانتاجاتهم إلى الالتزام بتزويد مجلتهم بنظام وانتظام، بكل ما يتوقف عليه صدورها من مقالات وأبحاث، وأشعار، ودراسات.

وحبذا لو عمل المشرفون على المجلة على تخفيف عبء المجلة وذلك بإلغاء كل ما يتعلق بالنشاط السياسي والأخبار والخطب السياسية اللهم إلا إذا كان هذا النشاط السياسي يتعلق بأمر يهم الإسلام والمسلمين أو يخص الثقافة أو المثقفين، فالحديث عن المجالس العلمية كان في محله، ونشر ما ورد في بعض الندوات الثقافية والإسلامية كان أيضا في محله، والكلام عن فلسطين السليبة والقدس الشريف يتصل اتصالا وثيقا بمصير الإسلام والمسلمين. أما نشر الخطب السياسية، وتتبع الأخبار السياسية ورحلات بعض المسؤولين، فإنها في نظري، بعيدة كل البعد عن

نطاق مجلة ثقافية إسلامية همها التعريف بالإسلام، وتقريبه إلى أفهام المسلمين أو الراغبين في التعرف على الإسلام والشخصيات الإسلامية المعهدة والجديدة. وإذا كنت شخصيا لا أرى مانعا في نشر خطاب سياسي فإني أفضل أن يتم الاختيار على خطاب سياسي محرر بلغة جيدة، وأسلوب رشيق وعبارات شيقة ومحتو على معان طريفة وأفكار جديدة ونظريات وآراء عميقة، إن هذا الخطاب يصبح في هذه الحالة، وثيقة ثمينة يتحلى بها جيد المجلة، ويتزين به صدرها فيجلب القراء بل قد يثير بينهم نقاشا مجديا يستفيد منه الجميع.

أما إذا كان الخطاب عاديا من حيث الجوهر والشكل فإن الأولى به أن ينشر في الجرائد اليومية وأن يكتفي بتقديمه في الإذاعة.

ومن بين الاقتراحات التي أغتنم فرصة الاحتفال بالعيد الفضي لمجلة «دعوة الحق» لتقديمها إضافة صفحات باللغات الأجنبية، بصفة عامة، وباللغات الإنجليزية والإسبانية والفرنسية، بصفة خاصة، ينشر فيها أهم بحث عن الإسلام أو المغرب أو شخصية إسلامية حتى يقف الأجانب على المظاهر الإسلامية ورجالات الإسلام وعلى مجالي اهتمامات المثقفين المغاربة ومناحي دراساتهم وأبحاثهم خصوصا وأن من بين هؤلاء الأجانب من يهتم بالدراسات الإسلامية أو يختص بالحياة والثقافة المغربيتين ويرغب في الاطلاع على كل ما يكتب في بلادنا وعن بلادنا وعن الإسلام وأقطابه، وتجدر الإشارة هنا إلى أن عددا من المجلات المحترمة تلجأ إلى إضافة ملحقات باللغات الأجنبية إلى الأصل المكتوب بلغة البلاد رغبة في تعميم الفائدة، من جهة، وللتعريف بالثقافة الوطنية وحتى لا نبتعد عن المكان الذي تصدر فيه مجلة «دعوة الحق» فإن التجربة التي قامت بها مجلة «الإرشاد» في أول عهدها كانت تجربة رائدة إذ مكنت «الإرشاد» من الرواج في القارة الإفريقية، وقد وقفت شخصيا، في عدد من المؤسسات الإفريقية على أعداد قديمة من مجلة «الإرشاد» التي كانت المجلة الإسلامية العربية الوحيدة الموجودة في خزانات ومكاتب هذه المؤسسات، وأكثر من هذا فإن بعض خطباء المساجد من المسلمين كانوا يستعملون مجلة «الإرشاد» وما تحتوي عليه من مقالات ودراسات موادا أساسية في خطب الجمع عندهم. وإن الرجاء المعقود على همم المشرفين على «دعوة الحق» ليوفروا لها هذه الوسيلة العملية للذيوع والشيوع والرواج في القارة الإفريقية وغيرها من القارات بحول الله.

وما دمنا بصدد تقديم بعض المقترحات، فإننا نلفت نظر الساهرين على «دعوة الحق» ليكثروا من الأعداد الخاصة بموضوعات إسلامية معينة كالاجتهاد والجهاد في الإسلام وذاتية الإسلام، والعبادات في الإسلام، والأخلاق في الإسلام وغير ذلك أو شخصيات إسلامية كابن تيمية وابن قيم الجوزية، والغزالي، وعبد الله بن يس، ومحمد عبده، ومحمد الخامس، وعلال الفاسي وغيرهم. فإن من شأن هذه الأعداد الخاصة أن تلم بالموضوع، وتجعل من المجلة مرجعا من أهم المراجع التي يتعين على الباحث أو الدارس الوقوف عليها كلما أراد أن يتعرض لموضوع أو شخصيـــة من الموضوعات أو شخصية من الشخصيات التي سبق لـ «دعوة الحق» أن خصصت لها عددا قائم الذات، كما أن هذه الأعداد الخاصة تصبح بمثابة مؤلفات جماعية تتكامل فيها أطراف البحث، وتتلاقى فيها مختلف المشارب والطرق والمذاهب، ويتفرع البحث فيها إلى عدة جوانب كل جانب منه يكمل الآخر، وفي ذلك من المزايا والمناقب ما لا يخفى على أرباب العلم وأصحاب البحث العلمي الصحيح. ومما لا جدال فيه أننا لا نطالب وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بأن لا تصدر إلا الأعداد الخاصة من «دعوة الحق» مع إيماننا الصادق بصلاحية هذه الأعداد، ولكننا نريد مثلا، أن يصدر عددان اثنان أو أعداد ثلاثة في كل سنة يتطرق كل منها إلى عرض موضوع معين وشرحه وتقديمه أو تحليل جوانب شخصية إسلامية أو مغربية مع نشر فقرات مهمة من تراثها وبيبليوغرافيا شاملة عن مؤلفاتها المنشورة

أو التي ما زالت ضمن المخطوطات فتأخذ بهذا العمل المفيد مجلة «دعوة الحق» مكانها اللائق بين الوثائق العلمية، والمراجع المحترمة ويتردد صدى عملها في الاستقصاء والبحث في المحافل المختصة، والمراكز الثقافية العالمية كما يصبح لمساهمة المغرب في ميدان الدراسة والتقصي دوي في كل أرجاء المعمور فيقبل الناس على الاهتمام بالدراسات المغربية والشخصيات الوطنية وينتج عن ذلك خير عميم يكون فيه لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية فضل عظيم.

وأعتقد أن من أهم الأمور التي يتعين القيام بها في المرحلة المقبلة من حياة «دعوة الحق» هو تنظيم لقاءات وندوات بين الجهاز المشرف على المجلة ومجموعة الكتاب والشعراء المنتجين لصالح «دعوة الحق» رغبة في توطيد روابط الاتصال بين المجلة وكتابها. وحبذا لو عم هذا اللقاء فشمل بعض القراء المختارين الذين يكونون طبقة واعية من المجتمع المغربي والذين يمكن أن يستمع الإنسان إلى ملاحظاتهم حول المجلة وما ورد فيها من دراسات وأبحاث ومقالات وقصص وقصائد فيقف على رغبات القراء التي يتعين أن تعمل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على إرضائها وتلبية طلبات أصحابها لأنهم العنصر الأساسي في هذه الحركة، فالقراء والكتاب هم المجتمع الاستهلاكي الذي يرجع إليه الأمر أولا وأخيرا لأن الكتاب يغرسون الأفكار بأقلامهم وأيديهم وأدمغتهم والقراء يحصدون ويجنون هذه الأفكار، وحبذا، أيضا، لو عمل المشرفون على «دعوة الحق» على تنظيم مناظرات وموائد مستديرة في موضوعات معينة أو حول شخصيات معلومة ثم يجمع كل ما يقال في هذه الندوات من أحاديث وأسمار وتدخلات ومناقشات وينشر كل ذلك في «دعوة الحق»

وأخيرا فإني أقترح على القائمين بـ «دعوة الحق» تغيير حجمها وجعلها في حجم يكون في متناول الجميع لأن الحجم الحالي أكبر من حجم المجلة وأضخم من إطار الكتاب، ومن المستحسن أن تدخل مجلة «دعوة الحق» في ربع القرن الجديد من عمرها وهي في حلة أبهى وأنسب لكهولتها من الحلة الحالية التي لا تخلو، والحق يقال، من بهاء ورونق.

وخلاصة القول فإننا نغتنم فرصة الاحتفال بالعيد الفضي لمجلة «دعوة الحق» لنهنئ المثقفين المغاربة أجمعين بهذا العيد السعيد الذي إن دل على شيء فإنما يدل على أن الثقافة المغربية بخير، وأن ركب هذه الثقافة يسير، في بلادنا إلى الأمام بخطى وئيدة وثابتة وأن رحى الفكر المغربي تدور في حركة دائبة متجددة وأن آخر هذه الأمة متمسك بأولها لأن الآخر يومن بأنه لن يصلح إلا بما صلح بـه أولهـا. إن الحضـارة المغربيـة معتزة بأمجادها العهيدة والجديدة، متمسكة بتطور سنن الكون، مسايرة لركب الحضارة المعاصرة دون أن تنخدع ببريق طلائها ولمعان ضيائها لأن المثقفين المغاربة والمسؤولين في هذه البلاد يدركون أتم الإدراك أن صرح النهضة لا يشيد إلا على أوتاد راسية، وصياص راسخة، وما تلك الأوتاد والصياصي إلا المقومات الأساسية للحضارة المغربية التي أسست على تقوى من الله أي على الإسلام ولغة القرآن والأعراف المحلية واللهجات الإقليمية والفنون الشعبية وغيرها من مظاهر الحضارة القومية والإنسية المغربية والشخصية الوطنية المؤسسة على الأصالة والمتفتحة على التجدد والتجديد. وهذا ما تسعى إلى بثه ونشره مجلة «دعوة الحق» فلتهنأ «دعوة الحق» بعيدها الفضي ولتهنأ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بهذه المناسبة السعيدة التي ما كنا لنحتفل بها لولا ما بذلته وزارة الأوقاف من جهود مضنية، وما تكبدته من فـادح التضحيات لتظل «دعوة الحق» تواصل مسيرتها المظفرة، وتؤدي بكل فخر، رسالتها الخالدة في أمن واستقرار، وبتواصل واستمرار، وتكون بذلك أول مجلة مغربية تحتفل بعيدها الفضي.

كلمة حق في دعوة الحق

للأستاذ أحمد زياد

مضى ربع قرن من عمر الزمان على صدور مجلة **«دعوة الحق»** وهو حين من الدهر إن لم يكن كثيرا في مسيرة الحياة الطويلة لعمر الزمان فإنه من الأكيد يعتبر كثيرا في أعمار الإنسان والمشاريع التي يصنعها الإنسان. فكرية كانت أم مادية تلك المشاريع.

ومشروع إصدار **«دعوة الحق»** الذي انقضى عليه خمس وعشرون سنة كانت الغاية منه ـ فيما أعتقد ـ هو أن يكون إطارا يحفظ للاصالة الثقافية والفكرية خصائصها ومميزاتها في هذا البلد الذي ما قصر الاستعمار في ابتكار مختلف الوسائل لطمسها أو مسخها على أقل تقدير.

وإذا كان الكفاح الوطني وعلى طول مسافته وتنوع صعوباته ومحنه قد كان الطابع السياسي أبرز من غيره في معالم صوره، فإن الصراع الفكري مع هذا الاستعمار ربما كان هو المنطلق. بل إنه كان كذلك ولربما بدون «ربما» هذه.

فالاستعمار ـ كما هو معلوم ـ استطاع وإن بصفة مؤقتة أن يعمد إلى تغيير السمات الأساسية في السيادة المغربية وإن في الشكل دون قدرته على تغيير المضمون. واداريا وإجرائيا ومسطريا بلغة القانون. فإنه لم يستطع أن يفعل ذلك في عمق روح الأصالة المغربية دينيا وفكريا وبالتالي كيانيا إن صح التعبير. ولذا فإن لغته التي كان يهيمن بها على جهاز التعليم الرسمي لم يتمكن أبدا من أن يحلها محل اللغة الوطنية. رغم محاولاته العديدة ولسبب واحد وبسيط ، وهو أن اللغة الوطنية كانت وستبقى هي رمز الأصالة وبطاقة الهوية لا بالنسبة للشعب المغربي فحسب. وإنما بالنسبة لكل شعب من هذه الشعوب التي لماضيها الحضاري أصول وجذور في أعماق أرضية التاريخ وعلى طوله وعرضه.

هذه الأصالة هي التي أوحت ـ فيما أعتقد ـ بإصدار مجلة **«دعوة الحق»** لتعمل على تطويرها وصقلها في عهد الاستقلال. فهل وفقت مجلة **«دعوة الحق»** في أداء رسالتها هذه ؟

إنه إحقاقا للحق أقول نعم. ونعم التي لا بد وأن تقترن بلاكن. وقبل أن أشرح دوافع «نعم» وتعاليل «لاكن» أود أن أشير على أن عملية مسيرة **«دعوة الحق»** خلال هذه السنوات المنصرمة هو مهمة يشترك فيها القائمون على شؤونها وأولئك الذين اسهموا أو ما يزالون يسهمون في اثراء إنتاجها وجمهور القراء الذين يواظبون على الاتصال بها لتتفاعل مختلف الآراء وينبثق من بين ثناياها الاقتراح الموجه والخط السليم على المدى القريب والمخطط الرصين والقويم المستقيم للأمد البعيد.

نعم إن «**دعوة الحق**» كانت منذ بدايتها وولادتها وهي عبارة عن مشروع كان ولابد من أن يسد فراغا في حيز فكري واسع الأرجاء. ونعم أخرى لأنها استطاعت أن تسد هذا الفراغ الهائل، وأن تبرز في الساحة. وهي حاملة لرسالة الأصالة. ونعم، ثالثة لأنها تمكنت من إظهار الفكر المغربي بمظهر الإنجاب والإخصاب. وها هي ذي مجلداتها شاهدة على أنها كانت في مستوى الرسالة التي أراد لها المؤسسون والرواد الأوائل أن تضطلع بها ولكن هل استطاعت أو تمكنت من أن تساير وتواكب بمبدأ الأصالة ما يلزم ويجب من تطويرها وسد ما يكون قد ظهر في الساحة الثقافية خلال هذه المدة من مفاهيم ومضاميـــن جديدة تقتضي الأخذ بما يكون نافعا ومفيدا في تلقيح وإثراء التراث الثقافي كمضمون عام لما يحتوي عليه إطار الأصالة.

وقبل الإجابة على هذا السؤال يحسن بي بل وأرى من الضروري أن أقول كلمة أوضح بها مدلول الأصالة. هذه المفردة التي طالما لاكتها الألسن وتلوكها وكثيرا ما جرى في شأنها أخذ ورد طويلان عريضان ولكأنها معدن من هذه المعادن التي يتطلب أمر اكتشافها والعثور عليها المزيد من البحث والحفر والتنقيب. في حين أن مدلولها ومضمونها لا يحتاجان إلا لعبارة تكون جامعة مانعة وموجزة ومختصرة لهذا المدلول. فما هي إذن هذه الأصالة التي أصيبت في شرح مفهومها ومضمونها بآفات الهرج والمرج والضجيج ؟

إنها بكل إيجاز تراث حضاري تستمد من أصوله الأجيال المتعاقبة لتبني صرحا لثقافتها وكيانها الفكري يقتبس من روائع التراث الإنساني دون أن يفقد هويته الأصلية وانتماءه الفكري فكريا وأسلوبيا ذاك هو تعريف الأصالة بكلمات معدودات ولمن أراد أن يتعرف جيدا وعمليا على مدلول الأصالة بهذا المعنى فعليه أن يتذكر أو يراجع مجلدات «الرسالة» التي كان يصدرها المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات جزاه الله خيرا عما أسداه هو وعمالقة الثقافة العربية في ذلك الوقت من أمثال أحمد أمين والدكتور زكي مبارك وطه حسين وفيلكس فارس ودريني خشبة وفخري أبو السعود وعبد القادر المازني وعبدالرحمان شكري وعلى الطنطاوي وأحمدزكي وعبد الله عنان ومصطفى صادق الرافعي وسعيد العريان وغيرهـــم ممن كانوا في هذا الحجم الثقافي الكبير والأضيل. والذين أعطوا للأصالة العربية مدلولها المتطور والمتفتح والشامخ بهويته العربية ومع كامل الأسى والأسف فإن الفراغ الذي تركته مجلة «الرسالة» بعد احتجابها لم يملأ لحد الآن وعلى طول مسافة أزيد من ثلاثين سنة خلت. وذلك بالرغم عن القناطر المقنطرة من الورق التي التهمتها وتلتهمها المطابع في المشرق العربي والتي أكثرها يعتبر عبارة عن هرطقة وهلوسة.

ومرة أخرى هل استطاعت «**دعوة الحق**» أن تروج لهذا المدلول في وقت توجد فيه أجيالنا الصاعدة أمام معروضات فكرية تتسابق في الهيمنة على أسواق النشر مستخدمة أساليب مغرية في عروضها وبمعنى أشمل وأدق. هل استطاعت «**دعوة الحق**» أن تخرج بمضمون الأصالة مما يراد له عن قصد أو بدونه عن قماقم التقوقع والإنزواء والإنغلاق وأن تكتسب من وسائل الترغيب لأجيالنا الصاعدة في أصالتهم من يقربهم منها وأن تجذب إلـــى حظيرتها أصنافا من المؤلفة قلوبهم من الحيـــارى والمترددين ؟

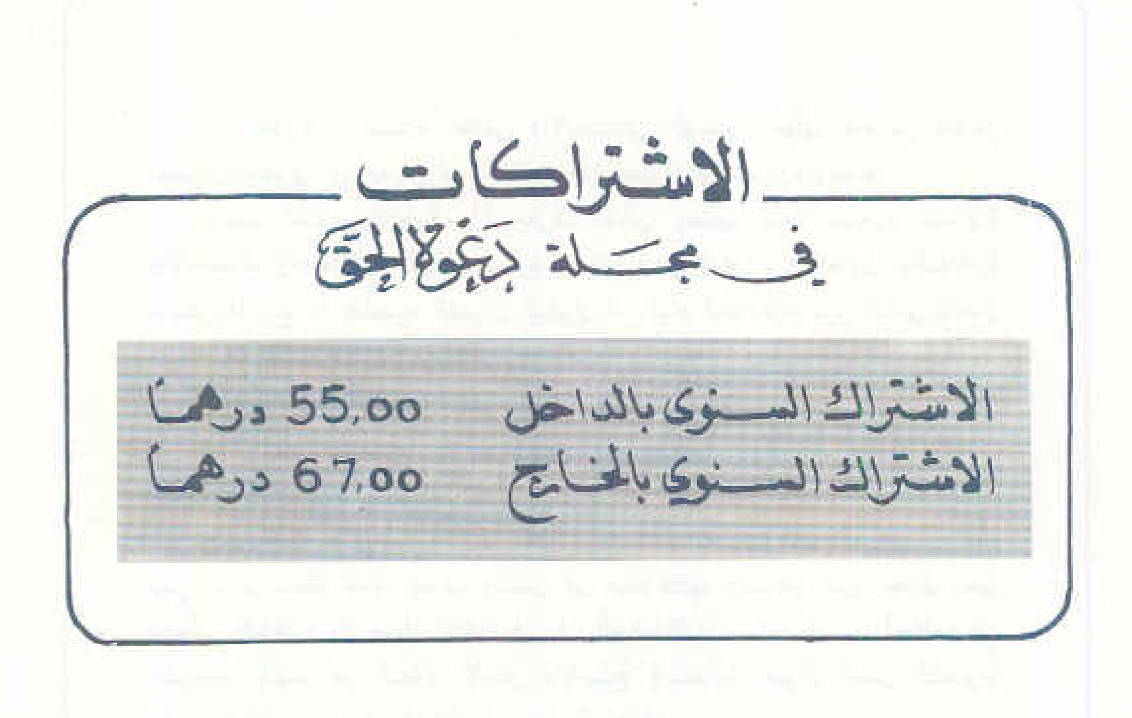
إن «**دعوة الحق**» في مسيرتها حاولت أن تفعل هذا وهي ما تزال تحاول أن تفعل ذلك. وبكـــل صراحـــة وبمنتهى الموضوعية فإن الطريق ما يزال أمامها طويلا. إنها تمكنت من أن تملأ الفراغ الهائل وأن تكون في موادها وتبويبها وإخراجها وثيقة مشرقة لرسالتها التي هي رسالة الأصالة المتطورة بمعناها الواسع الفسيح. بيد أنها ما تزال في حاجة إلى بذل المزيد من الجهد الذي يكون من شأنه امتلاك القدرة الكافية على اجتذاب الجيل الصاعد وترغيبه في قراءة إنتاج فكري يتسم بالعمق والرصانة ويكون

متفتحا في ذات الوقت على روائع التراث الإنساني في مختلف مظاهره وأشكاله، في عروض تكون متجانسة في مستواها ومتوازنة من حيث المقاييس والمعايير.

فمن أولى واجبات مجلة **«دعوة الحق»** أن تكون متمكنة من الوسائل الكفيلة بترغيب الجيل الصاعد في منطلق أصالته وأن تكون البديل لما يتوالى وباطراد وأحيانا بمهارة في العرض أمام ناظره من ضروب الثقافة ذات الطابع التجاري و «الموضوي» إن جازت النسبة إلى صنوف «الموضة» الأخرى.

ولذا وجب على مجلة **«دعوة الحق»** والقائمين على شؤون تحريرها والمساهمين في دراساتها وأبحاثها أن يبذلوا من الجهد أقصاه ومن الإختيار والانتماء أفيده وأزهاه وأبهاه، حتى تكون قد اسهمت على الأقل في إيجاد هذا البديل وفرضه في السوق ليجد فيه المضللون «بفتح اللام الأول وضم الثانية» والحيارى والمترددون ما هم في حاجة إليه من غذاء فكري يكون عنصر البروتين فيه طبيعيا وبالتالي أصيلا وغير معبأ في المعلبات. أرجو أن تكون الجولة الموالية في مسيرة **«دعوة الحق»** محققة لمثل هذه الآمال، وما ذلك على همة القائمين بها والمساهمين فيها بالشيء العزيز المنال. والله ولي التوفيق.

أحمد زياد





1. المبادئ والأسس الخلقية والتشريعية.

للأستاذ محمد العربي الخطابي

تمهيد

إن التعارف ـ بمعناه الخلقي والإجتماعي الواسع ـ مظهر هام من مظاهر العمران البشري، بل إنه من أسباب قيام هذا العمران واستمراره وبقائه.

ولست أعني بالتعارف أن يعرف الناس بعضهم بعضا بمجرد المعاينة والإحتكاك والتخاطب، بل أن يسود بينهم حسن الجوار، والتعاون، والمعاشرة بالمعروف، مع ما يقتضيه العمران البشري من قيام المعاملات بين الناس بالعدل والنصفة والمساواة في الحقوق والواجبات.

ولعل هذا هو المقصود بلفظ «التعارف» في قوله تعالى

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم» (الحجرات /3).

وللمحافظة على المزايا التي تترتب عن هذا التعارف، كان لابد من أن تقوم بين الناس سلطة تحكم بينهم وتفصل في منازعاتهم وتساعد على إحقاق الحق وإبطال الباطل؛ ولا مجال للشك في أن الحكم الذي يستمد أصول أحكامه من الشريعة الإلهية هو النظام الأمثل والأصلح لإستقامة أحوال البشر المعنوية والمادية إذا جرى تنفيذها على أصولها وقواعدها.

رعاية المصالح الكليــة

ولما كان نظام الحياة البشرية قائما بطبيعته على تنوع الحاجات وتعددها، وتلاقي المصالح أو تضاربها، فإن ما يطلب من السلطة، في الجملة، أن ترعى المصالح الكلية، أي أن توفق بين حقوق الفرد ومصالح الجماعة على ما تقتضيه متطلبات المعايشة والتعاون على البر والتقوى.

ومن عملية التوفيق هذه ينبثق نظام الحقوق والواجبات وتثبت الذمة التي يصير بها الإنسان أهلا لأن تكون له حقوق وعليه واجبات، مع العلم بأن الحقوق هي الأصل في العادات والمعاملات، وأن الواجب هو بمثابة المقابل المعنوي الذي يتعين على الإنسان الإجتماعي تقديمه كي يضمن لنفسه الإستمتاع بأوفى نصيب من حقوقه وهو في مأمن من التطاول والعدوان.

طبيعة الحقـــوق

وقد نظرت الشريعة الإسلامية إلى الحقوق نظرة يلتقي فيها ما هو إلهي بما هو بشري، بمعنى أن هنالك حقوقا خالصة لله ينعكس أثرها على أفعال البشر في صلتهم بخالقهم وفي روابطهم الدنيوية، ولذلك فهم ملزمون برعاية حقوق الله في تصرفاتهم الفردية ومعاملاتهم الجماعية من غير تعد ولا تجاوز : «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه» (الطلاق 1) ومعنى الحدود هنا : الأحكام.

كما أن لله حقوقا خالصة تتعلق بالعبادات والحدود وتلتزم بصيانتها أحكام الشريعة فإن للإنسان حقوقا تقرها تتوقف عليها حياة المصالح الكلية التي

فحقوق الله بهذا المعنى هي ما يمكن أن نسميه بحقوق الجماعة في مقابلة حقوق الفرد، وهي أساس التفاهم والطمأنينة والإستقرار في المجتمع، ورعايتها تؤدي إلى الأمن الدنيوي والسلامة في المعاد.

والإمام الحاكم ملزم، أولا وقبل كل شيء، بالسهر على رعاية هذه الحقوق العامة، وقد ذكر أبو الحسن الماوردي بالتفصيل ما يلزم الإمام من الأمور العامة، وهي باختصار : 1 ـ حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، وإقامة الحدود، 2 ـ تنفيذ الأحكام حتى تعم النَّصَفة، 3 ـ حماية البيضة وتحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة ـ وهذا ما نسميه اليوم بحماية الأمن الداخلي والخارجي للدولة ـ 4 ـ جباية الأموال على ما أوجبه الشرع نصا واجتهادا من غير خوف ولا عسف، 5 ـ تقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير إسراف ولا تقتير، 6 ـ تقليد المستحقين وظائف المسؤولية المالية والإدارية في الدولة، 7 ـ النهوض بسياسة الأمة وحراسة الدولة، أي أن يباشر الإمام الأمور بنفسه وأن يراقب سير شؤون الدولة ولا يتشاغل عنها.

مقاصـــد الشريعــة :

إن الشريعة الإلهية إنما جاءت لحفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

فهذه الأركان الخمسة هي مناط الأحكام والتكاليف الشرعية، ومن حفظها تنشأ الحقوق وتترتب الواجبات.

وقد بين الشارع أن الحق لا يكون حقا وأن الواجب لا يصبح واجبا إلا إذا قيسا معا بمقياس الحلال والحرام، فما أحله الله فهو حق للناس جميعا ولا فرق، وليس ... أحل الله ولا أن يحل ما حرمه، بدليل

كتاب

قال الله سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا، واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون» (المائدة /87 ـ 88).

وقال تعالى :

«قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا؛ قل : آلله أذن لكم أم على الله تفترون ؟» (يونس / 59).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تقربوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم، غير نسيان، فلا تبحثوا عنها» رواه الترمذي وابن ماجة.

وقال عليه الصلاة والسلام :

«ما أحل الله في كتابه فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، فاقبلوا من الله عافيته، فإن الله لم يكن لينسى شيئا ـ ثم تلا : وما كان ربك نسيا ـ (من سورة مريم /64)» رواه الحاكم وصححه وأخرجه أبو بكر البزار.

ولا شك أن القصد من التحليل والتحريم هو رعاية المصالح العامة للبشر وحفظ سلامتهم العقلية والبدنية والنفسية وتطهير أخلاقهم الفردية وسيرتهم الإجتماعية.

يقول الله تعالى :

«قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؛ قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم، والبغي بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (الأعراف /32 ـ 33).

فالمقصود بزينة الله : كل ما جعله ـ سبحانه ـ للناس في هذه الدنيا من متاع حلال تطيب به نفوسهم ويسعفهم بأسباب التوازن العقلي والبدني والنفسي كي يعيشوا عيشة سوية لا إفراط فيها ولا تفريط.

وتكتمل هذه الزينة المعنوية بالطيبات من الرزق، أي كل ما خلقه الله تعالى من أسباب المعاش ويسر وسائله كالغذاء والمسكن والمركوب وما يتعلق بذلك من موارد الطبيعة.

ونلاحظ أن لفظ «الفواحش» الذي ورد في الآية الكريمة بصيغة الجمع، جاء عاما شاملا للظاهر والخفي منها. ومعنى الفواحش : كل ما عظم قبحه من قول أو فعل ينكرهما الشرع والطبع ويؤديان إلى اختلال التوازن الفردي والاجتماعي في الخلق والمعاملات.

وقد فصلت الآية الكريمة بعض المحرمات التي يفضي ارتكابها إلى المساس بأحد الأركان الخمسة التي ذكرناها من قبل وهي : الدين والنفس والعقل والمال والعرض.

على أن الإنسان بغرائزه المعقدة وتكوينه الحيواني لا يدرك مصالحه الحقيقة إلا بالشرع المنزل. ذلك بأن الخالق أدرى بمصالح الخلائق. وتدبيره ـ سبحانه ـ منزه عن العبث والغرض. وما يأمر به أو ينهى عنه لا يحتاجان إلى تعليل.

المبادىء التشريعيـــة

هذا وما دمت بصدد الكلام عن الحلال والحرام بوصفهما أداتين ضابطتين لنظام الحقوق والواجبات في الشريعة الإسلامية، فلا بد من أن أشير إلى بعض المبادىء التشريعية المتصلة بذلك، ومن بينها :

أولا ـ أن الأصل هو الإباحة، فكل مالم يرد بتحريمه نص صريح في الكتاب أو السنة فهو حلال، وما سكتت عنه الشريعة ـ في هذا الباب ـ فهو عفو، حسب لفظ الحديث الذي ذكرناه ـ على أن الفقهاء قد اصطلحوا على إطلاق لفظ «المكروه» على ما يحسن تركه إذا كان تكرار فعله



يؤدي إلى ... رر او كانت فيه شبهة تستوجب الإنكار. وا... ...ب باجتناب الشبهات ما أمكنه ذلك.

ثانيا - إن مراعاة حالة الإضطرار القصوى واردة في الشرع بنصوص صريحة. ذلك بأن الإنسان ملزم بالمحافظة على بقائه والتماس السلامة لنفسه ولأهله. فإذا ما هو تعرض لإكراه بدني لا يستطيع رده أو لجوع أو مرض لا يجد سبيلا إلى دفعهما إلا بالمحظور فإن الضرورة القصوى تبيح له ذلك وترفع عنه الإثم شريطة ألا يفرط وألا يتجاوز الحد الضروري لحفظ بقائه وسلامته. وفي هذا يقول الله تعالى : **«فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه، إن الله غفور رحيم»** (البقرة /173).

ثالثا - إن رفع الحرج والمشقة عن الناس ثابت في الشريعة الإسلامية. فالإنسان غير ملزم بأن يتحمل فوق ما يطيق من الفروض. ومن حقه أن يلتمس الرخصة لنفسه دفعا للحرج والمشقة من غير تحايل.

والدليل على رفع الحرج في كتاب الله قوله تعالى :

«يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (البقرة /185).

وقوله سبحانه :

«يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا» (النساء /28).

وقوله تعالى :

«ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» (المائدة /6).

وفي الحديث الشريف. عن عائشة - رضي الله عنها -

«أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون. فإن الله لا يمل حتى تملوا. وإن أحب الأعمال إلى الله ما دام وإن قل» رواه الستة.

وقال صلى الله عليه وسلم :

«إن هذا الدين متين. فأوغلوا فيه برفق. ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله. فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى» رواه أحمد.

رابعا - إن رعاية المصالح الكلية من أسس التشريع الإسلامي. وقد وضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لذلك قاعدة ثابتة في حديثه المشهور : «لا ضرر ولا ضرار». ذلك أن حقوق الأفراد متداخلة ومصالحهم مترابطة. وأحكام الشريعة. التي تأخذ بمبادىء العدل والمساواة. تميل إلى تغليب المصالح العامة على مصلحة الفرد. وتقديم درء المفاسد على جلب المنافع.

خامسا : إن سد الذرائع أصل من أصول الشريعة. ومعناه : منع فعل أو قول جائزين في ذاتهما إذا اتخذا طريقا لارتكاب المحظور؛ ومن هذا الباب اتقاء الشبهات؛ وقد روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوله :

«الحلال بين والحرام بين. وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس. فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه. ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه».

سادسا - إن العدل مبدأ خلقي عظيم الشأن في رعاية حقوق الأفراد ومصالح الجماعة. لذلك جعله الشرع من أهم الضوابط الواجب مراعاتها صيانة للحقوق من العبث والإنتهاك.

وقد نظر التشريع الإسلامي إلى العدل بعين الواقع فجعله قوام السلوك الفردي ومناط المعاملات بين الناس؛ فهو لا يقتصر على كونه قيمة مثالية تطمح إليها النفوس الخيرة بل إنه - في مفهوم الإسلام - قاعدة أساسية لكل فعل أو قول أو تعامل في أمور المعاش والسلوك الإجتماعي والإقتصادي والسياسي. وفي القضاء والحكم بين الناس بغض النظر عن دينهم أو وضعهم الإجتماعي.

وقد وضع القرآن الكريم والسنة النبوية أسس العدل. على وجه العموم والإطلاق. كما بينت الشريعة أوجه

تطبيقه في القضاء والمعاملات ومناهج السلوك الفردي والإجتماعي.

قال الله تعالى :

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان» (النحل /90).

وقال عز وجل :

«فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم» (الشورى /15).

وقال تعالى :

«لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس» (الحديد /25).

وقال سبحانه :

«إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل» (النساء /58).

فهذه أوامر إلهية عامة ملزمة لجميع المكلفين، الحاكمين منهم والمحكومين، وهي تبين أشياء منها :

- أن العدل حكم من أحكام الشريعة وركن أساسي من أركانها، وأنه جزء من رسالة الأنبياء، بعثهم الله وأنزل معهم الكتاب والميزان (أي الشريعة الإلهية) ليسود العدل بين الناس ويصبح مقياسهم في الأفعال والأقوال والمعاملات، ولتسهر السلطة الحاكمة على ذلك؛ وهذا ما يوحى به قوله تعالى : «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد» وولاة الأمر هم المخاطبون بقوله تعالى : «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها...». وفي هذه الآية الكريمة ربط بين أداء الأمانات والحكم بالعدل لتوقف أحدهما على الآخر. وأداء الأمانات يشمل رعاية الحقوق في الولايات والأموال وغيرها.

أما من حيث التخصيص فقد أوجب القرآن الكريم العدل في القول والفعل، أي في الشهادة والمصارفة وفي جميع المعاملات المدنية والمالية والجنائية. وفي ذلك يقول الله تعالى :

«وإذا قلتم فاعدلوا، وإن كان ذا قربى» (الأنعام /152).

وقال عز وجل :

«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا» (النساء /135).

وقال سبحانه :

«يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى» (المائدة /8).

فهذه آيات بينات نزلت في الشهادة بالحق «وهي عامة لكل واحد في كل شيء» كما قال أبو بكر بن العربي المعافري (1) ويستخلص منها :

- أن المرء مطالب بأن يبادر بالشهادة قبل أن يسألها، وأن يدلي بها لله ولوجهه.

- أن الإنسان مأمور بأن يشهد بالحق ولو على نفسه وعلى والديه والأقربين، وأن يلتزم العدل لا تصده عنه عداوة لأحد (2).

وكما أن العدل مطلوب في الأقوال والأفعال، أي في السلوك الفردي والإجتماعي وفي ساحة القضاء والأحكام، فإنه واجب أيضا في المعاملات المدنية، وفي هذا يقول أبو الحسن الماوردي :

«وليس يختص العدل بالأموال دون الأقوال والأفعال، فعدلك بالأموال أن تؤخذ بحقها، وتدفع إلى مستحقها... وعدلك في الأفعال أن لا تعاقب إلا على ذنب، ولا تعفو إلا عن إنابة» (3).

---

1) أحكام القرآن، ج 1، ص 507.

2) نفس المصدر، ج 1، ص 507.

3) قوانين الوزارة، تحقيق رضوان السيد، ص 26 - 124.

وفي هذا المعنى أيضا يقول ابن تيمية :

«والذي على ولي الأمر أن يأخذ المال من حله، ويضعه في حقه» (4).

هذا والعدل، بمفهومه الشرعي، يقتضي المساواة التي هي وجه من وجوه العدل. والمظهر الأسمى للمساواة يتجلى في عمومية التكليف بأحكام الشريعة، وذلك ما يوضحه الشاطبي ـ وهو من علماء الأصول ـ بقوله :

«الشريعة ـ بحسب المكلفين ـ كلية عامة، بمعنى أنه لا يختص بالخطاب بحكم من أحكامها الطلبية بعض دون بعض، ولا يحاشى من الدخول تحت أحكامها مكلف البتة» (5)

بل إن الشاطبي يذهب في الإيضاح أبعد من ذلك فيقول :

«كما أن الأحكام والتكليفات عامة على جميع المكلفين... كذلك المزايا والمناقب، فما من مزية أعطيها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم سوى ما وقع استثناؤه ـ إلا وقد أعطيت أمته نموذجا منها، فهي عامة كعموم التكاليف» (6).

ماهية الحقوق وانواعها :

أنتقل الآن إلى بيان ماهية الحقوق وأنواعها بادئا بشرح مدلول اللفظ في اللغة والإصطلاح.

يقترن لفظ الحق في اللغة العربية بالثبوت والوجوب، وعلى هذا فالحق، لغة، هو كل قول أو فعل ثبتت مطابقته للصواب.

أما في الفقه فيمكن تعريف الحق بأنه منفعة معنوية أو مادية تقررها أحكام الشرع وتحميها، علما بأن هذه الأحكام إنما تستنبط من أدلتها الأصلية : الكتاب والسنة والإجماع والقياس. «ولا يوجد حق شرعي من غير دليل عليه» (7).

ويمكننا أن نقسم الحقوق من حيث طبيعتها إلى قسمين رئيسيين هما :

1 ـ الحقوق الفطرية، وهي الأصل فيما عداها.

2 ـ الحقوق المكتسبة، وهي متفرعة عن الأولى.

أولا ـ الحقوق الفطرية

ونقصد بها جملة المنافع التي قررها الشرع على وجه الإطلاق والعموم ومنحها للإنسان من حيث كونه مخلوقا أوجده الله على هذه الأرض، بمقتضى حكمته العليا وسخر له أسباب الحياة والعيش ووسائل المحافظة على نوعه بالغذاء والتناسل ومدافعة الشر وعوادي الطبيعة، والإنتظام في سلك الجماعة.

والأصل في هذا النوع من الحقوق ما قررته الشريعة الإلهية في كتاب الله وسنة رسوله، من مزايا ومنافع معنوية ومادية من الله بها على عموم خلقه تفضلا منه وإنعاما، وسخر لهم أسبابها ووسائلها واستخلفهم عليها وجعلها متاعا لهم في هذه الدنيا ليؤدوا واجب الشكر لله وليقيموا حياتهم على خير ما يوصلهم لنعيم الآخرة سالمين غانمين.

قال الله تعالى :

«وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» (الجاثية /13).

والقرآن الكريم زاخر بالآيات التفصيلية الدالة على ما سخره الله لخلقه من المنافع المعنوية والمادية وما يسره لهم من وسائل المعايش ومهده من سبل السعي والعمل في بر الأرض وبحرها وسمائها ليتصرفوا فيها بالعدل والإحسان ويقابلوها بشكر النعم.

فهذه سورة النحل ـ مثلا ـ فيها عدد كبير من الآيات تشير إلى نعم الله الميسرة للبشر ـ وهو ما سميته بالحقوق

4) السياسة الشرعية.

5) الموافقات، ج 2، ص 244.

6) نفس المصدر، ج 2، ص 249.

7) الفقه الإسلامي، ص 187، تأليف محمد سلام مذكور.

الفطرية لارتباطها بالوجود البشري وسعى الناس في هذه الدنيا تتميما لإرادة الخالق سبحانه. ومما جاء في هذه السورة قوله تعالى :

«والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس» 5 ـ 6 ـ 7.

«هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون؛ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات، إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون؛ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون؛ وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه، إن في ذلك لآية لقوم يذكرون؛ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون؛ وألقى في الأرض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون؛ وعلامات وبالنجم هم يهتدون؛ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون؛ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم» 10 ـ 18.

«والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، إن في ذلك لآية لقوم يسمعون» 65.

«والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا، إن الله عليم قدير» 70.

«والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم، فهم فيه سواء، أفبنعمة الله يجحدون» 71.

«والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات...» 72.

«والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون» 78.

«والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين» 80.

«والله جعل لكم مما خلق ظلالا، وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون» 81.

ونلاحظ أن الله سبحانه وتعالى حينما عدد هذه النعم كلها. قال في نفس سورة النحل :

«إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» 90. **«وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون»** 91.

ثم بعد ذلك يأتي قوله تعالى :

«من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون» 97.

ويضرب الله تعالى في نفس السورة مثلا فيقول :

«وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» 112.

ثم يقول عز وجل :

«فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون» 114.

وفي ذلك ربط محكم بين عدد من العناصر التي تتكامل فيستقيم بها الوجود البشري وينضبط نظام الحقوق الفطرية ، فالله سخر للناس كل المنافع وأسباب المعاش، بعد أن وهبهم الحياة والعقل والحواس، ثم أمرهم بالعدل والوفاء بالعهود، ووعد الصالحين منهم بالثواب، وتوعد المفسدين بالعقاب في الدنيا قبل الآخرة. ثم حث المؤمنين على التماس الحلال الطيب وأمرهم بشكر النعمة. هذا ونجد في سورة لقمان آية جامعة لكل المعاني التي ذكرناها حيث يقول الله تبارك وتعالى : **«ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة. ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»** (لقمان /20).

فإذا نحن تأملنا في هذه الآيات البينات وتدبرناها وجدناها مشتملة على ذكر جميع النعم المعنوية والمادية، الظاهرة والخفية التي سخرها الله للناس وجعل حقهم فيها سواء بمقتضى الفطرة التي فطرهم عليها ومعنى النعمة كل عطاء يحسن به الحال.

والتسخير - الذي يكثر وروده في هذا المقام - معناه سياقة الشيء قهرا إلى الغرض المعين له. وفي هذا دليل على أن الله - سبحانه وتعالى - طوع الموارد والظواهر الطبيعية الضرورية للحياة البشرية ويسرها للإنسان وأتاح له أسباب الإنتفاع بها. وهذا هو منشأ الحقوق الفطرية التي يمكن حصرها في ثلاثة أصناف :

أولا - الحق في الحياة.
ثانيا - حق السعي في الأرض.
ثالثا - حق تكوين الأسرة.

الحق في الحياة

ينشأ هذا الحق مع الإنسان منذ أن يكون جنينا في بطن أمه ويرافقه في حال الولادة وأطوار النمو.

وبما أن الله وحده هو واهب الحياة، وهو الذي يتوفى الناس في أجل مكتوب يعلمه. فإن الشريعة تحرم انتهاك هذا الحق. فهي لا تجيز إسقاط الجنين كما تحرم قتل النفس بأى شكل من الأشكال كوأد الأطفال، والإنتحار والإغتيال إلا في الحالات والحدود التي قررها الشارع كالقصاص والدفاع عن النفس والعرض وما إلى ذلك.

وقد تكفل التشريع الإسلامي ببيان الأحكام التفصيلية المتعلقة بصيانة الحق في الحياة، ولا سيما في الجنايات والحدود.

ومما يستحق الذكر في هذا الباب أن حد القتل في الشريعة الإسلامية يعتبر في نظر الفقهاء من حقوق الناس على خلاف حد الحرابة والسرقة والزنى والقذف فإنها تعتبر من حقوق الله.

ويترتب عن هذا أن أولياء القتيل - في القتل العمد - يملكون حق العفو عن القاتل، إن شاؤوا، وذلك استنادا إلى الحديث الشريف الذي يرويه شريح الخزاعي ولفظه : «من أصيب بدم أو خبل - والخبل الجراح أو فساد الأعضاء - فهو بالخيار بين إحدى ثلاث. فإذا أراد الرابعة فخذوا على يديه : أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية». وهذا مبدأ في الأحكام لا يوجد له نظير في القوانين الوضعية، ومن شأنه أن ينزع البغضاء والأحقاد من النفوس وأن يؤكد حرمة الحياة في شريعة الله.

هذا ويرتبط بالحق في الحياة وجوب الضرب على أيدي المفسدين وقطاع الطرق ومعاقبتهم بالحد المقرر شرعا. وهذا من مسؤوليات ذوي السلطان. وفي صيانته صيانة لحقوق الله ذات الأثر على أمن الناس وسلامتهم.

حق السعي في الأرض

للسعي في أرض الله - برا وبحرا - غايتان رئيسيتان
أ - طلب المعرفة.
ب - واكتساب الرزق.

فالمعرفة تنال بالتدبر والتفكر فيما خلق الله من أشياء وظواهر في الأرض والسموات.

وقصد المعرفة : صحة العقيدة ثم الإنتفاع بالطاقة الذهنية والنفسية والبدنية على وجه يؤدي إلى اكتساب الخبرة والمهارة اللازمتين لفهم الحياة وظواهر الطبيعة ولحسن استثمار الموارد المتاحة وتنظيم العمران البشري على أساس العدل والمساواة والتعاون واحتساب العمل لله استعدادا ليوم المعاد.

أما اكتساب الرزق فإنه لا يتأتى إلا ببذل المجهود وبتعاون القوى العاملة في الجماعة وتقسيم الشغل بالنصفة بين أفرادها. وتوزيع الثروة على قدر الجهد المبذول أو تنفيذا للحق المقرر في الأموال لفائدة ذوي الحاجة من المستحقين.

حق تكوين الأسرة

هذا الحق من ضرورات اكتمال العمران البشري وانتظام المعاش الفردي والإجتماعي. وعناصر هذا الحق : المسكن والزواج وإنجاب الأطفال وتربيتهم. وما يتعلق بذلك من الحق في الأمن الإجتماعي. وحق الدفاع عن العرض. وحقوق الجوار والأرحام. وغير ذلك.

ثانيا - الحقوق المكتسبة

لقد سبق أن قلنا إن الحقوق الفطرية هي الأصل فيما عداها من الحقوق السياسية والإجتماعية والإقتصادية والمدنية التي يقضيها العمران البشرى وتهتم بها مختلف أحكام التشريع الإسلامي وتتعلق في الجملة، بالولايات والقضاء ومسائل الحرب والسلام كما تتعلق بالملكية وأنواعها. وبالإرتفاق والشفعة والحيازة. وإحياء الموات. والتحجير. وأنواع العقود. أو بالحضانة والنفقة والإرث وما إلى ذلك من الأمور التي تهتم بها أبواب الفقه الإسلامي.

فهذه «الحقوق المكتسبة» هي التي ستكون موضوع القسم الثاني من هذا البحث. إن شاء الله تعالى.

خاتمـــــة :

الآن وقد عرضت طائفة من المبادىء التشريعية والخلقية التي يرتكز عليها نظام الحقوق في الإسلام وبينت ماهية ما سميته «بالحقوق الفطرية» تمييزا لها عن الحقوق الفردية المكتسبة. أود أن أوضح أنني تعمدت أن أتجنب الخوض في أية مقارنة بين مفهوم الحقوق في الشريعة الإسلامية ومفهومها عند الدول الغربية. وذلك. أولا. لاختلاف زوايا النظر. وثانيا. لكون نظام الحقوق في الإسلام قد سبق سائر ما قررته القوانين الوضعية في هذا الباب. وثالثا. لأن الإسلام نظام شمولي النظرة تقترن فيه الأحكام التشريعية بالأخلاق وترتبط حقوق الناس بحقوق الله. والعمل الدنيوي بالمآل الأخروي.

وقد تبين لنا من خلال المبادىء والتشريعات التي عرضناها أن نظام الحقوق في الشريعة الإسلامية هو التجسيم الأمثل لما يسميه علماء الشرائع الوضعية بالقانون الطبيعي الذي يستمد وجوده وقوته من الحق المطلق والعدل المطلق. ويطمح إلى المثل الأعلى ويسمو على مواضعات البشر.

والشريعة الإسلامية إنما جاءت بوحي من الله سبحانه لتبين للناس أصول هذا القانون الطبيعي الذي أنشأه الله بحكمته. وأرسل لبيانه الرسل وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط.

«إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله. ولا تكن للخائنين خصيما» (النساء /105).

محمد العربي الخطابي

المجهود المستمر والعمل النافع

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون

مرت خمس وعشرون سنة على إنشاء مجلة «**دعوة الحق**»، 25 سنة قام أثناءها العديد من الكتاب والمفكرين والشعراء ورجال العلم والقانون بمجهود جبار، فاعدوا النجباء من بحثهم، وبذلوا الجهد الجهيد في دائرة اختصاصاتهم، وأمعنوا النظر الثاقب، وامتحنوا الأحداث، واستفسروا القيم والمبادىء وأعلنوها حربا ضروسا على الجهل واللامبالاة، هدفهم في كل هذا تقديم مجلة صالحة، تفيد من يريد أن يستفيد، وتوجه من يبحث عن ضالة وترسم الطريق لكل من سها عنها أوحاد عن الحجة القويمة، وتثير الفضول العلمي الذي بدونه لايمكن لأي مجتمع أن يحقق هدفه المنشود ومرماه المقصود.

لقد برزت «**دعوة الحق**» إلى الوجود، مع بزوغ الاستقلال، في جو يهيمن عليه الطموح إلى الغد المشرق والمستقبل الزاهر، والآمال الجسام التي تجد ما كان الشعب المغربي منه محروما، والفرد منه سليبا، والمرء إليه متطلعا ومشرئبا وأعطى للمجلة الفتية إسما يؤكد انقيادها إلى الله، وعزمها الراسخ على أن تتمسك بدينه، وأن تستنير بتعاليمه، وأن تتسلح بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، وأن تعلن الجهاد الخلقي في سبيل الله، وأن تصر على الذود عن المبادىء والقيم، وأن توثر باستمرار النهج القويم، وأن تزكي العمل البناء الذي يرضي الضمير ويطمئن الشعور، ويدفىء المعنويات ويشبع الإحساس.

وسارت المجلة في طريقها تنشر الأعداد تلو الأعداد والأبحاث تتبعها المقالات، والأشعار مع النصائح والإرشادات والتعاليق المرتكزة على الحقائق والغايات، تلقن وتعلم وتفسر وتمتحن، وتنمي غريزة التطلع وإرادة المعرفة وشغف الاطلاع على ماهو كائن وما هو في طيات الملكوت الذي يأبى المرء إلا أن يصل إليه عن طريق البحث والتنقيب، وتسعى في جد مسترسل إلى أن تسهم لا في تعليم المواطن فحسب ولكن كذلك في تكوينه التكوين الصحيح الذي سيجعل منه ـ لامحالة ـ المواطن الصالح في الوطن الصالح.

لقد اختارت المجلة عن طواعية ميدان نشاطها، وحددت لنفسها أسمى الأهداف، وقيدت مبادراتها بأغلى القيود وحرمت على نفسها السبيل السهل، عندما اختارت لنفسها اسم «**دعوة الحق**» الذي يكون في الحقيقة التزاما منها بنصرة العدل والدعوة إلى الله.

«**فدعوة الحق**»، والدعوة إلى الحق سبحانه وتعالى والدعوة إلى القسطاس المستقيم والدعوة إلى التثبت بالحق، والدعوة إلى نصرة الحق، ودعوة حق، والدعاء لمن يتمسك بالحق ويدافع عن الحق، والإيمان بالحق، وعدم الاستسلام أمام كل ماهو ليس بحق ومحاولة خلق مجتمع يسير على الحق، والتذكير بما هو للحق كل هذا، وغيره مما يشابهه أو يماثله يدخل في إطار المهمة المثلى التي أخذت المجلة على كاهلها أن تقوم بها وتجعل منها أساس مجهودها ومنطق نشاطها .

«**ومن أحسن ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنه من المسلمين**».

صدق الله العظيم

انها لآية كريمة تعطي أنصع دليل على حسن الاختيار الذي أعرب عنه أولئك الذين أرادوا أن يعطوا للقارىء المغربي وسيلة تسمح له في نفس الوقت بأن يغيب في عالم خلقي يساعده على أن يجعل من نفسه مواطنا مسلما، وبأن ينمي معلوماته في إطار الجدية التي تنبذ العقم الفكري والكسل المادي، وتقود إلى حسن الأفعال، استنادا إلى الحقائق الراسخة، والمعطيات الثابتة وذلك مصداقا لقوله تعالى : «**له دعوة الحق، والذين تعدون من دونه لايستجيبون له بشيء، إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه**».

صدق الله العظيم

وان المهمة التي تسعى المجلة إلى تحقيقها لتدخل في إطار ما نصح به جل من قائل عندما أكد في كتابه العزيز : ادعوني استجب لكم» كما انها ترمي إلى مساعدة كافة المواطنين على أن ـ يكونوا من بين أولئك الذين قال في حقهم سبحانه وتعالى : «**وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني لايشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك فأولائك هم الخاسرون**».

صدق الله العظيم

منذ خمس وعشرين سنة، قطعت المجلة أشواطا بعيدة على درب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في إطار المنهجية الحسنية الهادفة التي تعمل على إغناء المواطن خلقيا ومعنويا، كما ترمي إلى السعادة ماديا، وتدعو إلى التثبت بديننا الحنيف والسير على طريق الخير، والدفاع عن مقومات العقيدة، والتثبت بما هو قمين بأن يصون الكرامة البشرية، مصداقا لقوله تعالى : «**ولقد كرمنا بني آدم**» .

وما كان لمجلة «**دعوة الحق**» أن تبلغ الهدف وتصيب المرمى وتحقق ما كانت تصبوا إليه، لولا تلك الثلة الرفيعة من الكتاب المحنكين والأدباء المرموقين، والمرشدين المقنعين والأساتذة الأشاوش الذين واكبوا جهودها بنشاطهم، وزبدة اكتشافاتهم، وخلاصة ما كان من فضل لعبقريتهم في الاهتداء إليه حتى أخذت المجلة طريقها وفرضت وجودها في عالم الفكر والإبداع وهو عالم لا يحلق في أجوائه إلا ذوو الباع الطويل، والكفاءة الحقة، والإيمان الصادق، والنفس الطويل والإخلاص المثالي للحق الذي لا يومى إلا بما هو نافع، ولا يزكي إلا ما هو صالح ولا يقر إلا ما هو بين الله وبين عباده : «والله يقول الحق وهو يهدي السبيل».

ولم تفتأ المجلة تستمد خطواتها من توجيهات ملكنا العظيم، وتعمل في إطار تلك الدرر الغالية التي ما انفك حفظه الله ليهديها لشعبه الوفي الشكور قصد بلوغ الهدف المنشود وهو الرفع من معنوية المواطنين، وصيانة كرامتهم بتحقيق النمو الخلقي والاقتصادي، في تكامل تام بين جميع القطاعات، وتجاوب شامل بين كل المبادرات، وانسجام قويم بين الوسائل والغايات، ومسيرة ـ جماعية تنبذ الكسل والتواكل وتستند على مبدأ الإخاء والتضامن،

لقد حدد حفظه الله، ضمن خطبه السامية، المبادىء التي تشكل إطار ـ اختياراته ومبادراته. ورسم المنهجية التي تكون وسيلة تنفيذ المخططات التي تبلور المشاريع التي انتقاها لشعبه وأمته. وفي هذا الإطار عملت مجلة «**دعوة الحق**» فكانت، في جل المواضيع التي تناولتها بالحل والشرح والتأويل مرآة لما يدعونا قائدنا العظيم إلى التشبث به أو العمل على تحقيقه. والمثال الحي لما يجب أن تكون عليه مجلة من نزاهة خلقية، وصراحة، وإخلاص للمبادىء

وإننا لنتمنى لمجلة «**دعوة الحق**» المزيد من القبول، على درب تحقيقها لهدفها السامي وهو الدعوة إلى الله. وذلك بالحث على الإدراك القويم، والمجهود الإيجابي والعمل النافع، والتضحية في سبيل المصلحة العامة، والإخلاص القيم، والإيمان بمقدسات الأمة والذود عن حقوق البلاد والعباد والسلام.

أحمد مجيد بن جلون

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية، وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع، بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه، من مرافق خاصة أو عامة. وإن مراقبة الله، والشعور بالمسؤولية أمام خلقه لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها، ودافع قوي للقيام بالتكاليف والواجبات في وقتها.

مجلة دعوة الحق والدراسات التاريخية المغربية

للأستاذ سعيد أعراب

استجابة لرغبة أسرة مجلة «دعوة الحق» ـ في إحياء ذكرى عيدها الفضي، بمناسبة مرور (25) سنة على صدورها، ـ أحببت أن أكتب كلمة عن دور مجلة : «دعوة الحق» ـ الغراء ـ في الدراسات التاريخية المغربية. ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن مجلة «دعوة الحق» تعتبر مرجعا هاما في هذا الميدان، يرجع إليها الباحثون والدارسون، وقد تناولت شتى الموضوعات، تختلف في شكلها ونوعها؛ ويمكن إجمالها فيما يلي :

ـ الشخصيات ، ـ الدول الحاكمة، ـ المجتمعات، ـ العادات، ـ المرأة، ـ الأسرة، ـ الأدب، ـ الثقافة، ـ النظم، ـ المدن، ـ المساجد، ـ الآثار، ـ الجيش، ـ الأسطول، ـ الحروب، ـ العلاقات الدولية، ـ العرش، ـ الصحراء، ـ المسيرة الخضراء... إلى غير ذلك مما له صلة بتاريخ المغرب وحضارته. وسأقتصر في هذه العجالة على القسم الأول «الشخصيات»، وهو نحو مائة وخمسين (150) شخصية، وسأرتبها على حروف المعجم، وأشير إلى كاتب البحث، والسنوات والأعداد التي ورد فيها، وأجعل ذلك بين قوسين، وربما توارد على البحث عدة كتاب، فأوردهم جميعا، «ولكل وجهة هو موليها».

1 ـ إبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي أبو إسحاق : صاحب المنظومة في الصيد، توفي نحو 954 هـ ـ 1547م. (محمد بن عبد الحق الودغيري س 11، ع 6، ص 112 ـ 117).

2 ـ إبراهيم بن محمد التادلي الرباطي أبو إسحاق : توفي 1311 هـ ـ 1894م ـ (عبد الله الجراري س 3 ع 5 ص 37 ـ 39. مصطفى الغربي س 11 ع 1 ص 97 ـ 107.

3 ـ ابن أبي الخصال محمد بن مسعود : ورسالته التي نال فيها من كرامة الموحدين ـ توفي 540 هـ ـ 1146م ـ (عبد الله كنون س 3 ع 5 ص 32 ـ 36).

4 ـ ابن ادريس محمد العمراوي : الشاعر الوزير توفي 1264 هـ ـ 1847م. (عبد القادر زمامة، س 12 ع 4 ص 107 ـ 110، محمد الأمري، س 12 ع 9 ـ 10 (مزدوج) ص 104 ـ 110).

5 ـ ابن باجه الشاعر الفيلسوف محمد بن يحيى : توفي 533 هـ ـ 1139م. (عبد الكريم التواتي س 23 ع 3، ص 54 ـ 63).

6 ـ ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي : توفي 779 هـ ـ 1377م. (محمد عبد العزيز الدباغ، س 5 ع 7 ص 32 ـ 36، س 6 ع 2 ص 44 ـ 52، (الحسن السائح) س 5 ع 8 ص 36 ـ 42، محمد المنوني س 18 ع (7 ـ 8) ص 90 ـ 95).

7 - ابن البناء أبو العباس أحمد بن محمد العددي المراكشي : توفي 721 هـ - 1321م (محمد بن ادريس العلمي). س 8 ع 5. ص 82 - 83).

8 - ابن جزي الكلبي محمد بن محمد : كاتب رحلة ابن بطوطة توفي 757 هـ - 1356م (محمد عبد العزيز الدباغ). س 5 ع 10 ص 57 - 64).

9 - ابن حبوس محمد بن حسين الفاسي الشاعر توفي 570 هـ - 1174م (محمد بن تاويت . س 1 ع 12 ص 58 - 60. عباس الجراري. س 4 ع 6. ص 51 - 57)

10 - ابن حمادة البرنسي السبتي محمد : من أهل القرن السادس الهجري. الثاني عشر الميلادي. (كاتب هذه السطور س 23. ع 3. ص 28 - 31).

11 - ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني : توفي 776 هـ - 1374م. (عبد الكبير الفاسي.س 2 ع 7 ص 32-34. عبد القادر زمامه. س 7 ع 5. ص 12 - 14. عبد الله الجراري. س 9 ع (6 - 7) ص 111 - 116. كمال شبانة . س 9 ع 8 ص 87 - 92. (السرغيني بن ناصر . س 14 ع 10 ص 115 - 121. محمد علي الكتاني . س 15. ع 1. ص 72 - 76).

12 - ابن رشد الفيلسوف محمد بن أحمد : توفي 595 هـ - 1198م (احسان النمر. س 10 ع (6 - 7) ص 105 - 119).

13 - ابن رشيد محمد بن عمر الفهري السبتي توفي 721 هـ - 1321م. (محمد الفاسي . س 2 ع 2 ص 2 - 12).

14 - ابن ريسون عبد السلام : توفي 1299 هـ - 1882م - (محمد العربي الشاوش. س 21 ع 3 ص 82 - 92. العربي بنونة . س 21 ع 3 ص 93 - 99).

15 ابن زيدان عبد الرحمان بن محمد العلوي : مؤرخ مكناس توفي 1365 هـ - 1946م. (محمد المنوني. س 10 ع 1 ص 93 - 99).

16 - ابن عائشة عبد الله : السفير وأمير البحر - من أهل القرن 11 الهجري. السابع عشر الميلادي - (إبراهيم حركات. س 12 ع 4 ص 126 - 129. الحسن السايح. س 15 ع 1 ص 105 - 107).

17 - ابن عبد الملك المراكشي محمد بن محمد بن سعيد : (توفي 703 هـ - 1303م. (محمد العابد الفاسي. س 2 ع 4 ص 27 - 30. ع 5 ص 21 - 25. ع 6 ص 24 - 28).

18 - ابن العربي الصوفي محيي الدين محمد بن علي : توفي 638 هـ - 1240م. (الحسن السايح. س 1 ع 9 ص 29 - 30. عبد الله الطباع. س 8 ع (6 - 7) ص 47 - 48).

19 - ابن العربي القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله : توفي 543 هـ - 1148م. (محمد الفاضل بن عاشور. س 10 ع 3 ص 42 - 43. كاتب هذه السطور . س 14 ع (1 - 2) ص 93 - 98. ع 4 ص 149 - 157. ع 5 ص 160 - 166. ع (6 - 7) ص 159 - 166. ع 8 ص 100 - 104. ع 9 ص 143 - 150. س 17 ع 10 ص 104 - 108. س 18 ع 1 ص 78 - 82. ع 5 ص 19 - 28 ع 10. ص 22 - 28. س 19 ع 1 ص 34 - 42. ع 4 ص 38 - 42. ع 5 ص 30 - 34. ع 9 ص 33 - 38. ع 10 ص 20 - 24. س 20 ع 4 ص 15 - 20).

20 - ابن عرضون أحمد بن الحسن : توفـــي 992 هـ - 1584م (مصطفى المهماه. س 20 ع 5 ص 93 - 97).

21 - ابن عرضون محمد بن الحسن : توفي 1012 هـ - 1603م. (عبد القادر العافية . س 18 ع 10 ص 29 - 39).

22 - ابن عسكر محمد : توفي 986 هـ - 1598م - (عبد القادر العافية . س 19 ع 4ص 42 - 48).

23 - ابن عطية عبد الحق بن غالب - المفسر توفي 546 هـ - 1151م (أحمد عبد الرحيم بن عبد البر

س 12 ع 4 ص 57 ـ 61)، محمد الفاضل بن عاشور، س 12 ع 7 ص 36 ـ 40).

24 ـ **ابن عمرو الرباطي :** توفي 1247 هـ ـ 1831م. (عبد الله كنون، س 3 ع 4 ص 25).

25 ـ **ابن القرشي عبد الرحمان :** توفي 1358 هـ ـ 1939م، (أحمد البوعياشي . س 19 ع (6 ـ 7) ص 86 ـ 87).

26 ـ **ابن منصور المغراوي محمد :** (عبد الله كنون، س 3 ع 9 ص 29 ـ 30).

27 ـ **ابن الونان أحمد بن محمد :** توفـــي 1187 هـ ـ 1773م، (عبد الله الجراري، س 18 ع 2 ص 135 ـ 138).

28 ـ **أبو البقاء الرندي صالح بن شريف :** مـن أهل القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي. (عبد القادر زمامه، س 7 ع 2 ص 34 ـ 36).

29 ـ **أبو الجيش الأنصاري محمد :** توفـــي 549 هـ ـ 1154م، (كاتب هذه السطور، س 12 ع 3 ص 37 ـ 41).

30 ـ **أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله :** توفي 656 هـ ـ 1258م (جمال الدين الشيال، س 6 ع (8 ـ 9) ص 10 ـ 18، كاتب هذه السطور ـ تعقيب س 7 ع 1 ص 80 ـ 85).

31 ـ **أبو الحسن بن علي الأموي :** من أهل القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، (كاتب هذه السطور، س 12 ع ص 132 ـ 134).

32 ـ **أبو الربيع الموحدي سليمان بن عبد الله**، توفي بعد 600 هـ ـ 1204م، (عباس الجراري . س 8 ع (6 ـ 7) ص 80 ـ 85).

33 ـ **أبو سالم العياشي عبد الله بن أبي بكر :** توفي 1090 ـ 1679م، (محمد الأخضر . س 16 ع 1 ص 167 ـ 173).

34 ـ **أبو شعيب الدكالي :** توفي 1356 هـ ـ 1937م، (محمد السايح . س 12 ع 2 ص 38 ـ 40).

35 ـ **أبو القاسم بن خجو :** توفي 956 هـ ـ 1549م . (عبد القادر العافية، س 17، ع 8 ص 73 ـ 80).

36 ـ **أبو القاسم بن رضوان ، عبد الله بن يوسف :** توفي 783 هـ ـ 1381م، (عبد القادر زمامه، س 12 ع 2 ص 57 ـ 60).

37 ـ **أبو القاسم الزياني :** توفي 1249 هـ ـ 1843م . (عبد القادر زمامه، س 10 ع 3 ص 121 ـ 125، ربوتو نورايكس ان بروفانس ـ تعريب عبد الرحمان بن عبد الله، س 12 ع 2 ص 72 ـ 76، محمد عبد العزيز الدباغ، س 13 ع 3 ص 189 ـ 197).

38 ـ **أبو القاسم الشريف السبتي محمد بن أحمد :** توفي 760 هـ ـ 1358م، (محمد عبـد العزيـــز الدباغ، س 9 ع 4 ص 106 ـ 109).

39 ـ **أبو القاسم بن المواعيني محمد بن إبراهيم بن خيرة :** توفي 564 هـ ـ 1168م، (محمد مرسى الخولي . س 14 ع (1 ـ 2) ص 80 ـ 82، عبد الوهاب بن منصور س 14 ع 5 ص 62 ـ 63، حسن بن علي بن النعمة، س 14 ع 9 ص 151 ـ 153).

40 ـ **أبو محمد صالح عبد الرحمان بن عبد العزيز :** توفي 631 هـ ـ 1233م، (أحمد معنينو . س 15 ع (5 ـ 6) ص 164 ـ 170).

41 ـ **أبو مدين الفاسي محمد بن أحمد :** توفي 1089 هـ ـ 1678م، (محمد الأخضر، س 16 ع 8 ص 161 ـ 164).

42 ـ **أبو هارون الأغماتي موسى بن عبد الله** توفي نحو 480 هـ ـ 1087م، (كاتب هذه السطور . س 12 ع 6 ص 99 ـ 102م).

43 ـ **أحمد بن إبراهيم الجريري :** توفـــي 1353 هـ ـ 1934م . (عبد الرحمان الكتاني . س 20 ع 4 ص 49 ـ 55).

44 ـ أحمد الرضى بن عثمان : شاعر مكناس من القرن 13 هـ ـ 18م . (محمد المنتصر الريسوني. س 7 ع 4 ص 52 ـ 56. محمد الأمرى. س 12 ع 5 ص 120 ـ 125).

45 ـ أحمد بن أحمد زروق : توفي 899 هـ ـ 1493م. (عبد القادر التكادي. س 15 ع (5 ـ 6) ص 159 ـ 163. ع (9 ـ 10) ص 168 ـ 170).

46 ـ أحمد عبد النبي : توفي 1392 هـ ـ 1972م. (أحمد معنينو س 18 ع 1. ص 91 ـ 95).

47 ـ أحمد بن عبد الواحد بن المواز : توفي 1341 هـ ـ 1922م. (عبد الله الجراري . س 11 ع 5 ص 136 ـ 138).

48 ـ أحمد بن عطية أبو جعفر : الكاتب الوزير توفي 553 هـ ـ 1158م. (محمد العلمي حمدان. س 17 ع (2 ـ 3) ص 185 ـ 193).

49 ـ أحمد بن محمد بن عجيبة : توفي 1224 هـ ـ 1809م. (حسن الوراكلي. س 11 ع 4 ص 100 ـ 106).

50 ـ السلطان أحمد المنصور الذهبي : توفي 1012 هـ ـ 1603م . (إبراهيم حركات. س 19 ع 8 ص 57 ـ 80. عبد القادر العافية. س 20 ع (2 ـ 3) ص 114 ـ 118).

51 ـ أحمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي أبو المطرف : توفي 658 هـ ـ 1260. (محمد بن شريفة. س 8 ع 8 ص 82 ـ 88) ـ س 8 ع (9 ـ 10) ص 111 ـ 118).

52 ـ أحمد المهدي الغزال : توفي 1191 هـ ـ 1777م. (محمد الأمرى. س 12. ع 4 ص 120 ـ 125).

53 ـ إدريس الأصغر : توفي 213 هـ ـ 828م. (عبد الله كنون. س 12 ع 2 ص 43 ـ 47).

54 ـ إدريس الأكبر : توفي 177 هـ ـ 793م . (عبد الله كنون. س 12 ع 2 ص 41 ـ 43).

55 ـ السلطان المولى اسماعيل بن محمد الشريف : توفي 1139 هـ ـ 1727م. (محمد السايح. س 3 ع 2 ص 27 ـ 32. عبد الله الجراري. س 10 ع 4 ص 131 ـ 133. محمد عبد العزيز الدباغ. س 12 ع 4 ص 147 ـ 152. محمد العربي الشاوش. س 15 ع 1 ص 108 ـ 110. عثمان بن خضراء. س 15 ع 1 ص 148 ـ 150. عبد الحق المريني. س 15 ع 1 ص 160 ـ 162).

56 ـ أكنسوس محمد : توفي 1294 هـ ـ 1877م. (عبد القادر زمامه. س 10 ع 3 ص 121 ـ 125. محمد الامرى. س 13 ع 3 ص 160 ـ 166).

57 ـ امحمد بن أحمد السوسي : توفي 1369 هـ ـ 1950م. (محمد المنوني. س 16 ع 7 ص 151 ـ 159).

58 ـ أمغار أبو عبد الله محمد بن إسحاق : (أحمد العدوي. س 17 ع 5. ص 222 ـ 124).

59 ـ البلوى خالد بن عيسى : توفي 678 هـ ـ 1279م. (الحسن السايح س 7 ع 6 ص 38 ـ 40).

60 ـ البلوي أبو الحجاج يوسف : توفي 604 هـ ـ 1207م. (عبد القادر زمامه. س 12 ع 1 ص 140 ـ 142).

61 ـ التاستاوتي أحمد بن عبد القادر : توفي 1127 هـ ـ 1715م. (محمد المنتصر الريسوني. س 7 ع 2 37 ـ 42. محمد التاودي بن سودة. س 17 ع 7 ص 125 ـ 133).

62 ـ التاودي بن سودة محمد بن الطالب : توفي 1209 هـ ـ 1795م. (محمد الأخضر . س 16 ع 7 ص 169 ـ 174).

63 ـ التنائي أحمد بن عبد الله الرياضي المغربي : توفي 1320 ـ 1902م. (محمد المنوني. س 15 ع 7 ص 144 ـ 146).

64 ـ التيفاشي أبو العباس أحمد بن يوسف : توفي 652 هـ ـ 1253م. (عبد القادر زمامه . س 7 ع 3 ص 45 ـ 49).

65 ـ الجراوي أبو العباس أحمد بن عبد السلام : توفي 609 هـ ـ 1212م. (محمد بن تاويت . س 2 ع 1 ص 20 ـ 25. محمد عبد العزيز الدباغ . س 13 ع 7. ص 130 ـ 134).

66 ـ حازم بن محمد بن حسن القرطاجني : توفي 684 هـ ـ 1285م. (عبد القادر زمامه. س 4 ع (9 ـ 10) ص 35 ـ 38).

67 ـ الست الحرة بنت علي بن راشد : حاكمة تطوان، من أهل القرن 10 هـ ـ 16م. (محمد داود . س 4 ع 1 ص 38 ـ 41. عبد القادر العافية. س 19 ع (6 ـ 7) ص 56 ـ 63. ع 9 ص 43 ـ 48).

68 ـ السلطان الحسن الأول بن محمد بن عبد الرحمان : توفي 1311 هـ ـ 1894م. (عبد الحق المريني. س 12 ع 4 ص 167 ـ 170. أحمد معنينو. س 12 ع 4 ص 178 ـ 179. عبد القادر زمامه. س 14 ع 3 ص 118 ـ 121).

69 ـ جلالة الحسن الثاني بن محمد بن يوسف (محمد الحبابي. س 12 ع 4 ص 62 ـ 65. عبد الله الجراري. س 12 ع 8 ص 48 ـ 52. س 17 ع 4 ص 149 ـ 153) عبد الوهاب بن منصور س 13 ع 3 ص 27 ـ 29. امنة اللوه. س 22 ع 1 ص 69 ـ 72. رضى الله إبراهيم الالغي. س 22 ع 1 ص 75 ـ 79).

70 ـ الحسن بن محمد الوزان الفاسي : ليون الإفريقي ـ توفي 960 هـ ـ 1552م. (محمد عبد الفتاح الإبراهيمي. س 23 ع 2 ص 89 ـ 93).

71 ـ الإمام داود بن ادريس : توفي نحو 263 هـ ـ 876م. (عبد الهادي التازي. س 3 ع 4 ص 60 ـ 62).

72 ـ الرغاي أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الرباطي : توفي 1315 هـ ـ 1897م. (عبد الله الجراري. س 10 ع (9 ـ 10) ص 143 ـ 145).

73 ـ زيري بن عطية الخزري المغراوي ـ أمير زناتة : توفي 391 هـ ـ 1000م. (عبد القادر الصحراوي. س 2 ع 9 ص 33 ـ 39. عبد الله الجراري. س 9 ع 2 ص 90 ـ 91).

74 ـ سابق البربري أبو سعيد بن عبد الله : توفي نحو 100 هـ ـ 718م. (عبد الله كنون. س 2 ع 1 ص 15 ـ 19. س 6 ع (8 ـ 9) ص 19 ـ 23. س 8 ع 4 ص 38 ـ 39. س 21 ع 4 ص 9 ـ 10).

75 ـ السجلماسي أبو محمد القاسم بن محمد بن عبد العزيز الأنصاري : من أهل القرن 8 هـ 14م. (كاتب هذه السطور. س 5 ع 4 ص 53 ـ 56).

76 ـ سليمان بن سبع السبتي : توفي نحو 520 هـ 1126م. (كاتب هذه السطور. س 20 ع 8 ص 17 ـ 22. ع 9 ص 19 ـ 26 زائد. ع 10 ص 39 ـ 42).

77 ـ السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله : توفي 1238 هـ ـ 1822م. (عبد القادر الصحراوي. س 10 ع 4 ص 54 ـ 63. عبد الله كنون. س 11 ع 4 ص 24 ـ 26. محمد الامرى. س 13 ع (5 ـ 6) ص 126 ـ 133. محمد المنتصر الريسوني س 14 ع 3 ص 184 ـ 189. كاتب هذه السطور . س 15 ع (9 ـ 10) ص 144 ـ 149. س 21 ع 1 ص 92 ـ 95. أحمد معنينو. س 16 ع 4 ص 215 ـ 222. محمد عبد العزيز الدباغ. س 16 ع 10 ص 133 ـ 139).

78 ـ سليمان بن وانسوس البربري : من أهل القرن 3 هـ 9م. (عبد السلام الهراس. س 12 ع 1 ص 135 ـ 139).

79 ـ الشريف الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن علي بن إدريس الحمودي السبتي : توفي 562 هـ ـ 1166م. (محمد المنوني. س 9 ع 8. ص 75 ـ 86).

80 ـ الشطيبي أبو عبد الله محمد بن علي : توفي 963 هـ ـ 1555م. (كاتب هذه السطور. س 12ع 1 ص 83 ـ 84. س 13 ع 1 ص 21 ـ 23).

81 ـ طارق بن زياد : توفي 102 ـ 720م. (أنور الجندي. س 16 ع 6 ص 206 ـ 208).

82 ـ عباس بن إبراهيم : توفي 1378 هـ ـ 1959م . (عبد الكبير الفاسي. س 2 ع 10 ص 46 ـ 47).

83 ـ السلطان المولى عبد الحفيظ العلوي : توفي 1356 هـ ـ 1937م. (عبد الله العمراني. س 11 ع 4 ص 78 ـ 85).

84 ـ عبد الحق الزرويلي أبو الحسن الصغير توفي 719 هـ ـ 1319م. (محمد العلمي حمدان. س 17 ع 7 ص 118 ـ 121).

85 ـ عبد الرحمان بن عبد الله الجامعي : توفي بعد 1137 هـ ـ 1724م. (محمد المنوني. س 16 ع 4 ص 77 ـ 80).

86 ـ عبد الرحمان بن الخطيب ـ الشاعــــر الهجاء : توفي 963 هـ ـ 1555م. (عبد القادر العافية. س 21 ع 7 ص 60 ـ 63).

87 ـ عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي : توفي 1096 هـ ـ 1685م. (محمد الأخضر . س 15 ع 8 ص 119 ـ 123).

88 ـ الشيخ عبد الرحمان المجذوب : توفي نحو 976 هـ ـ 1569م. (محمد الملادي. س 11 ع (9 ـ 10) ص 116 ـ 125).

89 ـ السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام العلوي : توفي 1276 هـ ـ 1859م. (عبد القادر الرزيني. س 20 ع 9 ص 42 ـ 45. محمد عبد العزيز الدباغ. س 22 ع 1 ص 208 ـ 114).

90 ـ الشيخ عبد الرحمان المغربي الترغي القنائي : توفي 592 هـ ـ 1195م. (كاتب هذه السطور. س 10 ع 1 ص 104 ـ 107. ع 2 ص 117 ـ 120).

91 ـ العبدري أبو عبد الله محمد بن علي : من أهل القرن 7 هـ ـ 13م. (محمد الفاسي. س 2 ع 3 ص 19 ـ 23. عبد القادر زمامه. س 5 ع 2. ص 49 ـ 52).

92 ـ عبد السلام بن عبد القادر بن سودة : (محمد حجي. س 22 ع 4 ص 30 ـ 32).

93 ـ عبد السلام بن محمد بن عمر العلمي ـ الطبيب : توفي 1323 هـ ـ 1905م. (محمد المنوني. س 8 ع 8 ص 94 ـ 97) .

94 ـ السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن الأول : توفي 362 هـ ـ 943م. (محمــد عبــد العزيــز الدباغ . س 18 ع 2 ص 186 ـ 190. محمد تقي الديــن الهلالي. س 19 ع (2 ـ 3) ص 51 ـ 55. أحمد معنينو. س 23 ع 1 ص 106 ـ 110).

95 ـ عبد العزيز الملزوزي المكناسي أبو فارس : توفي 697 هـ ـ 1397م. (محمد العلوي حمدان. س 17 ع 9 ص 106 ـ 112).

96 ـ عبد الكريم بريشة التطواني : توفــــي 1315 هـ ـ 1897م. (أحمد معنينو. س 14 ع 4 ص 166 ـ 167).

97 ـ عبد الكريم بن الحسني : توفي 1392 هـ ـ 1972م. (محمد المنوني. س 16 ع 1 ص 182 ـ 183) عبد الهادي التازي. س 17 ع 10 ص 109 ـ 112).

98 ـ عبد الله گنون : زكي المحاسني. س 11 ع 5 ص 65 ـ 66. مصطفى الشليح. س 21 ع 6 ص 40 ـ 50).

99 ـ عبد الله بن ياسين : توفي 451 هـ ـ 1059م. (العربي العمراوي. س 1 ع (4 ـ 5) ص 53 ـ 56.

محمد علي الكتاني. س 1 ع 12 ص 95 ـ 100. كاتب هذه السطور . س 12 ع 7 ص 100 ـ 105). محمد التاودي بن سودة . س 17 ع 1 ص 112 ـ 114).

100 ـ عبد المجيد بن علي الزيادي المنالي : توفي 1163 هـ ـ 1749م. (عبد القادر النكادي. س 9 ع 8 ص 103 ـ 113 زائد. ع (9 ـ 10) ص 119 ـ 123).

101 ـ عبد القادر بن علي الموحدي : توفي 558 هـ ـ 1163م (العربي العمراوي، س 1 ع 3 ص 11 ـ 12).

102 ـ عبد الواحد أحمد أبو مالك العلوي : توفي 1003 هـ ـ 1594م (التقى العلوي، س 19 ع 10 ص 25 ـ 34).

103 ـ عبد الوهاب بن أحمد الدراق ـ الطبيب: توفي 1159 هـ ـ 1746م. (عبد الوهاب بن منصور، س 1 ع 11 ص 23 ـ 35).

104 ـ عبد الوهاب بن محمد بن علي الزقاق : توفي 961 هـ ـ 1553م. (عبد القادر الصحراوي، س 1 ع 6 ص 40 ـ 43، ع 8 ص 38 ـ 40).

105 ـ علي بن ميمون البزراتي الغماري : توفي 917 هـ ـ 1511م. (عبد القادر العافية، س 16 ع 8 ص 165 ـ 168، س 21 ع 4 ص 88 ـ 92).

106 ـ علي بن عبد الواحد اليلصوتي : توفي 1150 هـ ـ 1737م. (عبد القادر العافية . س 19 ع 10 ص 41 ـ 51).

107 ـ عياض بن موسى اليحصبي السبتي : توفي 544 هـ ـ 1149م. (عبد القادر الصحراوي، س 10 ع 8 ص 102 ـ 110، ع (9 ـ 10) ص 132 ـ 138، عبد الله الجراري، ص 15 ع (9 ـ 10) ص 164 ـ 165، عبد الله كنون، س 18 ع 9 ص 108 ـ 113، س 22 ع 3 ص 10 ـ 18، حسن الوراكلي، س 22 ع 3 ص 66 ـ 96).

108 ـ عيسى بن عبد الرحمان السكتاني : توفي 1062 هـ ـ 1651م. (محمد بن عبد الله الروداني، س 16 ع 1 ص 160 ـ 166).

109 ـ الكانوني محمد أحمد العبدي : توفي 1357 هـ ـ 1938م. (محمد عبد العزيز الدباغ، س 20 ع 8 ص 30 ـ 33، ع 9 ص 68 ـ 71، س 21 ع 4، ص 82 ـ 87، ع 5 ص 93 ـ 97، س 22 ع 4 ص 68 ـ 71، ع 7 ص 106 ـ 110، ع 8 ص 63 ـ 71).

110 ـ الشيخ الأكبر ماء العينين : باني سمارة ـ مصطفى بن الشيخ فاضل بن مامين توفي 328 هـ ـ 1910م. (محمد الطنجي، س 22 ع 1 ص 92 ـ 95).

111 ـ ماء العينين بن العتيق : توفي 1377 هـ ـ 1957م. (زين العابدين، س 18 ع 10 ص 46 ـ 52).

112 ـ مالك بن المرحل : توفي 699 هـ ـ 1299م. (محمد العلمي حمدان، س 15 ع (5 ـ 6) ص 156 ـ 157).

113 ـ محمد بن إبراهيم : شاعر الحمراء ـ توفي 1373 هـ ـ 1955م. (التهامي السكيتي ، س 9 ع 2 ص 109 ـ 111).

114 ـ محمد بن مبارك التاستاوتي : توفي 1006 هـ 1597م. (محمد التاودي بن سودة، س 17 ع (2 ـ 3) ص 294 ـ 202).

115 ـ محمد بن الحسين العرائشي : توفي 1351 هـ ـ 1933م. (محمد المنوني، س 11 ع (9 ـ 10) ص 108 ـ 115).

116 ـ جلالة المغفور له محمد الخامس : توفي 1380 هـ ـ 1961م. (عبد الوهاب ابن منصور، س 1 ع (4 ـ 5) ص 26 ـ 28، عبد الكريم غلاب، س 1 ع (4 ـ 5) ص (29 ـ 30) الطاهر أحمد مكي، س 10 ع 1 ص 90 ـ 92، س 11 ع 4 ص 128 ـ 130، محمد إدريس العلمي، س 12 ع 4 ص 135 ـ 138، س 13 ع 3 ص 198 ـ 203 ، أبو بكر القادري، س 12 ع 4 ص 48 ـ 52، عثمان بن خضراء، س 15 ع 8 ص 177 ـ 180، عبد الرحمان الزياني، س 22 ع 1، ص 126 ـ 130).

117 ـ محمد دنية : توفي 1358 هـ ـ 1939م. (مصطفى الغربي، س 15 ع 7 ص 147 ـ 154).

118 ـ محمد المراكشي : من رواد الصحافة المغربية ـ توفي 1367 هـ ـ 1947م. (أحمد معنينو ، س 23 ع 3 ص 64 ـ 65).

119 ـ محمد السايح : توفي 1367 هـ ـ 1948م. (مصطفى الغربي. س 14 ع 7 ص 147 ـ 159. محمد المنوني. س 17 ع 5 ص 108 ـ 114).

120 ـ محمد السدراتي : توفي 1330 هـ ـ 1912م. (محمد الطيبي العلوي. س 19 ع 5 ص 98 ـ 100).

121 ـ محمد بن سليمان الروداني : توفي 1094 هـ ـ 1623م. (محمد الأخضر . س 16 ع 3 ص 164 ـ 168).

122 ـ محمد بن الشيخ الأموي السبتي : توفي نحو 400 هـ ـ 1009م. (كاتب هذه السطور. س 21 ع 2 ص 25 ـ 29).

123 ـ محمد بن الصادق بن ريسون : توفي 1234 هـ ـ 1818م. (محمد المنتصر الريسوني. س 15 ع 1 ص 151 ـ 156).

124 محمد العالم بن السلطان المولى اسماعيل العلوي : توفي 1116 هـ ـ 1704م. (كاتب هذه السطور. س 18 ع 2 ص 57 ـ 67. ع 4 ص 35 ـ 39).

125 ـ السلطان محمد بن عبد الرحمان بن هشام العلوي : توفي 1290 هـ ـ 1873م. (حسن السايح. س 10 ع 4 ص 134 ـ 139. أحمد معنينو . س 14 ع 3 ص 126 ـ 131.

129 ـ السلطان محمد بن عبد الله العلوي : توفي 1204 هـ ـ 1788م. (محمد الفاسي. س 10 ع 4 ص 26 ـ 31. عبد الله كنون. س 10 ع 5 ص 21 ـ 27. محمد الطنجي . س 12 ع 4 ص 48 ـ 52. محمد المنتصر الريسوني . س 13 ع 3 ص 182 ـ 188. محمد العابد الفاسي. س 15 ع 8 ص 161 ـ 163. يوسف الكتاني . س 19 ع (2 ـ 3) ص 130 ـ 134).

127 ـ محمد بن محمد الشريف : مؤسس دولة الاشراف العلويين توفي 1075 هـ ـ 1664م (عبد الله الجراري. س 12 ع 4 ص 90 ـ 92).

128 ـ محمد المهدي متجينوس الرباطي : توفي 1344 هـ ـ 1925م (عبد الله الجراري . س 10 ع 8 ص 111 ـ 113).

129 ـ محمد المدني الحسني : توفي 1378 هـ ـ 1959م. (محمد المنوني. س 2 ع 10 ص 76 ـ 78) مصطفى الغربي. س 13 ع (5 ـ 6) ص 126 ـ 133).

130 ـ محمد بن عبد القادر بن موسى الوزير الشاعر : توفي 1385 هـ ـ 1965. (محمد المنتصر الريسوني. س 12 ع 2 ص 65 ـ 71. س 18 ع 5 ص 68 ـ 70. ع 6 ص 63 ـ 68. ع (7 ـ 8) ص 96 ـ 102. ع 10 ص 40 ـ 45. س 19 ع 1 ص 43 ـ 50. ع 5 ص 51 ـ 56. ع 9 ص 76 ـ 82. س 20 ع 4 ص 93 ـ 98. ع 8 ص 68 ـ 73. س 21 ع 4 ص 56 ـ 61. ع 5 ص 50 ـ 55. س 22 ع 8 ص 50 ـ 55).

131 ـ محمد بن أبي مدين الديماني : توفي 1396 هـ 1976 (أحمد يكن. س 23 ع 1 ص 106 ـ 110).

132 ـ محمد العياشي ـ البطل الشعبي : توفي 1051 ـ 1651م. (عبد القادر الصحراوي. س 2 ع 12 ص 124 ـ 132).

محمد الهاشمي بن خضراء : توفي 1392 هـ ـ 1972م. (أحمد معنينو. س 17 ع 7 ص 122 ـ 124).

134 ـ المراكشي : مؤلف كتاب «الاستبصار» ـ من أهل القرن 6 هـ ـ 12م. (محمد الفاسي . س 2 ع 2 ص 8 ـ 12).

135 ـ المرتجي بن السلطان المولى إسماعيل العلوي : توفي 1168 هـ ـ 1754م . (محمد الطيبي العلوي. س 20 ع (2 ـ 3) ص 114 ـ 118).

139 ـ مصباح الزرويلي : توفي 1150 هـ ـ 1737م. (عبد القادر العافية. س 21 ع 1 ص 131 ـ 136)

137 ـ المعتمد بن عباد : توفي 488 هـ ـ 1095م. (المهدي البرجالي. س 1 ع 12 ص 112 ـ 123. عبد القادر

زمامه. س 6 ع 10 ص 30 ـ 34. إبراهيم حركات. س 8 ع 8 ص 41 ـ 50).

138 ـ الإمام المغيلي محمد بن عبد الكريم : توفي 909 هـ ـ 1503م. (زين العابدين الكتاني. س 19 ع (6 ـ 7) ص 92 ـ 95).

139 ـ المقري الجد أبو عبد الله محمد بن محمد : توفي 759 هـ ـ 1357م. (عبد القادر زمامه. س 9 ع 2 ص 92 ـ 100).

140 ـ المكي البيطاوري: توفي 1355 هـ ـ 1936م (مصطفى الغربي. س 8 ع 5 ص 79 ـ 81).

141 ـ المنصور بن أبي عامر : توفي 392 هـ ـ 1001م. (كاتب هذه السطور. س 22 ع 2 ص 18 ـ 23. س 23 ع 2 ص 20 ـ 24).

142 ـ الهبطي أبو محمد عبد الله : توفـــي 963 هـ ـ 1555م. (عبد القادر العافية . س 20 ع 4 ص 37 ـ 45).

143 ـ الهبطي أبو عبد الله محمد : واضع وقف القرآن بالمغرب. توفي 930 هـ ـ 1523. (كاتب هذه السطور. س 11 ع 4 ص 91 ـ 93. ع 8 ص 104 ـ 106. ع (9 ـ 10) ص 126 ـ 127).

144 ـ يحيى بن يحيى الليثي : توفي 234 هـ ـ 849م. (الطاهر أحمد مكي. س 3 ع 9 ص 23 ـ 28. ع 10 ص 45 ـ 52).

145 ـ يحيى بن الزيتوني : توفي بعد 484 هـ ـ 1091م. (عبد الكريم التواتي. س 23 ع 2 ص 55).

149 ـ يعقوب المنصور الموحدي : توفـــي 595 هـ ـ 1199م. (عبد القادر الصحراوي. س 1 ع 1 ص 33 ـ 34. (محمد رشيد ملين. س 11 ع 5 ص 119 ـ 121. مصطفى جواد. س 12 ع 5 ص 51 ـ 63).

148 ـ يليان الغماري : (كاتب هذه السطور. س 4 ع 8 ص 48 ـ 50. ع (9 ـ 10) ص 49 ـ 55).

148 ـ اليوسي أبو علي الحسن بن مسعود : توفي 1102 هـ ـ 1691م. (حسن الوراكلي. س 7 ع 3 ص 34 ـ 38. عبد القادر الصحراوي. س 12 ع 4 ص 66 ـ 73).

149 ـ يوسف بن تاشفين : توفي 500 هـ ـ 1106م. (عبد القادر الصحراوي. س 2 ع 10 ص 48 ـ 58. عمر فروخ س 4 ع 4 ص 32 ـ 37).

150 ـ يوسف التليدي : توفي 950 هـ 1543م (عبد القادر العافية. س 20 ع 8 ص 55 ـ 61).

151 ـ يوسف بن النحوي : توفي 513 هـ ـ 1119م. (عبد الله الجراري. س 18 ع 6. ص 60 ـ 62).

وبعد. فهذا جرد (بيبليوغرافية) الشخصيات المغربية. التي تناولتها أقلام كتاب مجلة (دعوة الحق) بالدرس والتحليل ـ خلال ربع قرن ـ وفيهم الفقيه. والقاضي. والقائد. والوزير. والأمير. والسلطان. والكاتب. والأديب. والشاعر. والطبيب. والفيلسوف. والدبلوماسي. والداعية... وأشير إلى أني لم أذكر من هذه الشخصيات إلا من كان مغربيا صميما. أو له صلة بالمغرب. وكان بودي أن أخرج معجما لأسماء البلدان والأماكن المغربية. التي تطفح بدراساتها أعداد مجلة «دعوة الحق». ولعل غيري يوفق إلى ذلك. وعلى الله قصد السبيل.

تطوان : **سعيد أعراب**



في كلمة الأستاذ عبد الهادي بوطالب بمناسبة انتخابه مديراً عاماً للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم

إنّه لتكريمٌ يجلّ عن النعتّ

أن تختار منظمة المؤتمر الإسلامي أرض المغرب لتكون مقراً دائماً للمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

السيد الرئيس،
السيد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي،
السادة الوزراء،
السادة رؤساء الوفود،
أيها السادة

أود أولا أن أتوجه الى السيد الرئيس لأعرب عن تأثري البالغ وأقدم له جزيل الشكر للكلمات الطيبة المتدفقة حرارة والتي قدمني بها الى هذا الجمع الكريم.

كما يسعدني أن أعرب للسادة رؤساء الوفود والأعضاء المشاركين في المؤتمر العام التأسيسي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة عن امتناني للثقة التي وضعوها في باختيارهم اياي مديرا عاما لهذه المنظمة.

وأود أن أعرب أيضا عن شعور الارتياح الذي يخامرني اللحظة وأنا أتطلع إلى ملامح التعاون التي تشدني أكثر الى الأخ والصديق السيد الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي. فهو لم يفتأ يولي جهوده ويبذل من ذات نفسه لدفع المؤتمر الإسلامي في طريق المنجزات التي انضاف اليها اليوم بعد آخر باكتمال هذه المنظمة لهيكلتها وأجهزة عملها.

وثقتكم هذه أيها السادة، هي تقدير موجه للمملكة المغربية التي تحتضن اليوم هذا الجمع التأسيسي للمنظمة الفتية كما سبق أن احتضنت سنة 1969 أول اجتماع للمؤتمر الإسلامي على إثر الدعوة التي وجهها للدول الإسلامية كل من جلالة الملك الحسن الثاني وجلالة المغفور له الملك فيصل إثر حريق المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الأحرام الإسلامية المقدسة.

ومنذ ميلاد المؤتمر الإسلامي وملك المغرب يوليه دعمه ويناضل بحماس لتحقيق أهدافه ضاما جهوده الى جهود رؤساء دولكم المناضلين. وطيلة زهاء ثلاث سنوات، وملك المغرب يتحمل بجدارة وأمانة على رأس لجنة القدس مسؤولية قيادة العمل الإسلامي لتحرير القدس الشريف والأماكن المقدسة في فلسطين، مواليا مبادراته لدى المجتمع الدولي. ولافتا الأنظار الى خطورة مشكل القدس، وملحا على ضرورة التعجيل بتحرير الأراضي المقدسة، وعلى حماية التراث الإسلامي الممتد عبر القرون في فلسطين، ضمن تحرير الأراضي العربية من الاحتلال الإسرائيلي الذي اكتمل خمس عشرة سنة رغم اجماع المجتمع الدولي على إدانته والمطالبة بانهائه.

وانه لتكريم يجل عن النعت أن يختار المؤتمر الإسلامي أرض المغرب لتكون مقرا دائما للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة. وأن يزدوج هذا التكريم باختياركم اليوم مواطنا مغربيا، للقيام باعباء أول مدير عام لهذه المنظمة.

والأمر بالنسبة الي يتجاوز التشريف الى التطويق بتكليف صعب ليس فحسب لأن على المدير العام أن يتعبأ لتحقيق الأهداف العظيمة النبيلة التي توخاها العالم الإسلامي من تأسيس هذه المنظمة. ولكن أيضا لأن البدايات في كل عمل بشري تكتنفها الصعوبات. ولأن المعهود اليه بدفع الانطلاقة الأولى لأية مؤسسة مدعو لأن يطبعها من ذاته وتفكيره وعمله. فهو إما أن يسير بها سيرا حثيثا مدروسا فيوفر لها النجاح. أو يتقاعس ويتواكل فيقعد بها عن السير. أو يرتجل فيحيد بها عن سواء السبيل. وهو امتحان عسير لن أتمكن من اجتيازه بنجاح إلا بمساعدتكم جميعا. بل وبتنافسكم في تشجيع مبادرات المدير العام بما يوفر ظروف التوفيق لهذه المنظمة التي يسعدني أن أتحمل، من هذه اللحظة، مسؤولية إدارتها. أمام المؤتمر العام والمجلس التنفيذي. مسلحا بحسن الإرادة والتصميم.

وثقوا أيها السادة أني منذ هذه الساعة التي طوقتموني فيها بثقتكم الإجماعية التي اعتز بها كل الاعتزاز. لن يطبع سلوكي داخل هذه المنظمة إلا اعتبار خدمة بلدانكم جميعا بدون تمييز. لأكون بذلك جديرا بثقتكم وخليقا بتحمل المسؤولية التي اعتبرتموني. سلفا. أهلا للقيام بها.

أيها السادة.

ليس من المجازفة القول أن اجتماع المؤتمر العام التأسيسي للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في مدينة فاس التي برزت منذ ما يناهز إثنى عشر قرنا معقلا من معاقل الإسلام ومهدا من مهود حضارته الفكرية هو حدث تاريخي غني بالدلالات وبالغ الأهمية.

فالمؤتمر الإسلامي يأخذ من اليوم بعدا جديدا يضاف الى ابعاده ويخطو خطوة عملاقة بانطلاق هذه المنظمة التي ستتعاون مع نظيراتها من المنظمات المتخصصة الدولية والجهوية وستستفيد من خبراتها.

ستنفتح بهذه المنظمة لدول العالم الإسلامي وللمسلمين حيثما وجدوا رابطة جديدة من أقوى الروابط الفامة لتضامنهم إن لم تكن أقواها. إذ بها سيتأكد ويقوى التضامن الإسلامي السياسي عبر التواصل الفكري والتلاحم الثقافي ليتجذر في أجزاء العالم الإسلامي. وبها سيتحقق بين شعوب الإسلام تفاهم أقوى. لحمته وسداه آصرة الفكر الثابتة الصلبة النابعة من معين الإسلام الصافي الذي لا يغور ولا ينضب.

وعلى هذه القاعدة الراسخة الجذور سيركز العالم الإسلامي هويته الروحية الحضارية ومركزه عبر القارات التي تحتضن تراثه الإنساني.

وإن حضارة الإسلام التي كانت وما تزال ذات بعد عالمي شمولي. ظلت من صنع دولكم وشعوبكم جميعا. ولئن كان العرب رائدي الدعوة الإسلامية وحاملي مشعلها منذ انطلاقها من مكة والمدينة. فإن التراث الإسلامي الفكري أثرى بما حفلت به الشعوب التي دانت له من تربية وعلوم وثقافة. وما ازدهر فوق أرض الإسلام وفي كنفه من رسوم وآثار ومعالم وحضارات متميزة كانت روافد الحضارة الإسلامية في مفهومها الواسع.

لقد امتد هدي الإسلام على ثلاث قارات، وتفتحت له أذرع ثلاث إمبراطوريات في آن واحد ، فمن آسيا الوسطى الى قلب افريقيا. ومن جزر الفلبين وأندونيسيا ومالديف والهند والسند (باكستان اليوم) الى أوربا المسلمة انقادت لرسالته الروحية والفكرية الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية. والامبراطورية الساسانية الفارسية. والامبراطورية الفيزيغوطية الاسبانية.

ولم ينتصر الإسلام عبر هذه الإمبراطوريات لا بالسلاح ولا بالتكنولوجيا. وإنما بقوة رسالته الروحية وإشعاع حضارته الفكرية التي تقبلتها شعوب العالم تلقائيا لأنها وجدت فيها البديل الصالح لأوضاعها المجتمعية المهترئة.

وإذا كان تاريخ الإسلام قد ابرز كمهد لحضارته أسماء مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وفاس وقرطبة وغرناطة والأستانة فإن الفكر الإسلامي

برز أيضا من دلهي ولاهور وكابول ومن بخاري ونيسابور وسمرقند. ومن كولخ وزنجبار وبلاد التكرور.

والتراث الإسلامي مدين بوجوده وازدهاره للمسلمين. من غير العرب والعرب.

إنه عمل أبي حنيفة من كابول. وابن حنبل المروني. ومحمد البخاري ومسلم النيسابوري. والفارابي. والرازي والخوارزمي. والفردوسي. وابن سينا والغزالي. وعمر الخيام. والشهاب السهروردي. وأحمد السرهندي. وولي الله أحمد الدهلوي. ومحمد بن صفدر الأفغاني المشهور بجمال الدين. والافريقيين عبد الله البرنوي وإسحاق الكانومي. وأبي الأعلى المودودي. وما أكثرهم.

كما هو عمل أبي القاسم الزهراوي. وابن باجة. وابن العربي. والإدريسي. وابن طفيل. وابن رشد وابن جبير. وابن تيمية. وابن بطوطة. وابن خلدون وما أكثرهم.

وكان الإسلام في عطائه ومده سخيا كما كان بالمقابل مستفيدا متفتحا على الأخذ والاقتباس ساعيا للبحث عن الحكمة ضالة المومن ولطلب العلم ولو بالصين. فترجم بدون تعصب ولا حكم سابق أرسطو. وجالنوس. وأفلاطون. وبطليوس وأقليدس وأرخميدس جاعلا بذلك من تراثه رصيدا متفاعلا مع الحضارات والألوان الفكرية على اختلافها.

واليوم وقد استعاد عالم الإسلام مكانه بعد انحسار الاستعمار. فإنه مدعو للاضطلاع من جديد برسالة الإسهام في الحضارة العالمية والتفاعل معها. وهذا هدف من أهم أهداف المنظمة الإسلامية التي تنطلق اليوم.

أيها السادة.

منذ عدة سنوات يقوم بين جزئي العالم شماله وجنوبه حوار ما يزال يتلمس طريقه للاهتداء الى تحديد أسس كفيلة بإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد.

ورغم تعدد اللقاءات التي تجاوزت الألفين ما تزال الحواجز القائمة بين الطرفين المتحاورين تسد المنافذ الموصلة الى تفاهم حقيقي بين عالم متقدم مصنع غني في الشمال وآخر نامي فقير في الجنوب يحمل اسم العالم الثالث ويحمل جزء منه أفقر اسم العالم الرابع. وضمن الجنوب يوجد عالمنا الإسلامي ولو أن بعضه يتوفر على مصادر الثروة الطاقية ومواد الإنتاج الأولية.

وضمن هذا الحوار ارتفع صوت طائفة من أعلام الفكر في العالم الثالث داعيا الى توجيه الحوار في مجراه الطبيعي بتعميق دراسة مشكل الفجوة القائمة بين الشمال والجنوب. والنفاذ الى جميع مقومات المشكل. وقد ابرز هؤلاء بحق ارتباط التنمية الاقتصادية بالتنمية الثقافية على أساس أن جدلية التنمية تقضي بازدواج النمو الاقتصادي والازدهار الفكري. فإقامة نظام اقتصادي عالمي جديد لا بد أن تمر بإقامة نظام ثقافي عالمي جديد طالما أنه لا تنمية اقتصادية بدون تنمية الإنسان فكريا.

والخطوة الأساسية التي تعطى لهذا الحوار فرص الاستمرار والاثمار هي أن يجري المتحاوران حوارهما بروح التكافؤ التي تقتضي أن يتخلى الشمال المتقدم ماديا عن اعتبار حضارته القدوة والنموذج الوحيد الصالح للعيش. وأن يتابع الحوار بدون مركب استعلاء. كما أن على الجنوب أن يبرز مواهبه المكبوتة ويقدم الصورة المشرقة لتراثه دون مركب نقص ليمحو بها من الأذهان الصورة الممسوخة التي دأب الاستعمار على تقديمها عنه وعن تراثه.

لقد كان الإسلام أيضا ضحية للتشويه والمسخ والتحريف من قبل المستعمرين وخصومه الذين كانوا يقدمون عنه وعن تراثه صورة مشوهة بدافع البغض والتعصب والتخوف غير المشروع من رسالته حين كان لا يملك وسائل الاعراب والتبليغ أي وسائل الدفاع عن النفس. وقد آن الوقت ليكشف الإسلام عن وجهه الحقيقي الممتلئ إشعاعا ونضارة ليمحو تلك الصورة الزائفة.

أيها السادة،

إن رسالة الإسلام عالمية والفكر الإسلامي يدعو بجانب الأديان والحضارات الأخرى للإسهام في إصلاح الإنسان وتقويمه دون تعصب ولا انغلاق. بل بروح السماحة التي تميز بها كرسالة سماوية وإنسانية كذلك.

وإذا ما عاد الإسلام إلى أصالته واستقى من ينابيعه الأولى، فإن ذلك لا يعني انكماشه على نفسه ولا انحباسه في الماضي، وإنما يعني تجديد شباب الأصالة حتى يظل الإسلام نمطا صالحا للحياة، وحتى تبقى رسالته ذات وجه انساني حضاري متطور ومتجدد، طالما أن الإسلام يزدهر باستمرار الحركة وقد حث عليها، ويداوم العمل إذ ليس للإنسان إلا ما سعى، وبذلك فالفكر الإسلامي وهو يعود الى الأصالة يصرف عمله في الحاضر والمستقبل لا في الماضي، ولا يمكن وهو يرتبط بالإسلام أن يكون لا حالما ولا متقاعسا وبالأحرى أن يكون متحجرا أو جامدا أو منغلقا حقودا.

والإسلام دين الوسط، ونتيجة لذلك فلابد أن تكون تربيته وعلومه وثقافته مستهدفة التوفيق بين متطلبات حياة الإنسان المادية وتطلعاته المعنوية، وبذلك فله دور مرغوب في القيام به للمساهمة في بناء النظام العالمي الجديد على صعيدي التنمية الاقتصادية والتنمية الفكرية، ليقدم بذلك مساهمة إيجابية في صنع حضارة أسمى إنسية من الحضارة الصناعية المادية التي استبعدت الروحيات فحولت الإنسان من حيوان ناطق أو قصبة مفكرة الى مجرد أداة إنتاج، ثم أخذت تستبعد الإنسان فتعوضه بالإنسان المتحرك أو «الإنسان الروبو» كما يقال عنه.

وإذا كانت الحضارة الصناعية المادية قد اخصبت معاش البشرية بعطاء مادي زاخر، فقد اقحلت روحها بما سببت للمجتمعات الموغلة في التقدم أمراضا مادية مستعصية عن الدواء رغم تقدم العلوم والمعارف، أكثريتها ناتجة عن داء القلق الذي يولده وينميه في إنسان تلك المجتمعات الطغيان المادي والفقر الروحي.

ومن هذه المجتمعات المصابة في روحها وجسمها تسربت اشعاعات مؤذية حتى الى العالم النامي تحمل معها من الأفكار ما يفجر حركات الشك والانكار وهدر القيم وكل ما يجعل شباب العالم الثالث في تساؤلات دائمة لا يهتدى في شأنها الى جواب عن المستقبل والمصير.

ويواجه العالم الثالث هذه الانعكاسات لأنه يعيش إما على فراغ روحي تعاني منه أغلبية شعوبه وإما لأن نخبته تعيش بأدمغة مستوردة، أو مزروعة فيها بفعل المستعمر السابق، ذلك لأنه أريد لجنوب العالم أن يظل سوقا للاستهلاك الثقافي كما أريد له أن يظل سوقا للاستهلاك الثقافي كما أريد له أن يظل سوقا للاستهلاك الاقتصادي.

من أجل ذلك لابد أن يقبل الشمال هذه الحتمية، أن يصبح العالم الثالث منميا لعلومه وثقافته وتربيته دون أن يقتصر على استهلاك حصيلة الفكر الآخر، وأن يوضع حد للاستلاب الثقافي الذي يفضي الى التقليد والمحاكاة وبالتالي الى جميع أنواع التبعية وما كان الاستعمار يهدف لغير ذلك حين فطم، من جهة شعوبنا من ثقافتها وألوان حضارتها الأصلية ووأد صورها المشرقة، وجعل من نخبتنا التي كونها، من جهة أخرى، رهائن سجينة في تفكيره ومنطقه.

وهذا ما يجب أن نستحضره داخل هذه المنظمة الإسلامية أثناء تخطيطنا للتربية والعلوم والثقافة داخل العالم الإسلامي، على أن يتناسق ذلك في نفس الوقت مع مواصلة السعي للاستفادة من تجارب الغرب وحضارته والأخذ من ينابيع تراثه وامتلاك تكنولوجيته لا بمجرد نقلها للاستهلاك، ولكن بالتسلح بالمعرفة الضرورية والتقنية اللازمة للتحكم فيها والسيطرة عليها.

إنها لرسالة رائعة ومهمة مثيرة للحماس هذه التي تضطلع بها هذه المنظمة الفتية لخدمة شعوب الدول الإسلامية على الصعيد العلمي والفكري ومن أجل تحقيق التفاهم والتقارب بين جميع الشعوب، فعلى هذه المنظمة ألقى ملوك ورؤساء العالم الإسلامي بأعباء الربط بين قنوات المعاهد

والجامعات، ومراكز البحوث العلمية ودور الثقافة. وبمهمة التواصل بين أعلام الفكر والمسؤولين عن تربية الأجيال الإسلامية. وبأعباء استطلاع حاجات كل بلد إسلامي لتلبيتها جهد المستطاع. واليها يوكل دعم الثقافة الإسلامية ونشرها وحماية استقلال الفكر الإسلامي من عوامل الغزو الثقافي والمسخ والتشويه. ومنها ينتظر وضع المخطط الشامل لما ينبغي أن يقوم عليه مستقبل التربية والثقافة والعلوم في أقطارنا الإسلامية. كما ألقى اليها بالعمل على توسيع نطاق التبادل الفكري بين أجزاء العالم الإسلامي من جهة، وبينه وبين أجزاء العالم الأخرى، إذ ليس للثقافة والعلوم حدود مفرقة.

إن عملها بصفة جامعة هو الربط على صعيد الفكر بين أقطار الإسلام، وتجذير الفكر الإسلامي حيثما وجد المسلم. والتعريف الصادق الموضوعي بوجه الإسلام طبقا لهويته الحقة. والسعي لتلاقح الثقافات العالمية وتفاعلها بوجه العالمية وتفاعلها لتأمين التفاهم بين جميع الشعوب على اختلاف عقائدها وللمساهمة بذلك في إقرار السلم والأمن في العالم. من أجل تحقيق هذه الطموحات أتوجه، من خلال أشخاصكم المحترمين، الى النخبة الواعية في كل بلد اسلامي ، الى رجال الجامعات ومديري البحوث العلمية، الى رواد الفكر بصفة عامة ليتباروا ويتنافسوا في المساهمة في هذا المجهود الضخم، معتبرين المنظمة الجديدة مؤسستهم جميعا. فمن خلال مساهماتهم في اللقاءات المنتظرة التي سيدعون إليها وفي المشاريع التي ستشق طريقها سيساعدون، بعيدا عن البيروقراطية، على تعضيد جهود العاملين المداومين على رأس المسؤولية. إذ مهما تكن جهود هؤلاء، فلن توفي بتحقيق أهداف المنظمة بدون سند النخبة الإسلامية وتعبئتها.

سيدي الرئيس،
سيدي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي،
السادة الوزراء،
السادة رؤساء الوفود،
أيها السادة،

لا بد في ختام هذه الكلمة أن أتولى توضيحا باسمكم أراء لزاما. فأجهر بأن هذه المنظمة لم تنشأ لتكون بديلة عن زميلات لها من المنظمات المتخصصة في التربية العلوم والثقافة. وإنما لتتمم رسالتها وتتعاون معها وأنا مقتنع بضرورة تجنب الازدواجية والتكرار للمبادرات والمشاريع القائمة والتهافت على العمل الواحد وسيكون من سعادتنا أن نستفيد من خبرات منظمة الأونيسكو والإليسكو وسائر المؤسسات التي لها نفس اهتماماتنا. وأن ننسق جهودنا المشتركة بكامل العناية مع جميع المنظمات والمؤسسات العاملة لخير وازدهار التربية والعلوم والثقافة حيثما وجدت.

إن تأسيس هذه المنظمة لا ينطلق من تعصب ولا انغلاق. وإنما ينبثق من روح التعاون والتفاهم والتعايش ومن منطلق سماحة الإسلام التي دسترها القرآن في ميثاق جامع تضمنته آية واحدة. عندما قال الله فيها مخاطبا نبيه : «قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم وإسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.» صدق الله العظيم.



الإلمام بمن وافق حكمه للمغرب استهلال المائة عام

للدكتور عبد الهادي التازي

قبل ربع قرن ظهر لي في أول عدد من «دعوة الحق» (ذو الحجة 1376 = يوليوز 1957 كلمة بعنوان : «حاجة الدعاة إلى مقومات» ومنذ ذلك الحين شدتني إلى «الدعوة» آصرة ظللت أتعهدها طيلة هذه الحقبة من التاريخ، سواء أكنت داخل المغرب أو خارجه. وإني إذ أوثرها في هذه المناسبة برسالتي «الإلمام، بمن وافق حكمه للمغرب استهلاك المائة عام» ليطيب لي أن أشيد بدورها البارز في تعميق الوعي الإسلامي والوطني، وفي إثراء الفكر المغربي والتعريف به خارج البلاد، متمنيا للمشرفين عليها المزيد من التوفيق والوافر من العمر لمتابعة المسيرة...

د. عبد الهادي التازي

تمهيـــد :

لم يكن هناك بالنسبة للعالم الإسلامي، في فجر أيامه، غير أعياد ثلاثة دأب المسلمون على الاحتفاء بها وإيثار أيامها بمظاهر خاصة، تلك عيد الفطر الذي يأتي في أعقاب شهر رمضان المعظم، وعيد الأضحى الذي يأتي مباشرة بعد يوم عرفات حيث يؤدي المسلمون فريضة الحج، ثم يوم الجمعة الذي يكون عيدا ثالثا له حرمته حيث يذر المسلمون بيعهم وشراءهم ويتجهون إلى سماع الخطبة وأداء فريضة الجمعة.

وهكذا فلم يكن هناك ما نسميه اليوم (عيد المولد) أو (عيد الهجرة) أو (عيد أول السنة) ومن ثمة ظلت كتب التاريخ الإسلامي القديمة خالية من كل إشارة تدل على أن الجماعة الإسلامية سواء على مستوى الحكومات أو على مستوى الأفراد، كانت تقوم بإحياء أعياد غير الأعياد الثلاثة

السالفة الذكر... ومن ثمت لم نر ذكرا لها في عهد الأدارسة والمرابطين والموحدين...

إلا أن بعض الجهات الإسلامية لم تلبث أن تنبهت إلى ضرورة الاهتمام بالحدث العظيم الذي يتجلى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم. ولا بد أن المفكرين من المسلمين آنذاك وازنوا بين أيام الإسلام المحجلة ليختاروا منها يوما يكون هو المناسبة... وهكذا وقع الاختيار على حادث ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره طالع يمن على الكائنات البشرية.

ومن الموافقات الغريبة أن نجد أن الاهتمام بالموضوع، بصفة منتظمة، ياتي من المغاربة تقريبا في نفس الوقت الذي أخذ فيه القادة بالمشرق يقيمون احتفالات المولد، هل هو توارد خواطر أم كان مما يدخل في إطار التنافس بين قادة المشرق والمغرب... قد يكون هذا وذاك...

ولقد كانت الجهات التي تنبهت إلى هذه المنقبة هناك أواخر القرن السادس الهجري أسرة بيگتيگين (BEGTEGIN) في شخص زعيمها مظفر الدين كوكبوري (KOKBÜRI) صاحب إربل...

فقد تحدث ابن خلكان في وفياته عن احتفال هذا الملك بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث كان يصل إليه في كل سنة من البلاد القريبة كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون في المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول حيث تتميز الاحتفالات بإنشاء السماع واستعراض سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وإيقاد الشموع الموكبية التي تحمل على البغال، كما تتميز بإطلاق البخور وتقديم السماط للحاضرين...

وقد كان ابن دحية المغربي في جملة الذين حضروا إربل سنة 604 وشاركوا في تلك الاحتفالات وألفوا لمظفر الدين حولها كتاب «التنوير في مولد السراج المنير»...

أما الذين تنبهوا إلى الموضوع في ديار المغرب فهم أسرة العزفي أصحاب سبتة الذين سنوا عيد المولد أواخر القرن السادس في بلاد المغرب وأتوا بزلفى تدنيهم إلى الله وتقرب» على حد تعبير المقري، وقد رأينا أبا العباس العزفي يشرع في تأليف كتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم) الذي ينهيه ولده أبو القاسم.

ولم تلبث هذه المناسبة أن أصبحت في عداد الأيام التي تحفل بها الدولة على المستوى الرسمي في سائر الجهات المشمولة بحكم بني مرين سواء في بلاد المغرب أو الأندلس، وهكذا وجدنا السلطان أبا يعقوب يوسف يصدر ظهيرا (مرسوما ملكيا) شتاء سنة 691 = 1292 في أعقاب جواز العاهل المريني إلى الأندلس لرد عدوان المغيرين على الثغور التابعة للمغرب... وجدناه يشرع الاحتفال بعيد المولد في سائر جهات المغرب ويعتبره يوما رسميا للدولة، تتلقى فيه التهاني من سائر طبقات البلاد، الأمر الذي استمر عليه التقليد إلى اليوم في المغرب الأقصى.

وإذا كانت مجالس الاحتفال بهذه المناسبة قد اصبحت عادية عند بني مرين بفاس... فإنها عند إخوانهم بني عبد الواد في تلمسان أثارت انتباه يحيى ابن خلدون الذي تحدث هو الآخر عن المشاعل التي كانت تحكي الاسطوانات القائمة، كما يحكي عن المباخر الضخمة، ويحكي عن السماع الذي يسترسل إلى آخر الليل علاوات على نصب السماط !!

ولا بد أن نلاحظ أن الدواعي التي كانت وراء إنشاء مثل هذا الاحتفال بعيد المولد لم تكن فقط التعقيب على الشيعة الذين اعتادوا الاحتفال بمولد الإمام علي والحسين، ولكن الأمر يتعلق بتقليد العادة التي جرى عليها المسيحيون في احتفالهم بعيد السيد المسيح وإقامتهم المهرجانات لأجل تلك المناسبة.

إن أهل سبتة أقرب الناس جوارا للمسيحيين وقد تتبع المسلمون دون شك اهتمام ذلك العالم المسيحي بأعياد الميلاد ومطالع العام فقاموا أي المغاربة هم كذلك بسن عيد المولد اجتهادا منهم وتعبيرا عن تشبث المسلمين بدينهم واعتزازهم بنبيهم...

وما من شك في أن أهل (اربل) انطلقوا من نفس المنطلق سيما وهم يحتكون هناك بالمسيحيين من كل جانب... لقد كان الأمر يقتضي ضربا من المنافسات والمفاخرات والمتابعات... ولا بد أن نلاحظ أن فترة التقليد من جانب المسلمين اقترنت باحتفال العالم المسيحي بمطلع القرن الثالث عشر الميلادي الذي اهتزت له المحافل الدينية مما زاد في حماس المسلمين لتشريع منقبة الاحتفال بالمولد.

وعندما كان أسلافنا هنا أو هناك يحتفلون بعيد المولد... كانوا يحتفلون أيضا بذكرى الهجرة التي تعتبر بإجماع المسلمين الحد الفاصل بين عهدين، أفلم نسمع أن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما انطلقت في واقع الأمر عند الأيام الأولى لشهر ربيع الأول التي كانت تصادف أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا وجدوا في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ظرفا مناسبا للاحتفال أيضا بالهجرة والتنويه بها.

وعندما أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحساب الهجرة من اليوم الأول من المحرم وليس من ربيع الأول، فإنه كان يعرف أن نيته وعزمه صلى الله عليه وسلم على الهجرة كانت ابتداء من أول المحرم أي قبل شهرين من تنفيذ الخطة، واختيار عمر رضي الله عنه يأخذ بإشارة القرآن الكريم إلى «أول يوم» في حياة المسلمين عندما تحدث القرآن الشريف عن المسجد الذي أسس على التقوى بدار الهجرة، وقد نص ابن خلكان على أن بداية الاحتفال بالمولد كانت تنطلق من المحرم...

وهكذا رأينا أن الاحتفال بعيد المولد لم يلبث أن هدى الناس جميعا إلى الاحتفال باليوم الأول من السنة الهجرية، لأن المناسبتين متلازمتان، ومعنى هذا أن أسلافنا الذين قلدوا المسيحيين في الاحتفال بعيد الميلاد كانوا يقلدونهم أيضا في الاحتفال بمطلع السنة، ولم يجد العلماء في هذه «البدعة الحسنة» من بأس ما دام القصد إلى أن يتخذ المسلمون من هذه المناسبة فرصة للتأمل واستعراض التاريخ...

وقد رأينا ونحن نعيش استهلال القرن الخامس عشر الهجري أن نسهم بهذه المناسبة بتقديم ومضات سريعة عن الشخصيات الخمس عشرة التي صادفتها مطالع القرون الهجرية وهي تحكم بأرض المغرب تذكيرا واعتبارا سيما وفي تلك الشخصيات من كان بعيدا عن مناخ المغرب وفيها من ورد عليه من المشرق وفيها من كان يسير في ركب الفاطميين بالمهدية أو في ركب الأمويين بقرطبة، ولو أن جلها أي تلك الشخصيات ينتمي لصميم الصحراء المغربية على ما نراه منذ ظهور المرابطين إلى العلويين...

1) هرقل : (هيراكليوس)
610 م - 641 م
12 هـ - 20 هـ
كان اليوم الأول للقرن الهجري الأول،
هو الجمعة الموافق 16 يوليه 622

اعتلى القيصر هرقل عرش بيزنطة عام 610 ميلادية، واستمر حتى 641... كانت المقاطعات البيزانطية في افريقيا تحت حكمه - ومنها المغرب الأقصى وجزر الباليار، وكانت تنعم على عهده ببعض الهدوء والرخاء.

بيد أنه لم يلبث أن أخذ يواجه الصراع الذي شب في الشمال الإفريقي حيث أعلن البطريق كريكوريوس الثاني، الذي تسميه المصادر التاريخية العربية : «جرجير» ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم. وهكذا انفصل كريكوريوس عن قيصر بيزنطة، واستبد بالشمال الإفريقي بسبيطلة (جنوب غربي القيروان)... قبل أن تجهز عليه طلائع الفتح الإسلامي...

وهرقل ذلك هو الذي بعث إليه نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم بدحية الكلبي في مطلع السنة السابعة من الهجرة (مايه 628) يحمل رسالته التاريخية المشهورة التي تدعوه إلى اعتناق الإسلام. في أعقاب حروبه مع ملك الفرس.

وهكذا رأينا أنه عندما كانت السنة الأولى للهجرة، كان المغرب تحت حكم هرقل... وكان واليه على البلاد هو كريكوريس أو جرجير.

وعلى ذكر خطاب النبي إلى هرقل، نذكر أن الناصر الموحدي آل إليه ذلك الخطاب... كما نذكر أن السلطان مولاي إسماعيل ابن مولاي الشريف ملك المغرب (1082 - 1139 = 1671 - 1727) عندما كانت علاقاته جيدة بلويس الرابع عشر ملك فرنسا كان ينسبه إلى هرقل عظيم الروم «الذي كتب له جدنا وسيدنا عليه الصلاة والسلام» ولكنه عندما توترت العلاقات ذات يوم مع ملك فرنسا بسبب محاصرته الثغور المغربية (سنة 1114 = 1702) قال له السلطان مولاي إسماعيل :

«ما أنت من ذرية هرقل على كل حال بإجماع الأجناس ولكنك من ذرية جرجير الذي كان بافريقية وقتله عبد الله ابن الزبير»!!

2) عمر بن عبد العزيز
718 م - 720م
99 هـ - 101 هـ
كان اليوم الأول للقرن الهجري الثاني، هو
الإثنين الموافق 24 يوليه 719

تولى الحكم بعد سليمان بن عبد الملك ابن مروان بعهد منه فبويع في مسجد دمشق (69 - 101هـ = 720).

وإلى هذا الرجل الجليل يرجع الفضل في بث الإسلام بين أهل المغرب وتفقيههم في دينهم، حيث وجدناه يعهد إلى بعثة تتألف من عشرة من التابعين بهذه المهمة... كان من هؤلاء حبان ابن أبي جبلة.

وقد اختار واليا عنه على بلاد المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر فقدم القيروان سنة مائة، وكان خير أمير وخير وال... كان لما ورثه عمر بن عبد العزيز عن عمر ابن الخطاب من جهة أمه، أثر «في حسن سيرته فجدد ما بلى من الدين ونهض بالعلم بعد خمود وعمل على إصلاح طائفة من المرافق...

وهكذا وجدناه يعيد العمل بالشورى ويقرب العلماء ورجال الصلاح للأخذ برأيهم في أمور الملك.

كما رأيناه ينصف طوائف الأمة على اختلاف أجناسها وآرائها وعقائدها فقضى بذلك على الفتن والتشنجات الداخلية.

وقد كان مما قام به من إصلاحات تخفيف الضرائب على الناس.. وعندما استأذنه واليه على مصر في أن يفرض الجزية على من أسلم أجابه قائلا : إن الله إنما بعث محمدا هاديا ولم يبعثه جابيا.

ومما قام به اهتمامه بتدوين العلوم ونشرها وعدم تفرقته في ذلك بين العلوم الشرعية وغيرها.

كما اهتم بتدوين علم الحديث الذي كاد أن يتعرض للتلف. ومما اهتم بنشره من العلوم علوم الحكمة من الطب وغيره، فقد عنى بنقلها إلى اللغة العربية وكان يقرب إليه بعض المشتغلين بها.

ويكفيه مفخرة أنه ضرب بعدله مثلا لمن أتى بعده من الملوك والحاكمين...

3) إدريس بن إدريس
804 م ـ 828م
188 هـ ـ 213 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثالث، هو الأربعاء الموافق 30 يوليه 816

يعتبر إدريس بن ادريس من الأمراء الأوائل الذين تقلدوا منصب المسؤولية، ولما يمض من عمره زهاء عشر سنوات وذلك في أعقاب اغتيال والده من طرف العباسيين...

وفدت عليه وفود العرب من افريقية والأندلس نازعين إليه ملتفين حوله، فاستوزر عمير بن مصعب الأزدي. وتعبيرا منه عن مناصرته للمذهب المالكي أسند القضاء لعامر بن محمد بن سعيد القيسي الذي سمع من مالك بن أنس...

والى ادريس هذا يرجع الفضل في بناء مدينة فاس 192 = 808 التي تعتبر الحاضرة الأولى للإسلام بالمغرب الأقصى، والتي ظلت «دار علم» كما أراد لها ادريس، منذ اليوم الأول.

وقد صادفه مطلع القرن الهجري الثالث في مدينة تلمسان يدير أمرها ويصلح أحوالها بعد أن كان قد قضى على من بقي هناك من المناوئين

وقد قال أبو مروان عبد الملك الوراق : دخلت مدينة تلمسان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، فرأيت في رأس منبرها لوحا من بقية منبر قديم قد سمر هناك مكتوبا عليه : «هذا ما أمر به الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم في شهر المحرم سنة تسع وتسعين ومائة.»

4) يحيى بن إدريس بن عمر
905 م ـ 944م
292 هـ ـ 332 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الرابع هو السبت الموافق 7 غشت 913

ولى سنة 292 وتوفي بالمهدية (تونس) 332، كان يحيى هذا أعلى بني إدريس قدرا وأوسعهم ذكرا وأكثرهم عدلا، وأغزرهم فضلا وأبعدهم ملكا على حد تعبير المؤرخين، وكان إلى جانب هذا فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان، بطلا شجاعا ذا صلاح وورع ودين. قال علي النوفلي : كان يشهد مجلس يحيى هذا، العلماء، والشعراء، وكان أبو أحمد الشافعي من جلسائه وممن يتكلم عنده في العلم، وكان ينسخ له عدد من الوراقين، وهو أول ملك واجه عنت الفاطميين الذين تاقت مطامعهم إلى الاستيلاء على المغرب الأقصى، الأمر الذي أدى ـ بعد الاصطدامات المسلحة ـ إلى قبول الأمير يحيى لمبايعة عبيد الله المهدي وقبوله كذلك أن يقتصر حكمه على مدينة فاس وأعمالها، في حين تنازل فيه لموسى ابن أبي العافية على ما سوى المدينة، وذلك بمقتضى عقد مع مصالة قائد عبيد الله المهدي وابن عم ابن أبي العافية.

وقد استطاع الأمير يحيى ـ وهو في هذا الموقف الحرج الدقيق ـ أن يحافظ، بفضل سياسته ولياقته، على ما يمكن الحفاظ عليه بالرغم من تعنت عملاء الفاطميين... بيد أن هذه المجاملات لم تدم فقد تنكر الفاطميون ليحيى ونكبوه قبل أن يدركه أجله منفيا في المهدية...

5) المعز بن زيري ابن عطية
1001 م - 1026 م
391 هـ - 417 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الخامس هو الثلاثاء الموافق 15 غشت 1010

ولي المعز هذا بعد وفاة والده زيري ابن عطية باني مدينة وجدة ولقد سلك نفس سياسة والده وبايع عبد الملك ابن المنصور ابن أبي عامر الذي رأيناه يبعث له بعهده على فاس وسائر أعمال المغرب حواضره وبواديه، وذلك سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة.

وقد صادف مطلع القرن الخامس تنصيب عبد الرحمن بن المنصور ابن أبي عامر في أعقاب وفاة أخيه عبد الملك، حيث وجدنا المعز بن زيري يبعث بهدية نفيسة تحتوي في جملة ما تحتوي عليه، على خمسين فرسا وكانت هذه فرصة لكي يقوم عبد الرحمن بإرجاع الأمير معنصر بن المعز الذي كان رهينة لدى البلاط العامري...

وكانت مناسبة أيضا ليخلع على الولد وعلى السفراء الذين وردوا بالهدية من ضروب التكريم... الأمر الذي نال مناله من المعز، حيث قام بجمع كل الجياد التي كان يتوفر عليها ليبعث بها إلى قرطبة، وقد وصل عددها إلى تسعمائة فرس، ولم تصل من المغرب إلى الأندلس هدية أعظم منها على ما تقول المصادر التاريخية المغربية.

6) علي بن يوسف بن تاشفين
1107 م - 1143 م
500 هـ - 537 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري السادس هو الخميس الموافق 22 غشت 1107

بويع أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أوائل محرم سنة خمسمائة بعهد من أبيه إليه... فسلك طريق والده العظيم بطل الزلاقة، وملك من البلاد ما لم يملكه سلفه، لأنه صادف البلاد ممهدة والأموال وافرة والرعايا آمنة، من تخوم السودان إلى جنوب أوروبا إلى حدود النيل

وقد دشن حياته في الأندلس بجولات عظيمة أقضت مضاجع الفرنج... وقد ظل على صلة ولاء بالخلفاء العباسيين في بغداد على نحو ما كان عليه والده، ونظرا لوفرة المراسلات مع الخلفاء فقد لاحظ أن مطالع الشهور تختلف في المغرب عنها في المشرق، الأمر الذي حدا به إلى طرح موضوع توحيد التاريخ الهجري على رجال الاختصاص الذين أدلوا بفتاويهم في هذه النازلة التي يتجدد الحديث عنها كل عام !

وقد قام أمير المسلمين علي بن يوسف بحركة واسعة لإعادة بناء جامعة القرويين في مدينة فاس وما يزال اسمه منقوشا في أعالي قبابها على مقربة من المحراب... حيث نقرأ بين الأفاريز التي تحيط بالقبة المستطيلة هذه الكلمات : «أمر بعمله، عن أمر الملك العادل الآمر بالخير والفضل أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين أدام الله له أسباب التأييد والتمكين، الفقيه المشاور الأجل الإمام القاضي الأفضل أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن معيشة الكناني... وكان إتمام ذلك كله في سنة إحدى وثلاثين وخمس مائة».

وقد عرفت الحركة العلمية على عهده نشاطا كبيرا تجلى في عدد المفكرين والقضاة والفقهاء الذين كانوا يتجولون عبر قواعد الإمبراطورية المغربية الفسيحة الأرجاء.

7) الناصر بن يعقوب المنصور
1199 م - 1214 م
595 هـ - 610 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري السابع هو الأحد الموافق 29 غشت 1204

بويع لمحمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب

المنصور الموحدي، ثم جددت له البيعة بعد وفاة الوالد يوم الجمعة 22 ربيع الأول سنة 595.

ولم يلبث أن تحرك نحو بلاد افريقية لإرجاع المنشقين إلى جادة الصواب. وقد اصبح كالشأن في والده، لا يقول بالولاء لرسوم الخلافة في بغداد، لأنه كان يرى أن الخلافة أصبحت مفتتة في يد الأعاجم، ولهذا فقد قصد الجهات المنشقة لقطع الخطبة باسم «الخليفة العباسي»، حيث صادفه مطلع القرن السابع هناك على أبواب المهدية بأسطوله وعتاده، ومن هنا فوض لوزيره أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص حكم تونس.. فكان هو جد الملوك الحفصيين..

وبعد عودته إلى بلاد المغرب والمقام قليلا تناهت إليه الأخبار عن تطاول ألفونصو في الأندلس، فقرر الجواز إلى تلك الجهة لمناهضة العدوان.

وهنا اهتزت بلاد الفرنج لجوازه وتمكن رعبه من قلوبهم، وكتب إليه أكثر أمرائهم يسألونه السلام ويناشدونه الأمان ويطلبون العفو... ووفد عليه منهم ملك بيونة (BAYONNE i) التي كانت تحت التاج الإنجليزي على ذلك العهد، ويذكر صاحب كتاب «روض القرطاس» أن ملك بيونة قدم بين يديه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي بعث به إلى هرقل يستشفع به...

ومن الطريف أن نقرأ في المصادر الإنجليزية القديمة عن سفارة بعث بها يوحنا ملك إنجلترا وشقيق الملك قلب الأسد إلى الخليفة محمد الناصر 608 = 1212 بعد بضع سنوات من بناء جامع حسان، يستصرخ به عندما تحرج موقفه، فقد تألب عليه الأشراف ورجال الدين والأهالي وزاد الطين بلة أن البابا كان قد حكم عليه بالحرمان الكنائسي قبل ذلك بثلاث سنوات..؟! وأطرف من ذلك أن نرى الملك جوهن يعرض على الخليفة الموحدي، كدليل على الامتنان، أن يعتنق العاهل الإنجليزي الإسلام هو وسائر أفراد رعيته !!

8) يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
1286 م ـ 1306 م
685 هـ ـ 906 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثامن هو الأربعاء الموافق 6 شتنبر 1301.

بويع في أعقاب وصول الأخبار بوفاة والده في قصره بالجزيرة الخضراء من الأندلس 22 محرم فاتح 685، حيث التحق يوسف بالمدينة المذكورة وهناك جددت له البيعة قبل أن تنقل الجثة إلى شالة بظاهر مدينة الرباط...

واجه هذا العاهل مشاكل الحركات الانفصالية التي ظهرت في المغرب الأوسط، كما عاش تناقضات بني الأحمر في الأندلس حيث وجدنا سلسلة من الاصطدامات والمصالحات بين هؤلاء وأولئك...

كما شاهدنا طائفة من الاجتماعات على مستوى عال بين الحكام، سواء في الأندلس أو ايالات المغرب، ولكن النتائج لم تلبث أن ذهبت أدراج الرياح...

وقد شهد مطلع هذا القرن وجود السلطان أبي يعقوب يوسف في معسكره يحاصر آل يغمراسن في تلمسان، حيث كان يسير من هناك أعمال الدولة، ومن ثمة أيضا واصل اتصالاته بديار المشرق حيث بعث بركب الحاج المغربي في حامية تناهز خمسمائة فارس ووجه خطابا إلى صاحب الديار المصرية الملك الناصر محمد بن قلاوون واتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة... ظلت هذه السفارة حديث المجالس وقد أجاب عنها صاحب مصر بعدد من الهدايا المطرفة كان فيها الفيل والزرافة.

وقد سجل عهد يوسف بن يعقوب أول صلة مباشرة للمملكة المغربية بشرافة مكة، في أعقاب التنافس الذي شب بين أبناء الشريف أبي نمى الأول، حيث رأينا

العاهل المغربي يبذل مساعيه الحميدة لتطويق الخلاف بين صاحب مصر وبين أشراف الحجاز.

والى يوسف هذا يرجع تاريخ الظهير الذي صدر إلى سائر عمال المغرب بإقرار الاحتفال بعيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم أواخر القرن السابع. هذا الاحتفال الذي يعتبر في الواقع احتفالا بمطلع العام والقرن الهجري وكان بنو العزفي أصحاب سبتة قاموا في مطلع القرن بسن تلك العادة واتخاذ ذكراها مناسبة للإشادة بنبي الإسلام عليه السلام كما قلنا.

9) أبو سعيد بن أبي العباس

1398 م ـ 1420 م

800 هـ ـ 823 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري التاسع هو الجمعة الموافق 13 شتنبر 1398.

صادف ظهور هذا القرن تغير الأحوال بالمغرب. فقد طويت طائفة من محاسن العمران وتقلص ظل عدد الدول وفل حدها ووهن سلطانها وتداعت أحوالها وخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل. وكأنما نادى لسان الكون في العالم بالخمول والانقباض.!!

في هذا الجو بويع السلطان أبو سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم.

بويع يوم 30 جمادى الثانية سنة 800 = 1398 بيد أن النقض والإبرام كان بيد الوزراء والحجاب..! وكان من أكبر حجابه أبو العباس القبائلي وفارح بن مهدي وأبو محمد الطريفي. وعبد العزيز الملياني ومن وزرائه صالح الياباني ويحيى الهسكوري. ومن كتابه الأديب ابن أبي دلامة ومن قضاته عبد الرحيم اليزناسني...

وقد تعرضت مدينة تطوان في عهد أبي سعيد هذا إلى عملية انتقامية من الجيش الإسباني... كما أن مدينة سبتة استهدفت هي الأخرى لعملية غدر في قصة مثيرة. فلقد شاهدنا «النصارى يأتون بصناديق مقفلة يوهمون أن بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين... وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا يقدر عددهم بأربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة واستولوا على الثغر. حيث وجدنا أهل المدينة يتطارحون على السلطان عبد الحق بن أبي سعيد راجين المساعدة...

«ياملكا قد صان بيضة مغــــرب
بضوارم وصوارم وجنـــــــود
هتك النصارى علينا حرمة سبتـــة
غدرا بنقض مواثق وعهــــود» !

ولم تزل مدن المغرب ترتدي المسوح والنعال السود ونسوان المنطقة يجعلن على رؤوسهم (شمريرا) وهي قبعة من الدوم تعبيرا عن الحزن...

10) أبو عبد الله محمد الشيخ

1472 م ـ 1505 م

876 هـ ـ 910 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري العاشر هو الموافق 21 شتنبر 1495.

بعد تزعمه في مدينة أصيلا. طمحت نفسه للاستيلاء على فاس العاصمة التي كانت قد استنامت إلى شريف إدريسي هو محمد بن علي العمراني الجوطي...

ولقد عقد محمد الشيخ اتفاقية هدنة مع البرتغال تمكن بواسطتها من التصدي لبسط نفوذه على باقي المدن المغربية. وهذا الأمير هو محمد الملقب بالبرتغالي نظرا للفترة التي قضاها بالبرتغال.

وقد شهدت أيام أبي عبد الله محمد الشيخ استيلاء الملكة إيزابيلا عاهلة اسبانيا على حمراء غرناطة حيث وجدنا أميرها السابق أبا عبد الله ابن الأحمر يقدم على أبي عبد الله محمد الشيخ بعد أن خاطبه بقصيدة طويلة من نظم العقيلي. موصولة برسالة طويلة. وقد استهلت القصيدة هكذا :

مولى الملوك ملوك العرب والعجم
رعيا لما مثله يرعى من الذمم

بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن
جار الزمان عليه جور منتقم.!!

كما شهدت أيام محمد الشيخ كذلك استيلاء البرتغال على ساحل البريجة حيث شيدوا مدينة (الجديدة)... وشهدت استيلاءهم كذلك على بعض سواحل السوس، حيث بنوا حصن فونتي على مقربة من أگادير... وكانوا يمنون أنفسهم بالبقاء في هذه المواقع قبل أن تداهمهم طلائع الدولة السعدية.

11) أحمد المنصور الذهبي
1578 م - 1603 م
986 هـ - 1012 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الحادي عشر هو الخميس الموافق 8 أكتوبر 1592.

تولى أبو العباس أحمد المنصور الخلافة في ساحة الحرب بموقعة وادي المخازن أو معركة الملوك الثلاثة، حيث كان مصرع دون سباستيان ملك البرتغال، وكانت وفاة السلطان مولاي عبد الملك ملك المغرب، ومقتل الأمير محمد الملقب بالمسلوخ الذي كان يعضد البرتغال ضد السلطة الشرعية.

ولقد جنى أحمد المنصور ثمرات ذلك النصر العظيم، حيث شاهدنا أن مركز المغرب يتعزز على الصعيد الدولي، وأمكن أن نشاهد العاصمة مراكش تستقبل في قصر البديع عدداً من السفارات الأجنبية من مختلف جهات الدنيا.. وكتبت مئات التقارير بشتى اللغات عن المملكة المغربية، ووجدنا الأرشيفات الوطنية في العواصم الأوربية تزخر بالوثائق الهامة التي تتعلق بالمغرب الذي كان على هذا العهد يمون دول أوروبا بالسكر !!

وبالرغم من أنه كان صديقا للعثمانيين إلا أنه كان حريصا أشد الحرص على استقلال بلاده غير راض إطلاقا بالخضوع للهيمنة التركية، ومن ثمة وجدناه يحتد غضبا إزاء إمبراطورية سنغاي (افريقيا الغربية) التي بلغه عنها أنها ربطت لها صلات في مصر، مع صنائع الدولة العثمانية الذين «فوضوا» لسنغاي النظر في تلك الأقاليم !!

وقد أخذ أحمد المنصور بعد هذا يخطط لمداهمة الممتلكات الإسبانية في أمريكا اللاتينية والهند بقصد إضعافها تمهيداً لتحرير الثغور المغربية في الشمال.

12) إسماعيل بن المولى الشريف
1671م - 1727م
1082 هـ - 1139 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الثاني عشر هو السبت الموافق 15 أكتوبر 1689.

بويع السلطان مولاي إسماعيل في أعقاب استشهاد أخيه السلطان مولاي الرشيد أثناء جولة بالفرس في حدائق قصر البديع بمراكش...

كان على السلطان مولاي إسماعيل أن يطمئن على الأحوال الداخلية في البلاد حتى يتفرغ لمواجهة الأجانب الذين يحتلون بعض الثغور المغربية، كانت الخريطة السياسية للمغرب ممزقة، فلقد صادف ظهور الدولة العلوية الشريفة بقايا السعديين وإمارة الدلائيين في الغرب، وإمارة مراكش وإمارة إيليغ في الجنوب، وإمارة الهبط، وإمارة الريف في الشمال، ومنطقة للنفوذ التركي شرق المغرب ! هذا علاوة على الوجود الإسباني والبرتغالي والإنجليزي في بعض المواقع...

ولكن البلاد ما لبثت أن توحدت، حيث وجدنا العلويين يعملون بشتى الوسائل، سواء منها الدبلوماسية أو العسكرية على تحرير المدن المحتلة.

وهكذا أجلى السلطان مولاي إسماعيل الإسبان عن المعمورة (المهدية) ثم الإنجليز عن مدينة طنجة، وكانت أجمل هدية قدمها مولاي إسماعيل إلى شعبه في مطلع القرن الثاني عشر الهجري (1690) هي تحرير مدينة العرائش التي ظل المغاربة - حدادا عليها - يلبسون النعال السود منذ أن تسلمها الإسبان قبل اثنين وثمانين سنة، وتبع

هذا تحرير مدينة أصيلا. بعد قرنين وربع من الاحتلال البرتغالي، ديوان ضخم من الشعر أشاد بالحادث واتجه إسماعيل لمحاصرة سبتة :

رفعت منازل سبتة أقوالها تشكو إليكم بالذي نالها !

كان السلطان مولاي إسماعيل يمتاز باعتزازه الفائق ببلاده وبدينه... تجلى ذلك في الآلاف من الوثائق التي تزخر بها المكتبات الوطنية في البلاد الأوربية. وفي العشرات من الكتب التي ظهرت منذ ذلك الوقت، سواء باللغة الفرنسية أو اللغة الإنجليزية أو الإسبانية...

لقد كان هناك شبه قوى بين السلطان مولاي إسماعيل بن مولاي الشريف والسلطان أحمد المنصور الذهبي... سواء في بقائه على صلة تامة بالجنوب المغربي أو في تشييد المعالم التي أصبحت تفوق ما بناه المنصور في مراكش !

13) محمد بن عبد الله

1757 م - 1790 م

1171 هـ - 1204 هـ

كان اليوم الأول للقرن الثالث عشر هو الثلاثاء الموافق 24 أكتوبر 1786.

تقلد السلطان سيدي محمد بن عبد الله زمام الأمر في حياة والده وبتكليف منه. وقد جددت بيعته فور وفاة الوالد.

وقد حلق هذا الملك العظيم في حقل السياسة الدولية ووجدناه يتفوق على عدد من القادة العالميين في تفكيره وتقديره للأمور بشهادة الذين اهتموا بحياة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث).

وكما كانت الخطة التي اتبعها جده السلطان مولاي إسماعيل، وجدنا سيدي محمد يقوم بنشاط مزدوج، فهو من جهة على بصيرة بما يدور في العالم الخارجي... الأمر الذي تنطق به كذلك سائر الأرشيفات الوطنية الموجودة سواء في استانبول والعالم الإسلامي أو في القارة الأروبية والولايات المتحدة الأمريكية كذلك.

وهو بالإضافة إلى إنشائه لمدينة الصويرة على المحيط الأطلسي جنوب المغرب وجدناه يتجه إلى تكميل ما ابتدأه جده السلطان مولاي إسماعيل، حيث وجدناه يهتم بتعزيز الثغور المغربية وشحنها بآلات الجهاد، كما وجدناه يقوم بعملية إجلاء البرتغال عن مدينة الجديدة، وبذلك صفى آخر معقل للبرتغال بديار المغرب. وقد قام إلى جانب هذا بحصار مدينة مليلية التي كانت على وشك التحرر لولا عملية غدر خذلته من جانب داي للجزائر !

وقد كان من أبرز مااهتم به سيدي محمد إحياء الأسطول المغربي حيث كان يتوق إلى إنشاء دار الصناعة على نحو ما كان عليه الأمر على عهد الموحدين وجدناه يتخذ من سلا والعرائش مركزين لصنع السفن والمراكب التي بلغت في عهده المئتين على حد تعبير المؤرخين المغاربة وعلى ما تؤكده التقارير الدبلوماسية. وقد كان من تلك السفن «المعونة» التي بلغ عدد بحريتها 330 بحار وبلغت مدافعها أربعة وخمسين مدفعا. وقد استنفر سيدي محمد في مطلع القرن ألف شاب لتدريبهم على خدمة البحر، حيث كانوا يقيمون في طنجة...

ومن جهة أخرى فإنه ليس من قبيل الصدفة أن نجده في مطلع القرن يتخذ قراره بتخصيص بعثة طلابية يناهز عددها 140 ناشئا من أجل تعلم الصنائع الوطنية التي تمثل تراثنا الحضاري حتى لا يتعرض للضياع.

14) الحسن بن محمد بن عبد الرحمن

1873 م - 1894 م

1290 هـ - 1311 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الرابع عشر هو الجمعة الموافق ثاني نونبر 1883.

كان السلطان مولاي حسن يمارس الأعمال في حياة والده الذي كان يستخلفه في كثير من المهام. وهكذا أجمع الناس على مبايعته بعد أن التحق والده بالرفيق الأعلى...

لقد استقبل مولاي الحسن (الحسن الأول) أياما كانت في منتهى الدقة، فالاستعمار الأوروبي يأخذ بمخنق المغرب من جهة الشرق ومن جهة الجنوب والشمال كذلك... والمؤامرات الداخلية ما تنفك تتفاقم بدعم من القوى الخارجية، ولكنه مع ذلك عرف كيف يستفيد من اختلاف الدول الأجنبية لصالح احتفاظ المغرب باستقلاله أكثر ما يمكن من الوقت، ولم يتردد في بث سفرائه عبر العواصم الأوروبية قصد إبلاغها صوت المغرب واقناعها بمطالبه العادلة، وقد نجح في إقناع المجموعة الدولية بالمشاركة في مؤتمر مدريد عام 1880.

وفي مقابلة هذا ظل البلاط الملكي يستقبل السفارات الأجنبية وظل العاهل يحاور سائر الأطراف وهو في كل ذلك حذر يقظ لما يجري من حواليه!!

ولا بد أن نذكر هنا بالمواقف الحازمة التي تميز بها العاهل إزاء الحفاظ على الحدود المغربية وبصفة خاصة في المنطقة الجنوبية، التي كانت تغري بعض الدول الأوروبية بالنزول فيها حرصا على ازدهار تجارتها وتثبيت قدمها!

وأن ما حررته الدبلوماسية المغربية من مكاتبات وخطابات في سبيل تحرير ثغورها ليعتبر حقا من عيون الوثائق الوطنية التي تشهد بالغيرة المغربية الصادقة.

وعندما بعثت اسبانيا في دجنبر عام 1884 بمنشورها إلى الدول الأجنبية معلنة بسط حمايتها على بعض أطراف الشاطئ الأطلسي والصحراء رفض السلطان مولاي الحسن هذا الوضع... مؤكدا حدود الإيالة المغربية «وأما وادي الذهب فإنه بناحية أولاد دليم وقبيلته تسمى العروسيين الذين هم بخدمتنا الشريفة نازلين بنواحي مراكش وفاس، وتسمى عندهم بالداخلة...

وإن من أطرف ما تميز به مطلع القرن الهجري الرابع عشر هو إصدار السلطان مولاي الحسن لرسالة نشرت على أوسع نطاق بين الرعية... وقد كان من أسباب تعميم الرسالة الرد على التدخل في الشؤون الداخلية المغربية من طرف حركة ظهرت في السودان؛ الأمر الذي قد يفسره أيضا تأكيد العاهل على أن حدود المغرب تمتد إلى السودان ذاته..!

وقد أصحبت الرسالة الحسنية بظهائر بتاريخ 1301 تطلب إلى عمال المملكة تعميم الانتفاع بالرسالة في كل الجهات.

15) الحسن بن محمد بن يوسف

1961 م

1380 هـ

كان اليوم الأول للقرن الهجري الخامس عشر هو الأحد الموافق 9 نونبر 1980

لقد رأى فيه جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله مخايل العبقرية فرشحه منذ نعومة أظفاره لولاية العهد، الأمر الذي استقبله الجمهور المغربي بكامل الرضى بالرغم من الموقف المعادي الذي اتخذته السلطات الاستعمارية

كان لوالده العظيم نعم الصاحب في شتى الظروف وخاصة منها ظروف المنفى، وبعد عودة الأسرة المالكة إلى أرض الوطن وتحقيق الاستقلال، عين بتاريخ تاسع يوليه 1957 وليا للعهد بصفة رسمية... وبعد استشهاد الوالد يوم 26 يبراير 1961، في أعقاب عملية جراحية، جددت للأمير الحسن البيعة ملكا على البلاد...

وهناك ظاهرة تميزت بها تربية الأمير، ربما خفيت على البعض، ولكن الملاحظين يولونها أهمية بارزة، تلك أن جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله، «اختار أن يتلقى ولي العهد ما يجب أن يتلقاه من حقول المعرفة داخل البلاد، حتى يمكن جلالة الوالد أن يتتبع عن كثب مراحل تلقي ابنه لمختلف العلوم واللغات، وحتى يظل سمو ولي العهد على صلة كاملة بالواقع المغربي».

لا أجرؤ على القول إنني أستطيع في هذه السطور القليلة تقديم هذا الملك الذي دوى صيته عبر القارات والذي أصبحت كلماته مثلا تضرب في المرويات، وأصبحت توجيهاته حكما تروى بين الناس...

حاولت أن أبرز جانبا من جوانبه لكنها جميعها كانت متوازنة، إنه ينتمي إلى خمسة أحياز كانت هي أصول مآثره وآثاره، حيز القارة الافريقية، حيز العالم الإسلامي، حيز العالم العربي، حيز الفكر العربي وحيز الوطنية المغربية. رأيناه يسهم بحظ وافر في إنشاء افريقيا الحرة... ورأيناه يتزعم العالم الإسلامي والعربي ويتحدث بلسانهما إلى العالم المسيحي. ورأيناه يصل بين قارة وأخرى سمعنا عن مغرب المؤسسات والمنشئات، عن مغرب السدود. وأصبحنا نقرأ في الموسوعات العالمية الحديث عن المسيرة الخضراء على أنها معلمة من المعالم التاريخية.

ونحن نعيش اليوم مع مغرب يتجدد باستمرار في سائر مرافق حياته وما يزال الناس يتتبعون ثنايا الخطاب التاريخي الذي وجهه إلى العالم الإسلامي بمناسبة مطلع القرن الهجري حيث أحيا سنة أسلافه.

د. عبد الهادي التازي

كتاب جديد للأستاذ الباحث محمد بن تاويت

الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى

●● تعززت المكتبة المغربية الادبية المغربية بصدور الجزء الاول من كتاب (الوافي بالادب العربي في المغرب الاقصى) للاستاذ الكبير السيد محمد بن تاويت الاستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس . يقع هذا الجزء في 358 صفحة من الحجم الكبير . وصدر عن دار الثقافة بالدار البيضاء ●

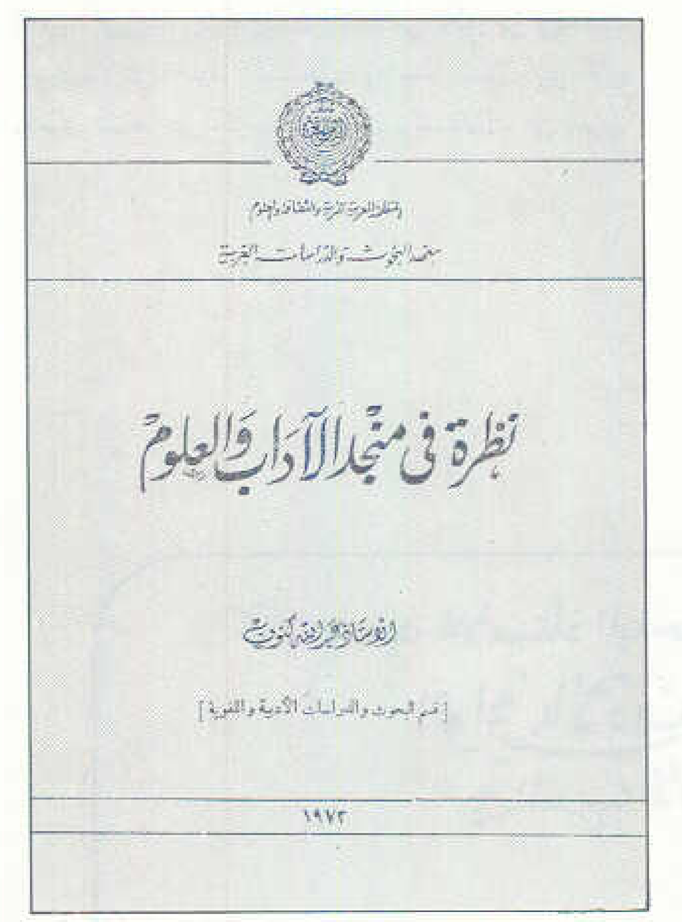
دور دعوة الحق في خدمة الحضارة

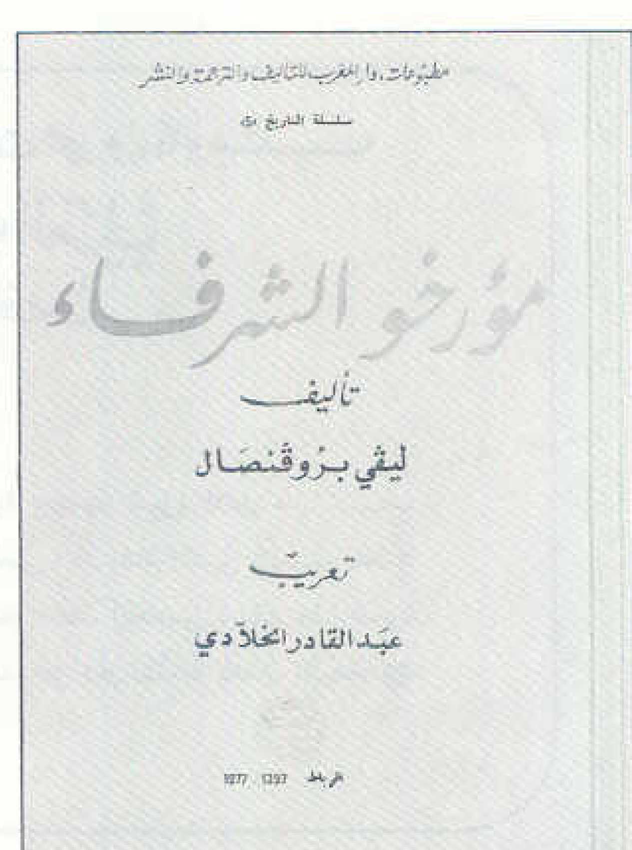
للأستاذ محمد المنوني

بهذا العدد تكون مجلة «دعوة الحق» استوفت ـ من عمرها ـ ربع قرن كامل، فتستقبل الذكرى الفضية لأول دورية مغربية استطاعت الصمود كامل هذه المدة.

ولحسن الحظ فإن الفترة المنوه بها خلفت وراءها إنتاجا مشرفا يتجاوب مع واقع الحياة المعاصرة.

فكان في طليعة اهتمامات المجلة ؛ التعريف بالفكر الإسلامي ؛ قديمه وحديثه ، في دراسات مركزه ساهم في تحليلها جمهرة من أقطاب الأعلام بالمغرب والمشرق.





هذا إلى صفحات لامعة في الدفاع عن واقع المسلمين، انطلاقا من فترة تحرير الجزائر، إلى قضايا فلسطين والصومال وأفغانستان وسواها وسواها..

وكان لبلد المجلة نصيب موفور من اهتمامها، فزخرت بأبحاث معمقة عن تاريخ المغرب وحضارته، إلى تراجم شخصياته، والتعريف بتراثه.

وفي حقل الأدب تضم المجلة ـ بين أعدادها ـ ديوانا عامرا بالمغربيات في مختلف أغراض الشعر، فضلا عن مجموعة ضخمة تستقطب «قصة العدد».

ومن جهة أخرى اهتمت «دعوة الحق» بالترجمة إلى العربية ونشر النصوص المنوعة. وبين هذه وتلك، مؤلفات يتسلسل نشرها - تباعا - ضمن أعداد من المجلة. وسيكون من المفيد الإشارة إلى نماذج من هذه المؤلفات:

1 - بدءا من موضوع **«بين الجمود والجحود»**: لمؤرخ سوس المرحوم محمد المختار السوسي: 10 حلقات.

2 - **«دواء الشاكين وقامع المشككين»**، للدكتور تقي الدين الهلالي - 24 حلقة.

3 - **«نقد مقال العوائق النفسانية للتخطيط»**: للدكتور تقي الدين الهلالي - 16 حلقة.

4 - **«نظرة في منجد الأداب والعلوم»**: للأستاذ عبد الله كنون - 24 حلقة.

5 - **«القاضي أبو بكر بن العربي»**: للأستاذ سعيد أعراب - في 16 حلقة.

6 - **«الوجادات»**: للأستاذ عبد القادر زمامه - في حلقات عديدة لم تنته بعد.

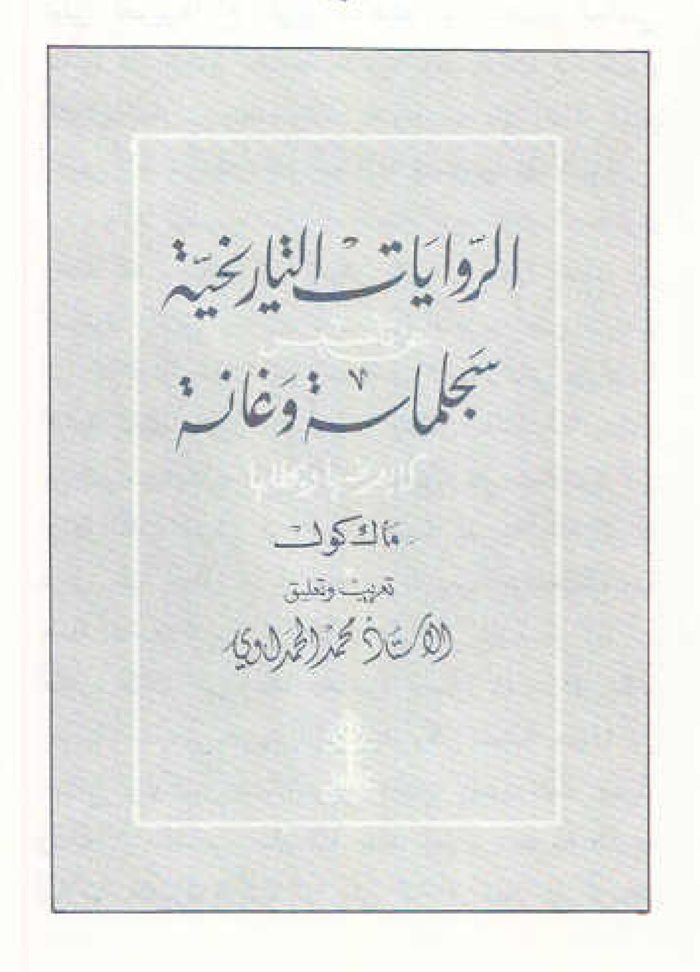
7 - **«الروايات التاريخية عن تأسيس سجلماسة وغانة»**: تعريب الأستاذ محمد الحمداوي - 5 حلقات.

8 - **«الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية»**: للدكتور محمد الأخضر.

9 - **«كتاب مؤرخو الشرفاء»**: تعريب الأستاذ المرحوم عبد القادر الخلادي.

ختاما، تحية لمجلة «دعوة الحق» في عيدها الفضي المجيد.

الرباط - **محمد المنوني**



دعوة الحق

رسالة يجب أن تستمر

للدكتور عبد السلام الهراس

قرأت أول عدد من مجلة دعوة الحق وأنا في آخر أعوامي الدراسية بالقاهرة (57 ـ 1958) وقد سررت كثيرا إذ تولى تحريرها أخ كريم صاحبته أيام الطلب الجامعي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة. وقد عرفت فيه طموح الشباب المغربي وجده ومثابرته وحرصه على إعطاء المثل الحسن أثناء دراسته وعند اضطلاعه بمسؤولية هذه المجلة.

وكنا نشعر باعتزاز إذ الأستاذ عبد القادر الصحراوي رحمه الله يحرص كل الحرص على أن تكون المجلة في المستوى اللائق. وما أن عدت إلى المغرب حتى سارعت إلى كتابة أول مقالة لهذه المجلة في العدد الثاني من السنة الثانية تحت عنوان «الفيلسوف الإنسان» للتعريف بمالك بن نبي وبأفكاره التي كانت مجهولة هي وصاحبها لأن الرجل كان يعيش في أحوال صعبة بفرنسا والجزائر إذ فرض عليه حصار شديد منعه من تدبير أمور معيشته مما جعله عاطلا رغم نيله شهادة عليا في الهندسة كما أن أفكاره ظلت هي أيضا محاصرة حصارا شديدا لا يكاد يعرفها أحد حتى أقرب الناس إليه، وكان صحبة حمودة بن الساعي والدكتور عبد العزيز خالدي رحمهم الله جميعا وصالح بن الشاعي أطال الله بقاءه يكونون مدرسة فكرية إسلامية متميزة ولكنها لم يكن لها أي نفوذ في أوساط الشباب إلى أن أتاح الله لمالك رحمه الله أن يهاجر إلى مصر سنة 1956 فيتصل بنا فتكون الإنطلاقة الأولى لأفكاره وشاء الله أن تكون مجلة دعوة الحق أولى مجلة إسلامية في العالم الإسلامي تتولى التعريف بمالك بن نبي وبأفكاره بقصد واستمرار وقلت أول مجلة لأنه سبق لجريدة الرأي العام التي كان يديرها الأستاذ أحمد بن سودة أن نشرت أول مقال ذي بال عن أفكار مالك بن نبي بعنوان «الإستعمار في نفوسنا» وذلك في سنة 1956 نقلا عن مجلة روز اليوسف بقلم صاحبها ، إحسان عبد القدوس الذي كتب تلك المقالة.

وقد رأينا في مجلة دعوة الحق أنها المجلة التي يجب أن تنقل أفكارنا إلى العالم الإسلامي عموما وإلى الشعب المغربي خصوصا. كما أنها إحدى الوسائل الهامة للإطلاع على أفكار الآخرين. فهي مجلة الحوار البناء من أجل بناء بلدنا وأمتنا.

هكذا فهمنا رسالة هذه المجلة ومن هذا المفهوم انطلقت أكتب جل ما كتبت شعرا ونثرا ما عدا آثار قليلة مترجمة عن الإسبانية.

وكان ثمة تجاوب بين أسرة دعوة الحق محررين وكتابا وقراء. وكان أيضا ثمة شعور بمسؤولية الكلمة. لذلك

كان كثير من كتابها ممن أعرف يعنى أشد العناية بتحرير مقالته وإحكام أفكاره والإهتمام بتعليق الآخرين عليها ووجهات نظرهم فيها وقد عكست «دعوة الحق» في مجالها الإسلامي والأدبي حقيقة الإهتمام الثقافي والفكري بالمغرب سواء فيما نشره المغاربة أو كان ينشره غيرهم من الكتاب المسلمين الذين امتلأت «دعوة الحق» بمقالاتهم العديدة.

والحقيقة أن «دعوة الحق» كانت مجالا مفضلا للتعبير الفكري ولتبليغ الدعوة الإسلامية كما أنها اضطلعت بمهمة مشهودة في ميدان البحث الأدبي وبذلك جمعت في رسالتها بين الفكر والأدب واستطاعت أن تقدم للباحثين والدعاة معينا متدفقا وزادا متجددا وأصيلا مما جعلها اليوم من أهم مصادر البحث الأدبي والدراسات الإسلامية بالمغرب ويهمني أن أشير إلى أني كنت ألاحظ في «دعوة الحق» براءتها من كثير من الآفات التي أصيبت بها بعض المجالات المماثلة في بلاد أخرى والتي ما تزال عقابيلها تبرز بثورا ناتئة على صفحاتها.

كما يهمني أن أشير إلى أن «دعوة الحق» كانت بالنسبة إلى منبرا احتفل له واهتم لما سأقوله من خلاله وأشعر بإلحاحها علي لتزويده بما يقتضيه مني واجبي نحوه لذلك لم أكن أشعر براحة حتى انتهي من تحرير المقالة الخاصة به وكنت أحيانا اضطر للإنقطاع عن الناس والإنزواء في ركن معزول حتى ألبي واجب «دعوة الحق» لا سيما ورئيس تحريرها الأستاذ عبد القادر الصحراوي رحمه الله وكذا من جاء بعده كانوا يلاحقونني كما يلاحقون غيري من الكتاب بالهاتف والكتابة ملحين علي في إرسال المقال للعدد القادم لأنه في انتظارها فلم يكن يسعنا إلا الإستجابة فورا. فإليهم يرجع جل الفضل فيما كتبت. كما أن لقراء «دعوة الحق» فضلا مشكورا فيما كنا نكتب وننشر لأن المرء كان يرى أن الأفكار التي ينشرها هنالك تلقى ترحيبا ورواجا وهذا أمر مهم بالنسبة للكاتب. فالإنسان لا يكتب لنفسه دائما بل ربما كان الذي يشعر بعبء مسؤولية الكلمة يهمه أن تلقى هذه الكلمة تجاوبا وتشجيعا من لدن قراء واعين.

وإن أهم ما كان يشغل بالي منذ أن صدمت في أثناء دراستي وحياتي بلبنان بالمؤامرات الكبرى التي تبرم ضدا على أمتي وبالمكر المتواصل لتخريب عقيدتها وتزييف أفكارها وبالكيد المتجدد الذي يصنع لها من خلال «الكتاب» و«المنهج» و«المدرسة» و«الصحافة» و«الجامعة» و«المجتمع» ومن خلال «المفكر» و«الزعيم» و«الأديب» - إن أهم ما كان يشغل بالي منذئذ هو أن أساهم مع كتاب دعوة الحق بالمغرب وخارجه في التنبيه والتوعية علنا نستطيع أن نجنب بلدنا ووطننا من الوقوع فيما وقع فيه إخواننا بالمشرق من متاهات الإيديولوجيات وضلالات القوميات ونزعات الطائفية والمذهبية مما جعل ما يسمى «بالشعب العربي» بالمشرق طرائف قددا وطوائف متناحرة وأحزابا متقاتلة. وها قد نضجت اليوم هذه البطيخة النتنة. وفيما نشاهد ونسمع من فظائع وأهوال عبرة لمن ألقى السمع وهو شهيد !!

إن جميع الموضوعات المنشورة في «دعوة الحق» تلتقي في إبراز ما للعقيدة الإسلامية من مكانة في إثارة الحوافز والدوافع في النفس المغربية المؤمنة لتنطلق في معركة الصراع وهي قادرة على رد التحدي بحماس حتى تحتفظ لشخصيتها وتقيها شرور المسخ والتشويه.

وتتفق تلك الأبحاث في زرع الثقة بالحضارة الإسلامية في الماضي والإشادة بما قدمته للإنسانية من أفضال لا تعد ولا تحصى. بل التأكيد على أن الإسلام كان نعمة على الإنسان أينما كان إذ رحمات حضارته كانت تصيب بوبلها كل زاوية من زوايا المعمورة.

كما إن هذه الحضارة ما تزال تحتفظ بعناصر القوة والبعث والقدرة على إعادة صياغة الإنسان صياغة حضارية ترتفع به إلى مستوى من الحياة يجعله جديرا بأن يكون مستخلف الله في الأرض بما يقيمه من عدل ويشيعه من خلق ويحكمه من نظام ويرشد إليه من خير وبما يواجه

به المنكر ويعالج به الإنحراف ويشتد به على الظالم وبما ينصف به المظلوم وبما يضمنه للإنسان من كرامة وعزة بعيدا عن المثاليات الخيالية والأماني المجردة.

والحق أن «دعوة الحق» قدمت أعمالا جليلة للفكر الإسلامي بما بسطه كتابها من أفكار وناقشوا من نظريات وكشفوا من حقائق كما كانت منبرا واسعا للدفاع عن العربية لغة القرآن ولبيان مزاياها وارتباطها الحيوي بالإسلام ونهضته وقد كشف الكتاب الملتزمون خفايا من الأخطار المحدقة بالإسلام والمسلمين في المغرب وغير المغرب ونبهوا إلى الدسائس في مجالات الفكر والأدب وتصدوا للرد على كل من سولت له نفسه النيل من العربية وكتابها ورجالاتها.

وقد كان اهتمام بعضهم ببعض بالأمراض التي تنتاب العالم الإسلامي في ميدان العقيدة والفكر وما تسرب إليه من أعراض لإنحرافات اجتماعية نشأت عن عوامل متعددة.

ولم يخل عدد من أعدادها من أبحاث رصينة ومقالات جادة وتحليلات عميقة شارك في تحريرها كتاب من المشرق والمغرب وقد كان كثير من كتابها لا يترددون عن إعلان الرأي بصراحة صادقة ونية خالصة وما زلت أذكر هنا الشريف سيدي المهدي الصقلي رحمه الله في بعض مقالاته الصريحة.

ولما لدعوة الحق من مزايا ومالها من فضل فإن المحافظة على هذا الرصيد وصيانته وتنميته لهو من أهم واجباتنا نحوها وذلك بالحرص على أن تصل حاضرها بماضيها بأن تكون ميدان دعوة إسلامية خالصة للمغاربة خاصة وللأفارقة والعالم الإسلامي عامة. ولذلك عليها أن تستكتب الكتاب والمفكرين بالعالم الإسلامي الذين يحظون باحترام لاستقامتهم وتطابق أقوالهم مع أفعالهم وابتعادهم عن الشبهات ولنفوذ أفكارهم وعمق نظراتهم وأصالة آرائهم وأن تهتم المجلة بقضايا الشعوب الإسلامية المضطهدة بأن تقدم عنهم دراسات وتكتب عن أخبارهم وتعلق عليها التعليق المناسب. كما يجب أن تهتم بالأقليات الإسلامية بالعالم وبقضاياهم ومشاكلهم وبخاصة أبناء عمالنا وطلابنا في الخارج الذين لا يدرون شيئا عن دينهم ووطنهم وأود أن تصبح «دعوة الحق» الكتاب الإسلامي الشهري للمسلمين بإفريقيا بأن تخاطبهم بالعربية وباللغات الأخرى حتى لا يفوتها المساهمة في هذه الصحوة الإسلامية التي تشهدها قارتنا العظيمة التي تتعرض لغزو صليبي صهيوني شيوعي متكاثف متناسق مما يوجب علينا كتابا ودعاة وقادة أن نكون في طليعة الزحف المقدس.

وأود كمحب لهذه المجلة أن يرتفع مستواها مادة وتبويبا وإخراجا وينزل ثمنها ليكون عليه الإقبال ليمكن جميع الفئات من اقتنائها وتنظم توزيعها بالداخل والخارج حتى تؤدي رسالتها المنوطة بها لأنها رسالة يجب أن تستمر «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز».

فـــاس **الدكتور عبدالسلام الهراس**



بمناسبة العيد الفضي لمجلة "دعوة الحق":

الباقيات الصالحات

للأستاذ محمد العربي الشاوش

توطئة:

قال الله عز وجل: «**المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا**». (46 ـ الكهف) وفي آية أخرى: «**والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا.**» (46 ـ مريم).

فأما قوله تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» فهو كقوله جل شأنه: «زين للناس حب الشهوات من النساء والقناطير المقنطرة من الذهب والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب.» (14 ـ آل عمران) وكقوله تعالى: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة، والله عنده أجر عظيم.» (15 ـ التغابن). روى الإمام أحمد وأصحاب السنن: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب، فجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويتعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ورسوله «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويتعثران، فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما.» فدلت الآية الكريمة والحديث الشريف على أن المال والأبناء نعمة وزينة ومسرة في الحياة الدنيا، وهما فتنة كذلك، أي اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه، ليعلم من يطيعه بالشكر وتسخير النعمة والزينة في طاعته ومرضاته، ممن يعصيه بالتمرد عليه وجعل النعمة وسيلة للتجبر والطغيان والعصيان، فيكون مصيره كمصير قارون الذي أخبر الكتاب الكريم (سورة القصص 76 ـ 82) عن كبريائه وبغيه وعن مصيره الذي هو مصير كل متكبر جبار. وصدق الله العظيم إذ قال: «فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» (37 ـ 41، النازعات) وإذا وضع الإنسان في حسابه وفي علمه وتقديره الجنة والنار وهما من عالم الغيب الذي أخبرت به الشريعة وأمرت بالإيمان به. وبعبارة أخرى إذا وضع الإنسان في حسابه وفي علمه وتقديره الثواب والعقاب، صلحت أحواله، واستقامت أموره، وأقبل على الخير بدافع الإيمان والتقوى، وفاز بالخلود الروحي وبالذكر الحسن الأبدي، وهو ما سأله ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال: «رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم» (83 ـ 85 الشعراء) والمراد بالحكم في الآية: العلم والعقل، وغاية العقل معرفة الله التي هي رأس الحكمة ومفتاح العلم، ومنهاج السعادة المؤدي إلى الفوز المبين واللحوق بالصالحين.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال، «الباقيات الصالحات هي، ذكر الله، قول، لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، وتبارك الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، واستغفر الله، وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج والصدقة والعتق والجهاد والصلة (صلة الرحم) وجميع أعمال الحسنات» وقال أيضا، «الباقيات الصالحات هي الكلام الطيب» ولعل المراد به الآية الكريمة، «من كان يريد العزة فلله العزة جميعا، إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه»(10 ـ فاطر) والمعنى كما قال ابن كثير، من كان يريد أن يكون عزيزا في الدنيا والآخرة فليتعزز بطاعة الله عز وجل، وليلزم الذكر والدعاء وتلاوة القرآن والأعمال الصالحة، فإن العزة تحصل له. فإن الله تعالى مالك الملك، وله العزة جميعا. والمومنون بالله ورسوله هم الأعزاء كما نصت الآية على ذلك، «ولله العزة ولرسوله وللمومنين» (8 ـ المنافقون) والكلم الطيب قال ابن عباس، ذكر الله تعالى. والعمل الصالح قال، أداء الفريضة. واتفق السلف الصالح على أن العمل الصالح يرفع الكلام الطيب، ولولا العمل الصالح لم يرفع الكلام، إذ لا يقبل قول إلا بعمل. قول ذلك على أن العمل الصالح والكلام الطيب هما جوهر الباقيات الصالحات. وصدق الله العظيم إذ قال، «ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء توتي أكلها كل حين باذن ربها، ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون». (24 ـ 25 ابراهيم).

إنما الأعمال بالنيات :

والعمل الصالح لا يقف عند أداء الفرائض الدينية التعبدية فقط، بل يتعداها إلى كل عمل صالح يقصد به وجه الله تعالى بما يعود بالنفع على الأمة الإسلامية جمعاء. فالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة عمل صالح، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله عمل صالح، والنضال من أجل إحقاق الحق وازهاق الباطل عمل صالح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عمل صالح، والتعاون على البر والتقوى عمل صالح، والعمل على جلب المصالح للأمة الإسلامية ودفع المضرات عنها عمل صالح.

وفي الحديث الشريف، «اللهم احينا مسلمين، وأمتنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مبدلين.» والمراد بقولة، «واجعل لي لسان صدق في الآخرين» أي أجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به ويقتدى بي في الخير. والذكر الجميل هو غاية العقلاء في الحياة وبعد الممات.

معنى الباقيات الصالحات :

وما ذكرناه من مقابلة النعمة بشكر المنعم جل شأنه، واستعمالها في طاعته ومرضاته، والمبادرة إلى أعمال الخير كلها، هو المقصود بقوله تعالى، «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا» الباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة النافعة كلها، أفعالا كانت أم أقوالا، يرجى ثوابها عند الله تعالى «يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من لقي الله بقلب سليم» (88 ـ الشعراء) زيادة على الذكر الجميل واللحوق بالصالحين.

فمن الباقيات الصالحات ما أخرجه ابن جرير عن ابن هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات» وأخرج ابن كثير عن سعيد بن المسيب قال، «الباقيات الصالحات، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله» فزاد، لا حول ولا قوة إلا بالله. ويعززه ما رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، «قل، لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة».

ومن الباقيات الصالحات ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين، رحمه الله ثلاثا وثلاثين، وكبر الله ثلاثا وثلاثين، فتلك تسعة وتسعون، ثم قال، تمام المائة، لا إله إلا الله وحده لا

شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت له خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر». ومن ذلك ما رواه مسلم أيضا عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناسا من الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يارسول الله، ذهب أهل الدثور (الأغنياء) بالأجور. يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال (ص) : «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا يارسول الله، أياتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : «أرأيتم لو وضعها في حرام كان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر».

وبناء المساجد وتأسيس المدارس واقامة المصانع وتشييد المستشفيات عمل صالح. ونشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية بالتدريس والوعظ والمحاضرة والكتابة عمل صالح. ومدار الصلاح في العمل على النية كما في الحديث الشريف : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» رواه البخاري. وبقدر النية يجني العامل ثمار عمله في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى : «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى» (39 ـ 41 النجم) وإذا وضع الإنسان الآخرة في حسابه، وأنه مجزي بأعماله كما نصت الآية على ذلك : «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» (7 ـ 8 الزلزلة) وفي الحديث الشريف : «اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة» رواه البخاري. وفي حديث آخر : «لا تحقرن من المعروف شيئا، ولو ان تفرغ من دلوك في إناء المستقي، ولو ان تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط» رواه البخاري. قلنا إذا وضع الإنسان كل ذلك في حسابه حسن سلوكه، واستقامت أحواله، وطابت أقواله، وصلحت اعماله، وعدت في الباقيات الصالحات. علما بأنها عامة في الأعمال الصالحة كلها.

ومن الأعمال الصالحات مالا ينقطع ثوابها حتى بعد الممات كما ورد في الحديث الشريف : «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : من ولد صالح يدعو له، أو صدقة جارية بعده، أو علم ينتفع به» رواه مسلم. فالولد الصالح والبنت الصالحة من الباقيات الصالحات. والصدقة الجارية كالأوقاف من الباقيات الصالحات. والعلم النافع للأمة الإسلامية في شؤون دينها ودنياها وخاصة منه مايقصد به إثراء الفكر الإسلامي بنشر الثقافة الإسلامية واحياء التراث الإسلامي في المعارف العقلية والنقلية من الباقيات الصالحات. ذلك أن العلم يشكل المحور الذي تدور حوله الحياة الإنسانية. والإسلام كدين سماوي ارتضاه الله لهداية الإنسان وتهذيبه وتقويمه هو دين علم وعمل، وهو عقيدة وشريعة وثقافة وسلوك. ويستفاد ذلك من أول سورة نزلت من القرآن الكريم، وهي قوله تعالى : «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم» (1 ـ 5 العلق) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : أول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة انعم بها عليهم. وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وهو باب من أبواب العلم. وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان مالم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم.

زهرة في باقة المجلة :

هذا العرض الإسلامي المتضمن لما ورد في شأن الباقيات الصالحات لمع في ذهني وأنا اتأمل الاستدعاء الكريم بالمشاركة في العدد الممتاز من مجلة «دعوة الحق» بمناسبة عيدها الفضي ـ وإعداد مجلتنا كلها ممتازة وأعوامها كلها فضية ـ فوجدت دوافع نفسية ان اجعل العرض المذكور زهرة ندية شذية في باقة المجلة الغراء المناضلة وهي تحتفل بالذكرى الخامسة والعشرين لميلادها المبارك الميمون. ولا يغيب عن الذهن أنها غرس زكي طيب للمغفور له أمير المومنين محمد الخامس، فهي من باقياته

الصالحات. فإليه يرجع الفضل في ظهورها وتسميتها باسم «دعوة الحق» لتكون أول مجلة إسلامية ثقافية جامعة تصدر في عهد الاستقلال عن وزارة الأوقاف الإسلامية التي تكفلت بالاشراف عليها ورعاية شؤونها. وقد احسن المرحوم الأستاذ المكي بادو (المفتش العام المكلف بتسيير وزارة الأوقاف) حيث قال في تصدير العدد الأول. مخاطبا **جلالة الملك** : «إن وزارة الأوقاف إذ تتقدم إلى كريم اعتابكم بالعدد الأول من مجلة «دعوة الحق». إنما ترد إلى جلالتكم بضاعة انتم في الحقيقة أهلها.. وتنفذ أمرا تفضلتم باصداره إليها». وقد اكتسبت الوزارة بذلك شرفا وذكرا حميدا. إذ اضافت الى مجالات نشاطها عملا رائدا مجيدا وأحرزت على وسام لامع رفيع اسمه «دعوة الحق» وشح جلالة الملك صدرها به. لتبقى المجلة مؤسسة بارزة من مؤسسات وزارة الأوقاف. وشجرة مباركة مثمرة في حقلها الأخضر اليانع.

الإصلاح الديني أولا :

وهكذا صدر العدد الأول من مجلة «دعوة الحق» في شهر ذي الحجة عام 1376 الموافق لشهر يوليوز سنة 1957 بتقديم جلالة الملك **محمد الخامس** حيث رسم الخطوط الرئيسية للمجلة الناشئة فقال :

«إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين. والتشبث بمبادئه. والسير على سننه. ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين... وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة إلى حياة راقية. كريمة. ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف اصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني. كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية. ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح... وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والسلام».

وفي العدد الثاني من المجلة الصادر في شهر غشت 1957 كتب ولي العهد الأمير مولاي الحسن (جلالة الملك الحسن الثاني اليوم) مقالة افتتاحية بعنوان : **«الإسلام والنهضة المغربية»** بين فيها : أن النهضة المغربية تهدف إلى إقامة مجتمع سليم على مثال ما دعت إليه التعاليم الإسلامية النقية الطاهرة. تلك التعاليم الداعية إلى الإيمان بالله. والعمل على مافيه سعادة الدارين. والحكم العادل الذي يربط الحاكمين والمحكومين برباط الألفة والمودة والتعاون على تحقيق الخير للمجموع.

مفهوم دعوة الحق

ومن المقدمة الملكية في العدد الأول من السنة الأولى للمجلة. والمقالة الحسنية في افتتاحية العدد الثاني. تتبين الأهداف التي انشئت من أجلها مجلة «دعوة الحق» وهو اسم مستفاد من الآية الكريمة : «له دعوة الحق...» (14 ـ الرعد) أي لله دعوة الصدق. قاله القرطبي. وروي عن ابن عباس وقتادة أن معنى الآية : «لا إله إلا الله». والمراد بكل ذلك هو : الدعوة إلى توحيد الله عز وجل. وإفراده بالعبادة والدعاء. والتقديس والتمجيد. وهو ما يعبر عنه الفقه الإسلامي بالتوحيد. وتعبر عنه الفلسفة الإسلامية بعلم الكلام. وتعبر عنه الايديولوجية الصوفية بمعرفة الله. ويعبر عنه النضال الإسلامي بالدعوة إلى الله. والمراد بكل ذلك : تحرير العقلية الإنسانية من الخوف والضلال. ومن العبودية إلا الله وحده مالك الملك. ذي الجلال والإكرام. وأن يكون الإنسان عبدا لله فذاك تحرير وتشريف وتكريم لإنسانيته. والى ذلك أشار القاضي عياض رحمه الله فقال :

ومما زادني شرفا وتيها
وكدت باخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك «ياعبادي»
وأن صيرت أحمد لي نبيا

فدعوة الحق ـ كعلم للمجلة ـ اسم له أبعاد وأعماق. وله دلالات فقهية وفلسفية وصوفية ونضالية. وهي تدور جميعا حول محور واحد هو : الدعوة إلى الله.

والدعوة إلى الله أفضل وأجل الأعمال على الإطلاق. وهي أساس كل خير وإصلاح وعدالة وازدهار. ومن ثم كانت مجلة «دعوة الحق» الداعية إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من الباقيات الصالحات.

مدح وتقويم وتهنئة

ولو أردنا أن نمدح هذه المجلة المناضلة الرائدة ونقوم التزامها وصمودها وتطورها كذلك، لاحتجنا إلى كاتب يحسن أساليب المدح ويجيد فن النقد والتقويم، وسيجد أمامه مجالا واسعا لترصيع كلمات المدح الجميل، وتنسيق عبارات التقريظ الأثيل. ولن يجد تعبيرا عن النقد والتقييم أجمع ولا أدق من الجملة المشهورة : ليس في الإمكان أبدع مما كان.. وربما اعتبر هذا الموقف العادل تحيزا منه لمجلة راقية مفضلة هي وجه جميل مشرق من وجوه الدعوة والإرشاد والإعلام والثقافة الأصيلة في بلاده. فإذا وضعنا في الحساب فكرة احتمال التحيز، مع أن التحيز للحق فضيلة ومروءة وشهامة، فلنترك مهمة المدح والتقييم لأديب عربي عراقي هو الأستاذ محمد رضا شرف الدين الذي زار المغرب سنة 1958 فكان مما سجله في انطباعاته ما يلي :

«دعوة الحق، مجلة ذات مظهر وذات مخبر، وكلاهما في نسق واحد، إنها النغم في اللحن، واللحن في الوتر، إنها الكلمة العذبة في معناها المؤثر». ثم تحدث الأديب العراقي عن جمال المغرب ونهضته وزاد قائلا : «وما هذه المجلة إلا من ذلك الجمال في سماته العلمية والأدبية والفنية، وقسماته الإسلامية العربية الواضحة...» (دعوة الحق عدد يونيه 1958).

وتعبير الأديب العراقي هو من باب ما قل ودل. أو من باب التعبير البلاغي الأصيل. ومن الحق أن نستدرك عليه أن المجلة الجميلة العذبة الناشئة سنة 1957 هي اليوم شابة قد تألق جمالها، ونضجت محاسنها ومفاتنها، وذاع في عالم العروبة والإسلام صيتها، كما أراد لها مؤسسها جلالة الملك **محمد الخامس** رحمه الله.

بقي لنا أن نقدم أصدق التهاني لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمجلة «دعوة الحق» الأمانة الكبرى التي تعهدتها وحافظت عليها، راجين لها مزيدا من النشاط والإنتاج والعطاء في ظل أمير المؤمنين جلالة الملك **الحسن الثاني** نصره الله.

وهنيئا لمجلة «دعوة الحق» في أسرتها النشيطة المؤمنة بالشمعة الخامسة والعشرين في هذه الذكرى الفضية اللامعة. «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون».

محمد العربي الشاوش





في عيدها الفضي

للدكتور محمد أبو الأجفان
(تونس)

تمتد في أعماق تاريخ مغربنا الكبير جذور العلاقات الوطيدة بين تونس والمغرب الشقيق، وقد شملت هذه العلاقات عدة ميادين، ومنها الميدان الثقافي ، فكثيرا ما استقبلت تونس أعلام المغرب بكل حفاوة وتقدير، واستفاد طلبتها من علمهم وممن شهدت جوامع تونس دروسه الشيقة التي أخذت بمجامع القلوب والعقول الشيخ العبدوسي الذي بهر أهل تونس بغزارة علمه وسعة اطلاعه... وكثيرا ما آوى المغرب علماء تونسيين وقدر أهله فضلهم مثل الشيخ خروف التونسي الذي انقذه المغاربة من قبضة العدو الصليبي بمال وفير وأقام بينهم مكرما مجددا للسند العلمي. كما تلقفت تونس بشغف بالغ المصنفات العلمية المفيدة لعلماء المغرب مثل التي ألفها شيخ الجماعة أبو عبد الله محمد بن غازي المكناسي ثم الفاسي في مختلف الفنون، وأقبل طلبتها على دراستها.. كما راجت بالمغرب مصنفات التونسيين أمثال عبد الله بن أبي زيد القيرواني الذي شرح كثير من علماء المغرب رسالته التي كانت من كتب الدراسة لطلبة المغرب إلى عهد قريب... وأبي عبد الله محمد بن عرفة الورغمي صاحب المختصر الفقهي الذي حاول ابن غازي حل تعقيده.

وفي عصرنا الحاضر تتواصل مظاهر التعاون الثقافي ويتحقق تعاطف مثمر بين كثير من باحثي البلدين، ويتبادل القطران الأساتذة ويوحدان بعض المناهج الدراسية... وما زالت العوامل العديدة المهيئة للوحدة تتطلب مزيدا من دعم التعاون وتأكيد التقارب وهي عوامل أصيلة تستمد قوتها من الدين المشترك واللغة العربية والتراث الذي أسهم الأجداد في إثرائه ووحدة المصير والهدف النبيل.

ومن أهم عناصر تحقيق التعاون الثقافي بين البلدين الشقيقين مجلتنا الإسلامية الممتازة «دعوة الحق» فهي تؤدي دورا ثقافيا هاما وتعمل على توطيد الصلات العلمية بين مفكري البلدين منذ ربع قرن . فقد وفرت لرواد المعرفة الإسلامية بتونس نبعا مغربيا فياضا من الدراسات الإسلامية العميقة، وغذت الحافز لدى كثير من الباحثين ليشدوا الرحال إلى المغرب حيث تنتشر الخزائن في أطراف البلاد حافلة بنفيس الكتب في شتى الفنون ونادر المخطوطات في مختلف العلوم.

هذه المجلة الممتازة عرفتنا ـ معشر التونسيين ـ بأعلام المغرب المعاصرين وكتابه المقتدرين وباحثيه المتعمقين عرفنا منهم المؤرخين والمتضلعين في علوم الشريعة والشعراء المجيدين والمعالجين لأوضاعنا الحاضرة بفكر ثاقب ورأي سديد يقيم تحليله على مراعاة المعطيات والمقتضيات.

وزادت المجلة في تأكيد روح التعاون عندما عرضت في بعض صفحاتها نتائج قرائح بعض التونسيين فكتبوا في مجلتهم إلى جانب إخوانهم المغاربة.

وإننا لنجد في شهريات «دعوة الحق» مادة متنوعة لاتحدها حدود مغربنا وأخبارا ثقافية تعرفنا بالجديد من أحداث النشاط الإسلامي وحركة النشر ومشاريع الثقافة.

إن مجلة «دعوة الحق» نافذتنا التي نشرف منها على جانب مشرق من الحياة الثقافية المغربية في هذا البلد العريق. وبفضلها نواكب مبرات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي لها كبير الفضل في إحياء كثير من كتب تراثنا النفيس.

فلا عجب أن ترانا بتونس ننتظر مواعيد صدور «دعوة الحق» بلاهف الشوق حتى نجدد الصلة بكتابها ونقطف من ثمار جناتها.

فتحية لدعوة الحق في عيدها الفضي. وعاشت لخدمة ثقافتنا العربية الإسلامية ودعم روح التعاون والتآخي. وجزى الله رجالها العاملين أحسن الجزاء وأعانهم ووفقهم في جهودهم التي تعطي صورة مشرقة للدين الحنيف وحضارته الزاهية.

محمد أبو الأجفان
أستاذ بالكلية الزيتونية
للشريعة وأصول الدين
تونــــس





للأستاذ عبد القادر العافية

يسعدني أن أكون من قراء مجلة دعوة الحق الغراء منذ ربع قرن من الزمن، وأن أكون من المرافقين، لنموها وتطورها خلال هذه الفترة الزمنية التي تمثل حقبة من حقب الثقافة والفكر ببلادنا.

مازلت أذكر أنه كان لصدور مجلة دعوة الحق عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وقع طيب في نفوس القراء، وفي نفوس المهتمين بأمور الثقافة والفكر، لأن صدور هذه المجلة كان يواكب عهدا جديدا تحفزت فيه الأفكار نحو استجلاء آفاق واسعة من المعرفة، وتحفزت فيه الأذهان نحو عالم أفضل في مجال الدراسة والبحث...

كان المولد الجديد سنة 1957 ككل مولود أقبل على الدنيا، طموحه أكبر من حجمه، وآماله أضخم من إمكاناته، وتفاؤله بالمستقبل، رصيده الوحيد في تذليل العقبات والصعوبات...

جاء صدور مجلة (دعوة الحق) بعيد التحرر من هيمنة استعمارية ظل وجودها القاتم يخيم على العقول والأفكار، فترة طويلة من الزمن.

وكانت الهيمنة الاستعمارية قد ركزت وجودها الفكري في مؤسساتنا التعليمية، وفي مراكز البحث العلمي، ومراكز الدراسات التاريخية، والاجتماعية، والانثروبولوجية... وكانت تصدر عن هذه المراكز أفكار في غاية الخطورة، تقلل من قيمة الحضارة الإسلامية، وتشكك في أمجادنا التاريخية، وتزرع البلبلة في نفوس المثقفين والدارسين... هدفت في كثير من الأبحاث الصادرة عنها، إلى إثارة النعرات القبلية، والحزازات العنصرية والسلالية... وكان يشرف على تسيير هذه المراكز أناس أعدوا لهذه الغاية، واعتقدوا أنهم باستطاعتهم، أن يحدثوا تغييرا جذريا في الفكر المغربي، وباستطاعتهم أن يسيطروا على العقول والنفوس، فعكفوا على نشر أفكارهم، وعملوا بمختلف الوسائل المتاحة لهم، على ترسيخ نتائج أبحاثهم ودراساتهم في عقول الشباب الغض، قصد إثارة الفتن، وزرع بذور الخلاف والشقاق... هادفين إلى تفكيك عرى الوحدة الوطنية بالمغرب...

كان هذا المخطط الخطير، يمثل مدرسة استعمارية حاقدة ماكرة.

وكان هذا الاتجاه الاستعماري يتطلب مواجهة فكرية يقظة حازمة...

في هذه الفترة الزمنية من تاريخ المغرب المعاصر، صدرت مجلة (دعوة الحق) فكان عليها منذ البداية أن تتحمل مسؤولية المواجهة والتصدي لدحض الباطل، وكشف الزيف، فكانت رسالتها جسيمة وخطيرة، في آن واحد.

كان عليها أن تخوض معركة تفنيد زيـف المقـولات الإستعمارية، وزيف نتائج الدراسات الحاقدة المغرضة. كان عليها أن تواجه تيارات الزيغ التي كانت نتيجة طبيعيـة لتعاليم المدرسة الاستعمارية.

وجدت (دعوة الحق) نفسها أمام هذه الواجهات المتعددة، فكان عليها أن تخوض معركة ترسيخ قواعد الأصالة بكامل الشجاعة والجرأة والثبات... ومن أجل ذلك فتحت صدرها لكل ما من شأنه أن يعمل على كشف الحقيقة، وعلى فضح المنهجية الاستعمارية، تلك المنهجية التي خططت بإحكام لتشويه الوجه المشرق لحضارتنـــا الإسلامية.

كان عليها وهي في حجمهـــا الضئيـل، وإمكاناتها المتواضعة أن تتصدى لتقويم اعوجاج طال أمده، وتصحيح مفاهيم خاطئة استقرت في نفوس الكثيرين، وبلبلت عقول مجموعة من المثقفين... كان عليها إذن أن تدخل في حوار جاد مثمر بناء، قصد تبديد سحب الشك، وإشاعة نور الحقيقة الوهاج.

في وسط هذا الخضم الزاخر بالواجبات والمسؤوليات... بدت مجلة دعوة الحق.. وهي أشبه ما تكون بنجم لامع في سماء بيداء عريضة.

لم يكن الزيف الاستعماري يهدف إلى مسخ الأفكار، وتشويه التاريخ، وتفكيك الوحدة الوطنية فحسب، بل كان يهدف فوق كل ذلك إلى الحط من قيمة اللغة العربية لغة القرآن الكريم، ولغة الحضارة الإسلامية. كان يهدف إلى القضاء على هذه اللغة، وإلى طمس معالمها، وإلى الزراية من المثقفين بها، والمنتصرين لها...

أمام هذه الواجهات المتعددة وجدت دعوة الحق نفسها تخوض معركة عاتية، وفي عدة جبهات !! ففتحت صدرها للمقالة الأدبية، وللكلمة التحليلية، وللبحث المنهجي الرصين، وللقصيدة، والقصة، والحوار البناء، والنقد الهادف، والخبر العلمي المفيد، والنبأ الثقافي الطريف، والتوجيه الروحي السديد...

وبمضي الأيام أصبحت دعوة الحق، ذات مكانة مرموقة في نفوس القراء والمثقفين والباحثين، بل في نفس كل مخلص لدينه ووطنه... وأضحت ذات وزن في عالم الفكر، ومجال البحث والدراسة، واحتلت عن جدارة بمغربنا المعاصر، مكان الصدارة في الميدان الفكري؛ وبذلك أصبحت رفيقة المثقفين، وآمال الباحثين والدارسين، والتزم بالكتابة فيها جماعة من الكتاب بالمغرب، ومن مختلف أنحاء العالم العربي، فغذاها أولئك جميعا بأبحاثهم، ومقالاتهم، وأفكارهم وآرائهم...

فعلى صفحات (دعوة الحق) عرفت كثير من الحقائق، وعولجت كثير من القضايا الأدبية، والعلمية، والتاريخية... ونوقشت كثير من الآراء...

واستطاعت (دعوة الحق) بثباتها، وصمودها أن تفرض وجودها في الميدان الثقافي، بل أصبحت مدرسة لها مقوماتها الذاتية، ومميزاتها الجوهرية.

ففي مدرسة (دعوة الحق) وجد كثير من المتعطشين إلى المعرفة منهلا عذبا، ومنبعا ثرا وجد فيها التلميـــذ، والطالب، والأستاذ، والمثقف بعامة، وجد فيها أولئك جميعا ما يغذي نهمهم الفكري، ويروي عطشهم الروحي. ووجد فيها مختلف القراء، مادة لا ثراء معارفهم، وتثقيف عقولهم...

وبمضي السنين أصبحت أبحاث مجلة (دعوة الحق) مصدرا هاما من مصادر الثقافة الإسلامية، ومرجعا قيما يعتمده الباحثون والدارسون، وبمراجعة بيليوغرافية الأبحاث العلمية، والدراسات الجامعية الصادرة بعد ولادة مجلتنا الغراء، يتضح أن هذه المجلة أضحت من أهم المصادر لدى الباحثين والدارسين.

وبذلك أصبحت مجموعة (دعوة الحق) تكون مكتبة علمية نفيسة، تساعد الباحث في الدراسات الإسلامية.

ومما يحمد لهذه المجلة أنها ظلت ملتزمة بالخط الإسلامي القويم، والمثل العليا لشعبنا المسلم المجاهد.

وإذا قمنا بعملية تقييمية للاثر الحسن، والتأثير المفيد، لهذه المجلة على نفوس قرائها، وعلى المستفيدين منها،

فسوف نرى أنها تمثل سجلا صادقا ومعبرا عن تطور الحياة الفكرية ببلادنا، خلال ربع قرن من الزمن.

وبرسم خط بياني لتطور مجلة دعوة الحق، سيلاحظ الدارس أن مجلتنا الغراء، سارت في تطورها سيرا يبعث على التفاؤل بمستقبلها الزاهر، وسيلاحظ أن المجلة عرفت في السنين الأخيرة تطورا ملحوظا ، في الشكل والمضمون، حيث انتظم صدورها، ونما حجمها، وجد فن إخراجها... وبذلك يلاحظ القارىء أن مجلة (دعوة الحق) تطورت مظهرا وجوهرا وينتظر لها المزيد من التطور نحو الأحسن.

ومما لا شك فيه أن تطورها بهذا الشكل يدل دلالة واضحة أن مجلتنا الحبيبة تحيا حياة ازدهار، وتنمو نموا يبعث على الأمل الباسم. ولا غرو أن تطورا مثل هذا، كان ينتظره عشاق المجلة، كما يترقبه المخلصون لوطنهم، والغيارى على تراث بلادهم، وعقيدتهم، ووحدة أمتهم.

وبعد ، أعود إلى ما كان ينبغي أن أفتتح به هذه الكلمة فأقول ، إن اختيار اسم مولود جديد يهدف إلى معنى من المعاني، وإلى غاية من الغايات، حيث تعتبر التسمية تفاؤلا بالمستقبل، وهادفة إلى تحقيق معنى مقصود، وقديما قيل ، «بتسمية الناس لمواليدهم، تعرف درجة إيمانهم».

والإنسان كان وما يزال يحتاج إلى دعوة الحق، لأن الدعوة إلى الحق، محتاج إليها في كل وقت وآن، ولذلك وصف الحق سبحانه وتعالى نفسه ، بكونه مصدر دعوة الحق، فقال جل وعلا ، «**له دعوة الحق**» (الرعد/ 14).

وهذا الملحظ في التسمية كانت تقتضيه ظروف صدور مجلتنا الصامدة، تلك الظروف التي أشرنا إليها والتي ما زالت ظروفنا الراهنة تقتضيه كذلك، لأن الدعوة إلى الحق، هي دعوة أبدية خالدة، ويتمنى المخلصون لهذه الدعوة النابعة من بلادنا، أن تعطي ثمارها الناضجة، وأن توتي أكلها الطيب.

وباللجوء إلى الحق، وبالدعوة إليه، تتغلب النفوس على نوازع الأهواء، والشهوات، وعلى بواعث الزيغ والالحاد. وبذلك وحده يعود الناس إلى الحق، وإلى ما تهدف إليه دعوة الحق.





مع الأسرة الكريمة

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

شرف لي وأي شرف، وتكريم أجل تكريم، أن أعد نفسي من أسرة مجلة «دعوة الحق» الغراء، هذه المجلة التي مدت يديها الكريمتين إلى يدي في اعزاز ومودة، وتلقفت مني أقاصيصي وأبحاثي ونشرتها، فكان لها الذكر والحضور الأدبي والإنتشار بفضل الله وبتفضل منها. أكتب هذا المقال المعترف بالجميل وتخالج ضميري مشاعر وذكريات من الماضي المغربي القريب، بكل ما فيه من بطولات وأمجاد عشناها، وكنا سعداء بأننا عشناها، وانفعلنا بها، وساهمنا بالجهد المستطاع - فيها. ثم تملينا بحلاوة الجنى الطيب الناضج النافع، وقامت في نفوس الجميع آمال عظام لهذا البلد السعيد، في التقدم الكبير في جميع الميادين، وكان يشغلنا نحن هواة المطالعة أن يكون لنا مجد أدبي زاهر، مثل بعض البلدان العربية كمصر ولبنان، لأنه أصدق الأمجاد وأعلاها وأبقاها.

وما لبثنا إلا قليلا حتى ظهرت البادرة الأولى السعيدة، ظهرت المجلة الكريمة «دعوة الحق» ظهور نجم لامع، فاحتفلنا بها وسعدنا، وحرصنا على اقتنائها ومطالعتها وتبويب بعض محتوياتها، وها أنا أكتب هذه السطور وأمامي على الرف 25 مجلدا، من أول عدد صدر إلى آخر عدد، 210 عدد بالتمام والكمال، حتى أبريل 1982 الأخير، مع اعتبار الأعداد المزدوجة، إني أفتخر بأنني من القلائل - فيما أعلم - الذين يتوفرون على المجموعة كاملة بلا نقصان.

وأظن أنه من المفيد أن يحكي أحد كتاب هذه المجلة الصامدة المفيدة كيف كانت بداية مشاركته في الكتابة بها، وما هي الخطوات والملابسات الأولى، إذ ذكر هذا يبين جانبا من مجهودات الكتاب ومعاناتهم في عهد النهضة الأدبية، ويبين - من جهة أخرى - أي دور، وأي جهد، وأي نضال أدبي صادق تحمله المتعاقبون على رئاسة تحرير هذه المجلة، جزاهم الله عن مجد أمتهم الأدبي خيرا، وكافأهم بالرضى والرضوان على أريحيتهم، وبرورهم بالكتاب واحتفائهم بهم، وبشاشتهم في وجوههم، وإعزازهم وتكريمهم بشكل نادر المثال، مع أنها خدمات للصالح العام، لا الصالح الخاص.

المنطلق كان انني كتبت عدة أقاصيص في أيام المحنة المغربية، وكنت قبلها مطالعا فقط، وربما كان ذلك بسبب التهاب عواطفنا وشدة حماسنا وانفعالنا في تلك الفترة، وأيضا بسبب مضايقتنا - ونحن الشباب الوطني الرافض للإعتداء والجور - وتهديدنا باستمرار، ثم تأثرنا قبل وأثناء ذلك وتجاوبنا مع الإنتاج الغزير الوارد من الشرق، خاصة من مصر المجيدة ولبنان النشيط... وبذلك توفر لي رصيد من الأقاصيص احتفظت به طي الملفات، ثم ارتأيت ان انتخب منه مجموعة، وفعلا كانت مجموعة باثنتي عشرة أقصوصة، اخترت لها عنوانا باسم الأقصوصة الأولى.. قدر العدس...

ولا أخفي أنني أحجمت عن إرسال أي شيء لأية جهة كانت، خوفا ـ والحق يقال ـ من سلة المهملات، التي سمعت البعض يتحدث عنها مستاء، ويعز علي كما يعز على أي كاتب أن يرى «بنات أفكاره» توأد. وبعد تردد قمت بتجربة، فبعثت بأحدى أقاصيصي الوطنية إلى مجلة «المشاهد»، فاحتفي بها، ونشرت معززة برسم ملون، وفعلا ارتحت لهذه المعاملة، ورحت أفكر في اختراق الحواجز، بعد الأصداء، التي خلفتها الأقصوصة البكر المنشورة.

وأستسمح في أن أمضي في سرد هذه الوقائع الأدبية الخاصة، فهي ستوصلني إلى بداية المشاركة السعيدة بالكتابة ـ مواظبا ـ في «دعوة الحق» لقد إتفقت مع زوجتي ـ غير المثقفة ـ على أن نأخذ من مدخراتنا وأن نقطع من ميزانية عائلتنا الصغيرة قدرا نتمكن به من نشر المجموعة الأولى القصصية، على أن يكون ـ وقد تعجبون لهذا ـ منى ومنها لجنة، نعمل على توسيعها بطلب مساهمة آخرين وأخريات، وهدفنا كان هو أن نتلقف الكتب المخطوطة من كتابها الشبان ونطبعها، مقابل اتفاق، دون حرص شديد على الربح، ووجدنا تسهيلات في الكلفة من صاحب المطبعة وهكذا خرجت المجموعة. وكانت أول مجموعة في الرباط لأن ثلاث مجموعات سبق أن نشرت في تطوان الفيحاء، من تأليف الأستاذ السيد محمد الخضر الريسوني، كما سبقتها مجموعة وطنية من تأليف الأستاذ السيد عبد المجيد بنجلون، ومجموعة اجتماعية من تأليف الأستاذ السيد أحمد عبد السلام البقالي، وقد نشرتا معا بالقاهرة المجيدة.

كانت مبادرة ـ على كل حال ـ سررت بها وسعدت، واستقبلها الأصفياء باعتزاز، وأفضل أن أصمت عن موقف الصحافة في الداخل كما صمتت هي. إلا ما كان من الأستاذ السيد مصطفى القباج، الذي استدعاني مشكورا لجلسة بالتلفزة المغربية، من خلال برنامجه الأدبي. أما من الخارج فلقد تلقيت مكاتبات كريمة من أساتذة أجلاء، كما علقت على المجموعة بعض الصحف الشرقية !

أما الإهتمام الأسعد فكان حين التقى بى الأستاذ المطلع السيد محمد بنعبد الله، وكان ودودا معى لما عبر عن تنويهه بالمجموعة تنويها كان بردا وسلاما على قلبى، وزاد في تكريمه فطلب منى أن أساهم بالكتابة في «دعوة الحق»، التي كان يرأس تحريرها يومئذ... يا له من تكريم أن أدعى للإلتحاق بأسرة تضم أفاضل أجلاء بررة، شيء مشرف حقا. وبما أننى كنت منغمرا في الأندلسيات تاريخا وأدبا فلقد حررت أول أقصوصة تاريخية أندلسية بعنوان «آخر الفرسان» نالت تقديرا، وكبرهان على التقدير أخذ الأستاذ بنعبد الله يستعجلنى في موافاته بالجديد، وفعلا نشرت لي المجلة خمس أقاصيص في خمسة أعداد من الأعداد الثمانية، للسنة العاشرة من عمر المجلة.

في تلك الأثناء التقى بى الأستاذ الأديب المرحوم السيد عبد القادر الصحراوى الذي كان أول رئيس للتحرير بالمجلة، فعبر لى عن سروره بما أنشر، ونوه مشكورا في كتاباتي المتواضعة بـ «الوصف»، وكاد يعاتبني على عدم مكاتبته، ولو فعل لكان جوابى ؛ أننى لم أدع فأستجيب على أنه لكل أجل كتاب.

وتسلم الأستاذ الغيور الودود السيد عبد القادر الإدريسي مهام رئاسة تحرير المجلة الغراء، والأخ الإدريسي تجمعني وإياه رحاب مكتبة عامرة، حيث نجيء معا لنقطف من ثمار العقول ونتاج القرائح الفياضة، ومن هذه المكتبة جدد أخوته طلبه إلي بأن أواصل الكتابة في المجلة. إن الإنسان ليمتلكه الفرح الزائد والإعتزاز الغامر وهو يرى هؤلاء الأفاضل يلحون عليه، تكرما منهم، ليكتب في المجلة، إنه شيء أعلى وأغلى من كل مكافأة، وأطيب على النفس وأشد تأثيرا فيها، كما أنها مواقف نبيلة تنسى كل المواقف أخرى.

ومضيت أكتب في «دعوة الحق»، وكدت أعرف كاتبا مرتبطا كل الإرتباط بـ «دعوة الحق» وهذا حقا شيء يدعو إلى الفخر والإعتزاز، فالمجلة لها مكانتها، لأن لها نهجا محددا ثابتا، قوامه الإسلام، والدعوة الإسلامية والأمجاد

الإسلامية. وهي مسائل حبيبة إلى القلوب، ومغذية للوجدان، ومعلية للمقام. لا تؤثر فيها الظروف المتقلبة والإيديولوجيات المتحولة والعواطف المنحرفة.. والمجلة مع ذلك تهتم اهتماما بالشؤون التاريخية القومية والوطنية. وتوجد فيها مقالات وأبحاث من النوادر القيمة، التي كان لها الصدى البعيد. كما أن للأدب عموما حصة طيبة في المجلة. وهو غير محدود الآفاق. فهو أدب وطني، وأدب قومي، وأدب إنساني. وهو في كل الأحوال بعيد عن الإسفاف والسخف. وبرىء من التمسح بأذيال الأجنبي، ومن أن يكون ظلا مهزوزا للغير.. أما الكتاب فهم في الغالب من المغرب، وهم أولى بمجلتهم. فحضورهم في مجلات الآخرين محدود. ومع ذلك فالأبحاث والمقالات التي كتبها غير المغاربة غير قليلة. وفيها دلالة على مرونة المشرفين على المجلة، وإيمانهم العملي الصادق بالأخوة العربية. وبالتقدير المتبادل.. ويتصل بهذا اتصالا وثيقا الأخبار العلمية والثقافية والشهريات التي نشرتها وتنشرها المجلة - أن ربع قرن حافل بالوقائع والأحداث والمستجدات الثقافية مسطر تسطيرا في آخر كل عدد. وهو ذخيرة لا تقدر بثمن.

إن صفحات المجلة التي تعد بالآلاف، والتي حررها رجال العلم والفكر، وأهل الأدب والفن، والتي سهر على تصفحها وإعدادها وإخراجها رؤساء تحرير أكفاء غيورون صادقو التمييز، لتحفظ تاريخا قيما للحركة الفكرية بالمغرب، في فترة حاسمة، هي فترة ما بعد الإستقلال، فترة الترميم والتأسيس والتشييد. وكم تكون الخيبة مريرة لو لم تكن هذه الأسفار موجودة. تتحدث عن جانب من الواقع الثقافي المغربي، ليبقى للنقاد المقبلين والمؤرخين الأدبيين مجال الدراسة والبحث والمقارنة واسعا فسيحا.

لا يهم أن يتجاهل المجلة البعض من رجال الفكر، من داخل المغرب - خصوصا - لأسباب ظاهرة أو خفية، غالبها بسبب الإتجاهات الإيديولوجية. توهما أن المجلة تراثية ومتمسكة بالإصالة. فهي من أجل ذلك لا تعنى بالتطورات الفكرية والأحداث المعاصرة. ومعلوم أن هذا التوهم باطل من أساسه. لأن التراثيات والأصاليات - إن صح التعبير - منا وإلينا. وفيها وحدها ما يدل علينا، وعلى هويتنا، وعلى مكانتنا بين الأمم تاريخيا وحاليا. فالمغرب مثلا لا يعرف إلا بموقعه الجغرافي وبمدنه وقراه، وبمنشآته وعمرانه وبصروحه التي ينفرد بها - فإذا كان الأمر هكذا في الماديات التي لا يستطيع أحد نكرانها وحجبها والمغالطة فيها فإن المعنويات بجميع فروعها، والمعرضة للنكران والحجب والتغليط والمغالطة جديرة بالحماية والصيانة والدفاع، والإستماتة في الدفاع، تأكيدا للوجود، وفرضا لهذا الوجود، وتخليدا له على أرض هذا الوطن. وهذا ما قام به رجال أسرة «دعوة الحق» الكرام، بكل شجاعة، وصمود ومثابرة، طيلة ربع قرن.

إن المغرب - كما كان وكما سيبقى - مفتوح غير منغلق، مستقبل غير رافض، متجاوب غير متصامم... فجميع التيارات تمر به مرورا عابرا، أو مخلفة آثارا، والمثقفون المغاربة بدرجاتهم واعون بالأمور متفهمون ومميزون، والأخيار منهم، هم الذين يدركون أحوال أمتهم حق الإدراك، ويعتزون بما هي متميزة به، وفي نفس الوقت يحذقون ما يروج في عالم الناس من آراء ونظريات ومبتدعات، ليكونوا على علم أولا، ثم ليأخذوا ما يتلاءم مع ظروف بلادهم ويتجنبوا ما فيه مساس، أي مساس.

أكيد أن هذه المجلة المغربية الإسلامية التاريخية الأدبية سعت في تحقيق التوازن، فبقيت على خطتها المرسومة، منوهة من أمجاد الأمة بما يستحق التنويه، وفاتحة صفحاتها لفنون الآداب التي هي صور من خلجات وجدان هذه الأمة وهمسات ضميرها.

وإذا كان أهل الرأى الإسلامي في هذه الديار سيقيمون عطاءات المجلة خلال الخمس والعشرين سنة، سيفصحون عن آمالهم المستقبلة، وإذا كان أهل التخصص التاريخي سيضعون الأبحاث التاريخية المنشورة في مكانها

الصحيح من حيث الإبتكار والجدة والطرافة. فإن الباحثين سيزنون بميزان الذوق والنقد الموضوعي مآت المقالات الأدبية والمقطوعات الشعرية والنصوص القصصية.

ليس من حقى أن أنصب نفسى حكما على ما نشر من أقاصيص. فأنا منتظر لإحكام غيرى فيما نشرت. وأنا متقبل لها. كانت لي أو علي. إنها أعمال أدبية ،حررت خلال ستة عشر عاما. انجزتها وعمري يتراوح بين الأربعينات والخمسينات. وأنا موشك أن أكمل هذه الخمسينات. وهي فترة تعتبر أوج العمر. فإن كنت معبرا عن غبطتي وسعادتي في بدء هذا المقال. فلأنني ساهمت بقدر ما. في أدب أمتي. ليس قدرا كبيرا ولا فريدا من نوعه. ولكنه ـ على كل حال ـ إنتاج من جهدى واجتهادى وتصورى. أنه ليس مقلدا ولا متكلفا. وليس هو بدافع الكسب والربح. فهناك ميادين كان من الممكن أن أخوض فيها وأربح حقا. ولكني اخترت مصاحبة قلمي. وإبداع ما ينبض به فكرى وتهيج به عواطفي. ويهمس به ضميرى.. ولم أكن متهافتا على النشر حيث كان. وإنما اخترت مكاني وأناسي. فكانت إقامتي بمجلة «دعوة الحق» وكانت أسرتي هي أسرتها الكريمة. وأنعم بها من أسرة.

فما هي مميزات ما كتبت ؟ وهل أنا راض عن هذا الذي كتبت ؟

أولا. نعم أنا راض. فما لا أرضى عنه مقدما لا أرسله للنشر أبدا. وما أرضى عنه أبقى راضيا عنه حتى ولو لم ينشر. علاقة خفية قوية تربط بيني وبين إنتاجي المتواضع... فليباركه الله. أما المميزات فهي حقا مميزات : أقاصيص الأندلسية المنشورة تبلغ 12 أقصوصة. ولا أعرف لها شبيهات. فيما عدا الروايات والقصص المطولات التي كتبها أستاذنا على الجارم «هاتف من الأندلس» و«شاعر ملك». والتي كتبها الأستاذ الرائد جرجى زيدان في «فتح الأندلس» و«شارل وعبد الرحمن» و«عبد الرحمن الناصر».

ميزة أخرى عملا بقول الله «وأما بنعمة ربك فحدث» هي أن جميع الأحداث الكبرى الوطنية السياسية والفدائية، كتبت فيها. وصورتها في مشاهد أعطتها حيوية. وملفى فيه منها 20 أقصوصة. هذه هي المميزات. أما الأقاصيص التاريخية والإجتماعية فأنا فيها مثل غيري من الكتاب والمفاضلة ليست من شأني.

أن عددا من الكتاب وجدوا مجالا فسيحا كريما سعيدا في صفحات مجلة «دعوة الحق» فأعطوا فيها العطاء السخي المتواصل. وارتبط اسمهم بها ارتباطا. ولم يكن ذلك احتكارا من المجلة لأسمائهم. ولكنها فقط الألفة الحميمة والأطمئنان التام. نفس شعور الإنسان بين أهله وذويه. من حيث لا يجد راحته وسعادته واستقراره إلا معهم. وتلك حالى شخصيا طيلة نحو الستة عشر عاما. تعددت كتاباتي أو قلت.

نعم. لقد نشرت قبل أن أنشر في «دعوة الحق» وظهر إسمى قبل أن يظهر فيها.. ولكن إنتاجى المنشور في هذه المجلة هو الأعز على نفسي. ومكاني بين تلك الأسماء هو المكان الباعث لي على الفخر.. ألم أقل في الأول أنه : شرف لي وأي شرف. وتكريم أجل تكريم. فالحمد لله أولا وأخيرا .



مع دعوة الحق في عمرها الطويل

للأستاذ عبد القادر زمامة

في فجر الاستقلال وقيام الحكومة الوطنية تحركت السواكن وتراقصت حبات القلوب ووجدت الأماني والآمال طريقها الى التجلي فيما يكتب وما ينشر وما يذاع... !

واتجهت الأنظار المتبصرة والأعمال الهادفة الى إنشاء. هذه المجلة تستمد هدفها من اسمها... ويستمد هذا الاسم الحرف والكلمة والصيغة. من كتاب الله العزيز : «له دعوة الحق».

وانطلقت الإرادة يواكبها القلم والفكر.. تربط القديم بالجديد.. وتبدىء في ذلك وتعيد... في حضور مستمر، ولقاء متجدد. واتجاه مستوعب...!

وكان وراء هذه الإرادة المنطلقة من أول يوم رجال يربطون بنا صلات ودية باللسان والقلم يحثون تارة، ويلحون أخرى. لنزودهم بالأبحاث والمقالات رغم أننا لم نكن من المتفرغين للكتابة ولا من المنقطعين للبحث...! يومئذ...!

- رحم الله منهم من التحق بربه...!

- وحفظ منهم من لا يزال يحمل هذه الارادة...!

وتعاود الذاكرة هنا ذكريات عن أول مقال كتبناه لهذه المجلة برغبة من رجالها كان عنوانه ، نشأة الأدب العربي بالمغرب.

نشر بالعدد السادس من السنة الثانية ، رمضان 1378 هـ مارس 1959 م وسارت القافلة وتنوع الانتاج وشعت أقلام وانطفأت أخرى واتسعت خريطة الثقافة. والفكر. وظهرت على الساحة معركة المبادىء والآراء. والقيم والمفاهيم... ودعوة الحق في خطها تقطع المراحل من عمرها...! بعزم وإيمان...!

وفي هذه الساحة الصاخبة نشرت لنا دعوة الحق مقالا بعد الافتتاحية كان عنوانه : (لقاء مع الفكر الإسلامي). العدد الأول من السنة العاشرة رجب 1386 هـ ، نوفمبر 1966م وقد سول الشيطان لنفوس مريضة. وعقول سقيمة...! أن تلعب لعبة الإذاية وتركب مركب المكر.. ولكن لم يكن لذلك أي أثر على النفس المؤمنة المطمئنة التي تكتب في هذه الموضوعات احتسابا لا اكتسابا...!

ومن الطريف أن النفس المؤمنة المطمئنة تهيأت لها الأسباب (إجابة عن لعبة الاذاية) ليكون لها صدر رجب في : دعوة الحق فتنشر لها ثلاث مقالات في عدد واحد ....

1 ـ أمام التيارات. (بإمضاء دعوة الحق).

2 ـ ابن رضوان

3 ـ الوجادات

العدد الثاني السنة الثانية عشرة رمضان 1388 هـ ، يناير 1969 م.

ولا شك أن الزملاء الذين كانوا يتابعون ما تنشر هذه المجلة قد لا حظوا في أعداد أخرى نفس هذه الظاهرة... لذلك لم نكن هنا بصدد الكشف عن سر مكتوم...!

وهل في ذاكرة غيرنا أشياء أخرى نسيناها وحفظوها..! وجهلناها وعلموها...! مما يتعلق بالأقلام، والموضوعات، والكتاب، وما الى ذلك...!

فدعوة الحق مدرسة..! وسجل..! واتجاهات...! وملتقيات... وحصائل من التفكير... والتعبير... في هذا الوطن المومن بالقيم والمفاهيم الصحيحة في الحياة...

وإن الذين لا بسوا دعوة الحق في مسيرتها الموفقة، وعمرها الطويل، يتمنون لها وقد قطعت الأشواط واجتازت الصعاب والمفازات... أن تستمد هدفها من اسمها...! وقيمتها من رصيده...! وحيويتها من حيوية أقلامها...!

فاس : عبد القادر زمامه

مساهماتي في دعوة الحق

للدكتور التهامي الراجي الهاشمي

1.0 ـ كان أول اتصالي بدعوة الحق مع عددها الثاني من سنتها التاسعة الذي ظهر في منتصف شعبان من السنة الهجرية 1385 (دجنبر 1965) بمقال تحت عنوان «لم يكن القرآن بلغة قريش فحسب» امتد عشرين حلقة خصصت الحلقة الأولى منه التي نشرت في العدد المذكور من صفحة 63 الى صفحة 65 للحديث عن 24 لفظة هذلية وردت في القرآن الكريم، هي : «اشتروا» «لأعنتكم» «عزموا» «صلدا» «فورهم» «مراغما» «ملوكا» «السوء» «فرقان» «حرض» «وليجة» «انفروا» «السائحون» «غمة» «بدنك» «حصيد» «ظل» «المبذرون» «شاكلته» «رجما» «ملتحدا» «يرجو».

1.1 ـ واتممت الحديث عن الألفاظ الهذلية الباقية في الحلقة الثانية التي نشرت في العدد الرابع من السنة التاسعة (شوال 1085، يبراير 1966، وهي «هضما» «هامدة» «ثاقب» «أجداث» «أواب» «يخرصون» «يرجون» «بالهم» «يهجعون» «ذنوب» «دسر» «الأمد» «التفاوت» «ارجاء» «اطوار» «وزر» «بردا» «دهاق» «ظنين» «زرابي» «مسغبة».

1.2 ـ وتعرضت في الحلقة الثالثة من هذه السلسلة التي نشرت في العدد الخامس من السنة التاسعة (ذو القعدة 1385 مارس 1966) في صفحة 26 إلى صفحة 29 لـ 29 لفظة كنانية شاركت بها هذه القبيلة في القرآن الكريم، وهي «الخاسئين» «شطر» «حصور» «تدخرون» «خلاق» «فورهم» «مبلسون» «تهنوا» «ملوكا» «قبلا» «معجز» «يعزب» «تبتئس» «تركنوا» «السرابيل» «فجوة» «ضد» «بلاس» «السرد» «أو» «أواب» «ركن» «مدينين» «أسفار» «اقتت» «سفرة» «الثاقب» «كنود».

1.3 ـ أما في الحلقة الرابعة التي نشرت في العدد السادس والسابع في السنة التاسعة (محرم 1386 ـ أبريل 1966) صفحة 23 الى صفحة 26 فتعرضت بالشرح لـ 16 لفظة حميرية تتلى في القرآن الكريم، وهي : «سيدا» «تفشلا» «سفاهة» «زيلنا» «مرجوا» «السقاية» «حمإ مسنون» «فسينغضون» «مسطورا» «حسبانا» «عتيا» «مآرب» «غرام» «أنكر» «بعلا».

1.4 ـ ومن العدد الثامن من السنة التاسعة تعرضت لباقي الألفاظ الحميرية وهي 11 لفظا هي : «مرض» «مقاليد» «يتركم» «ألتناهم» «زعم» «اعجاز» «وبيلا» «مرقوم» «زرابية» «مدينين» «امام».

1.5 ـ أما في العدد التاسع والعاشر من السنة التاسعة (ربيع الأول والثاني 1386 يوليوز غشت 1966 فتعرضت في الحلقة السادسة في هذه السلسلة الى ألفاظ جرهم، وهي «باءوا» «شقاق» «خير» «دأب» «ألا تعولوا» «يغنوا» «أساطير» «شرد» «تحسبن» «أراذلنا» «عصيب»

«مقطوع» «محسورا» «حرب» «ينسلون» «الودق» «شرذمة» «ربع» «الشوب» «القطر» «جبار» «الأنام» «استغشوا» وعددها 23 لفظة.

1.6 ـ وتعرضت في العدد الأول من السنة العاشرة (رجب 1386 ـ نونبر 1966 صفحة 16 الى ألفاظ قيس عيلان الواردة في القرآن الكريم. فكانت كما يلي : «فورهم» «نحلة» «حرج» «أمة» «تفندون» «صياصيهم» «أواب» «رجيم» «يلتكم» «الخراصون» «المهيمن» «غلب» «خاسر».

1.7 ـ أما الحلقة الثامنة من هذه السلسلة التي خصصتها للحديث عن الألفاظ النبطية الواردة في القرآن الكريم فقد نشرت في العدد الثاني من السنة العاشرة شعبان 1386 ـ دجنبر 1966 من صفحة 34 الى صفحة 37 وهذه الألفاظ هي : «اصري» «كفل» «أواه» «هيت لك» «وراءهم» «سيناء» «عبدت» «مقاليد» «اليم» «وزر».

1.8 ـ كانت الحلقة التاسعة التي نشرت في العدد السادس والسابع من السنة العاشرة (محرم، صفر 1387 ـ أبريل، ماي 1967) ابتداء من الصفحة 22 مخصصة لألفاظ قبيلة تميم. هذه الألفاظ هي : «بغيا» «تدخرون» «قرح» «ثمر» «يبشرهم» «أمة» «سرابيل» «الصدفين» «متنا» «سخريا» «خاشعة» «آسن».

1.9 ـ وتصديت في العدد التاسع والعاشر من سنة مجلة «دعوة الحق» العاشرة (ربيع الثاني جمادى الأولى، 1387 ـ يوليوز غشت 1967) ابتداء من الصفحة 76 لألفاظ لهجة أزد شنوءة. فكانت كما يلي : «لا شية» «تعضلوهن» «أمة» «الرس» «يعلا» «كاظمين» «غسلين» «لواحة» وختمت المقال بألفاظ عمان الواردة في القرآن الكريم. وهي. «الصاعقة» «خبالا» «نفقا» «خمرا».

1.10 ـ وتحدثت في الأعداد التي ظهرت في سنة 1388 (1968) عن ألفاظ قبيلة طي وحضرموت والأشعريين وأغار وغسان وبني حنيفة و اليمن. وتعرضت في الأعداد التي ظهرت في السنوات الموالية الى ألفاظ قبائل اليمامة وخزاعة وختعم ومذحج ومدين.

ـ 2 ـ

2.0 ـ كما شاركت بسلسلة أخرى تحت عنوان ، «تأملات في استعمال اللغة العربية ونحوها».

2.1 ـ ظهرت الحلقة الأولى منها في العدد 10/9 من السنة الحادية عشرة ابتداء من صفحة 79 خصصت جزءا منها للحديث عن القولة المشهورة «إن لنا من النحو أكثر مما لنا من اللغة» ثم لقضية الصفة المشبهة واسم الفاعل ثم للدال : «شيء».

2.2 ـ وخصصت حلقة العدد الأول من السنة الثانية عشرة (شعبان 1388 نونبر 1968) ابتداء من صفحة 79 للحديث عن قضية الفاعل والمفعول في اللغة العربية ثم لشرح العبارات المتحجرة في لغتنا وختمتها بالحديث عن قولهم «وجها لوجه».

2.3 ـ تابعت الحديث في هذا الموضوع في العدد الخامس من السنة الثانية عشرة عن الألفاظ المقتولة، وعن أحياء الألفاظ، وعن دور القرآن الكريم في ذلك كله، وعن أثر المستعملين للغة في القتل والإحياء.

ـ 3 ـ

3.0 ـ وشاركت أيضا في نطاق الرسم القرآني ـ بسلسلة من المقالات تحت عنوان : «النصوص وأثرها الحميد في مساعدة الطلاب على حفظ القرآن واتقان رسمه».

3.1 ـ خصصت الحلقة الأولى من هذه السلسلة التي نشرت في العدد الثالث من السنة الثانية عشرة انطلاقا من الصفحة 22 للنصوص التي تطرقت للحذف والاثبات و «الرشق كما تطرقت للنصوص التي اهتمت بما

يعرف عندنا باب «التكرار» وبالنصوص المتعلقة بالتجويد و بـ «التاء المطلوقة» وغير ذلك من النصوص.

3.2 ـ تابعت الحديث عن هذا الموضوع في العدد الثاني من السنة الثالثة عشرة (رمضان شوال 1389 ـ يناير 1970) صفحة 75 تحدثت فيه عن النصوص المتعلقة بـ «الدنيا» التي يوقف عليها في القرآن الكريم.

3.3 ـ وفي هذا النطاق، أي نطاق رسم القرآن الكريم كتبت مقالا تحت عنوان «المد في القرآن الكريم من الناحية الصوتية» نشر في العدد 7/6 من السنة الرابعة عشرة ابتداء من صفحة 40 تعرضت فيه لأنواع المد ومدته عند القراء.

3.4 ـ وفي نطاق التعريف بلغة القرآن الكريم، وتتميما للسلسلة التي كنت نشرتها تحت عنوان «ليس القرآن بلغة قريش فحسب» شرعت في نشر مقالات حول اللغة الآرامية في القرآن الكريم ظهر منها في العدد السابعة من السنة الثالثة عشرة المقال الأول. وأرجو أن يمد الله في الأجل، ويفتح علينا لأعود فأتممه بحول الله وقوته.

ـ 4 ـ

4.0 ـ وفي مضمار القراءات القرآنية واللهجات العربية كتبت سلسلة من المقالات وصل عدد حلقاتها ـ لحد الآن ـ الى سبعة. لعل الله ييسر العودة للموضوع فأتممه. إن شاء الله.

4.1 ـ وهكذا ظهرت الحلقة الأولى منه في العدد التاسع في السنة الرابعة عشرة والحلقة الثانية منه في العدد 10 من نفس السنة ابتداء من صفحة 37.

4.2 ـ أما الحلقة الثالثة منه التي خصصتها للحديث عن «جبريل» و «جدف» و«جؤنة» و«أجزأ» فقد نشرت في العدد السابع السنة الخامسة عشرة (ذو الحجة 1392 ـ يناير 1973) ابتداء من صفحة 81.

4.3 ـ وخصصت حلقة العدد التاسع والعاشر في السنة الخامسة عشرة (ربيع الأول 1393 ـ ماي 1973) انطلاقا من صفحة 68 للحديث عن ألفاظ «الحج» «الحبك» «حرم».

4.4 ـ وتابعت الحديث، في هذا الموضوع، حيث نشرت الحلقة الخامسة منه في العدد الأول من السنة السادسة عشرة (جمادى الأولى 1393 ـ يونيو 1973) تعرضت فيه للألفاظ «أحزنه» «الحمد لله» «الحوب» «الحوث».

4.5 ـ أما الحلقة السادسة في هذه السلسلة فقد نشرت في العدد الثالث من السنة السادسة عشرة (ذو القعدة 1393 ـ دجنبر 1973)، من صفحة 25 الى صفحة 28 تطرقت فيها لـ «حيث» و«استحي» و«خاشعة».

4.6 ـ كانت الحلقة السابعة التي نشرت في العدد السابع من السنة السادسة عشرة (رجب 1394 ـ غشت 1974) صفحة 64 مخصصة للحديث عن الألفاظ خطوة ومشتقاتها.

ـ 5 ـ

5.0 ـ كما شاركت في «دعوة الحق» بسلسلة أخرى خاصة بالرواية المتخصصة في القراءات القرآنية عنوانها ، «حمل فرش في مروى الإمام ورش».

5.1 ـ ظهرت الحلقة الأولى من هذه السلسلة في العدد العاشر من السنة التاسعة عشرة انطلاقا من الصفحة 35 تعرضت لموقف ورش من البدر نافع رضي الله عنهما وللبسملة عند هذا الراوي، وللسكت والوصل في البسملة عنده.

5.2 ـ أما في العدد الأول من السنة «العشرون» (صفر الخير 1399 ـ يناير 1979) انطلاقا من صفحة 52 فتحدث، في نطاق هذه السلسلة طبعا، عن الميم التي للجمع في رواية ورش وعن قضية الهاء المصاحبة للميم وعن الهمزة المفردة وعن الهمزة الساكنة الواقعة بعد غير الهمزة.

5.3 ـ وخصصت الحلقة الثالثة من هذه السلسلة للحديث عن قراءة ورش لهمزة القطع وهمزة الوصل وعن الهمزة المتحركة الواقعة فاء. نشرت هذه الحلقة في العدد السادس والسابع من السنة «العشرون» رجب ـ شعبان 1399 ـ يونيو ـ يوليوز 1979. صفحة 100.

5.4 ـ ظهرت الحلقة الرابعة من هذه السلسلة في العدد الثامن من السنة العشرون. صفحة 52 خصصتها للحديث عن «الهمزة الواقعة عينا للكلمة أو لامها» وعن قراءتها من طرف الإمام ورش. راوي الإمام نافع. والجدير بالذكر أن أشير الى أن هذه السلسلة غير تامة. ومن الممكن أن أعود إليها. إن أطال الله في العمر.

ـ 6 ـ

كما شاركت في كثير من الأعداد الخاصة بعيد العرش. والأعداد التي ساهمت فيها هي كما يلي : العدد الثالث في السنة الرابعة عشرة والعدد الأول في السنة الخامسة عشرة والعدد الثامن من السنة الخامسة عشرة والعدد الرابع والخامس من السنة السادسة عشرة والعدد العاشر من السنة السادسة عشرة.

ـ 7 ـ

7.0 ـ كما شاركت بأبحاث مختلفة. غير متخصصة كانت تدور. إما حول فكرة تاريخية. أو سيرة نبوية أو نقد أدبي.

7.1 ـ نشرت حول الفكر التاريخي مقالا تحت عنوان : «أثر الفتاوي في تصحيح الأحكام في عهد السلطان مولاي يوسف قدس الله روحه» ظهر هذا البحث في العدد الرابع من السنة الثانية عشرة. صفحة 160.

7.2 ـ كما نشرت. في نطاق السيرة النبوية بحثا تحت عنوان : «السيرة النبوية والكهنة» ظهر في العدد السابع في السنة الثانية عشرة. صفحة 211.

7.3 ـ وأما في النقد الأدبي فنشرت تحت عنوان : «الأستاذ عبد الله كنون في كتابه الأخير : «على درب الإسلام». ظهر هذا المقال في العدد التاسع والعاشر في السنة الخامسة عشرة. صفحة 191.

7.4 ـ وفي نطاق احياء ذكرى المسيرة الخضراء كتبت مقالا في العدد السادس في السنة السابعة عشرة. صفحة 191 تحدثت فيه عن : «المسيرة الخضراء الحسنية تقوي السيادة المغربية على جميع المستويات».

7.5 ـ وما كنت لأنسى. حتى وأنا أكتب في «المختلفات» اللغة العربية الحبيبة علي. فكتبت. في العدد التاسع من السنة 17 مقالا تحت عنوان : «اللغة العربية مرآة أمة إسلامية». صفحة 124.

7.6 ـ وبمناسبة الاحتفال بالسنة الدولية للطفل. نشرت في العدد الخامس السنة العشرون. جمادى الثانية 1399 ماي 1979. صفحة 12 مقالا تحت عنوان : «الطفل في القرآن الكريم».

كما نشرت في العدد الثاني من السنة 21 ابتداء من الصفحة 51 مقالا حول : الإسلام دين معاملة لادين طقوس».

هذه هي مساهمتي المتواضعة في المجلة الإسلامية الذائعة الصيت «دعوة الحق» التي تحتفل اليوم بعيدها الفضي.

الدكتور التهامي الراجي الهاشمي



الإسلام
هو الحل الأمثل لمشكلات العصر

للأستاذ حمداتي ماء العينين

تزداد مشاكل الإنسانية في التعقيد يوما فيوما وتستأثر بالضمير البشري، روح الهيمنة، والغلبة، والاستبداد، وتتسع شقة الفوارق الاجتماعية ضمن الإطار الذي يحكم أية جماعة، أو وجهة، وبقدر ما توفرت للإنسان المتطلبات المادية، وتحكم في مصادر القوة، بقدر ما ابتعدت نفسه عن المثل الأخلاقية الفاضلة، هذا إذا لم يكن للوازع الديني، والضميري، والأخلاقي تحكم في أعماق إحساسه.

لقد مرت الإنسانية، عبر مراحل تطورها بكبوات مضنية، عب فيها المتغلبون ماء وجه الفضيلة حتى الثمالة، فلم يبق مظهر من مظاهر الاستبداد والظلم، وتعميق كل الفوارق المادية، والمعنوية، إلا وعرضت منها مظاهر مخجلة على خشبة مسرح الحياة، لقد كان استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، من بين الفضائل التي يتباهى بها الأقوياء، ولقد بلغت فوضى البشرية نهاية مطافها في القرن السادس لميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام، ولم يكن ذلك تبرئة لساحة أبناء القرون التي سبقته، بل على العكس من ذلك، فلم يصله إلا ثمار ما غرس أبناء القرون السالفة من أحقاد، وفتن، وتطاحن.

لقد كانت كل دولة حسب مفهوم الدولة في كل فترة تعتبر غير رعاياها مباحي الدم، والمال، يسترقون ان ظفر بهم في موقف ضعف، ويباعون في سوق المزايدة بدون غضاضة في ذلك، فكل غالب سيد وكل مغلوب رقيق.

ولا يستبعد من تتبع تلك المراحل إذا وجد الفيلسوف اليوناني العظيم أفلاطون، قد استرق مرة في إحدى جولاته في البحر الأبيض المتوسط، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قد استرقه قبل الإسلام صعلوك أثناء إحدى رحلاته للشام، وبقي تحت رقه أياما، حتى انفرد به أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله.

وإذا كانت جزيرة العرب التي حباها الله ببزوغ شمس الإسلام فيها لتبدد في مدة وجيزة حالك الجهالات في أكثر من جهة على يد جماعة من البدو، لم يكن لهم تكوين ثقافي، ولا نظام اجتماعي معين سوى الانهماك في الملذات، وتحكم شتى أنواع الرذائل من التغني بالخمر إلى وأد البنات، إذا كان هذا هو حالهم، فإن الإيمان ربط قلوبهم وثبت أقدامهم، وأنار لهم سبيل الحق، حتى أصبح الكثير من أبناء غير المسلمين يحكمون بصلاحية هذا الدين المنبثق من أعماق تلك الصحاري المنطوية على نفسها، لاحتواء مشاكل البشرية، وحل عويصها بعدل، وحكمة وفعالية.

تلك الصحارى التي ذلك حالها وهذا عطاؤها كانت تحيط بها دولتا ، الفرس، والرومان، وما منهما إلا ولقي فيها الإنسان ما أشرنا إليه من أوبئة اجتماعية أصبحت سبة في سجلات أسلاف البشرية القدامى.

ففي الرومان ساد نظام لا يجعل للضعيف حقا، فإذا كانت بلغت أوج حضارتها في القرن الخامس، عندما أصدر جوستينان قانونا نظم فيه شؤون العقود، والتعامل، على شكل متطور آنذاك، فإنه كرس هيمنة الاشراف، وأعطاهم جملة وافرة من الحقوق على حساب الضعفاء نجمل بعضها فيما يلي :

1) كل الرعايا ممن ليسوا رومانا تبقى حقوقهم في الدرجة الثانية بعد الرومانيين، سواء كانوا داخل الأقاليم الوطنية، أو في الأرض المستعمرة.

2) العبيد يعاملون معاملة الأشياء المسلوبة باعتبار أن السيد يمكنه، أن يقتل عبده، ولا تكون عليه في ذلك أية تبعة.

3) اعتبر ذلك القانون المرأة في حكم المملوكة للرجل، إذ يكاد عقد الزواج في ظل هذا القانون يكون عقد تمليك، وليس عقد مشاركة في الحياة.

4) الدائن مسترق لدائنه، إذا عجز عن الأداء.

5) الميراث كان يخدم طرفا واحدا ليكدس الثروة في يده دون بقية الوارثين.

يباح لمن رأى هذا القانون، بأن يصفه بأنه قانون تكريس غلبة القوى للضعيف وتنمية طبقة الاشراف، وقواد الجيوش على حساب بقية الشعوب، التي دخلت في دائرة نفوذه.

أما الفتن والأحقاد، والنزاعات الدينية فكانت سائدة بشكل لا تصل الكلمات إلى وصف قسوته في بعض الأحيان، ويكفي الاستدلال على ذلك بالمشاعل التي كانت تضيء الطريق لموكب الطاغية «نيرون» مصليا بها أجسام المسيحيين، المناوئين لحكمه الوثني.

أما في الجانب الشرقي، فكانت فارس التي عندما غادرها الاسكندر المقدوني قسم حكمها بين الأشراف، مما أوجد الفروق الاجتماعية، وما ينتج عنها من أحقاد، ومواجهات حتى ان أحدهم وهو = ماني = دعا إلى إبادة بني الإنسان ليتخلص العالم من شرورهم ـ بزعمه ـ فما دام لم ير إلا شرورا في مجتمعه، فقد ظن العالم البشري لا يمكن أن يكون فيه إلا شر، ثم أتى من بعده الطاغية «مزدك»، الذي جعل من نهب النساء والمال شعار ملكه وما لبث فيها قليلا، حتى أصبح الإنسان في دولة لا يعرف ولده، ولا قريبه، وبرغم جهود كسرى بعد ذلك، فإن عقابيل الأحقاد والفوضى التي كانت سائدة في عهد مزدك قد وجدها الإسلام لا زالت حية في نفوس المجتمع الفارسي، ولعل التقتيل الذي لا زال يعرف بتلك البلاد من حين لآخر بقي ميزة وراثية، لا تقيم أدنى اعتبار لحياة الإنسان، من ذلك التاريخ إلى الآن.

المجتمع في الجزيرة العربية :

أرض الجزيرة صحارى قاحلة في مجملها، إذ تندر فيها المياه، وتتبعها الزراعة، وهي واحات تتخلل سلاسل الجبال، يسكنها مجتمع متفكك الأوصال قليل التعليم أسير المضاربات التجارية، يتنازعه سلطانان قويان : الفرس من الشرق، والروم من الشمال، والأطراف المتاخمة لكل واحد منهما منطقة داخلة في نفوذه، إن لم نقل أنها تحت عبوديته، ومن الجنوب، توجد اليمن ذات الحضارة القديمة، والبداوة المتنامية.

ولم يلحظ شيء يدل على تحكم الفكر والعدل في تلك المنطقة الشاسعة، سوى اجماع كل العرب على تقديس حرم الله بمكة المكرمة، وان كان ذلك لم يكن باختيارهم، بل كانت إرادة الله تتحكم فيهم فتوجههم عن طريق اللاشعور بواجب احترام أقدس بقعة على وجه الأرض، ففي الحيرة، والطائف، ومكة، والمدينة، سكن أهل المدر، وفي غيرها من فيافي الصحراء تنقل أهل الوبر، قوتهم مرتبط بمزن السماء، حيث يظهر كلأ لكسبهم فهو منتجعهم، ومركز إقامتهم إلى أن يذوي العشب، وتصوح البلاد، فينقل «الوطن» إلى غيرها إن صح التعبير.

لم يكن هناك نظام يشد بعض القبائل إلى بعض بل الحرب، والتعالي، والتقاتل هي : أهم العلاقات التي

كانت تميز بين القبائل بعضها مع البعض الآخر، فالحرب تنشب لاتفه الأشياء، وتستمر إلى أن تلتهم الأنفس، والمال، والقوة «حرب عبس وذبيان مثلا».

وكان التفاوت الطبقي والعرقي أصلا من أصول المجتمع القابع في تلك الجبال والوهاد، يضاف إلى ذلك، بعض الرواسب في الحياة العامة، التي يأباها الضمير وينأى عنها العقل البشري، فالإنسان ينحت تمثالا من خشب أو حجر، أو ورق، ينصبه ربا يعبده ويتمسح عليه ينشد فيه البركة، تماثيل لها عاكفون لا تملك لنفسها نفعا ولا ضررا، حمل الجهل صانعيها على اعتقادهم فيها، مالا تملكه، عن طريق وهم لا تنفع فيه.

ثم كان وأد البنات وتوراث النساء كرها وعدم التقيد في العلاقات الزوجية، لا بعدد الزوجات، ولا بشكل الزواج فللولد يأتي عن طريق عقد الزواج، كما يأتي عن طريق السفاح، كما يمكن تبنيه بدون أية من الطريقتين، وهذه الأخيرة طريقة التبني مستوردة من النظم الرومانية إلى أن أتى الإسلام فمنعها، وفي ذلك رد على من يقول بتأثر الشريعة الإسلامية، بالقوانين الرومانية.

هذا هو المناخ السياسي والاجتماعي الذي وجدته الرسالة المحمدية سائدا في شتى أنحاء المعمور، وما لم نذكر، أقبح حالا مما ذكرنا، لا من حيث بقية أقطار الدنيا، ولا من حيث بقية الأوضاع الاجتماعية عند من ذكرنا، ويسهل القول بأنه كان لا يوحي، باستنباط أي تشريع إصلاحي من صلب تفاعل أوضاعه الاجتماعية.

الإسلام وانقاذ البشرية :

لا شك أن أفق الإنسان يتأثر بما يدخل في حيز إدراك مجتمعه مهما بلغ طموحه، فالخوارق بقيت في غالب أحوالها مستنبطة من محاولات سابقة، أما أن يظهر نظام متكامل، سليم من النقص وخال من مواطن الضعف، عن طريق فرد، لا عهد له بالتعليم، ولا بالتجربة، ولا حتى بالمحيط الاجتماعي الفاضل، فهذا لا يتأتى إلا عن طريق اختيار الله، وبوحي وإلهام منه، وهذا ما حصل بالفعل لمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء بالحق بشيرا ونذيرا، ينقذ الناس من مزالق الظلم والاستبداد **«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» «قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين»** فمن لم يتبع محمدا صلى الله عليه وسلم فهو هالك وضال.

مادام النبي صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا ليجعل حدا لمشاكل الطغيان في الدنيا، ويرشدهم إلى طريق تمنعهم من الانزلاق في مهاوي جحيم يوم القيامة **«يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم»**.

مادام دين الإسلام هذا وصفه، وأهدافه ترمي إلى سعادة البشر كافة في الدنيا والآخرة، فإن حل مشاكل البشرية في العصر الحالي، والذي يليه لا وسيلة لها، إلا عن طريق الرجوع إليه، والاستمساك بتعاليمه، وبالأخص المسلمين الذين يؤمنون بما جاء به الصادق الأمين.

ولنستدل على ذلك بنصوص قرآنية، وسنة نبوية من خلال تعرضنا للمواضيع التالية :

المجتمع الذي يدعو إليه الإسلام :

الركيزة الأساسية التي يتوكأ عليها المجتمع الذي يدعو إليه الإسلام ليكون مسلما، هي : وحدانية الله بالاعتراف بأن لارب غيره، مجسدا اعترافه بالنطق بالشهادتين ومبلورا ذلك النطق في ممارسات الواجبات الدينية.

فالإيمان بالله يهذب النفس، ويبعث في الإنسان قوة عظيمة تمكنه، من إدراك كنه مضمون معنى الكرامة، والتشبث بها، والعمل من أجلها فلا يتذلل لغير الله، ولا يلتجيء لغيره ، لا يخاف من جبروت الأقوياء، ولا ينتهك حقوق الضعفاء، فإذا تحكم الإيمان في النفوس، انتفت هيمنة

شبح الخوف من الأفراد، فتبعث الكرامة والحرية في نفس المؤمن، ليصبح وازعه في التعايش مع الآخرين ينطلق من نفسه، رقابته من ضميره، سلوكه يطبعه احترام الأفراد والجماعات، فأكل أموالهم حرام عليه بنصوص الشريعة ونهش أعراضهم من أكبر الكبائر، وتقييد حرياتهم لا يجوز، إلا في حالة إضرار تلك الحريات بغيرهم.

وفي العلاقات المالية هناك مبدأ جواز الملكية ليكون المال، وظيفة اجتماعية تخدم كل أفراد الأمة، في إطار تكافل اجتماعي، يسير متوازنا بين تنمية المواهب، وعدم مضرة الغير، والرجوع بالفضل الزائد منه على كفاف مالكه إلى مستحقه ممن لم يساعدهم الحظ.

فإذا استثمرت المواهب، واحترمت الحرية، وطبقت المساواة الديمقراطية، وتحققت العدالة الاجتماعية، وأحس الأفراد في المجتمع أن الإسلام يرعى شؤونهم، فيسد خلاتهم، وينمي مواهبهم، لاظلم ولا جبروت، ولا تسلط، ولا طغيان، الكل يعمل على سعادة الجميع، فالأفراد يؤدون واجبهم نحو الجماعة، والجماعة ترعى مصالح الأفراد، السلطة لله، وأولياء أمور المومنين ساهرين على تطبيق شريعته، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، عندها يتكون المجتمع المسلم الذي دعا إليه الإسلام، وعرف نموذجه الأمثل في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد خلفائه الراشدين عليهم رضوان الله، وإذا مارجع المسلمون إلى تطبيق تعاليم الإسلام، منهاجا يوجه الحكم، وسلوكا يلزم المجتمع الإسلامي بتطبيقه، تمكنا نحن المسلمين من إنقاذ البشرية من جديد، بوضع الحلول المنشودة لكل مشكلات العصر، وفي النصوص التالية خير شاهد على صحة تلك الإفتراضات :

الوحدانية لله والسلوك وفق أوامره :

فالإيمان بالله ينمي إنسانية الإنسان، لأنه يجعل حدا للمعتقدات الفاسدة، التي تسوقه إلى الاستعباد، إما إلى الأشياء، أو الأفراد، أو إلى الأوهام الالحادية التي لم تتمكن علميا من اقناع أصحابها بجدوى تخليهم عن الاعتراف بوجود الخالق.

قال الله عز وجل : **«وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين، إنما هو إله واحد فإياي فارهبون وله ما في السموات والارض وله الدين واصبا، أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله، ثم إذا مسكم الضر فإليه تجئرون».**

وقال : **«ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون» .**

فالمجتمع المسلم لا تكون فيه العبودية إلا لله، يمارس أفراده واجباتهم لله، لا لغيره لا يشركون بالله شيئا **«قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين».**

ان مجتمع المسلمين قائم على تصور من وحدانية الله وحده، يخلص لله في عباداته، ويخافه في سلوكه، يعلم أنه يراقب ضمائره، وبذلك تنفى منه الرذيلة، وتكاد تختفي فيه القواعد الزجرية، لأن سلوكه الخارجي مطبوع بتوجيه الضمير، وهنا جعل من الله رقيبا عليه قبل، أن تكون السلطة الإنسانية هي رقيبه، وبذلك يكون خوفه من عقاب الله الذي لا يمكن أن تستره عنه بحجاب أو غيره، لأن الله قال : **«يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور»** أما سلطة الأفراد فمن السهل التهرب منها بشتى الوسائل، فعلى هذا الأساس يتعامل المومن مع ربه، ومع الكون، يحس بأنه لا يستطيع الاختفاء أو التحايل عن أو على رقابة ربه، فيهذب سلوكه، وحتى خلجات ضميره، لأنه في حالة تفكيره في الخير يكون له الثواب.

وانطلاقا من هذا الإيمان النفسي الخفي، يكيف تعامله مع نواميس الكون، ومع تفاعلات الحياة، بخيرها وشرها صابرا على البلاء، حامدا للنعمة، فكل طموحاته، واهتماماته، تستمد أصولها من تعاليم الله كما بلغ ذلك نبيه عليه الصلاة والسلام.

فإذا تخلص الضمير من العبودية لغير الله، وتمسك المسلم بحبل الله، وراعى حقوق الله في غيره من بقية المسلمين، تهيأ قيام المجتمع المسلم الصالح لممارسات الحريات، واستثمار كل المواهب ليسعد أفراده بالرفاه المادي والمساواة السياسية، والعقيدة السليمة، فتكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس.

الحريـــــــــة :

عندما يتمكن الإيمان بالله من النفوس، ويتمسك الفرد بتعاليم الله، ويجعل من ربه رقيبا عليه، يصبح أهلا لكل حرية لأن هاته الحرية لا يمكن عبر قيود الإسلام عليها، أن تصبح وسيلة لمضرة غيره، أو النيل من كرامته، أو التسلط عليه.

مفهوم الحرية عند غير المنهج الإسلامي، يجعلها اما سلطة للدولة تتحكم فيها من كل شيء، ولا حرية للأفراد، فهم ملزمون بالسير حرفيا في توجيهات الدولة، صلحت أم حسنت، ليس لهم حق الاعتراض، وفي غالب الأحيان ليسوا أهلا للمشورة فأموالهم وأفكارهم، مسلوبة منهم لفائدة الدولة، إن أساءت، لا حق لهم في مراجعتها، وعليهم إساءتها، وان أحسنت فلها، هذا هو المسار العام للحرية ضمن التطبيقات الشيوعية.

يقابل هذا مزيد من الحرية للشعب والدولة، إلى درجة تكاد تصل، إن بقيت مطلقة إلى تطبيقات لا تخلو من أساليب حيوانية، ولو تتبعنا بعض الممارسات في الأنظمة الديمقراطية الغربية لتوصلنا إلى ذلك.

أما الحرية في الإسلام، فإن تقيد المسلم بالعبودية لربه، يحول بينه مع تقديس نفسه، فلا تصل به إلى التطاول على حقوق غيره.

فخوفه من الله في كل شيء، والتماسه رضاه في الرفق بمخلوقاته، تجعله يمارس حريته بحذر يسوق إلى المثالية، التي لا زال كل أبناء البشرية ينشدونها، ولم يستطع أحدهم الوصول إليها إلا في فترة وجيزة عند دولة الإسلام، في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم.

الممارسات الديمقراطية في الإسلام :

اتسم المجتمع الإسلامي بتطبيق أساليب ديمقراطية هامة، عرفتها ممارسات الصحابة رضي الله عنهم، ورسول الله بين ظهرانيهم، وأيضا عرفتها علاقاتهم فيما بعده، فمن اختيار الخليفة، إلى تدبير شؤون الدولة، إلى ممارسات السلطة، إلى حياة الشعب المسلم اليومية، سواء فيما بين أفراده بعضهم مع البعض الآخر، أو في علاقاتهم بالحاكمين، يجد المتتبع لتلك الآثار أصولا ديمقراطية، لا زالت متقدمة، في تشريعاتها، وتطبيقاتها، على أحدث أساليب الديمقراطية الغربية اليوم ولنضرب أمثلة لذلك من خلال التطبيقات التالية :

الخلافة، واختيار الإمام :

بعد اختيار الله لنبيه ليكون رسوله للناس كافة، ينشر رحمته، ويطبق عدله، ويبين طرق عبادته، أرسله للناس كافة، كما تشير إليه الآيات القرآنية الكريمة : **«قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا» «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».**

بلغ النبي صلى الله عليه وسلم، الرسالة وأدى الأمانة وأرشد الناس كافة، بين مجمل القرآن وأوضح مطلقه، وما يرد عليه من تقييد، وأطلق ماتستدعي الضرورة إطلاقه من مقيد، وشرح غوامضه بسنته على مختلف أنواعها من قولية وفعلية وتقريرية، فلم يبق فرض ولا نفل، لم يبق أمر ولا نهي، ولا شيء يستوجب توجيها، إلا وبين وجه الحكم فيه، ووضع الأسس المثالية للمجتمع المسلم، المتحرر من قيود العبودية لغير الله، المتعاون فيما بينه، المتراحم بعضه مع البعض، فلا ظلم، ولا غدر، ولا تسلط ، ولا جبروت، الحاكم والمحكوم كلهم عبيد الله، وكل يرعى الله في علاقاته، مع غيره، خاتم النبيئين وإمام المرسلين، وسيد الأولين

والآخرين. يقوم بشؤون نفسه. يبيع في الأسواق مع الناس. ويشد راحلته في السفر. ويحمل سيفه لإقامة الحق. يأخذ للمظلوم حقه. ويصد الظالم عن ظلمه. الناس سواسية كأسنان المشط عنده. لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى.

لا يستبد برأي. فنظام المشورة السياسية مقرر بحكم القرآن «**وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**» «**وأمرهم شورى بينهم**».

التراحم والتكافل والتعاون على البر والتقوى. شعار حكم يأمر بالعدل. وينهى عن المنكر قال الله عز وجل : «**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان**» وقال : «**إن الله يأمر بالعدل، والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر**» ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم. (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) . وقال مبينا ميزة المساواة في حكمه (يا شباب بني هاشم إياكم أن يأتوني الناس بأعمالهم يوم القيامة، وتأتوني بأنسابكم فإني لا أغني من الله شيئا إلا بالعمل الصالح) ـ أو كما قال ـ وقوله : (والله لو أن فاطمة بنت رسول الله سرقت لقطعت يدها).

اختيار الإمام :

كانت الخلافة الإسلامية مؤسسة ديمقراطية. لم تخرج في أي وقت من أوقاتها عن المستلزمات الديمقراطية. لا في اختيار الخليفة، ولا في واجباته وحقوقه. وفي اختيار الخلفاء الراشدين أصدق شاهد على ذلك.

فالرسول صلى الله عليه وسلم. أشار بأبي بكر بدون إلزام. وبناء على تلك الإشارة. وأثناء تأجج العواطف في سقيفة بني ساعدة. وقعت القصة المشهورة. مما نجم عنه ترشيح عمر لأبي بكر. فوافق المسلمون بأسرهم على هذا الترشيح. فاجتماعهم في المسجد. وعرض الأمر عليهم كمشروع. زكته بيعتهم له جميعا. وهذا هو النهج الذي تتبعه الأنظمة الديمقراطية اليوم.

أما أبو بكر رضي الله عنه. فقد أوصى بها لأمير المومنين عمر بن الخطاب لتوفر شروط رآها لا تتوفر في غيره. وهو أيضا كان يعلم أن أمره هذا سيطرح على اختيار المسلمين وفعلا وقع. وقد كان اختيار أبي بكر من باب المسلمات عند كل المسلمين. لأن الكل مقتنع بأفضلية عمر. وكفاءته.

ورأى أن المدة الوجيزة التي عاشها أبو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. والتجربة التي شاهدها ابتداء من اجتماع الأنصار مباشرة بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى. إلى تمرد أهل الردة. كل ذلك كان يجعله يقدر الحالة الاستثنائية التي ستعيشها الأمة بعد أن يختاره الله لجوار نبيه صلى الله عليه وسلم. فيكون من الواجب. أن يترك شؤونهم في يد أقواهم وأجدرهم بالقيادة. وأرحمهم بكل أفرادهم. وفعلا تدارس المسلمون اقتراح أبي بكر رضي الله عنه. ووافقوا عليه جميعهم.

أما بيعة عثمان رضي الله عنه. فيكفي من التطبيقات الديمقراطية في شأنها ما لقيه النفر الذين أوصاهم سيدنا عمر باختيار الخليفة. وسهر عبد الرحمن بن عوف. بعد تفويضهم له. وحرصه على أن يسمع رأي جل المسلمين في زقاق المدينة. فحين لم يختلف له إثنان على أرجحية عثمان. بايعه. ثم تبعه الجميع. وأيضا نفس الشيء. وبإجماع كل من لهم شرعية الرأي على بيعة علي رضي الله عنه. وحتى إذا تغيب أحد. أو عارض في إحدى تلك الحالات. فلا يعدو أن يكون رأى أقلية أمام اختيار أغلبية ساحقة.

سلوك الحاكمين :

يحدد الطريق السوي لهذا المبدأ. ما التزم به خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه عندما قال يوم توليته : «فأعينوني على ذلك بخير. أطيعوني ما أطعت الله. فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم».

وقال أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لكم علي، أن لا أجتني شيئا من خراجكم، ولا ما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم علي، إذا وقع في يدي الا يخرج شيء منه إلا من حقه ولكم علي، أن أزيد عطاياكم، وأرزاقكم إن شاء الله، وأسد ثغوركم، ولكم علي ألا ألقيكم في المهالك ولا أجمركم - أي أحبسكم - في ثغوركم، وإذا غبتم في البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم، فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واحضاري النصيحة، فيما ولاني الله من أموركم».

وإذا رجعنا إلى أبي بكر، وهو أول خليفة للمسلمين بعد رسول الله، رأيناه يناقش المسلمين في أمر معاش عياله بعد منعهم له تعاطي التجارة بحرية في الأسواق، وخدمته في بيته شؤون المسلمين حتى بالأعمال اليدوية، ثم امتد بنا تتبع سلوكه إلى أمره لولده، بإرجاع قصعة وقطيفة ، وناقة، لبيت مال المسلمين، لأنه كان ينتفع بتلك الأشياء، كخليفة رسول الله، وليس لورثته حق فيها، ثم استقرينا آثاره في التشاور مع كل المسلمين، وعدم استبداده، بأي رأي دونهم.

ثم تتبعنا قوة عمر في الحق، وسجلنا تلك المبادرات الديمقراطية، والاشتراكية، إذا جاز استعمال هاتين العبارتين لذلك النظام الغني عن التعريف به عن طريقهما - إذا - تتبعنا أسس الحكم المثالية التي إبتدعها عمر، في ملكية الأراضي الزراعية، وتقسيم الفيء، وأسلوب صرف الزكاة، ومحاسبة الحاكمين، وفرض التكافل الاجتماعي في ظروف خاصة - عام الرمادة مثلا - . وكذلك شروطه في اختيار ولاته، وقوله مجيبا على سؤال في هذا الموضوع (الوالي عندي هو الذي إذا كان في القوم وليس أميرهم، كان كأنه أميرهم، وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم).

وكذلك اجتهاداته التشريعية التي لا زالت متقدمة عن أحدث النظريات المطبقة في عصرنا الحالي.

كل تلك المبادرات التي سنخصص لها بحول الله دراسات قادمة تتبع هاته. تسوقنا إلى الحكم مع اطمئنان كامل بأن الرجوع، بالحكم إلى أصوله الأولى في الدولة الإسلامية ، من شأنه أن يخرج للعالم الدولة المثلى التي عجزت عنها نظريات مفكري العصر الحالي، وحينئذ يكون المسلمون أفضل دولة تنقذ البشرية من مشاكلها المزمنة، وينطبق عليها قول الله عز وجل : **«كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»**.

وظيفة المال في الإسلام :

لا جدال في أن الإسلام أباح مبدأ حرية الملكية، ولكن قيده بقيود، إذا طبقت أصبح التكسب لا يعدو وظيفة يقوم بها فرد، ليخدم بواسطتها الجماعة.

قال الله عز وجل : **«نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق»**.

فهل ياترى استطاع دعاة الاشتراكية محو هاته المبادىء من ساحة التعامل ؟ هل حظ عليه القوم في المكاتب من مدراء ورؤساء، ووزراء، تساوى مع بقية عمال الحقول في الدولة الشيوعية، أو تكاد ؟ أجيب بكل تأكيد، أن شيئا من ذلك، ولا قريبا منه لم يقع.

بينما الإسلام أباح مبدأ التملك كما أشرنا، وفرض عليه من القيود والواجبات، ما يجعل مالكه، يكاد لا ينال فيه أي تفضيل، إلا في الثواب، كما أن نظامه حقق أعلى قدر من المساواة بين أفراده.

فالله حرم اكتناز الأموال، وعدم إنفاقها في سبيل الله فقال عز من قائل : **«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب إليم»**.

وقال : **«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال**

على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا..»

ففي هاته الآيات اجتمع أمر إيتاء المال لتلك الأصناف عن طريق الإنفاق والإحسان، وتخفيف وطأة الفاقة عنهم، مع الأمر بإيتاء الزكاة، وهذا فيه رد على من قال بأن المال الذي تؤدى زكاته، ليس بمكتنز اكتنازا يعرض صاحبه لعقاب آية الاكتناز فالنص القرآني قال : **(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله)**، ولم يقل، ولا يخرجون زكاتها. والله يكره، استعلاء الغني وطغيانه فقال : «**إن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى**».

وحرم الربح عن طريق الربا لما يجر من كسل عن العمل، وينجب من أحقاد، «**الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا...**».

وحرم الإسلام الرشوة، واستصدار أوامر الحكام لفائدة طبقة أو جهة معينة بغية الحصول على منافع من وراء ذلك فقال : «**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتكالوا فريقا من أموال الناس بالإثم**» وحرم الغل «**ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة**».

ثم حرم الاحتكار فقال النبي صلى الله عليه وسلم (الجالب مرزوق والمحتكر ملعون) وقال : (من احتكر طعاما أربعين يوما يريد به الغلاء فقد برىء من الله وبرىء الله منه). وقال عليه الصلاة والسلام : (من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقا على الله تبارك وتعالى أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة).

وأمام هاته التحذيرات فرض حقوقا للضعفاء في أموال الأغنياء «**وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم**» «**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**»، «**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**» إلخ...

وعن معاذ بن جبل أنه لما بعثه رسول الله إلى اليمن، الحديث الذي أمره فيه بأخذ زكاة من أغنيائهم وترد على فقرائهم.

وحق نفقة الأقارب مفروض في الإسلام على الذين بيدهم فضل من نعم الله.

وحق الرفيق على رفيقه في السفر في مساعدته مما تحت يديه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من معه فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له ومن عنده فضل من راحلة فليعد به على من لا راحلة له) وأخذ يعدد يقول الصحابي حتى ظننا أنه ليس لنا من أموالنا إلا ما يكفينا.

ورغب الإسلام في الإنفاق بدون من ولا أذى قال الله عز وجل : «**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى**» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة المنان الذي لا يعطي شيئا إلا منه، والمنفق سلعة بالحلف الفاجر، والمسبل ازراه).

وأوجب الإسلام إكرام الضيف فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) وقال عليه السلام : (أيما رجل استضاف قوما فأصبح الضيف محروما فإن نصره حق على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله) وكما قال :

فالإسلام إذن أباح مبدأ الملكية استحثاثا للمواهب البشرية حتى تتسابق إلى الخير، وترفع من شأن الأمة بالعمل وكف النفس، وتحصل على المراتب العالية عند الله بتحصيل المال من الحلال، وإنفاقه في سبيل الله، ولم يبح الملكية للاحتكار والاستغلال، والتكاسل.

وفي حديث قادم سأتعرض للعمل ثم الرقابة المالية، والملكية العامة والخاصة.

وأختم هذا الشطر بما قاله العقاد أثناء تحليله للديمقراطية المالية في الإسلام إذ لخص أسس الديمقراطية المالية في الإسلام بقوله : (ولن تقوم الديمقراطية

الاقتصادية على قاعدة أقوم من هاتين القاعدتين ، تحريم الاستغلال، وتقديس العمل، ولن تطمح الديمقراطية يوما إلى أمل أكبر من تكوين مجتمع يبرأ من المستغل، والمبطل، وتدور الثروة فيه بين الأيدي كافة، ولا تنحصر فيه بين الأغنياء، ولم تقف الديمقراطية الاقتصادية في الإسلام عند تحريم الاستغلال، وتقديس العمل، وكراهة «التبطل»، وكنز الأموال بل هي تحسب الحساب الأوفى لمن يعجزون عن العمل غير متبطلين ولا متكاسلين).

بهاته النظرة الموجزة، وبما سيأتي في شأن العمل والرقابة عليه نتبين أن المجتمع الذي ينتفي فيه استعباد الإنسان لأخيه الإنسان، ويحرم فيه الظلم، وتقتلع جذور التسلط، ويزال الاحتكار، وتنتفي فيه كل سلطة إلا لله، أولياء أموره أوصياء على أحكام الله، يطبقونها بدون هوادة، لا حيف، ولا استغلال، ولا تهاون، ولا محسوبية، الرأي للأمة، تعطي ثقتها لمن أهله الله للقيادة، فتطيعه ما أطاع الله، وتنفض منه كفها، أن خرج عن جادة شريعة الله، ترعى العهود وتحفظ الجوار، وتعطي لكل ذي حق حقه.

إن هاته المثل هي هدف المصلحين من أبناء البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، ولا سبيل إلى تحقيقها إلا في ظل تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، من اختيار الإمام العادل، إلى إيصال الحق لآخر راعي غنم في قنن الجبال.

وسأتعرض في الخاتمة بحول الله لما حبتنا به الأقدار الإلهية نحن المغاربة من العيش في ظل إمام عادل، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، يمثل تسلسل شرعية الحكم الإسلامي من جده الأعظم، وهو يطبق سيرته في وضع الأسس القويمة، لاستنباط مختلف أوجه الحكم، من أصول الشريعة الإسلامية، هديا، وسلوكا، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

شبيهنا حمداتي ماء العينين



الإسلام والمستقبلية

للأستاذ محمد بن البشير

أصبح من الضروري التذكير بأن الإسلام عقيدة وشريعة وفكرة، إذ كثيرا ما يفعل بعض المثقفين الجانبين الثاني والثالث ويقارنون بين الإسلام والمسيحية أو اليهودية باعتبارها ديانات سماوية مصدرها واحد وهو الله تعالى ،

فالإسلام دين باعتبار عقيدته وعباداته وقيمه الاخلاقية.

والإسلام شريعة باعتبار تنظيمه للمجتمع في علاقات أفراده وفئاته مع بعضها وعلاقات المجتمع الإسلامي مع المجتمعات البشرية الأخرى. ولذلك نجد الإسلام فلسفة خاصة في التشريع وتشريعات أو مبادىء في القانون الدستورى والمدني والجنائي والدولي الخ.

والإسلام تيار فكري بمواقفه ومنهجه. ويتميز الفكر الإسلامي بكونه ينقسم إلى قسمين ؛ الخطاب الالهي بصفته وحيا وفكرا متعاليا صادرا عن العقل المطلق الذي يستحيل في حقه الخطأ أو الكذب والقسم الثاني هو فكر المسلمين وقد امتد على كافة الإنتاجات الفكرية المسلمين في التفسير والفقه واللغة والأصول وعلم الكلام وفلسفة الأخلاق والإجتماع والعلوم التجريبية والدقيقة الخ.

واشتغال المسلمين بهذه العلوم كلها وبناء حضارتهم الشهيرة ينسجم مع اعتقادهم أن الإنسان خليفة لله في الأرض طوق بمسؤوليات استعمار الأرض واكتشاف أسرار الكون ونشر الحق والعدل ونبذ الفساد والظلم.

ويتسم الفكر الإسلامي، وخاصة منه المصدر الأول وهو الخطاب الالهي بسمات الشمولية والعالمية والوسطية.

اتسم بالشمولية لاعتبارين ، أولا لأنه أعطى تفسيرا كاملا للوجود بجميع عناصره وعلاقاته، أي أنه وضح المفاهيم في شأن الله تعالى والإنسان، والكون، والعلاقات التي تربط بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان، والإنسان والكون.

ثانيا لأن الإنسان في نظر الإسلام كل لا يتجزأ، فهو مسؤول عن جميع أقواله وأعماله وانتاجه وسلوكه أمام الله قبل أن يكون مسؤولا أمام القانون أو أمام الأمة وبذلك يرفض الإسلام أن تجزأ أعمال الإنسان المسلم إلى ما هو لله وما هو لقيصر أى للسلطة الوضعية.

واتسم بالعالمية لأنه الإسلام خلافا للديانات السابقة، جاء خاتما للتذاكير الالهية وموجها لسائر البشر في سائر العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ثم أن القيم

والشريعة التي دعا إليها صالحة لجميع البشر مهما كانت اعتقاداتهم وأعرافهم وقبائلهم.

وأخيرا اتسم الإسلام بالوسطية، أي أنه يدعو إلــى الإعتدال، لا إلى الإمساك عن زينة الحياة الدنيا أو الرهبانية ولا إلى الإباحية المطلقة واتباع حياة الحيوان. قال تعالى **«وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك».**

وانطلاقا من أن الإسلام تشريع وفكر بالإضافة إلى كونه دينا، فمن حقنا أن نتساءل : هل يمكن أن يكون له رأي أو موقف في قضايا الإنسان استقبالا ؟

ذلك ماسنحاول الإجابة عنه في الفقرات التالية.

منهجية البحث المستقبلي

إن أية عملية تمحيص مستقبلي تحتاج إلى عناصر ثلاثة.

عامل وحقل للعمل ومنهجية، مع الأخذ بالإعتبار عوامل الانفعال ورد الفعل من طرف كل من العنصريـــن الأولين وكذا التفاعل بينهما وما يمكن أن ينتج عن ذلك من إفرازات وأعمال وإذا ما أردنا أن نستفسر الإسلام عن رأيه في تحرك هذه العوامل وعن الخطة التي نبغي اتباعها، نستطيع اللجوء إلى مبادئه وتعاليمه وتوجيهاته وخاصة ما جاء في القرآن الكريم وعلى لسان مبلغ رسالته سيدنا محمد عليه السلام.

١) العامل ـ الإسلام يجعل من الإنسان، خليفة لله في الأرض، مخلوقا متميزا عن باقي المخلوقات بما وهبه الله من قدرة على الفهم والإدراك وعلى التعبير والبيان. الفهم والإدراك بالعقل والإستعداد الفكري والنفسي للبحث والكشف والإستنباط، والتعبير والبيان بمختلف الوسائل البشرية والآلية للتحصيل والخزن ـ والتبليـغ والتفاهـــم والتوارث.

وقد أشاد القرآن إشادة خاصة بالعقل والعلم، وجعلهما شرطين للاضطلاع بالخلافة بكل جدارة، ولم يكتف بدعوة الإنسان باستمرار إلى التفكير والتدبر واستعمال العقل، بل ندد بمن يرضون بأن تسلب منهم عقولهم أو تحجب بالعدول عن استعمالها كسلا أو تقليدا وشبههم بأحط التشبيهات قال تعالى : **«ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون».**

ويرى الإسلام أن المسؤولية التي تقلدها الإنسان بالخلافة في هذه الدنيا تفرض أن يكون حرا في رأيه وتصرفه، لأنه متبوع بالمكافأة يوم القيامة اما جزاء إن أحسن واما عقابا إن أساء.

واجتنابا لكل التباس، وردا على موقف الماديين أو الدهريين كما سماهم القرآن، يجعل الإسلام حرية الإنسان حرية واعية، مرتكزة على الإختيار لا كحركة المادة التي لا صلة للحرية بها، والفارق أن الإنسان يتوفر على عقل يميز به ويدرك ويناقش، وأنه مكلف مسؤول مستخلف، وأنه جبل على حب نفسه والحفاظ على حياته، فهو مضطر لأن يفكر ويتحرك ويختار والوسائل التي تحفظ عليه حياته، فردا وعضوا في المجتمع.

حقل العمل : ماذا يستطيع الإنسان أن يقوم به من أعمال، في نطاق مسؤوليته، والحفاظ على حياته، لولا وجود ميدان للعمل، ومعلوم أن هذا الميدان هو الكون، وبصفة خاصة الكرة الأرضية.

وهنا أيضا يحدد الإسلام المفاهيم، فيخبر الإنسان أن الكون خلق من أجله وأنه مسخر له، وأن عليه أن يستعمره ويجوبه طولا وعرضا علوا وعمقا، ليبحث عن مكنوناتـــه ويكشف أسراره، استطلاعا لعلم الله الواسع المودع في هذا الكون، وخدمة لمصالحه في استمرارية الحياة جاء في القرآن الكريم : **«وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه»** والملاحظ أن الله تعالى لم يكتف، في هذه الآية بذكر الأرض، بل أضاف السماوات، وهذا ما يفسح أمام الإنسان مجالا للبحث لاحد له.

على الإسلام يشترط في هذا التنقيب والإستكشاف وكذا في الإستغلال اجتناب كل فساد مهما كان نوعه والإقبال على كل صلاح.

ولكن من أين للإنسان بمعرفة هذه الحقوق وهذه الإلتزامات ؟ يجيب الإسلام بأن الأشعار والأخبار يتيسران عند الإنسان بأمرين اثنين. بما تجبر به الشرائع مساعدة بذلك وتزكية للعقل الإنساني. وبما جبل عليه الإنسان من فضول في المعرفة ورغبة في الإطلاع. وتطلع نحو الخلق والإبداع.

ونستطيع تعليل هذا الموقف الإسلامي بثلاث آيات من القرآن الكريم الأولى : تشهد بأن الله جعل في الإنسان استعدادا فطريا للمعرفة. حيث يقول : **«وعلم آدم الأسماء كلها»**.

والثانية نشهد بأن الله جعل للإنسان آيات ودلائل ليساعده على التدبر والتفكر والعمل. قال تعالى : **«سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق»** وقال : **«كذلك نفصل الآيات بقوم يعلمون»** والثالثة أن هذا الإنسان يغتر بمؤهلاته ومكاسبه. فينسى الله أحيانا ويطغى قال تعالى : **«إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى»**.

وعمل الإنسان في الميدان يقتضى الملاحظة والتدبر والتجربة. كما يقتضى البحث عن العلل والأسباب واستخلاص النتائج. وهذا ما يدفع بالإنسان إلى التسليم بواقع التغير وبضرورة التجديد والتحسين.

فهناك عدد من الوقائع والحقائق ذات الطابع البشري لا يمكن أن تنكر كالنمو الديمغرافي. والتقدم العلمي الناتج عن نمو العقل الإنساني وتأهله أكثر مما مضى للكشف والإبداع. وظهور حاجات جديدة عند الإنسان وتصاعدها حسب المستوى الحضارى وارتفاع مستوى الدخل الفردي.

وهناك وقائع أخرى على مستوى الكون. لا يخفى الإنسان قلقه من بعض مظاهرها كالتغييرات التي تحدث في الكون من تغيير وتبدل من المناخ. وجفاف. وتلـــوث في الجو. وتناقص في موارد الماء.

وهكذا تظهر المواجهة والتفاعل بين الإنسان والكون. وتبرز أهمية عنصر الزمان. حتى لا يقع الخلل في السير المتوازى المتعادل بينهما.

ومما هو معلوم أيضا أن الإنسان والطبيعة يؤثر كل منهما في الآخر فيتفاعلان. على أن صاحب العقل والتمييز هو الإنسان. وهو سد الكون لأن الله سخره له وجعله في خدمته فالسعي وبالتالي فالفاعلية والتأثير تسعى أن يكون أساسا للعقل الإنساني على الكون. وقدرة التكيف يملكها الإنسان لا الكون.

وهنا يتدخل الإسلام لا لينكر الوقائع البشرية أو الطبيعية ولكن ليؤكدها ويعللها. ويذكر بأن على الإنسان ألا ينسى أن الله هو الخالق للإنسان والكون وهو الذي خلق في الإنسان طاقاته ومواهبه وخلق في الكون طاقاته وقدرها. وأنه يعلم كل تغير في طبيعة الإنسان أو طبيعة الكون. علام الغيوب لكل ما تجيش به نفس كل إنسان وبكل ما يوجد أو يتحرك أو يتغير في الأراضي والبحار والسماوات وحيث أنه استخلف الإنسان في الأرض وكلفه. وأنه يستحيل في حقه تعالى العجز أو العبث فلا مجال. في التصور الإسلامي. لظهور خلل في السير المنسجم والمتعادل بين الإنسان في نمو إعداده وتغير حياته وبين بروز موارد الكون بمقدار ما يحتاج إليه الإنسان. مهما بلغ عدد سكان الأرض ومهما اتسعت حاجتهم وفيما يلي بعض الإيات المعبرة بوضوح عن هذا الموضوع :

قال تعالى : **«له مقاليد السماوات والأرض، يبسط الرزق لمن يشاء من عباده، ويقدر، إنه بكل شيء عليم»**. (الشورى ـ 13).

وقال : **«وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء السائلين»** (فصلت ـ 10).

وقال : «**وإن من شيء إلا عندنا خزائنه، وما ننزله إلا بقدر معلوم**» (الحجر ـ 21) وقال وكأنه يعلل أسباب التدرج في الكشف عن خيرات الأرض للإنسان. «**ولو بسط الله الرزق لعباده لتبغوا في الأرض، ولكن ينزل بقدر ما يشاء، إنه بعباده خبير بصير، وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا، وينشر رحمته وهو الولي الحميد**» (الشورى ـ 27 ـ 28).

وقد سبقت الإشارة إلى أن الله تعالى خلق في الإنسان استعداد للكشف وحظه على السعي والتنقيب، فكثيرا ما يجعل الكشف على يده. فقد علمه ووجهه في مسيرته. ثم أرشده أيضا إلى طريقة العمل. إلى المنهاج الذي عليه أن يتبعه في بحثه واستكشافه.

لم يعد يخفى على أحد أن البحث والتنقيب يعتمد على أساليب منهجية متعددة منها الملاحظة والتجربة والحجية. ولا يستثنى منها الصدفة والمغامرة والتنبوء والتخيل. وأن الوصول إلى نتائج عملية تستوجب التخطيط والبرمجة.

واشتهر المسلمون منذ القرن الأول الهجري. بالإنكباب على البحث والتنقيب والتفكير في مناهج البحث. وقد كان مصدرهم الأساس المنهاج القرآني. ثم اقتبسوا من مناهج التفكير والبحث التي عرفها اليونان والفرس وغيرهما. وكما اهتموا بالبحث النظري. عنوا بالبحث التطبيقي. عرفوا مناهج الإستقراء والإستنباط والقياس واستعملوها في دراستهم لأصول الدين وأصول الفقه.

وأن اعتماد الأصوليين المسلمين في دراستهم لأدلة الأحكام على الأدلة النظرية كالقياس والإستحسان. والإستصلاح وفتح الذرائع وسدها واستناد الفقهاء إلى الواقع والعرف والعمل لخير دليل على ما أعاره المفكرون والعلماء المسلمون لقضايا المنهج وتقدير المستقبل في بحوثهم. من أهمية. ويكفيهم فخرا أنهم يخضعون الأحكام الشرعية إلى مقاصد الشريعة فيولون المصلحة مفهوما ديناميكيا يرهن التطور ويعلله ويعطي لضرورة التغيير. عند الحاجة. مشروعية وقوة.

الرباط : **محمد بن البشير**



تقويم اللسانين مستقيم والطعن فيه سقيم

-1-

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

نشرت صحيفة العلم الغراء في جزئها الذي عدده 11549 وتاريخه الأحد 11 جمادى الأولى سنة 1402 الموافق 8 مارس سنة 1982 مقالا للدكتور سعيد علي، انتقد فيه اثنين وخمسين لفظا من كتابي «تقويم اللسانين» لا بقصد إصلاح الأخطاء وخدمة اللغة العربية، بل انتقاما للدكتور مصطفى جواد العراقي ثم البغدادي، والدكتور مصطفى جواد هذا من أدباء العراق المشهورين، وكان أستاذا في دار المعلمين العالية في قسم علوم اللغة العربية، وأنا أيضا كنت أستاذا في ذلك القسم، وكنا نجلس في مكان واحد كل يوم من أيام العمل، وكان للدكتور مصطفى جواد ينشر مقالات تحت هذه الترجمة «قل ولا تقل» بقصد إصلاح أخطاء الكتاب والمؤلفين والمعلمين، ولم يخطر ببالي انتقاد لتلك المقالات، ولو أردت إنتقادها لفعلت، لأنه كان ناقصا في علم النحو ولكنني لم أتعرض قط لانتقاده لأنه يريد الإصلاح. وبعدما رجعت أنا إلى المغرب بعد أن قضيت في العراق خمسا وثلاثين سنة وتجنست بالجنسية العراقية ولم يكن يخطر لي الرجوع إلى المغرب على بال، لولا ثورة عبد الكريم قاسم التي نشرت الرعب والخوف في العراق، وأطلقت العنان للشيوعيين يفعلون ما شاءوا بعد أن كانوا مسجونين في زمان الحكم الملكي.

وبعد ما رجعت إلى المغرب جعلت أكتب مقالات كانت تنشر في مجلة «دعوة الحق» تحت ترجمة «تقويم اللسانين» وأصابت هذه المقالات إقبالا من القراء عظيما من تلامذتي وغيرهم في أروبا والهند وبلاد العرب فحسدني مصطفى جواد على ذلك وأخذ يكتب مقالات في افساد ما أصلحته من الأخطاء واضطررت أن أرد عليه، وكان الرد عليه صحيحا ومقنعا للقراء، فانهزم في المعركة ولم يعش بعد ذلك إلا قليلا، وليس معنى هذا أن الهزيمة كانت سببا في موته، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وأجلها».

وكنت أريد أن لا أرد على طعن الدكتور سعيد علي، لأن أكثر ما انتقده ظاهر البطلان، ولكن تلامذتي ألحوا علي في الرد عليه، فأجبتهم إلى طلبهم، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود سبحانه.

انتقاد ما في المقدمة من الأخطاء :

بدأ الدكتور سعيد علي مقاله بالثناء علي وبلغ فيه إلى حد الاطراء، ثم شرع بالانتقاد بقصد أخذ الثأر لمتبوعه الدكتور مصطفى جواد وسترى أيها القارىء الكريم انتقاده والرد عليه فتحكم عليهما بما يستحقان، وقد وجدت في

مقدمة الرد علي أخطاء والتمس مني أن التزم التسامح في الرد وأتجنب الألفاظ الجارحة فأجبته إلى ذلك :

الخطأ الأول : عاب علي جمع المصدر الذي ظن أنه اعتراض على اعتراضات ولم أقصد ذلك وإنما قصدت جمع «اعتراضة» وقد أجمع النحاة على جواز جمع المصدر إذا كان يراد به العدد. واختلفوا في النوعي فمنعه بعض النحاة منهم سيبويه ورجحه أبو علي الشلوبين وأجازه بعضهم، ثم وقع فيما عابه علي فجمع المجد على (مجود» والمجد مصدر يوصف بالكثرة أو القلة فلا حاجة إلى جمعه ولا يريد به النوع.

الخطأ الثاني : قال «وكانت مجودهم في ما انضموا عليه من مروءة» وهو تعبير ركيك. والصواب أن يقول في ماجبلوا عليه من مروءة.

الخطأ الثالث : قال «فالنفط قيء الطبيعة».

أقول والطبيعة لا وجود لها. فالصواب أن يقول : «قيء الأرض إذا أراد تحقيره، على أن النفط ليس بحقير والذي ينبغي أن يعاب ملاكه الذين لم يبذلوا ثروتهم في قتال عدوهم واسترداد حقوقهم. ورضوا بالهزيمة أمام عدوهم مع أنه قليل العدد وعددهم كثير.

الخطأ الرابع : قال : «والدنانير حوب كبير».

أقول الدنانير في نفسها ليست حوبا وإنما الحوب انفاقها في غير ما يجلب المجد والعز والنصر على الأعداء.

الخطأ الخامس : قال : «ولو فطن العرب لهذا ..... لجعلوه في كل مدرسة ومكتبة».

أقول. المكتبة لا وجود لها في لغة العرب وإنما تسمى خزانة الكتب أو دار الكتب، كما يعبر به المصريون فدار الكتب المصرية عندهم في القاهرة مكان لمطالعة الكتب واستعارتها ولم يسموها مكتبة وفي المقدمة أخطاء أخرى تركت ذكرها ومثل هذه الأخطاء يمكن التغاضي عنها لأنها خفيفة سهلة.

وقوله إنني شتمت علامة العرب مصطفى جواد. فإنما أغلظت له القول لأنه استفزني ولم يرد بما كتبه إلا الشر والبحث عن عيوب البراء. وها أنذا أسلك في الرد عليك أنت مسلكا مخالفا لذلك مع أن ذنبك شبيه بذنبه وقصدك من جنس قصده، انتهى الكلام في المقدمة.

والآن أجيب عما انتقده الدكتور سعيد علي من العبارات التي جاءت في تقويم اللسانين وأحاول جهدي أن ألين القول نزولا عند رغبته.

الانتقاد الأول ، ادعى أنني قلت «طبع على نفقة» في الصفحة الأولى وهذا اللفظ لم أقله ولا يوجد في الصفحة الأولى ولا غيرها، فهو من بنات غير. فلا حاجة إلى الجواب عنه.

الثاني ، قال إن قولي «من أهل هذا العصر» ص 7 خطأ.

أقول هذا ادعاء باطل لا يوافق عليه أحد من أهل العلم ولم يبين الخطأ ولا ذكر على تخطئته دليلا من كتب اللغة أو من كتب النحو كأنه يخاطب صبيانا في المكتب.

أوردها سعد وسعد مشتمل ماهكذا ياسعد تورد الا بل

ما هكذا يكون انتقاد أهل العلم المحققين ؟

الثالث ، ادعى أني جمعت الاعتراض جمع مؤنث سالم بالالف والتاء وهذه غفلة منه لأنني إنما جمعت «إعتراضة» لا اعتراضا وجمعها بالالف والتاء لاغبار عليه.

قال ابن مالك في الخلاصة.

«وما لتوكد فوحد أبدا وثن وأجمع غيره وأفردا»

قال الاشموني في شرحه لهذا البيت ما نصه.

(وما) سيق من المصدر «لتوكيد فوحدا أبدا» لأنه بمنزلة تكرير الفعل والفعل لا يثنى ولا يجمع «وثن وأجمع غيره» أي غير المؤكد وهو المبين «وأفردا» لصلاحيته لذلك أما العددي فباتفاق نحو «ضربته ضربة وضربتين وضربات» واختلف في النوعي ، فالمشهور الجواز نظرا إلى أنواعه انتهى :

فظهر أن جمعي اعتراضة على اعتراضات صحيح باتفاق النحاة ومن المعلوم أن المصدر إذا أريد به المرة

الواحدة تلحق به تاء التأنيث سواء أكان ثلاثيا أم زائدا عليه كما قال ابن مالك.

«في غير ذي الثلاث بالتاالمرة وشذ فيه هيئة كالخمرة»

ولما كان اعتراض مذكرا لهم يجز جمعه جمع المؤنث السالم. أما اعتراضة بالتاء للمرة فيجمع جمع مؤنث سالم فتقول «إعترضت عليه اعتراضة واعتراضتين واعتراضات»

الرابع ، ادعى أن قولي «ملوك ورؤساء المسلمين» ص 7 خطأ.

وذلك غفلة منه عن قواعد النحو.

قال ابن مالك في الخلاصة.

«ويحذف الثاني فيبقى الأول كما له إذا به يتصل

بشرط عطف وإضافة إلى مثل الذي له أضفت الأولا

قال الأشموني في شرحه للبيتين «ويحذف الثاني» وهو المضاف إليه وينوي ثبوت لفظه «فيبقى» وهو المضاف «كحاله إذا به يتصل» فلا ينون ولا ترد إليه النون إن كان مثنى أو مجموعا. لكن لا يكون ذلك في الغالب إلا ،

بشرط عطف وإضافة إلى مثل الذي له أضفت الاولا»

لأن بذلك يصير المحذوف في قوة المنطوق به وذلك كقولهم.

«قطع الله يد ورجل من قالها» الأصل قطع الله يد من قالها ورجل من قالها. فحذف ما أضيف إليه «رجل» عليه. وكقوله ،

يامن رأى عارضا أسر به بين ذراعي وجبهة الأسد

أي بين ذراعي الأسد. وجبهة الأسد.

وقوله ،

«سقى الاراضين الغيث سهل وحزنها»

أي سهلها وحزنها «اهـ» فماذا يقول الدكتور سعيد علي ومن اغتر بانتقاده في هذه الشواهد العربية الخالصة ؟ إن كان غافلا يندم على ما فرط منه .

الخامس ، ادعى أن قولي «في لبنان» ص 7 خطأ. والصواب أن يقال «بلبنان» وذكر أمثلة من القرآن نابت فيها الباء عن «في» قال ابن مالك في الخلاصة.

«وزيد والظرفية استبن ببا وفي وقد يبينان السببا»

بالبا استعن وعد عوض الصق

ومثل مع ومن وعن بها انطق

قال الاشموني في شرح البيتين. تأتي في كل واحدة من «الباء» و «في» لمعان أما «في» فلها عشرة معان ذكر منها هنا معنيين الأول.

الظرفية حقيقة ومجازا نحو «زيد في المسجد» ونحو «ولكم في القصاص حياة» الثاني ، السببية نحو «لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم» وفي الحديث «دخلت امرأة النارفي هرة حبستها» وتسمىّ التعليلية أيضا.

الثالث المصاحبة. نحو «قال ادخلوا في أمم».

الرابع الاستعلاء. نحو «لأصلبنكم في جذوع النخل» وقوله ،

بطل كأن ثيابه في سرحة

الخامس ، المقايسة نحو «فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

السادس ، موافقة إلى نحو «فردوا أيديهم في أفواههم»

السابع ، موافقة «من» كقوله ،

الاعم صباحا أيها الطلل البالـــــي

وهل يعمن من كان فيالعصر الخالي

وهل يعمن من كان أحدث عهـده

ثلاثين شهرا في ثلاثة أحـــــــوال.

أي من ثلاثة أحوال.

الثامن ، موافقة الباء كقوله ،

ويركب يوم الروع منا فوارس

بصيرون في طعن الأباهر والكلى

التاسع ، التعويض. وهي الزائدة عوضا من أخرى محذوفة كقولك. «ضربت فيمن رغبت» تريد ضربت من رغبت فيه. أجاز ذلك الناظم قياسا على قوله ،

ولا يؤاتيك فيما ناب من حدث

إلا أخو ثقة فانظر بمن تثق

أي فانظر من تثق به. العاشر التوكيد، وهي الزائدة لغير تعويض أجاز ذلك الفارسي في الضرورة كقوله :

أنا أبو سعد إذا الليل دجا   يخال في سواده يرندجا

وأجازه بعضهم في قوله تعالى : «**وقال اركبوا فيها بسم الله**».

وأما الباء فلها خمسة عشر معنى ذكر منها عشرة. الأول البدل نحو «ما يسرني بها حمر المنعم» وقوله :

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا   شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

الثاني : الظرفية : نحو. ولقد نصركم الله ببدر» «ونجيناهم بسحر».

الثالث : السببية نحو «فكلا أخذنا بذنبه» .

الرابع : التعليل نحو «**فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم**».

الخامس : الاستعانة نحو «كتبت بالقلم» .

السادس : التعدية وتسمى باء النقل وهي المعاقبة للهمزة في تصيير الفاعل مفعولا، وأكثر ما تعدي الفعل القاصر نحو «ذهبت بزيد» بمعنى أذهبته.

ومنه «ذهب الله بنورهم» وقرىء «أذهب الله نورهم» .

السابع : التعويض. نحو «بعت هذا بألف» وتسمى باء المقابلة أيضا.

الثامن الإلصاق حقيقة ومجازا نحو «أمسكت بزيد» ونحو «مررت به» وهذا المعنى لا يفارقها ولهذا اقتصر عليه سيبويه.

التاسع : المصاحبة. نحو «اهبط بسلام» أي معه.

العاشر : التبعيض نحو «عينا يشرب بها عباد الله» وقوله :

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

الحادي عشر : المجاوزة كـ «عن» نحو «فسأل به خبيرا» بدليل «يسألون عن أنبائكم» وإلى هذه الثلاثة الإشارة بقوله : ومثل مع ومن وعن بها انطق.

هذا ماذكره في هذا الكتاب.

الثاني عشر : موافقة «على» نحو «من إن تأمنه بقنطار» بدليل «هل آمنكم عليه إلا كما أمنتم على أخيه من قبل».

الثالث عشر : القسم. وهي أصل حروفه. ولذلك خصت بذكر الفعل معها نحو «أقسم بالله» والدخول على الضمير نحو «بك لأفعلن» .

الرابع عشر : موافقة «إلى» نحو «وقد أحسن بي» أي إلي وقيل ضمن «أحسن» معنى «لطف» .

الخامس عشر : التوكيد وهي الزائدة نحو «كفى بالله شهيدا» ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة «بحسبك درهم». ليس زيد بقائم» انتهى.

ثم راجعت معاني «الباء» و «في» في كتاب المغني لا بن هشام فوجدته قد ذكر لهما من المعاني مثل ما قاله الاشموني تقريبا إلا أنه أوسع وأكثر فلم أنقله اتقاء لملل القراء إلا أني وجدته ذكر أن أول معاني «في» الظرفية أما «الباء» فذكر الظرفية وجعلها السادسة من معانيها وذلك يشير إلى أن «في» أكثر ظرفية من الباء. اما ابن مالك والاشموني فسويا في الظرفية بين «الباء» و «في» وكيفما كان الأمر لم يذكر أحد منهم أن «الباء» تختص بالمدن أو القرى كما ادعى المعترض وادعاؤه باطل وهو تحكم بلا دليل. وهكذا كان صاحبه مصطفى جواد الذي خاض هذه المعركة للدفاع عنه ومصطفى جواد هو البادىء بالطعن بعثه من بغداد إلى المغرب وأنا مدافع فقط وقد كان ينشر مقالات في بغداد في انتقاد الكتاب والخطباء ترجم لها «بقل ولا تقل» وكنت أقرؤها فأجد فيها أخطاء. ولم يخطر ببالي أن أرد عليه وفي المثل «الخير بالخير والبادىء أكرم. والشر بالشر والبادىء أظلم» وأفعل هنا ليس للتفضيل بل بمعنى فاعل.

وهذا المنتقد أمره عجيب يخطىء غيره بلا دليل كأنه واحد من العرب الفصحاء قبل أن يختلطوا بالعجم فتفسد لغتهم ويحتاج كل واحد منهم إذا أراد أن يخطىء

غيره إلى كتب النحو ليخرج منها الدليل وإلى شواهد من كلام العرب الذين يحتج بكلامهم وآخر أزمنتهم زمان بني أمية.

وماذا يقول الناقد في قوله تعالى : «**فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر ياموسى**» (40) من سورة طه أليس هذا مثل قولنا «في لبنان» ؟

وماذا يقول في قوله تعالى : «**ولقد نصركم الله في موطن**» سورة التوبة أليس هذا كقولنا في لبنان.

وماذا يقول الناقد في قوله تعالى في سورة الأحزاب (60) «**لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لايجاورونك فيها إلا قليلا**».

يتبع



للأستاذ محمد بن تاويت

أشرنا فيما تقدم إلى كون بعض المفعولات وحالات أخرى نحوية تولدت عن حذف الجار، ومثلنا - ضمن ما مثلنا - بنحو قول الشاعر :

ولقد جنبتك أكمؤا وعساقلا

وبقوله تعالى : واختار موسى قومه سبعين رجلا

ونزيد على هذا قوله تعالى : وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون» إذ التقدير «وإذا كالوا لهم أو وزنوا لهم»

وفي التعرض لمختلف المفعولات، فاتنا أن نذكر منها حالة من المفعول المطلق، وهو ذو التشبيه بعد جملة والذي قال فيه ابن مالك :

كذاك ذو التشبيه بعد جمله كلي بكا بكاء ذات عضله

اذ التقدير في هذا «لي بكاء كبكاء ذات عضله» فحين سقطت كاف التشبيه أصبح مدخولها يعرب مفعولا مطلقا وإلى جانب هذا هناك مفعول آخر، لا بد من أن تتقدمه «و» وهو المفعول معه، فهنا يصور لنا مرحلة متوسطة لهذه المفعولات، فقد استغني فيه عن «مع» التي كان مدخولها هذا مجرورا بالإضافة، كما قالوا - وإن كنت لا أرى هناك ظرفية استوجبتها «مع» المضافة - وقامت مقامها الواو، فحولت المجرى والوضع، وصار مدخول «مع» منصوبا، حينما حلت محلها هذه الواو.

وأقول : «لا أرى هناك ظرفية في «مع» لأني لا أرى في «مع» هذه إلا ما أراه في حروف المعاني، وأن هذه الواو التي نابت عنها، كانت باديء ذي بدء محافظة على الجر الذي كان بها، كما هي وقد أصبحت تشارك باء القسم وتاءه، واني لأشعر بهذه المعية التي هي في «مع» كائنة مع واو القسم، ومع بائه وتائه، فحينما يقسم الإنسان بالله مثلا، فهو يشرك المقسم به معه ويشهده على ما أقسم عليه، إذن فواو القسم هي أخت لواو المعية، فكلا الحرفين حصل به ارتباط واشتراك.

ننظر لهذا بما في الفارسية مثلا، فإنها تجعل علامة المفعولية واحدة ولا تفرق بين المفعول به وغيره، فعلامة المفعولية «را» آخرا تكون للمفعول به، كما في «عشق أزيدره عصمت بيرون آرد زليخارا» العشق أخرج زليخا من ستار العصمة» وتكون للمفعول له، كما في : «بوصل خود دوائي كن دل ديوانه مار» اجعل دواء بوصلك لقلبنا الموله.

نعود إلى حروف الجر في العربية، فإنها تحمل معاني كثيرة مختلفة ومتعددة، ومرادفها في اللغات الأوربية، لا يتحد مدخوله في الوضع النحوي، فمنه ما يدخل على المضاف إليه، ومنه ما يدخل على المفعول من أجله، ومنه ما يدخل على الظرف كما نجد ذلك في الألمانية وباقي اللغات المعربة، وحتى الإنجليزية التي لا تعرب، نجدها كذلك تنص على مدخول هذه الحروف المختلفة إذا ما كان ذلك المدخول ضميرا، حيث إن الإنجليزية في الضمائر لا تنسى موقع الإعراب لها.

وقد قال بعض الباحثين في فقه اللغة العربية أن أصل الأفعال ثنائي، وإنما صار ثلاثيا فيما بعد، حين حصل الاختزال فيما تعلق به ونظروا لذلك بفعل «جاب» بمعنى أحضر، فإن الأصل فيه جاء بكذا، ثم سقط مدخول الباء، فاتصل بالفعل، وادعوا هذا في نحو «كتب» فإن أصل الفعل كان «كت» وما اتصلت به الباء إلا وقد اختزلت من الآلة التي كتب بها. -

فالكت معناه الحصر، وهو الذي حافظت عليه الكلمة وقد شددت تاؤها، فأصبحت ثلاثية بذلك على قاعدة كل مشدد أصله حرفان ونحن ننظر لهذا، بنحو «بت» وبتر وبتل وبتك وبتع، فهذه كلها فيها معنى القطع، وإن كان البتع أصبح في التوكيد دالا على الجمع، وهذا لا ينقص القضية، كما نرى فيما يلي :

نقول «تبت يداه» أي انقطعت، ونقول منه «استتب الأمر» أي تم

فكيف حصل هذا التناقض ؟

حصل أنهم أجروا المعنى الأول وهو الانقطاع في نحو «استب السبيل» أي تم قطعه وانتهى انقطاعه، ففهم منه الاستقامة فيه، فهو «الصراط المستقيم» المعبد الذي يجتاز بسهولة، فاختفى بذلك القطع والانقطاع وتشبث بنتيجة وهي التمكن منه، لاستقامته فقيل مثلا «استب الأمن والنظام والأمر» بمعنى أنه تم وتحقق واستقام، فتحول الانقطاع إلى ضده، كما تحول البتع إلى ضده وهو الجمع، فقلنا قام القوم أجمعون أكتعون أبتعون، يعني انضم بعضهم إلى بعض وانقطع عما كان عليه، ويسمى الجمع من المواشي «قطيع»، وتستعمل العامية انگطع فعلا للشرود ومهما يكن فإننا بهذا نضيف «كتع» إلى «كتب» فيكون أصل كليهما «كت» وتكون العين فيها هي التي في «عن مثلا أو «على» كذلك، اختزلت والتصقت بها، وهي للتعدية والتجاوز في «عن» والاستعلاء في «على» ففيها تتجاوز كذلك، كما أنها أنها تحل محل «عن» أيضا ولهذا صارت تنازعها في «رضي» و «سخط» مثلا.

ويلحق بفعل «بت» فعل «بث» كما يلحق به «مت» الذي أصبح يناقضه ويضاده، فالبتات عكس المتات، وإن كان الأصل واحدا فالميم تحل محل الباء، والعكس صحيح، كما في مكة وبكة، ولأجل هذا الاتصال، صرنا نقلب النون ميمها ازاء الباء، كما في الألفية :

وقبل باء اقلب ميما النون إذا كان مسكنا كمن بت انبذا

ويلاحظ أن التباب، صار يدل على الهلاك والضياع، وكلاهما فيه انقطاع.

وكأني بمخلد إلى أرض الراحة متقمم من تلك الساحة، يقول كيف يتصور حفر بالقلم ؟

فنقول له إن الكتابة كانت بالحفر، وما زالت الآثار تطالعنا بذلك، قائما منها ومنقولا، في كل أرض وفي كل أمة.

أما القلم نفسه فإن العربية لم تعرف الكتابة إلا به بعد ما انتقلت الكلمة إليها من اليونانية التي تسمى القصبة عامة باسم «كلاموس» فكانت تكتب به، كما جاءت بعدها شعوب اللاتين فكتبت بريش طاووس مثلا، فسمت القلم باسمها عندهم «بلوما» أي ريشة وقد سمعت شيخنا سيدي الحسن الزرهوني رحمه الله - ينشد بيتين أو ثلاثة في كاتب الوثيقة، علق بخاطري منهما أو منها قوله :

ويل له ما أتعبه

تبا لرزق خارج من شق تلك القصبه

فالقصبة أو اليراعة كانت تتخذ منها الأقلام، وفي القرآن «الذي علم بالقلم» وإن كان المكتوب لذلك العهد غالبا ما كان اللخاف لقد زاحمت «القلم» عندنا «البلوما» ومن العجيب أننا نسمي أسلتها «ريشة» البلوما، مع أن البلوما نفسها معناها الريشة واليوم زاحمت هذه أو زاحمها «استيلو» وصارت كلمة القلم مجهولة أو كادت تكون كذلك عند الجمهور، ولا يمضي ربع قرن حتى تجهل تماما وسيتلوها كلمة «بلوما» فلا يحتفظ بها وبتلك إلا في معاجم اللغة، وقد سمعت وأنا تلميذ بالثانوي، طالبا بدويا سماها «بلم» بوزن «قلم» يكاد أن يختفي في نطق الثاء في

جل الناطقين بالعربية، فمنهم من ينقطها سينا، تقليدا للفرس والاتراك، ومنهم من ينطقها تاء مثناة وهذا في الواقع كان موجودا في لغة خيبر، التي قالها قائلها :

ينفع الطيب القليل من الرو   ولا ينفع الكثير الخبيث

القديد :

استمعت في مناسبة المولد النبوي الشريف إلى أحد الذين تكلموا بالإذاعة عن النبي عليه السلام، وأعجبني كلامه، لولا ما ورد فيه من ذكر «القديد» مشدد الدال، اذاعانا لما هو معروف عندنا، مع أنه مخفف الدال، لأنه فعيل بمعنى مفعول، مثل خليع، بمعنى مخلوع، وقد ورد ذكر هذا في جغرافية المقدسي، باسم مخلع، اسم مفعول من الرباعي، حيث قال عن بعض البلاد «اللحم المخلع أربعة أمناء بدرهم «فهذا اللحم قد خلع منه العظم، فسمي بذلك مخلعا، وعرف عندنا بالخليع، مخفف اللام، وكذلك يقال في القديد مخفف الدال.

اللسن واللسان :

قرأ أبو السملال «وما أرسلنا من رسول إلا بلسن قومه»

قال ابن جني كتابه المحتسب؛ فاللسن واللسان، كالريش والرياش، فعل وفعال، بمعنى واحد، هذا إذا أردت باللسان اللغة والكلام، فإن أردت به العضو، فلا يقال فيه «لسن» إنما ذلك في القول لا العضو، وكان الأصل فيه العضو، ثم سموا القول لسانا، لأنه باللسان كما يسمى الشيء لملابسته إياه، كالرواية والظعينة ونحوها.

وبهذا التخصيص كان محمودا منا أن نقول «اللسنيات» ولكننا قلدنا الجاهلين، بهذه التفرقة التي تجب في الاصطلاحات العلمية لأنها كالتعاريف، يجب أن تتنكع فيها الاشتراكات والمجازات والمترادفات وصرنا نقول «اللسانيات» وركبنا في هذا رؤوسنا الخاوية على عروشها، والمليئة بعنادها وشرسها.

ومما يجب ذكره هنا أن اسم الكتاب «المحتسب» بفتح السين، لأن صاحبه احتسبه لله، كما بالمقدمة، وليس بكسر السين لما قال شوقي :

ودخلت في ليلين فرعك الدجى
ولثمت كالصبح المنور فاك

كان متأثرا في المصراع الثاني، بصنيع الأتراك، حيث يقدمون المشبه به وأداته على المشبه، وأداة التشبيه عندهم لا حقة لا سابقة أما في قوله :

ولا ينبيك عن خلق الليالي   كمن فقد الأحبة والصحابا

فإنها أي الكاف حلت محل «مثل» الواردة في قوله تعالى، وإليها نظر ولا شك» ولا ينبئك مثل خبير» الفعل الماضي كالفعل المضارع، ياتي في الشروط ولا يراعى زمنه، كما هو ذلك في اللغات الأوربية، قال تعالى «وإن عدتم عدنا» وقال كذلك «وإن تعودوا نعد».

النظر إلى المعنى يحول مجرى القواعد العامة، في النحو، فقد سمع دخول نون التوكيد على الماضي، لأنه استعمل لزمن غير ماض، كقول الشاعر :

ذا من سعدك إن رحمت متيما
لولاك لم يك للصبابة جانحا

لأن الفعل لما خرج عن الماضي، باستعماله فـي الدعاء، شفع له أن تتصل به نون التوكيد، كما يصح قياسا أن تدخل عليه «لا» كقوله :

ألا ياسلمي يدارمي على البلى
ولا زال منهلا بجرعات القطر

أما أن تدخل «لا» على الفعل بدون شروطه التي ذكرناها عدة مرات وذكرها السابقون، فإنه لحن لا يرتكبه إلا الجاهلون أو المعاندون الذين «ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون».

الهاء المجردة للإشارة :

نجد هذا لا يزال مستعملا في الشام، وهو استعمال عربي قديم نجده مثلا عند الشنفري، حين يقول :

فإن يك من جن لأ برح طارقا
وإن يك أنساماكها الأنس يفعل

المداهنة من الكلمات التي ما أدركت غور معناها إلا في هذه الأيام الأخيرة. ومنذ شهر تقريبا وتذكرت قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون»

ذلك أن صديقا حمل على عاتقه راية التأزير لآخر. فحملت ذلك لأول وهلة محملا خفيفا. قلت لأنه يشاركه في لقب من الألقاب التي حملت بها بطون العصر. سفاحا أو مباحا. ولكني أدركت بعد ذلك جلية الأمر. فهذا يدافع عن ذاك. مقابل شيء قاله له أو فعله. وذاك يدافع عن آخر. لأنه قال كلمة في حقه وقد أقيمت له ندوة في بيت دكتور وعقيلته الأستاذة. ختمها بقول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر   أن يجمع العالم في واحد

وبهذه «الاستراتيجية» فهمت أن كلمة «مداهنة» ما هي إلا مفاعلة من الدهان. فكل يدهن لصاحبه خبزه بالزبدة مثلا أو بالشحم ونحوه. كما يقول المثل العامي «حكة بحكة» ولعنة الله على هذه وتلك. فلقد عمت بها البلوى في الغرب والشرق. كما قال لي أستاذ من مصر كبير

حفظ التوازن :

ذكر الثعالبي منه في فقه اللغة. تظنون بالله الظنونا» «أضلون السبيلا» والليل إذا يسر» يوم التنلد» «يوم التلاق» وهذا التوازن اعتبر في الأسجاع. كما اعتبر في القوافي. لأنها أختها. من حيث التطريب والتنغيم. بنهاية الفواصل. كما هو بنهاية الأبيات. التي هي وحدات مرصوصة. مستقلة بداخلها. متتابعة لخارجها. شأن الأبيات من الشعر والخيام

أفعل وفعل (بالتضعيف)

تعرض النحاة والصرفيون. للصيغتين وسووا بينهما غالبا. ولكن ذلك من حيث العمل. كما في أنبأ ونبأ. وقالت الخلاصة في هذا :

وكأرى السابق نبأ اخبرا   حدث أنبأ كذاك خبرا

وشاهد هذا قوله تعالى «قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير

غير أن المستقرئ يجد في الغالب أن الأول يعمل في غيره. ضربة لازب. بدون تكرار. وأن الثاني. يعمل بمعاناة وتزجية. ومن شواهد النحو. قامت تنزي دلوها تنزيا كما تنزى شهلة صبيا فمن الأول أعلم. ومن الثاني علم فالإعلام يكون لأول مرة.والتعليم يكون بالتكرار والتدريج

وقد يكون لأحدهما طريق دون طريق الآخر. مثل أقام. وقوم. فالأول أقام الشيء جعله يقوم ويقف منتصبا ومن الثاني. قوم العوج. أي جعله قويما. فاستقام. ومنه ما ورد في مناظرة كسرى للعرب. ومن تقويم الأود. وقول الصحابة لعمر: والله لو رأينا فيك اعوجاجا. لقومناك بسيوفنا. وبعبارة : إن الإقامة. امتدادها عمودي. كإقامة الصلاة. وإن التقويم امتداده أفقي. كتسوية الطريق جعله سويا. وتذليله جعله ذليلا. جمعه ذلل. كما في القرءان «فاسلكي سبل ربك ذللا» لقاعدة وفعل لاسم رباعي بمد قد زيد قبل لام اعلالا فقد وقد يكون بهذا جمع ذلول ومن شواهد الخليل في العروض : وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول وقد وقع لابن الجد الأندلسي أن استعمل الإقامة في التقويم حيث كتب عن الملك المرابطي علي بن يوسف الى ابن حمدين. كما في القلائد. يوصي بعياض. رحمهم الله فقال : «وقصد تلك الحصون ليقيم أود متونها فكان عليه أن يقول «ليقوم أودمتونها».

هذا الفرق أساسي وهناك جهات يجتمعان فيها زيادة على ما سبق. كالإزالة. في بعض الأفعال. وعدم التعدية. في أفعال أخرى. مما يطول به البحث. ويمكن الاطلاع عليه وعلى غيره. فيما أتى به ابن قتيبة أواخر كتابه «أدب الكاتب» وكان له امتداده عند ابن القوطية. الذي خصص للأفعال. وهو من تلاميذ القالي. جهدا مشكورا. تجلى في كتابه «الأفعال» فكان أول كتاب تعرفه العربية. كما في علمنا. يوضع خصيصا فيها.

يتبع

فعالية التراث الشعبي
في العلاقة بين التنمية والثقافة

للدكتور عباس الجراري

ترتبط بمجلة (دعوة الحق) ثلاث خصائص أو حقائق لا مجال لأحد أن ينكرها أو يتجاهلها مهما كان موقفه، وهي :

أولا : أنها أولى المجلات المغربية من حيث الصدور المنتظم والمستمر.

ثانيا : أنها استقطبت ـ ولفترة غير قصيرة وخاصة في النصف الأول من عمرها ـ كتاب المغرب وشعراءه من مختلف الأجيال والانتماءات السياسية والاتجاهات الفكرية.

ثالثا : أنها ـ إلى جانب عنايتها الأساسية بالدراسات الإسلامية ـ سبقت الى فتح صفحاتها للبحث في قضايا الفكر المغربي وتناول موضوعات كانت تعتبر يومئذ جديدة. ولعل بعضها لا يزال، كالثورة الثقافية والموقف من التراث، والشعبي منه خاصة.

وكنت لأول عهدي بالكتابة فيها، بدءا من سنة احدى وستين، وعلى امتداد فترة طويلة، أوافيها من باريز والقاهرة بمقالات وأبحاث طرحت فيها غير قليل من هذه الإشكاليات، وكانت عندي أصلا لبعض ما نشرت فيما بعد من مؤلفات.

لذا، وتأكيدا لهذه الحقيقة التي أود تسجيلها بفخر واعتزاز لمجلتنا الموقرة، يسعدني أن أهديها هذا العرض الذي شاركت به في الندوة التي نظمها من فاتح الى رابع فبراير سنة احدى وثمانين، معهد الدراسات الافريقية والأسيوية التابع لجامعة الخرطوم بالسودان، في موضوع : «الفولكلور والتنمية».

فلعلي بذلك أن أعرب عند بعض ما أكنه للمجلة والقائمين عليها من عميق الوفاء وعظيم التقدير، مع صادق أملي أن يمتد بها العمر وتستمر في أداء الرسالة التي تتحملها في واجهات متعددة.

عباس الجراري

لا يخفى أن ظاهرة التنمية برزت في أعقاب المشاكل التي نتجت عن اطراد تطور الدول في المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي. واستمرار منافستهما لتحقيق رخائهما وبسط نفوذهما، مما كشف عن جزء من العالم يقف متخلفا عن مسايرة المعسكرين، وهو الذي تمثله البلدان التي كانت مستعمرة ثم أحرزت على كيان مستقل.

انطلاقا من هذا الواقع، طرح مفهوم للتخلف ومعالجته، ارتبط بمدى حاجة تلك البلدان الى المساعدات المادية والفنية التي تقدمها لها الدول التي كانت تستعمرها. وكأن الخروج من التخلف رهن فقط بإدخال التقنية أو التكنولوجيا، ونعتقد أن هذا المفهوم خاطىء لسببين :

أولهما : أنه يفرض هيمنة الدول المتقدمة على الدول المتخلفة ويضمن هذه الهيمنة.

ثانيهما : أنه لا يراعي التحليل العلمي الموضوعي، والمعطيات التاريخية والذاتية والخارجية للدول المتخلفة.

إن المشكل في حقيقته ذو أبعاد تاريخية إنسانية تتسم بالاتساع والشمول لتستوعب قيم المجتمع ومقوماته، وماله من أسس وعلاقات، وما يعرفه واقعه من تحرك وتطور، لأن التخلف ليس مجرد تأخر في الصناعة أو في الانتاج المادي يؤدي الى قلة الربح والى ضعف الدخل الفردي والقومي ويفضي الى التبعية، ولكنه عام يمس جميع مناحي الحياة الفردية والجماعية ومختلف الجوانب الحضارية والثقافية. بالإضافة الى أن للتبعية جانبا فكريا كثيرا ما ينسى في هذا المضمار رغم ثقله وخطورته وعواقبه.

ومن ثم يتحتم وجود تناسق بين لونين من التطور : التطور التقني الآلي من جهة، والتطور الإنساني في نظام المعطيات الثقافية من جهة ثانية.

إننا حين نتحدث عن التقنية وعن الثورة التي حققها العالم المتقدم في هذا المجال. أقصد نحن الذين لا نساهم في هذه الثورة ونكتفي بالتفرج من بعد منتظرين أن تعرضه علينا بعض مظاهرها لنقتبس منها ونستهلكها. ننسى دائما أن نطرح تساؤلا حول وجود الإنسان ودوره في هذه الثورة. ولو طرحناه لانتهينا الى أن الإنسان هو المنتج الحقيقي أو "هو المسيطر على عملية الإنتاج الصادر عند الآلة التي لا يمكن أن تعمل بدون تدخله. وأن إنتاجيتها مرتبطة بتوجيهه وبما يصنع لها من برامج ومخططات وبالمردود الذي يجنيه منها. ولانتهينا كذلك الى أن الإنسان بهذا الموقف هو المشرف في النهاية على عملية التطور التي لا تتم خارج إرادته وبطريقة قسرية أو مفروضة أو لصالح قوة مهيمنة أو حتى بطريقة فوضوية ارتجالية، **مما يجعله يحقق تقدمه في نطاق ممارسته** لطاقاته الذاتية. أي ممارسته لإنسانيته.

من هذه الحقيقة نستطيع أن نخلص الى أن التقدم إذا كان يقاس حقا بمستوى الانتاج، فإنه قبل ذلك يقاس بالمستوى العلمي للإنسان ومستوى قدراته المبتكرة لهذا الانتاج والموجهة له، وكذلك مستوى الفئات المستفيدة منه، في حين أن التخلف يقرن بالحاجة الى انتاج الآخرين لاستهلاكه، وبالحاجة الى الأطر والطاقات البشرية الأجنبية وجلبها لتصريف هذا الانتاج المستورد الذي غالبا ما يبقى في غير متناول الشرائح الاجتماعية العريضة التي تشكل صلب الشعوب المتخلفة.

وهذا يعني أن الفرق بين شعب متقدم وآخر متخلف **كامن في مدى تفوق الأول على الثاني في مجال** الامكانات الثقافية ومدى معرفة توظيف هذه الإمكانات في تنميته وتطويره وترقيته. لكننا مع ذلك يجب أن نعترف بواقع يتصل بالثقافة العربية، وهو أنها في نوعيتها يغلب عليها الطابع النظري التجريدي. وأنها تركز على الجانب المدرسي منها دون اعتبار الثقافة الشعبية. بالإضافة الى أنها **ظلت ـ ولفترة طويلة ـ تعد أداة تسلية وترفيه وامتاع** لطبقة راقية عاطلة أو شبه عاطلة من حيث أنها لا تساهم **في عملية الإنتاج. في حين نجد أن الثقافة في العالم**

المتقدم - وحتى في نظر التقنيين والاقتصاديين - تحسب رأس مال ووسيلة للاستثمار، وعامل انتاج وأداة للتطور والتقدم. ويكفي أن نعرف أن الشعوب الجاهلة تكون غير قادرة على الانتاج، وغير قادرة حتى على تقبل ظروف التنمية. وهذا ما يجعلنا نعد الثقافة داخلة في مجال الاقتصاد والانتاج، ومن أكثر من ناحية أو على الأقل من هذه النواحي الأربعة :

1 - باعتبارها تعمل على تكوين البنيات الاقتصادية الأساسية وبلورتها.

2 - باعتبارها بنية تأطيرية لتلك البنيات الأساسية، أي تأطيرية للمنتج والمستهلك في نفس الآن.

3 - باعتبارها منطلق كل البرامج والمخططات المتعلقة بالتنمية.

4 - باعتبارها تكنولوجيا من نوع آخر، تهدف الى صنع الإنسان عقلا ووجدانا.

هنا تطرح إشكالية ربط الثقافة بالتنمية، ويطرح معها سؤال : كيف يكون دور الثقافة في مضمار التنمية ؟

وقبل الرد، نشير الى حقيقة لا مجال لإغفالها. وهي أنه في المجتمعات المتخلفة يكون للعوامل غير الاقتصادية أكبر الأثر على إنجاح مخططات التنمية أو إفشالها. ويعتبر العامل الثقافي في طليعة هذه العوامل.

أما الجواب على السؤال فيتضح من خلال هذه النقاط الخمسة :

أولا : ضرورة إعطاء الثقافة مفهوما واسعا ينظر اليها في معناها العام الذي يجعلها تمثل كل النشاط الإنساني، ماديا وفكريا وروحيا، مدرسيا كان أو شعبيا. كما ينظر اليها في معناها الخاص الذي يجعلها انتاجا ذهنيا يقوم به أناس متخصصون.

ثانيا : وجوب طرح قضية الثقافة ليس من خلال هدف ذاتي. بل من خلال التطور الاجتماعي ودورها في هذا التطور، من حيث هي عامل أساسي في الانتاج، ومن حيث هي عنصر فعال قادر على تغيير واقع التخلف.

ثالثا : إلزام المثقف في البلاد المتخلفة ومطالبته **بأن يعي أوضاع بلاده بعمق، أي أوضاع التخلف . وأن** يساهم بالعمل على الخروج من هذه الأوضاع. وألا يكتفي **بالوصف أو إثارة السخط في نفسه أو حوله أو تقديم** الشكاوى والمطالب.

رابعا : لكي تتم هذه المساهمة، لا بد للثقافة أن تخرج عن نطاق التأمل والتفكر لتمارس وتعمل على نطاق جماهيري واسع، وهو مطلب لا يمكن أن يتحقق الا بمعرفة الواقع عن طريق الدراسة والبحث والعمل الميداني، وتوضيح آفاق المستقبل. وحصر الامكانات المادية والبشرية والتخطيط والبرمجة وفق منظور وطني وليس بناء على رؤية أجنبية أو مستوردة. ثم توعية الجماهير العريضة بظروف التنمية وتعبئتها لمواجهة هذه الظروف واستيعابها والتحكم فيها والمساهمة في تحقيقها، ويكاد يكون عنصر التوعية والتعبئة في طليعة الشروط. وهو لا يكون بدون اتصال عضوي وميداني مع الجماهير ينطلق من معايشة واقعها الحي والتعرف الى حقيقة المشاكل التي تعاني منها وإشراكها في مناقشة قضايا التنمية والوطن عامة. كما ينطلق من محو الأمية ومن توظيف الثقافة في نطاق الخدمات الاجتماعية التي يجب على الدولة أن تتيحها للمواطنين.

خامسا : مثل هذه المساهمة لا تكون فعالة الا إذا تحقق أمران :

1 - أن تلتحم الثقافة مع التنمية من زاوية السمة الوطنية، أي أن تعتبر التنمية معركة وطنية، وأن تقوم هذه المعركة على ثقافة وطنية، أي ثقافة تتحرك من واقع المجتمع وتطلعاته، وتكون قادرة على التخطيط والتوجيه، وتستطيع تحقيق الأهداف. انطلاقا من التعليم الذي ينبغي أن يعكس مضمونه أبعاد المحتوى الوطني وأن توضع له مناهج مرتبطة بنمو الأمة في مختلف المجالات.

2 - أن تنمي الثقافة ذاتها في اتجاهين متناسقين، حتى لا يحدث أي خلل :

أولهما : عمودي كيفي يقصد الى تعميقها ورفع مستواها عن طريق البحث العلمي والاحتكاك بالثقافات العالمية.

وثانيهما : أفقي كمي يسعى الى توسيع قاعدة الثقافة على نطاق الجماهير وتسطيحها حتى تتحقق لها السمة الوطنية في بعد شعبي يجعلها في متناول جميع المواطنين. باعتبارها حقا مشروعا لهم. وباعتبارها تخدمهم وتنير لهم الطريق وتهيء لهم فرص الوعي بالتنمية. وباعتبارها بعد هذا نابعة منهم بما لهم من مشاركة في إبداعها.

وإذا كنا نطرح الملمح الشعبي للثقافة بهذه الأبعاد. فلأننا نعتقد أن الثقافة في مفهومها العام هي مجموع ما ينقل الانسان بالوراثة والممارسة والتربية والتعليم. وما يكتسب بقصد وبدون قصد من معارف وخبرات وقدرات تهذب طبعه وتربي عقله وترهف احساسه وتحدد ملامح شخصيته وتخدمه في حاضره وتنير له آفاق المستقبل. لا فرق فيها بين أن تكون مدرسية أو شعبية.

من هنا تبرز ثقافية التراث الشعبي. هذا التراث الذي نرى إطلاقه بديلا لمصطلح الفولكلور الشائع عند كثير من الدارسين. وهو يتجلى فيما أنتج الشعب بأفراده وجماعاته خلال الأجيال وفي مختلف المجالات. به أكد وجوده وحقه في الحياة وصراعه من أجل الأحسن والأفضل. وأثبت قدرته على ممارسة العقل والروح والعاطفة والذوق. فهو بهذا يعتبر الوثيقة التي يقدم فيها الشعب نفسه مبرزا مجموع مكتسباته. سواء تلكم التي اكتسبها بتجاربه الخاصة فكانت بنت ظروفه البيئية أو تلكم التي انتقلت اليه نتيجة اتصاله بغيره. فاقتبسها كما هي أو طورها حتى توافق مزاجه وفطرته. ومبرزا كذلك مجموع الأنماط التي يمارسها بعفوية وتلقائية في الغالب. وفي توافق مع نفسه وبيئته. وهي أنماط مرتبطة بالأرض التي يعيش عليها وبحياته المادية عليها. بكل ما تقتضي من ظروف التطور والتقدم وهي في نفس الوقت متطلعة الى ما وراء المكان والزمان وما فوق الطبيعة. مما يشكل معتقداته الذهنية وروابطه الروحية.

وإن هذا التراث ليعد دون شك خلاصة ما أبدع الشعب بمختلف طبقاته البدائية والمتمدنة من ثقافة وحضارة لا تقومان على أسس علمية مدروسة. تبدو ظواهره فيما يمارس من عادات وتقاليد وما يتمثل من قيم وأخلاق وما يحس من مشاعر ووجدان. وما يتداول من قصص وأمثال وأشعار وما يزاول من فنون وصناعات. كلها تعيش في أعماقه الواعية واللا واعية. يحسها مرة ولا يحسها مرات. ولكنها أبدا معه وفي حياة مستمرة. تكيف مزاجه وتطبع شخصيته وتميز عبقريته وتشغل بذلك وجوده وإن كان لا يشعر بها في أغلب الأحيان.

وإذا كان تمثل هذا التراث يعني تمثل الماضي والدور الذي أداه فيه. فإن من المؤكد أن هذا الدور لم يكن دور التسلية والترويح عند النفوس المكدودة كما قد يظن ولكنه دور تنموي وتقدمي وتحرري. تهدف وظيفته الى المحافظة على ذات الفرد والجماعة في إطار مواطنة عزيزة تكفل الحياة الكريمة بعيدا عن أي مظهر من مظاهر التخلف. وفي نطاق سيادة ترفض كل أنواع التبعية والاستبداد.

ومع ذلك. فإن الحياة الحديثة بما يجد فيها من مظاهر الحضارة الآلية السريعة ترفض هذا التراث ولا تتيح له فرص الوجود والمعايشة. ولكن الإنسان المعاصر غدا اليوم حتى في أرقى البيئات الحضارية يخشى أن تطغى عليه الآلية وتجرفه وتجرده من إنسانيته وتقضي عليه. بما تهيأ لها من كثرة الوسائل وسرعة الانتشار وقوة المفعول. مما جعله يبحث عن تراثه ويتشبث به. ليس فقط ليصونه من الضياع ويحفظ كيانه. وإنما كذلك ليربط به حاضره ويؤكد الصلة به في حياته. ولا عجب فهو يعاني صراعا في نفسه. لا تلبث العاطفة فيه أن تكشف عن ميلها وحنينها وتمسكها بهذا التراث. لما تحس فيه من حماية للبيئة البشرية من أضرار التكنولوجيا وأعراضها السلبية

المتفشية. ولما تحس فيه كذلك من تمثيل للروح القومي والشخصية الذاتية والخصائص الشعورية للمواطن. بالإضافة الى ما يمثله هذا التراث من طاقات وإمكانات لو تزود بها الانسان وعرف كيف يستغلها لفتح لنفسه كثيرا من الآفاق الجديدة للإبداع، وخاصة في مجال الفنون والآداب.

والتراث الشعبي تعبير عند نفسية الشعب، ومفتاح شخصيته، لهذا لم يكن غريبا أن يطلق عليه بعض العلماء **الإيطاليين والفرنسيين مصطلح الديموبسيكولوجيا.** أي علم نفسية الشعب، ولم يكن غريبا كذلك أن يكون الاهتمام بهذا التراث بدأ مع ظهور الحركات الشعبية التحررية التي ثارت على العبودية والاستعمار، وبحثت عن ذاتها فلم تجد غير الالتفات الى تراثها لتبرز شخصيتها وتؤكد قدراتها وطاقاتها وإمكانها تخطي كل الظروف الطبيعية والاقتصادية والسياسية. والارتفاع عن الالتزامات والضروريات العادية المحدودة الى مجال القيم الانسانية، منطلقة من كيان أصيل ومن الاحساس بالروح القومي والرغبة في المحافظة على الذات وما فيها من عناصر الأصالة. بل لم يكن غريبا أن يعنى الاستعمار نفسه بالتراث الشعبي في محاولة منه للتعرف الى نفسية الشعوب التي استعمرها أو يريد أن يستعمرها ليتسرب الى كيانها وينسق أعماقها من الجذور.

3 . إن التراث الشعبي هو النافذة التي يمكننا الاطلال منها على أصول ثقافتنا لنتعرف اليها والى ما طرأ عليها من تغيير، والى مراحل تطورها وما كان لها من تأثر وتأثير نتيجة التفاعل والاتصال بغيرها من الثقافات، ولنتعرف في النهاية الى الخصائص التي تميزها عن غيرها. ومتى بلغنا هذه الغاية أمكننا أن نصل الى تجديد ملامح الصورة الحقيقية للشخصية الوطنية التي لا يوضحها لنا التراث المدرسي أو لا يطرحها لنا كاملة. ولعلنا في غير حاجة الى أن نثبت أن هذا التراث ناقص من جوانب يحتاج في تكميلها الى التراث الشعبي الذي ينقل أشياء أغفلها التراث المدرسي أو لم يغفلها ولكنها محيت في مسيرة التطور أو ضاعت في جملة ما ضاع. وبهذا يجتاز الهوة الفاصلة بين التراثين. طالما أن كلا منهما يكمل الآخر. فليست تخفى صلة التراث الشعبي بالتاريخ والحضارة والأدب والفن، بل ليست تخفى صلته حتى بالجغرافيا البشرية وحياة الانسان وتطورها. سواء على الصعيد المادي أو الروحي أو النفسي، وكذلك الجغرافيا الطبيعية لتأثر الانسان في سلوكه وأخلاقه وقواعد معاشه بطبيعة البيئة التي يعيش فيها. ولا سيما حين تكون البيئة متنوعة ومتصلة ببيئات مختلفة حولها، كما هو الشأن بالنسبة لمعظم الأقطار المتنامية.

وتجاوز الهوة بين التراثين سبيل الى تحقيق التوحيد الذي لابد منه في أي مجتمع حتى يكون متجانسا في فكره، لا تفرق بينه النزعات الثقافية المختلفة والمتضاربة في بعض الأحيان، والتي من شأنها أن تفكك الفكر وتقضي على كيان الجماعة وبتحقيق هذه الوحدة يتحقق معنى الاستمرار، استمرار الذات واستمرار الارادة، وفيهما يتمثل معنى استمرار حق الانسان في الحياة واستمرار سموه على كل مظاهر الكون والطبيعة حتى ولو كانت من صنع يديه كالآلات أو غيرها مما وصل اليه العلم الحديث في مجال الاختراع. وبدون ذلك يطغى التقدم الحضاري المادي على المجتمع الذي يتغير ويتطور بسرعة، مما يؤثر على توازنه ويخلق نوعا من التفكك يفضي الى التخلف الثقافي ويعوق مسيرة النمو والتقدم.

ولن تنجح هذه المسيرة إذا هي لم ترتكز في أساسها على قاعدة الجماهير الشعبية التي أنتجت هذا التراث وما زالت تنتجه، مادامت تلك المسيرة في أمس الحاجة الى العنصر البشري، وهو عنصر مرتبط على الدوام بثقافته عامة وتراثه الشعبي خاصة. بل إن أية خطة للتنمية لا تكون إيجابية إذا هي لم تقم على فلسفة شعبية تراعي الرأي الوطني والشعور العام وتفكير الجماهير وذوق الشعب ومختلف جوانبه العقلية والذهنية والنفسية والوجدانية، بدءا من تراثه بما يمثل من عادات وتقاليد وحرف وصناعات وسلوك وأخلاق، وبما يفرز من أنماط اجتماعية وما يتولى

عنها من مسؤوليات يتحملها الرجل والمرأة في المجتمع. وبدون ذلك لا تتصور الشعب يتقبل مخططات التنمية فضلا عن أن يشارك فيها أو يستفيد منها. طالما أن التنمية يجب أن تهدف الى خدمة الجماعة وليس الى خدمة فئة معينة أو طبقة خاصة. مهما كانت هذه الطبقة أو تلك الفئة.

والاستفادة من التراث الشعبي في هذا المضمار تقتضي الكشف عن جوانبه الإيجابية القادرة على التكيف والتطور. أي الكشف فيه عن طاقاته الوظيفية لتطويعها وإخضاعها حتى تمد معركة التنمية. بعيدا عند أي موقف متطرف للتراث يتسم بالتقديس أو الرفض. بل بعيدا حتى عن مجرد موقف المعايشة أو المسايرة.

وإذا كانت هذه العملية تطرح إشكالية التوصل الى مافي التراث الشعبي من عناصر صالحة لتوظيفها. والى مافيه من عناصر فاسدة لإلغائها. فإن المقياس يكمن في استخلاص البعد القادر على أن يكون فعالا في حاضر المجتمع ومستقبله. وهو البعد التاريخي الحق المتضمن للسمات الصادقة في حضارة الشعب وثقافته ونفسيته ووجدانه.

وحتى لا يطعن أخيرا في قابلية الجماهير وقدرتها على خوض معركة التنمية. يكفي أن نذكر بأن المنتجين والمشاركين في تنمية المجتمع. كانوا في السابق من الحرفيين والمهنيين والصناع التقليديين. أي أنهم كانوا من المنتمين للتراث الشعبي واقعا وفكرا وإبداعا.

عباس الجراري

كتاب العدد الأول

- جلالة الملك المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه.
- المكي بادو.
- علال الفاسي.
- عبد الله كنون.
- مصطفى أحمد الزرقاء.
- محمد الحمداوي.
- رشيد الدرقاوي.
- عبد الوهاب بن منصور.
- عبد الكريم التواتي.
- الحاج الحسن بوعياد.
- محمد الطنجي.
- عبد الهادي التازي.
- الرحالي الفاروقي.
- محمد الحبيب.
- محمد الروداني.
- محمد بن العربي بنونة .
- عبد القادر الصحراوي.
- عبد المجيد بن جلون.

بين ابن خلدون ورسائل إخوان الصفا

للأستاذ محمد محيي الدين المشرفي

ليس الغرض من هذا البحث المتواضع عن ابن خلدون أن اتعرض لحياته ولا للمغامرات السياسية التي اشترك فيها بالأندلس والمغرب على الخصوص أثناء القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وما تركه لنا من آثار علمية رائعة ما زالت محل إعجاب ودراسات مستفيضة من طرف علماء المشرق والمغرب، ولم يكن الباعث كذلك على كتابة هذا البحث هو الحديث خاصة عن اخوان الصفاء وخلان الوفاء الذين افلحت الحكمة اليونانية في أن تستوطن الشرق العربي عن طريقهم(1)، وما خلفته رسائلهم القيمة من أثر عميق في المجتمع الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري. من آراء علمية ذات قيمة واعتبار. لم يصل بعد أهل هذا الزمان إلى أحسن منها(2)، ولكن الغرض من هذا وذاك هو إثارة الانتباه إلى جملة من المواضيع اهتمت بها جماعة إخوان الصفاء في رسائلهم وكانت هي نفس المواضيع التي تعرض لها بالذات الفيلسوف الاجتماعي الكبير عبد الرحمان بن خلدون في مقدمته الشهيرة التي أثارت إعجاب علماء الغرب وكبار المستشرقين منذ ما يزيد على مائة عام. فالسؤال المطروح في هذا المقام، ونحن نطالع رسائل إخوان الصفاء التي لم يمض قرن على ظهورها حتى دخلت الأندلس والمغرب(3) ينحصر في معرفة ما إذا كان ابن خلدون قد اطلع على ما كتبوه واستخلص من تلك الرسائل جملة من الأفكار والنظريات التي شرحها في المقدمة ـ وهي كثيرة متنوعة ـ ثم تمكن بالتالي من التعمق في تحليلها والتعليق عليها إلى أن وصلت إلينا على الصورة التي نعرفها، وقد يكون ما يلمسه القارئ من تشابه وتجانس بين ما هو في الرسائل التي سبقت المقدمة إلى الظهور بما يقرب من أربعة قرون وما نطالعه في المقدمة من باب توارد الخواطر؛ لكن ليس من

1) تألفت جماعة إخوان الصفاء في بغداد في أواسط القرن الرابع الهجري وذكر أن أعضاءها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البوستي ويعرف بالمقدسي، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجابي، وأبو محمد المهرجاني، والعوفي، وزيد بن رفاعة، وكانوا يجتمعون سرا ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص، هو خلاصة أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد إطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الإسلام (انظر تاريخ اللغة العربية لجرجي زيدان، الجزء الثاني، ص 650، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.

2) راجع تاريخ اللغة العربية لجرجي زيدان، ج 2، ص 651.

3) كان ذلك على يد ابن الحكم عمرو بن عبد الرحمان الكرماني؛ وهومن أهل قرطبة كان قد رحل إلى المشرق على عادة أهل الأندلس للتبحر في العلم ؟ فلما عاد إلى بلاده حمل معه رسائل إخوان الصفاء التي ما لبثت ان انتشرت بعدما تناولها الكتاب والأدباء بالبحث والتحليل.

المعقـول أن تبقـى رسائـل إخـوان الصفـاء مجهولة لدى ابن خلدون بعد ما شاعت في الأندلس والمغرب بعد ظهورها في بغداد بقليل؛ فقد يكون ابن خلدون قد استقى بعض الأفكار والنظريات التي تضمنتها رسائل الإخوان عن طريق المصادر الأجنبية. لكن ذلك يفرض على الفيلسوف المغربي أن يكون ملما ببعض اللغات الأجنبية كاليونانية والإيطالية أو الفارسية على الأقل، وليس من المعقول في شيء أن يبقى مفكر عبقري من طبقة ابن خلدون بمعزل عن التيارات اللغوية وهو الذي جال في بلاد متعددة ذات حضارات عريقة يمتد نفوذها من المغرب إلى المشرق، وعاش زمنا طويلا بين أولائك الذين كانوا يمثلون تلك الحضارات ويتحدثون بلغات علمية عريقة.

وسواء علينا أن يكون ابن خلدون قد استقى بعض النظريات التي شرحها في المقدمة من كتب قديمة عن طريق اللغة اليونانية أو الفارسية على الأخص أو وجد بعضها من رسائل إخوان الصفاء كما سنعطي الدليل على ذلك فيما بعد، فإنه ليس من العيب في شيء أن يتأثر الباحث أو الكاتب أو الأديب أو الفيلسوف خطوات الذين سبقوه مسترشدا بما كتبوه ومستفيدا مما انتهـوا إليـه مـن نتائج ليتمكن بعد ذلك من مواصلة البحث إذا كان يهمه أن يضيف جهوده إلى جهود غيره في موضوع أو مواضيع معينة بالذات لكن العيب أن يسمح الكاتب لنفسه بأن يسطو على افكار من سبقوه، فينقل عنهم الأفكار كما جاءت دون أن يتحمل حتى مشقة التصرف فيها بأسلوبه الخاص؛ وعمل كهذا لا يليق طبعا بمن يومن بالنزاهة العلمية ويضع نفسه في منزلة كريمة.

أما ابن خلدون الذي يشهد له الكل بشخصيته الفذة وعبقريته اللامعة فلم يتأثر تأثرا أعمى بما سبقه إخوان الصفا إليه في رسائلهم كما سنشير إلى ذلك كله في مكانه، يمكن القول من الآن بأن ابن خلدون استطاع أن يستغل كتابتهم في شتى المواضيع ثم زاد على ذلك بما أوحى به إليه فكره الثاقب من تأملات عميقة، استخلصها بقوة عقله وجودة فكره، فارتفع بها دفعة إلى مستوى ذلك المفكر الاجتماعي الفذ الذي ملأ صيته أرجاء القرن التاسع عشر الميلادي الذي عرف فضله وما يزال محط أنظار النقاد والباحثين.

والذين يتناولون في شيء من التأني قـراءة رسائل اخوان الصفا لا يلبثون أن تستوقفهم مجموعة من الأفكار والملاحظات يدركون في الحين أنها مرت بهـم قبل، وهم يطالعون المقدمة؛ وهذه الأفكار مختلفة متنوعة؛ يتعلق بعضها بحاجة الإنسان إلى التعاون ويرجع بعضها إلى الأرض وأقاليمها كما يتعلق البعض الآخر بأعمال الدولة ومختلف الصناعات؛ من هذه النظريات التي نجدها في الرسائل كما نجد لها صدى في المقدمة تتعلق بميدان العلم والتعليم وتهم العلوم العقلية والمنطق.

هذا وفي مقدمة هذه الأفكار التي تستوقف القـارىء الأميـن تخـص حاجـة الإنسـان إلـى التعـاون واضطرار هذا الأخير إلى الاعتراف بأن حياته تتوقف إلى حد بعيد على العيش داخل مجموعة بشرية، جاء في رسائل إخوان الصفاء بخصوص هذا الموضوع أن الإنسان الواحد لا يقدر أن يعيش وحده إلا عيشا نكدا وأنه محتاج لادراك طيب العيش إلى إحكام صنائع شتى؛ ثم انه لا يمكن الواحد منا أن يبلغها كلها لأن العمر قصير والصنائع كثيرة؛ وجاء في نفس الرسالة : «ومن أجل ذلك اجتمع في كل مدينة وقرية أناس كثيرون لمعاونة بعضهم بعضا؛ والرسالة تشير فوق ذلك الى أن الناس قسموا الصنائع إلى حرف ومهن مختلفة كالنجارة والبناء وتدبير السياسة وأحكام العلوم، مثلهم في ذلك كمثل اخوة ينتمون لأسرة واحدة متعاونين في أمر معيشتهم، كل منهم في وجه منها؛ ولكن اخوان الصفاء لا يقفون عند هذا الحد المتعلق بفكرة التعاون المفروض على بني البشر وما يتصل بأمر دنياهم،

بل يذهبون إلى الحديث عن الوسائل التي تمكن المرء من النجاة بنفسه من هموم الدنيا، فتجعل الإنسان في مأمن من عذاب الآخرة(4).

وبخصوص هذا الموضوع بالذات يذكر ابن خلدون في مقدمته أن الإنسان مضطر الى التعاون مع بني جنسه للحصول على الغذاء الذي يحتاج إليه ومضطر كذلك إلى الاستعانة ببني جنسه لدفع تعدي الحيوانات عليه. وذلك لأن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من الغذاء، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من البشر ليحصل القوت له ولهم، كما أن الواحد من بني آدم لا تقاوم قدرته قدرة الواحد من الحيوان العجم، سيما المفترسة منها، وهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجبلة(5)، وزيادة في توضيح فكرة التعاون والتآزر التي هي طبيعة جبلية في الإنسان يقول : وأما الأسلحة المعدة لدفع الحيوانات المفترسة فقدر الواحد من البشر لا يكفي لضعفه ولا بد في ذلك من التعاون عليه بأبناء جنسه، وما لم يكن هذا التعاون لا يستطيع الإنسان أن يحصل على الغذاء وأن يدفع عن نفسه. فيكون فريسة للحيوانات(6). ومن ثم يخلص ابن خلدون إلى القول بأن الاجتماع ضروري للنوع الإنساني كما أنه يشير في فصل آخر من المقدمة الى أنه يستحيل على البشر أن يعيشوا منفردين، وهي نفس النتيجة التي أقرها اخوان الصفاء بقولهم أن حاجة البشر إلى معاونة بعضهم بعضا هي التي دفعتهم الى تصنيف الصناعات الى أنواع شتى يقوم بها أفراد المجتمع، كل بحسب قدرته واستعداده، شأنهم في ذلك شأن الاخوة الذين ينتمون الى أسرة واحدة وهم يعملون على إسعاد أفرادها، متعاونين في سائر أمور معيشتهم.

وإذا كان اخوان الصفا في رسائلهم يحذرون الإنسان من أهوال الدنيا - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وما تجره على المرء من آفات نتيجة الجناية التي ارتكبها آدم عليه السلام بعصيانه أمر ربه في الجنة، وإذا كانوا يحضونه على الاستعانة بجمهرة من الفضلاء المتبصرين ليدلوه على طريق الخلاص من هموم الدنيا والنجاة بنفسه يوم أن يقوم الحساب فإن ابن خلدون يقرر بالنسبة للموضوع نفسه أن طبيعة الاجتماع التي هي سجية عند بني آدم تحمل الناس على البحث عن وازع يدفع عنهم سوء معاملة بعضهم لبعض لما في طباع البشر الحيوانية من العدوان والظلم، ثم يقول ان ذلك العدوان لا يمكن أن يتم بواسطة الأسلحة لأنها متوفرة لدى الجميع، فلذا أصبح من اللازم المحتوم وجود شيء آخر يمكن الناس من الكف عن اذاية غيرهم، وهنا نرى كيف أن ابن خلدون يسترسل في تحليل فكرة ميل الإنسان بطبيعته الى الحياة داخل مجموعة بشرية متعاونة لا تظلم ولا تظلم، حتى ينتهي بنا إلى الضالة التي يبحث عنها متمثلة في وجود ذلك الوازع الذي لا يمكن أن يكون من غير الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكون واحدا منهم شريطة أن يكون له عليهم السلطة والقوة والنفوذ بحيث لايستطيع أحد من أعضاء المجتمع أن يصل غيره بعدوان.وهذا هو معنى الملك في نظر ابن خلدون (7).

فإذا كان موقف إخوان الصفا ونظرية ابن خلدون يلتقيان على أرضية واحدة، وهي أن الطبيعة البشرية تستلزم الحياة الاجتماعية وتضع قانون التعاون بين الأفراد على تحمل أتعاب الدنيا لضمان حياة كل واحد منهم فإن إخوان الصفاء يتجهون بفكرهم الى أن الإنسان متوفق بالإضافة الى مايجب في بني جنسه من عون ومساعدة كل من يأخذ بيده في خضم هذه الحياة حتى يسلك به سبيل النجاة والفوز في دار القرار، في حين نرى ابن خلدون يركز على أن الطبيعة البشرية وإن كانت تحمل على التعدي والخصام والتنازع بين الأفراد إلا أنها تفضي في النهاية إلى ذلــك

4) انظر «رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء» ، الجزء الأول، ص 99 نشر دار صادر بيروت.

5) مقدمة ابن خلدون، المجلد الأول، ص 40، نشر دار البيان.

6) المقدمة ص 42.

7) نفس المصدر، ص 43.

الوازع الخلقي الذي يحمل القوم على التعايش في وئام مع بعضهم بعضا. وذلك بفضل وجود سلطة عليا. هي الملـــك الذي يقترن وجوده بوجود الحضارة أو المدنية بمعناها الواسع الشامل.

وإذا انتقلنا إلى الفصل المتعلق بصفة الأرض وقسمة أرباعها وأقاليمها نجد الرسالة الرابعة من رسائل إخوان الصفاء تتحدث بتفصيل عن الأقاليم السبعة معتمدة على الوصف الواضح بواسطة الصور الهندسية والأرقام التي تعطي البيان مثلا عن المسافة التي تفصل كل إقليم عن الإقليم الذي يليه كما تعطى كذلك البيان عن البعد الذي يفصل بين الإقليم وجهة المشرق والمغرب دون إغفال لذكر المدن الكبرى والجزر التي يشتمل عليها كل اقليم، والغريب في الأمر أن الرسالة لا تغفل عن تقديـــــم النصح للمرء ليتدبر حقائق الأشياء حتى يكون مستعدا أبدا للقيام بالرحلة الكبرى التي لا بد أن يقوم بها كل فرد منا الى عالم البقاء(8). أما ابن خلدون فإنه في كلامه عن نفس الموضوع يخصص فصلا ذا أهمية كبرى ليتحدث فيه عن قــط العمران من الأرض مع الإشارة إلى ما تحتويه من الأشجار والأنهار والأقاليم. مقدما لنا تفاصيل متعددة عن البحار الكبرى والأنهار العظيمة كالنيل والفرات ودجلة التي تخترق تلك الأقاليم؛ وفي حديثه عن الأقاليم السبعة يفصل الكلام عن طبيعة كل اقليم وطباع أهله وعوائدهم، فإذا كان اخوان الصفاء يقتصرون في حديثهم عن الأقاليم بوصفها وصفا طبيعيا لجغرافيتها. فإن ابن خلدون يتعدى ذلك إلى الإفاضة في وصفها من حيث موقعها وطبيعة تربتها. وشكل أهلها. وألوان بشرتهم وكيفية معاملتهم بعضهم لبعض وصورة تصرفهم مع الأجانب إلى غير ذلك من المعلومات التي تعطيك الدليل على اهتمامه بالوجهة الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية لكل إقليم؛ ولا ينسى أن يشير، وهو المهتم بكل مايتعلق بالمدنية والحضارة. الى أن الربع الشمالي من الأرض هو أكثر عمرانا من الربع الجنوبي ويذكر الأسباب التي تدعو لذلك؛ ثم يختتم هذا الفصل المفيد بالكلام عن المعتدل من الأقاليم والمنحرف منها وتأثير الهواء في ألوان البشر القاطنة فيها. وهـــــو موضوع سيجري الحديث حوله فيما بعد.

وهناك موضوع شيق استأثر باهتمام اخوان الصفاء وأخذ كذلك باهتمام ابن خلدون بعدهم هو الذي يتعلق بأعمار الدولة، فإذا تصفحنا الرسائل نجدها تقرر أن كل دولة لها وقت منه تبتدىء وغاية إليها ترتقي وحد إليه تنتهي. بحيث متى مابلغت أقصى غاياتها تسارع إليها النقصان ودب إليها الانحطاط، ثم ان اخوان الصفاء يضربون لذلك مثلا بما تجري به مجاري أحكام الزمان. مفصلين قولهم بأن الزمان كله نصفان ، نصفه نهار مضيء، ونصفه ليل مظلم. وهما يتداولان في مجيئهما وذهابهما. كلما ذهب هذا جاء ذاك. وكلما نقص من أحدهما زاد في الآخر. ويقارنون هذا الوضع الزمني بما يجري في العالم من تقدم وانحطاط قائلين : وهكذا حكم الزمان. فتارة تكون الدولة والقـوة وظهور الأفعال في العالم لأهل الخير. وتارة تكون الدولة والقوة وظهور الأفعال في العالم لأهل الشر. وتلك الأيام نداولها بين الناس. وتختم الرسالة الرابعة قولها عن حياة الأمم بأن الدولة والملك ينتقلان في كل دهر وزمان من أمة الى أمة ومن أهل بيت الى أهل بيت ومن بلد الى بلد. ولكن دون تدخل في الأسباب والدواعي التي من أجلها يتم ظهور دولة معينة. فتقـوى ويشتـد عضدها ثم يعتريها الهرم ويصيبها الانحطاط. سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

أما ابن خلدون الذي وجه عناية خاصة لهذا الموضوع المتعلق بقيام انتشار العمران حيث خصص له مايقرب من ثلث المقدمة فإنه يعرض علينا بتفصيل كيفية تأسيس الدولة وتوسعها وتقلصها وانقسامها حتى يأذن الله

8) انظر رسائل إخوان الصفاء، الجزء الأول، ص 157 ـ 180.

بانقراضها، ولا يفوته أن يحدد عمر الدولة في أربعة اعقاب تتمثل حسب قوله في بأن لصرح الدولة ومباشر له ومقلد وهادم، ثم يستقصي الحديث عن أحوال هذه الأعقاب أو الأعمار مع ذكر العوامل التي تؤثر في كل عمر منها بتفصيل وتعمق مؤكدا على أن عمر الدولة لا يزيد. عادة. على المائة وعشرين سنة؛ وهي مدة قد تقصر أو تطول لأسباب يشرحها ابن خلدون بما عهد فيه من تبصر وفهم والمام بالتطورات التي تمر بها المجتمعات البشرية. وبعد ذلك يقول بما أن عمر الإنسان المتوسط لا يعدو أربعين سنة. فإن عمر الدولة قد يتمثل في ثلاثة أجيال. الجيل الأول ويسمى جيل البناء. وهم الذين ما يزالون على خلق البداوة وخشونتها من البسالة والاشتراك في المجد. والجيل الثاني الذي تتحول فيه أحوال الدولة من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب بما في ذلــك انفراد الواحد من الجيل. وهو الملك. بالمجد خاصة؛ وأما الجيل الثالث فهو جيل يفقد فيه القوم صلابة العز؛ فلا يبقى لهم من القوة ما يمكنهم من المدافعة عن كيان الدولة. فتنزع شيئا فشيئا الى الهرم والانحطاط.

والذي يثير انتباه الباحثين والمغرمين بدراسة ما خلف لنا ابن خلدون من تراث علمي رفيع هو أنه يضيف إلى كل ما تقدم أن قيام الدولة لا يستتب إلا على أســاس شرطيــن لا بد منهمـا همـا الديـن والعصبيــة ثـــم يتبسط في شرح كل هذا شرحا علميا دقيقا الأمر الذي يضفي على تأملاته حقا صفة العبقرية والابتكار.

وأما ميدان الحرف والصنائع فهو موضوع آخر يلتقي فيه ابن خلدون مع إخوان الصفاء، وقد اخترع الإخــوان في رسائلهم عن الصناعات فصولا عديدة مبتدئين بالكلام عن الحرف الأصلية التي تعتبر الأساس بالنسبة للصنائع الأخرى. وهي أشرفها. كالحراثة والحياكة والبناء لأنها الحرف الأولى التي يعتمدها الإنسان لضمان قوته والحصول على ملبسه والبيت الذي يأوي إليه، أما ما بقي من الحرف الأخرى فكلها متفرعة عن هذه الصنائع الثلاث. ولا يفوتهم أن يلاحظوا في فصل آخر أن اتقان الصناعة يتوقف على الفكر والتعقل بعد تعرضهم لذكر أصناف الصنائع ومقدار فائدتها للبشر كما أنهم يذكرون تلك الحرف التي إن كف أصحابها عن القيام بها كالتنظيف وإزالة الأزبال من الشوارع لحق أبعد الأذى بالسكان، وأخيرا يختتمون حديثهم عن استعداد الأشخاص لتعلم الصناعات بطريقة تزداد حسب طبيعة البشر حذقا وإتقانا. وذلك نتيجة تأثير بعض الكواكب كما يزعمون. وإذا قصدوا للحديث عن الموسيقى كصناعة من الصناعات فإنهم يتعمقون في الحديث عنها ويطنبون حول الأصوات المختلفة والنغمات والآلات المستعملة عند الموسيقيين مع ذكر امتزاج الأصوات وكيفية إصلاح الآلات الموسيقية دون أن يتركوا جانب الحديث عن نغمات الأفلاك. وهي فكرة طريفة سبقوا اليها طائفة من الفلاسفة الفلكيين الذين يعتقدون أن تحرك الإجرام السماوية تترك من ورائها أصواتا ونغمات لا نستطيع في الوقت الحاضر التقاطها لما تتصف به حواس الإنسان من الضعف،وفي حديثه عن الموسيقى بالذات فإن ابن خلدون يتكلم كالعارف لأصولها الخبير بمبادئها وأثرها في النفس البشرية سواء كان ذلك بالنسبة لأفراح الناس أو لأحزانهم؛ ويختتم قوله بعدم ملاءمة ترانيم الغناء لقراءة كتاب الله بها أن كتاب الله متنزه عن ذلك كله.

فإذا تناول الحديث عن الصنائع والحرف. وهو موضوع طالما استأثر بعناية ابن خلدون واهتماماته فإنه يبدأ بتوطئة لها عن الثروة وأسباب حصولها. متكلما عمن لاتعظم ثروتهم في الغالب كالعلماء والقضاة والأئمة والخطباء متعرضا لذكر الأسباب التي تجعل هذه الطبقة من الناس لا تحظى بالمال عادة. ثم ينتقل الى الحديث عن اصناف الناس الذين يتعاطون بالطبع الفلاحة ثم الذين يحترفون التجارة وبعدهم أولائك الذين ينبغي لهم اجتنابها مشيرا إلى أن خلق التجارة نازلة عن خلق الأشراف والملوك.

والغريب في الأمر أن ابن خلدون يتصرف في الأفكار الخاصة بالتسويق والمعاملات التجارية تصرفا

يرقى به في كثير من الأحيان إلى مرتبة المتخصصين في الشؤون الاقتصادية، فهو يتكلم عما يلحق السلع من أضرار إذا ما نقلت من مكان إلى مكان. وكانت الطريق التي يسلكها ناقلوها وعرة، قليلة الأمن، ثم ما يتولد عن احتكار السلع من طرف أربابها. وتراه يكتب عن ذلك كله بأسلوب شيق متين واقعي يخيل إليك من خلاله أنك تقرأ إنتاجا فكريا لكاتب معاصر متخصص في مادة الاقتصاد. فإذا انتقل من الحديث عن المال الذي هو عصب كل نشاط تجاري الى الكلام عن الصناعات رأيناه يلتقي على صعيد واحد مع إخوان الصفاء في تقسيم الصناعات إلى ما يختص بأمر المعاش الضروري للإنسان كالفلاحة والحياكـــة والتجارة والبناء وما يتعلق منها بالأفكار التي هي خاصية الإنسان من العلوم والصنائع والسياسة، ثم انه يقرر أن شتى الصناعات توجد في الإنسان بالقوة. لا تحتاج إلا لمن يعلمه إياها، فإذا تعلمها وأتقن فنونها أصبحت متمكنة منه بالفعل. الا ان إخوان الصفاء يعتقدون أن الإنسان قادر على تعلم صناعة أو عدة صناعات معا في حين أن ابن خلدون يقول أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى. الا ان تكون الأولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ صبغتها عنده، ثم يعلل ذلك فيقول: «والسبب في ذلك أن الملكات صفات للنفس وألوان، قد تزدحم دفعة. ومن كان على الفطرة كان أهلا لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها، فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيها الاستعداد باللون الحاصل من هذه الملكة. فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف، فقل أن تجد صاحب صناعة يحكمها ثم يحكم من بعدها أخرى ويكون فيها معا على رتبة واحدة من الإجادة حتى أن أهل العلم الذين ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة، ومن حصل منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها فقل أن يجيد ملكة علم آخر على نسبته(9).

وعن تأثير طبيعة البلدان في أخلاق البشر نجد اخوان الصفاء يتعرضون بإسهاب للحديث عن هذا الموضوع الهام باعتباره شيئا مشاهدا. ويقررون أن حرارة الجو هي التي تؤدي إلى اسوداد جلود سكان البلاد الحارة كالسودان مثلا وتؤثر في تجعد شعورهم واتساع عيونهم؛ ويلاحظ عكس ذلك في سكان البلاد الباردة من بياض جلودهم وانسدال شعورهم وضيق عيونهم؛ ولا أدري لم ينتقلون بعد ذلك الى القول بأن تغير أخلاق الناس يكون تابعا لأحكام النجوم بمعنى أن الذين يولدون تحت تأثير الكواكب النارية مثل المريخ فإن الغالب على امزجتهم الحرارة كما أن الذين يولدون بالبروج المائية، أي تحت تأثير الكواكب المائية كالزهرة فإن الغالب على أمزجتهم الرطوبة، لكن إخوان الصفاء لا يقفون عند هذا الحد من التقرير. بل يذهبون الى الكلام عن ماهية الأخلاق. ومن ثم إلى الحديث عن مراتب النفوس واختلاف مناهجها باعتبار قربها أو بعدها من الفضائل والرذائل تبعا للأعمال التي تناط بكل طبقة من الناس؛ ومن هنا ينتقلون في حديثهم عن انقسام الناس فيما يتعلق بالسعادة مركزين دائما على كتاب الله العزيز وأحاديث نبيه المصطفى الكريم؛ وهي استطرادات إن دلت على شيء فإنما تدل على ما طبع به إخوان الصفاء من سعة علم وقدرة على التفنن في البحث العميق واستنباط الأحكام الملائمة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف بغية حمل الناس على معاملة بعضهم البعض بالصدق واليقين حتى يجدوا ثواب أعمالهم ماثلا أمام أعينهم يوم يقـــوم الناس لرب العالمين؛ ومن الملاحظات أن هذه الشروح والقرارات تتخللها فصول مفيدة اشتملت على حكايات ملحة ولكن لا صلة لها البتة بموضوع الأخلاق الذي أنت مشدود لمطالعته، متشبث بقراءته والاستفادة منه.

وإذا ما عدنا الى فصول المقدمة التي تتناول هذا الموضوع بالذات لانرى بالمقارنة كبير اختلاف عما يذكره

9) المقدمة، المجلد الأول، القسم الرابع ص 732.

ا بن خلدون في حديثه عن أثر الهواء من أخلاق البشر حيث يقرر هو الآخر أن السودان الذين تكثر الحرارة في بلادهم يمتازون عن غيرهم بالخفة والحركة والطيش وعدم المبالاة. بخلاف سكان المناطق الباردة والنواحي الجبلية فإنهم يعرفون بالتأني والتروي والانكماش على النفس مع إفراط واضح في النظر الى العواقب .

وهناك موضوع هام وشامل كان من المفروض أن يشترك فيه ا بن خلدون واخوان الصفاء بما أوتوا جميعا من سعة علم وتبحر في المعرفة هو الذي يتصل بالعلم والعلماء والتعليم والمتعلمين، أما اخوان الصفاء فيتناولون الحديث عن هذا الموضوع الواسع العريض بطريقة علمية صرفة تعتمد الاستقراء واستعمال المنطق في أسلوب أبحاثهم بواسطة المدخل والمقدمات. لا يحيدون عنها قصد إدراك الحقائق التي يرغب في التعرف عليها، وبيان ذلك أنهم يقولون في حديثهم عن اقتباس العلوم أنها ثلاثة أصناف وهي العلوم الرياضية والعلوم الشرعية والعلوم الفلسفية، ثم يفصلون الحديث عن كل طائفة منها شأنهم في ذلك شأن العلماء الموسوعيين، دون ما ينسون الجانب الديني في كل ما يقررون، وهكذا نراهم لا يستنكفون عـن بـذل النصيحة للناس بضرورة تعلم العلوم عملا بما جاء عنه صلى الله عليه وسلم حيث قال : «تعلموا العلم فإن في تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمونه صدقة، وبذله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار سبيل الجنة»(10).

أما ا بن خلدون فيتناول هذه المسألة. مسألة العلم والتعليم من زاوية خاصة باعتبارهما من جملة الصنائع التي هي نتيجة العمران البشري، ويقول ما مؤداه : ان العلوم تكثر حيث يكثر هذا العمران وتتنوع حيث تعظم الحضارة وتتسع. ثم يشرع بما عهد فيه من تعمق. متكلما عن مختلف العلوم مبتدئا بعلوم القرآن والفقه والحديث ومـا يتبع ذلك من الفرائض، ثم ينتقل الى العلوم العقلية وأصنافها كالحساب والجبر والهندسة والحكمة والطب والطبيعيات والإلاهيات، ولا يغفل كمرب حكيم خبير أن يفيدنا بآرائه فيما يتعلق بتربية الأطفال وتوجيه المراهقين. وهي آراء ونظريات ترتكز على أسس متينة في علم النفس لا تصدر إلا عن رجل يمتاز بخبرة واسعة في شؤون التعليم، ثم ان هذه الملاحظات وهذه التأملات البيداگوجية التي وردت متفرقة مبعثرة أحيانا في عدة فصول من المقدمة نستطيع أن نجمعها في أصناف ثلاثة : هي معلومات تقنية ومعلومات تاريخية ثم وصايا وإرشادات عملية قيمة سبق بها ا بن خلدون كبار علماء التربية في أوربا بعدة قرون، وغني عن الإثبات أن نؤكد علـى صلاحيتها وملاءمتها للأفكار التربويـة الأساسيـة التـي سيطرت على تنظيم الدراسة الابتدائية في كثير من البلدان الأوربية خلال القرن التاسع عشر(11)

ولا يفوتنا في هذا المكان، ونحن نتحدث عن العلم والتعليم كما يراهما ا بن خلدون بالنسبة لما جاء عن ذلك في رسائل اخوان الصفاء الى الصلة التي تجمع في نظر ا بن خلدون بين العلوم ومختلف الصناعات، ومن ثم يقرر صاحب المقدمة بأن هذه الصناعات لا بد لها من العلم، وهي فكرية ثورية إن صح القول سبق الى التعبير عنها عشرات المفكرين الغربيين. كما أنه يرى بفكره الواسع الثاقب أن استحكام الحضارة في بلد معين يجعل الصنائع تنتشر فيها وتزكو وتتسع ومن جملة هذه الصنائع تعليم العلوم.

وإذا حاولنا أن نعرف ما كتبه ا بن خلدون واخوان الصفاء عن العلوم العقلية خاصة وعلم المنطق والعدد وكلها مواضيع قيمة تعرض لها كل من الجانبين بكثير من

10) رسائل إخوان الصفاء، المجلد الأول، ص 346.

11) انظر : دراسات مقدمة ابن خلدون لساطع الحصري، مكتبة الخانجي ودار الكتاب العربي، ص 437 القاهرة ـ بيروت ـ سنة 1967.

التفصيل والإطناب. نرى ابن خلدون في حديثه عن العلوم العقلية يقرر قبل كل شيء أن هذه العلوم غيرمختصة بملة، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم؛ ومما لاشك فيه أن الفيلسوف المغربي كان يفكر، وهو يثبت هذه الحقيقة، الى علم اليونان والرومان وفارس قبلهم، ثم يقسم هذه العلوم الى فئة ثلاث ، علم المنطق وعلم الطبيعة والعلم الإلاهي، وإذا جرى لسانه بالحديث عن الهندسة والموسيقى والحساب غلبت عليه في كل ذلك صفة المؤرخ وهو يستعرض الأسباب التي أدت الى نقل تلك العلوم من تلك الأمم الى أيدي العرب الذين استناروا بهديها وعملوا بعد ذلك على تزكيتها بما حصل لهم من التقدم والتحضر، وهكذا فهو يروي فضل العلماء المتقدمين في تنمية تلك العلوم خاصة منها علم الفلسفة والمنطق على يد علماء اليونان كافلاطون وأرسطو وغيرهما، ويذكر منها حظ علماء الإسلام كالفارابي وابن سيناء بالمشرق والقاضي أبي الوليد ابن رشد والوزير أبي بكر ابن الصائغ بالأندلس وكلهم ممن بلغوا الغاية في هذه العلوم.

أما إخوان الصفاء فعندما يتحدثون عن علم المنطق فإنهم يرقون بالقارئ من أول وهلة الى مستوى علمي رفيع، مبتدئين بالكلام عن القياس المنطقي. مؤكدين على حاجة الإنسان الى استعمال القياس وما يعتوره من اعوجاج مع ذكر كيفية التحرز من ذلك الانحراف إلى أن يختتموا هذا القسم الشيق بكلام ممتع عن البرهان، وهذه الفصول النيرة تعطي الدليل على مدى سعة علم اخوان الصفاء وما كانوا يتمتعون به من بعد نظر وحصافة رأي وثقابة فكر مع ما درجوا عليه من دقة في البحث وعمق في تعليل الأشياء واستنباط الأدلة الصحيحة والبراهين القوية.وما قيل عن ابن خلدون وهو يتحدث كما أشرنا الى ذلك سابقا. عن العلوم العقلية يقال عنه وهو يوضح ما جاء في الفصل الذي خصصه في المقدمة للحديث عن العلوم العددية، وسواء عليه أجرى الحديث عن فن الحساب أو طريقة صناعة هذا الفن أو تكلم عن الجبر والهندسة فهو يتطرق الى ذلك كله بأسلوب سهل بسيط مشيرا أولا الى الفائدة المرجوة من تعلم تلك العلوم وما يصيب صاحبها من غنم، ثم يستشهد على ما يقول بأقوال الحكماء حتى أن أفلاطون كان قد كتب على باب داره ما مؤداه ، «من لم يكن مهندسا فلا يدخلن منزلنا» ثم يشير الى من اهتموا بالتأليف في تلك العلوم كابن سينا وابن البناء المراكشي وكأبي عبد الله الخوارزمي الذي انفرد بتأليف عدة كتب في علم الجبر، ويذهب ابن خلدون الى القول بأن من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره فإنه يتعود الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس. ويصير خلقا فيه. فيلازمه مذهبا. معنى ذلك أن ابن خلدون الفيلسوف الاجتماعي يبقى مهما تكن الظروف مستعدا استعدادا فطريا لمتابعة البحث عن الطرق التي من شأنها أن تؤدي الى تقويم اعوجاج النفس باعتباره مربيا وبيداغوجيا موهوبا.

فإذا انتقلنا الى اخوان الصفاء للاطلاع على الصفحات القيمة التي كتبوها في الرسالة الأولى من المجلد الأول حول الموضوع نفسه. فإننا نراهم يرتفعون بالقارئ عبر أسلوب علمي عال رفيع الى نظرية خواص العدد باعتباره تاما وناقصا وزائدا أو كان صحيحا أو مجدورا وغير ذلك من المعلومات المفيدة التي لا يحصل فهمها وإدراكها إلا الذين سبق لهم أن درسوا المبادئ الأساسية منها، ثم إن إخوان الصفاء لا يتركون هذا الموضوع حتى يختتموه بفصل هام يتعلق بفضل علم العدد بالنسبة للنفس، ذلك إذا كان الغرض من هذه العلوم حسب اعتقادهم. يفيد المرء من حيث معانيه فإن الغرض الأسمى من ذلك كله هو السلوك أي التطرق منها الى الطبيعيات لأن الغرض للناس الأول والأخير من الطبيعيات هو الصعود بهم منها الى العلوم الإلاهية وهو أقصى غرض الحكماء.

ومن الملاحظ أنه كلما اتسعت أفكار إخوان الصفاء حول علوم العدد وتشعبت وانتقلوا بالقارئ من المحسوسات

الى أجواء المعاني النظرية الدقيقة. اقتصر ابن خلدون بخصوص هذا الموضوع على الحديث عن الفائدة من تعلم علوم الحساب مع ما يقابل ذلك من تأليف واهتمـــام العلماء في المشرق والمغرب بعلوم لا تتعدى فائدتها نطاقا محدودا، وباختصار فإن ما وقع تحت تأمل إخوان الصفاء حول هذا الموضوع خاصة يعتبر بلا مراء تقريرا عاليا وبحثا دقيقا مستفيضا يعطيك الدليل. في هذا المكان بالذات، على أنهم أمضوا وقتا غير يسير في كتابة هذه الرسائل التي لنا أن نعتز بها ونعتبرها من أثمن وأزكى تراثنا العلمي تفكيرا وتعبيرا.

وفي الختام، يبدو جليا أن الغاية من هذه الموازنة بين ابن خلدون وإخوان الصفاء الذين فصلت بينه وبينهم حقبة من الزمان تقدر بأربعة قرون هي فقط تشويق الدارسين إلى ما في هذه الرسائل من فائدة ومتعة وإثارة اهتمام النقاد والباحثين أكثر مما سبق الى طائفة من الحكماء كان لهم الفضل، فضل السابقين الأولين في إغناء تراثنا العريق بالفلسفة اليونانية كما كان لهم الفضل أيضا في تمهيد السبيل أمام كبار المفكرين من ذوي النباهة والفهم والإدراك ـ وفي طليعتهم ابن خلدون طبعا ـ لمعالجة هذا التراث بالذات معالجة تقنية عبر السنين بما تسمح به عبقريتهم الفذة وعقولهم الكبيرة.

الرباط ـ **محمد محيي الدين المشرفي**

هؤلاء تحملوا مسؤولية "دعوة الحق"

تولى رئاسة تحرير مجلة (دعوة الحق) منذ العدد الأول الأساتذة الاتية أسماؤهم :

ـ عبد القادر الصحراوي ـ محمد الطنجي ـ أحمد السطاتي ـ محمد بن عبد الله.

الحياة الثقافية في التعليم

للأستاذ الحسن السائح

إن العقل الباطن والحدس الصادق يكون أحيانا أكثر وعيا من العقلانية والمنطق والإحصاء فعندما تشتد المتاعب يفر الإنسان الى أحلام اليقظة ليجد فيها تعويضا عن المعاناة. وربما ليجد (الحقيقة) التي إن أثارها تقع المعركة الحاسمة... ومهما تطل المناقشة حول حقيقة التعليم ومفهوم الثقافة فستظل حتمية ارتباطها بالبيئة أمرا مفروغا منه. وكما قال برجسون :

«إن الفكر كالشجرة، لا بد أن تظل متصلة بالأرض أي بالزمان والمكان والبشر، حتى تظل الشجرة حية . فإذا قطعتها تبدأ في الجفاف والموت..

والفكر هو الأصل لا المتكلف المصنوع، لأن الفكر المتكلف المصنوع، هو كقطعة أثاث جميلة لا تزيد عن أن تكون فتنة، وأفضل منها جذع شجرة ثابتة في الأرض غير أنيقة ولكنه ينمو لأنه متصل بالزمان والمكان والإنسان».

شيء صحيح. وإذا كان الإنسان هو الشجرة، فكيف يظل إنسانا حيا مبدعا خلاقا. هل بالتمسك المطلق بشخصيته ولذلك فعليه أن يقاوم كل التيارات والأعاصير أم بالتمسك بخشبة النجاة في تموجات المحيط على حساب شخصيته وحضارته وطاقته. في مسيرة الحضارة المعاصرة ؟ هل يربط عربات الحاضر بالتاريخ، أو يربطها بالحاضر، ويستشرف المستقبل ! هل يعيش التراكم الحضاري أم يقوض الماضي ؟! هل ينسلخ عن الشكل ويتمسك بالمضمون ؟ هل يظل حضوريا بلغته ومفاهيمه وقيمه وخصوصياته الثقافية أم يتجاوز ذاته ليعايش الآخرين..

الشيء الوحيد الذي يجب أن يغمرنا دائما هو إرادة الحياة والقدرة على المعاناة والشجاعة في مواجهة التطور والتحرر من عقد الغرب.

فمن لم يعانقه شوق الحياة

تبخر في جوها واندثر

الشيء الأساسي هو نقطة الارتكاز.. حتى نثبت شخصيتنا وقدرتنا على الانطلاق لمواجهة التحديات.. ويكون ذلك عن طريق التعليم.. نعم بالتعليم ومناهج التعليم ومؤسسات التعليم.. ومحركات التعليم هنا هو ميدان معركتنا ضد التحديات .. لكن لا بد من نقطة الارتكاز الهندسية وهي في علم النفس والاجتماع الإيمان بالشخصية، والثقة بالذات.. لقد كثر الكلام عن التعليم ونقد التعليم وأزمة التعليم فهل هي أزمة حقيقية أم مفتعلة دنكشوطية ؟ هل هي أزمة إشكالية عميقة، او هي أزمة ظرفية عارضة.. هل هي ماسوشية أو سادية، أو هي ذاتية مفروضة علينا من الخارج.. رجل التعليم لا يسرف في الكلام عن الأزمة لأن كل عمل هو تطور وتغيير وكل تطور وتغيير لا بد أن يحمل المواجهة... ولكن مع الاخصائيين

في التربية والتعليم... فليس الناس جميعا يخدمون قضايا التعليم وإن كان يهمهم جميعا. كما ان الناس ليسوا جميعا أطباء وإن كان علم الطب يهمهم جميعا.

لقد عاشت حضارات دون أن تلح على ضرورة التعليم. بل ان بعضا من المفكرين لا يجعلون للمدرسة هاته المكانة التي تلح عليها اليوم.. فما تزال صيحات (برناردشو) وعشرات من الكتاب الذين ينتقدون (رسمية المدرسة). وعشرات التجارب في الشرق والغرب لدى غاندي وغيره في نقد (المدرسة). وما زال كتاب (société sans école) لمؤلفه (Evan ELLIR) يثير النقاش والحوار. وما يزال الفكر الحديث يتساءل عما إذا كانت المدرسة دارا تجارية تبيع مناهج الحياة وانها (Mythe des valeurs etalonnes). لقد عرفت عدة أمم في أفريقيا وآسيا وامريكا حضارة بدون أوراق وأقلام. ورأى بعض علماء الحضارة أن فن الكتابة هو تزييف للحقائق الحضارية.. لا نريد إثارة الكلام عن حتمية المدرسة ونوعيتها. وتجربة غاندي وغيره من المربين.

لقد اجهدنا أنفسنا في اصلاح التعليم والتربية في المدرسة والجامعة. وطال النقاش في الإصلاح الإداري والتربوي. بين التعريب والازدواجية والتعميم والتوجيه والمغربة والتحسين والتجديد والتطور والأصالة والمحافظة والاقتباس.

ولكن لم نهتم بالروح التي تسري في هياكل التعليم وبالعقل النقدي الذي يجب أن يسوده وبالمادة الرمادية التي تلاحم بين البنيات الاجتماعية من خلال الثقافة والتعليم وبالنسق الذي يضمن الوحدة والانسجام. وبالغاية من تثقيف العقل وتطويره ليسهل الحياة.

إن الثقافة تعمل بوعي وبدون وعي. على التناغم والتناسق والنمطية كما تعمل الصمغيات في الحفاظ على الوحدة العضوية في خلية الكائن. وحتى يولد الطفل بعينين متشابهتين متطابقتين تماما. وبيدين متعادلتين. فإن المجتمع في حاجة لهذا التناسق (Nomalisation) حتى يخضع المجتمع كله لعلم التناسق والتناغم الذي تفرضه وحدة الثقافة وسريانها في المجتمع وصيغها لبنياته.. مهما يكن من شيء، فإننا حين ناخذ بيد الطفل الى المدرسة.. وحين ياخذ الشاب طريقه الى الكلية فالجميع ينتظر الإعداد لمواجهة الحياة. وتجديد الكفاح لمواصلة السعي. وامداد التحدي بطاقة لا تنفد. ولن يتأتى ذلك إلا بتقوية الفرد في المجتمع. وتوحيد المجتمع كله. وصهره في وحدة ثقافية معتمدة على الأصول المعرفية.. وإذا كانت العلوم والمعارف تفرق بين الأفراد لطبيعة التخصصات. فإن الثقافة تؤلف بينهم. هل نجد في المدرسة والكلية ما نريد ؟ الحقيقة أن المربين والأساتذة في الغالب سرعان ما يغمرهم الكسل.. ويعودون الى الماضي يذكرهم بالمعلومات العتيقة. ويجهدون أنفسهم في ترتيبها من جديد دون قراءتها قراءة جديدة. وتغييرها وتطويرها على ضوء التطور العام.. وربما نعزي أنفسنا حينا بصوغ كتابتها بحروف جديدة مطبوعة بأناقة.. وأحيانا نقفز من الحاضر الى (المستقبلية) فنعيش أحلام الغدية والجنة الموعودة والرفاهية. وندخل عالم الغربة في الحالتين معا.. التغريب الى الماضي.. أو الى المستقبل.

ونقع في الأغلاط والأخطاء كما وقع آباؤنا من قبل. لقد قال (بيكون) ان الإنسان يقع في أغلاط (المسرح)، أي الاحكام والآراء المدرسية وفي (أوهام السوق) أي المسلمات اللغوية والمفاهيم المبتذلة و (أوهام الكهف) أي الاستنتاجات الداخلية المشوشة. ونضيف اليها اليوم الاحصاء وأوهام الأنفورماتيك. وأوهام التخدير الاجتماعي بالإعلاميات. وأوهام أحلام علوم المستقبلية.. وأوهام الجانب الظاهر. ونسيان الجانب غير المتكلم عنه. وأوهام الألوان البراقة التجارية.. وهذا هو الضلال المبين فيسقط الإنسان في الأمية المعتادة. وعبودية الآلة واللاحضور والاغتراب. إن الأزمة الجديدة هي الغلو والثقة وتعطيل الفكر والإيمان المطلق بالتكنوقراطيين ونمو عقدة الخوف في الأحياء كما نمت عقدة الخوف لدى آبائنا الأموات..

الخوف الكبير الذي يلاحقنا أضاع الحق والعدل والعقل فسلط علينا القوة، والظلم والجهل. وكما قال أبو العلاء :

ما دامت الخيل والانعام خائفة

ظلما فكيف يطيب العدل للأسد

لقد أصبح التعليم في العالم المعاصر كلوحة الفنان تكرر صورة العالم دون أن تغير جوهره، تصور الذات ولا تصور المعنى ولا التذوق.. أصبح يغرق في الماضي ويسرف في التطلع الى المستقبل، فابتعد عن الواقعية التي تعني الصراع مع البيئة وأصبح رومنسيا يعيش الصراع مع المجرد والمطلق، أصبح يرى الأشياء كما يريدها أن تكون سهلة جذابة لا كما في الواقع ولا كما يجب أن تكون لقد سقط اما متفائلا في التخطيط الاستقبالي البعيد المدى أو متشائما في رؤية يوحنا (Apocalypse) لقد فر من مواجهـــة الحاضــر بكــل تراكيبـــه البنويـــــــة (Constructurisme) لماذا الهروبية من الموضوع، من الواقع الى المثالية والتاريخ والمستقبلية.

إن الإنسان الحق مزود بكل وسائل المواجهة السريعة (EWAZ) بالعقل بالإيمان، بالخبرة بالتعبيــــر بالفلسفة والمنطق، بالدين والحكمة، بالعلم، بالوجدان ودعوني أصحح (إيستمولوجية) تربوية أصبحت عامة الضرر لدى الجميع.

ذلك أن الإنسان لم يتفلسف بعد عصر الدين، ولم يتدين بعد عصر الكهانة، ولم يستخدم العلم بعد عصر الفلسفة ولم يدخل الى عالم التكنولوجية بعد عصر العلم، إن الإنسان منذ انتصب واقفا على الأرض، وهو يتدين بالإيمان، ويتفلسف بالمنطق ويتعلم بالتجربة ويتذوق بالفن بغمرة روحية في الوجدان.. إنها مزامنة (Synochronique) وليست تسلسلا زمانيا...

وإذا ليصطبغ تعليمنا بالدين والعلم والفلسفة والفن في آن واحد في الدين لأن الدين هو الحياة الجماعية والفرد.. والتربية الدينية تربية تلقائية ولا يدخل الإنسان الى عالم الدين ببطاقة انخراط.. وإنما بالإيمان الفطري المطلق.. وكذلك فالإنسان أحيانا لا يمكنه أن يعقلن الموضوع أو يفلسفه، أو يؤمن به دون نقده.

والموضوع العلمي والرياضي لا يعرف العواطف والحب.. وكما قال أوگست كونت (حرية الضمير لا توجد في الرياضيات) إن الدين تعبير عن إرادة الإنسان ليكون حضوريا قويا، ذلك لأن الإنسان كائن بيولوجي مبرمج (CODÉ) يعيش قدره في هذه الحياة.

ولن يجيب عن سؤال نفعية الحياة إلا الدين وحده، وإذا كان الإنسان يتساءل باستمرار عن سبب وجوده وعن مصيره.. فهذا السؤال الفطري إنما لا يتلقى الجواب إلا بالهاتف الديني، وكلما تقدم الإنسان في إيمانه تقدم الجواب بالاقتناع والاطمئنان.

إن الإسلام هوية الشخصية المغربية فهو إيمان قوي ومعادلات صادقة للمعارف البشرية.

وضرورة استمرار الحياة في دائرة البعث والنشور والعودة أساس دينامية المجتمع وسلامته من الانحراف، ومن يقول :

لا تجزعن فالموت ليس يضرنا

فلنا إياب بعده ونشور

ليس كما يقول :

غدا تغرب الشمس وينتهي كل شيء.

فالقولة الأولى تحدد حاضر الإنسان ومستقبله البعيد، وانعكاس المستقبل على الحاضر والقولة الثانية لها دلالة أخرى متناقضة تماما وتبنى عليها فلسفة مغايرة.

فالدين هو إيمان ومعرفة حدسية ثابتة، والعلم معرفة تجريبية . والفلسفة معرفة نقدية شمولية متغيرة كذلك أما الفن فهو الوجود الإنساني خارج الزمان والمكان. فكل جيل يعيش هذه الأبعاد (الدين والفلسفة والعلم والفن..) وما نزال نعيشها ما دام الإنسان إنسانا.. ولهذا نريد أن نؤكد على (الجسر) الثقافي.. الذي يجمع بينها جميعا وكأنه الغراء الذي يقوي البنيات الاجتماعية فلن نضحي بطمأنينة

الدين وإيمانه. ولا بنقد الفلسفة وشموليتها ولا بتجربة العلم واختياراته ولا بتسامي الفن وتعاليمه.

إن الدين ليس طمأنينة الروح فقط ولكنه دينامكية الحياة يرتبط بالسلوك يوجهه الوجهة المستقيمة. وبالعمل والإحساس الداخلي. والنوايا التي تلاحم بين العمل والموضوع والتعبير. والديناميكية الدينية هي الحركة بهدف تلقائي لأن الإنسان الخلاق لا بد أن يتحرك دوما سواء بأناه الفكرية أو بدونها والعمل الديني انسياب للذات. لا استلابا لها فهو حركة بيولوجية تدفعها الضرورة.. وما الحرية إلا وعي الضرورة. فملكوت الحرية يعد ملكوت الضرورة كما يقول كانت.

إن الدين أقوى وأوعى من الإيديولوجية.. لأن الإيديولوجية هي صناعة المنظرين. وهم الذين يرصدون عمل العاملين ليبرروا واجب عضوية الإنسان في المجتمع. لقد تولدت الإيديولوجية عن تقسيم المجتمع الى طبقات وعندما يعجز الإنسان عن أداء دوره الطبقي تنتهي مهمته وتسقطه الايديولوجية من حسابها. أما الدين فهو غطاء ومظلة تحمي الإنسان دائما دون أن تتخلى عنه لحظة.

الدين هو ليس توسيع الخيال بالمثالية. وسرد الموضوعات دون وضعها في إطارها التاريخي وبيئتها الجغرافية حتى يصبح الدين مثاليا غير واقعي وطوبا ويا لا معاناة إصلاحية مستمرة. وتقويمية لا تهدأ ولا تكل. ليس الدين الإسلامي فرائض وسننا ومستحبات فقط ولا هو طقوس ولا شكل بل هو عمل ونية وسلوك. وطاقة روحية جبارة وثقة في الخالق العادل.. وبالتالي ثقة في الحق والعدل والمساواة.. لينعكس كل ذلك على المجتمع فيطوره الى الأمثل. لقد اعلن علماء الاجتماع المعاصرون عن موت الإيديولوجية ونشوء اللا عقائدية في المجتمع الصناعي الحديث وتبقى شمولية الدين ومثاليته وواقعيته في نفس الوقت في كل المجتمعات الفلاحية والصناعية. على السواء.

أما الدين فهو الطاقة القوية. والثورة الاستمرارية لرفض الوثنية التي تعني عبادة الفرد الذي بعبادته والخضوع له يفقد الإنسان إنسانيته وإنسيته ويصبح إنسانا مستلبا خائفا.

إن التوجيه الديني يهتم بالفرد والمجتمع معا فالفرد هو النواة الأساسية في المجتمع فهو مجموعة الخلايا المكونة من الأفراد..

وربما كان سبنسر محقا حين رأى أن الأفراد هم الحقائق الوحيدة القابلة للملاحظة فهم مثل الكتلة المادية التي تؤلف موضوع الفيزياء والكيمياء ولذلك أكد أن طبيعة المجتمع وخصائصه مقررة ومصممة بخصائص الأفراد الذين يتألف منهم المجتمع. ومعنى ذلك أن الفرد هو الذي يقرر المجتمع أي طبيعة الفرد وخصائصه الفردية هي الأساسية. وطبيعة المجتمع وخصائصه ظواهر ثانوية مشتقة من السبب الرئيسي ويجب أن تكون مشابهة له ما عدا كونها أكثر تعقيدا وتركيبا.

كما يجب أن يصطبغ تعليمنا بالمنطق الرياضي في معالجة مختلف القضايا. حتى لا تبقى الفكرة ضبابية غير محددة ولا واضحة. فالشيء المعروف أن الرياضيات المجردة تظل دائما بعيدة عن التطبيق. ولكن الرياضيات لم تعد اليوم علما مستقلا. فقد تلاحقت ايبستيمولوجيا مع كل موضوعات المعرفة كما نشأت أولا منذ عهد الإغريق وما قبله. وعادت علاقتها وطيدة بالعلوم الفزيائية والكيماوية. وغزت مختلف العلوم الإنسانية كالفلسفة وعلم الاجتماع والقانون وغير ذلك. بسبب اعتماد هذه العلوم على الإحصاءات وما يتبع ذلك.

لقد أصبحت الرياضيات هياكل وبنيات للمضامين العلمية وإذا كان الأمر بدأ باستخدام تعبيرات رياضية مثل القاسم المشترك الأعظم والعمليات المنطقية (logique opération) والدوال المعكوسة (inverse fonction) والنمو الأسي ونظرية الكم (Mengenlebre) والجبر التحويلي (Sahat Algebre) والبرمجة وغير ذلك من التعابير فقد اصبحت الرياضيات تبرز تأثيرها وحيويتها وانجازاتها

في التكنولوجيا مما ساعد على إبراز البنية الرياضية في شكل واضح ظاهر في كل القضايا المعرفية. وكما اصبحت الرياضيات متداخلة في العمل اليومي في البناء والتصميم والإحصاء واتخاذ القرارت. وأصبح رجال الأعمال يتساءلون عما إذا كان في الرياضيات من جديد ليطوروا به أعمالهم.

ولعل أهم فروع الجزء الظاهر في الرياضيات هي التطبيقات العلمية. والحاسب الإلكتروني والرياضة المدرسية.

والواقع أننا نواجه التطبيقات الرياضية في كل مكان. اعتبارا من تصميم المهندس وحساب الأرصدة (لافورماتيكي)، وكل المعدات التكنولوجية. وأنظمة اتخاذ القرارات الاقتصادية والسياسية.. وأكثر النماذج تعقدا في ميدان البحوث الفيزيائية والبيولوجية والكسمولوجية.. وكذلك العلوم الاجتماعية والإنسانية والنفسية.. وفي السير التربوي حيث يتجلى الذكاء في صياغة الموضوعات في قالب رياضي.. وقد اصبح من الواضح أن ترجمة الكم الى كيف والعمل الى أرقام. وصياغة القضايا العملية بطريقة رياضية يساهم في إنجاحها. بل تظل هذه العمليات بلا جدوى حين لا تصل الرياضيات الى القضايا المطروحة للبحث.. وفي الحالات التي لا تناسب فيها الصياغة الرياضية مع طبيعة الموضوع.

إن هذا لا ينفي عن الرياضيات طابعها التجريدي. ولن ننظر الى (التجريد) كما لو كان هو الواقع الذي نبني عليه (التجريد). والأمر أشبه ما يكون بخريطة (طوبوغرافية). فمهما كانت عليه هذه الخريطة من كمال. فليست هي الطبيعة ذاتها التي تصفها هذه الخريطة.. ولا يعني هذا أن نحدد مسبقا ما هو المقصود بمصطلح (الواقع) في كل حالة من الحالات.

.. وميدان آخر هيمنت عليه الرياضيات. وهو الحاسب الإلكتروني الذي غمر كل المجالات .. فهذه الحاسبات ليست هي الرياضيات. ولكنها تبعث من الرياضيات بالاشتراك مع الإمكانات التكنولوجية الدقيقة في مجالات الالكترونيات.

وقد وسعت هذه الحاسبات قاعدة التفكير الرياضي. نظرا لبنيتها المنطقية الداخلية ولأهميتها في البرمجة. وفي لغة الحسابات المتطورة وجميع العمليات الحسابية على جميع المستويات ولقد ألف الموسوعي (BOURBAKI) بحوثا في هذا الموضوع منذ الثلاثينات حيث تم التحول من النظرة الكلاسيكية التي تعتمد على الأعداد الحقيقية الكاملة والنظرة الحديثة للرياضيات التي تعتمد على مفهوم البيئة.. أي من المنظور الذي يشكل من المكان والعدد (حالات خاصة) وكما أدخل أينشتين بعد الزمان في الهندسيات. ادخل هؤلاء بعد المكان في العدد.. وأبرز هذا (مفهوم المجموعة (Groupe Beguft) والمنطلق في هذه الحالة هو الكم (Muge) ولكل كم بنية (Struction) تقوم عليها ترابطات بعينها... وتشكل البنيات الجبرية وفقا للعمليات الحسابية. أما البنيات الهندسية فتشكل وفقا لمقتضيات الحيز المكاني بالإضافة الى فكرة الاستمرار والتوالي.. وبهذا نراعي الحالات الفردية التي تجرد من صفاتها الخاصة.

إن مفهوم البنية يؤخذ من هذا التعدد نظرا لتفاعل كثير من المتشابهات. وتسهل على الإنسان معرفة السبب العميق لكثير من الظواهر. بل يستطيع الإنسان أن يبتكر بنيات جديدة يزداد ظهورها بعد أن كانت غير معروفة ولا مألوفة وشديدة التجريد.. وبمرور الوقت تصبح واضحة.. وكل هذا يساعدنا على فهم الموضوعات المألوفة مثل (الحيز) RANN والرقم الحقيقي Reill Zahe فيظهر أنها ليست ملموسة في واقع الأمر كما يظهر ذلك لأول وهلة. وبهذه النظرة الى الرياضيات أمكن حل كثير من القضايا المعلقة فيها منذ

القدم. فالموضوعات الكلاسيكية يسهل الوصول إليها بعد التحرر من الأساليب القديمة في معالجتها.

والغريب أن الحرية الجديدة في الرياضيات خلقت قيودا جديدة على نهج قول المتصوفة (عبودين حريتين فالطريقة البديهية Methode Coriomd لابد لها من قواعد أساسية محددة من أجل تكوين بنية ما (وهي البديهيات) Axiome .. والقانون الرياضي الأول هو أن يستخدم الإنسان هذه البديهيات وما يترتب عليها.. كما هو الشأن في (قانون اللعبة).. ان البنيات والبديهيات تؤطر في إطار ذي جوهر وجاذبية ولا بد من ذلك...

ومعنى ذلك أن هذا الإطار يستنبط من المعلومات السابقة بطريقة عفوية وهو محدد متطور في نفس الوقت، وعنصر الجدة اللازم وان كان على سبيل التكهن كما تستنبط النظم البديهية عن طريق الخبرة والحدس رغم أنه يبدو أحيانا أنها وضعت جزافا..

وهذه هي صعوبة البديهيات. وسحرها في الرياضيات. وهذا مجال التوتر في الحدس والبصيرة. وسبب تعدد الظواهر.

ومهما كانت الأفكار والآراء نابعة من الاحساس والتحليلات فان الاطار المحدد لها هو العامل الحاسم في الوصول الى الحقيقة.

وهذه نماذج من البديهيات التي نشأت عنها نظريات كثيرة في هذا الموضوع... (كقانون الاحتمالات) والهوموطوبيا Homothopique والفراغات الخطية Faserranne وحزم المتجهات Symétrie Vekiorbindel والاصناف المتميز Garbeuthee ونظريات الأنواع Defferatudappe والنظريات العامة للمعاملات التفاضلية والبنية الجبرية والهندسية.

الحسن السائح

كتاب انتقلوا إلى عفو الله

انتقل إلى عفو الله تعالى من كتاب (دعوة الحق) الأساتذة الآتية أسماؤهم :

علال الفاسي ـ المختار السوسي ـ عبد المجيد بن جلون ـ أحمد التيجاني ـ عبد القادر الصحراوي ـ الحاج محمد بنونة ـ عبد القادر الخلادي ـ عبد الكريم بن ثابت ـ مصطفى الصباغ ـ مصطفى المعداوي ـ الحسن البولعماني ـ أبو الأعلى المودودي ـ عبد الرحمان السائح ـ عبد العزيز بن ادريس ـ محمود تيمور ـ رئيف خوري ـ عبد الكبير الفاسي ـ محمد اليمني الناصري ـ الفريد البستاني ـ عبد الواحد بناني.

وعاد التاريخ
إلى عهوده الذهبية

للأستاذ عبد السلام العزيز

ونظرا للمسؤوليات التي أتحملها ليس من حقي أن أراهن على ما هو ليس مؤكدا... «الحسن الثاني»

أرومة واحـــدة :

يحاول بعض الدارسين أن يفصل ما بين افريقيا الشمالية وافريقيا السوداء كعاملين منعزلين تفصلهما الصحراء، ناسين أو متناسين أن المساحات الشاسعة الممتدة على طول الجنوب المغربي العربي الكبير لم تكن أبدا فاصلا، ولا عائقا بين اتصال المنطقتين، بقدر ما كانت حافز تطلع، شأنها شأن البحر المتوسط الذي يعتبر عامل تكامل بين القارتين.

طريق القوافـــل :

كانت الصحراء منذ القدم الطريق التي تربط الشمال بالوسط، فعبر الأنهار المتغدية من جبال الأطلس التي تشق الصحراء وتفنى فيها كانت القوافل تصل إلى أعالي النيجر ومالي... كانت المسافة طويلة، تدوم شهورا، لم تكن هناك الحدود ولا التسميات المتعارف عليها اليوم... كان المغرب، وبلاد الرجال السود. ولا تزال تلك القوافل ماثلة على طول نهر السينغال، مرورا (بتا نبكتو) إلى (تادوينى).

وحدة النـــوع :

وقد دلت البحوث الأنتروبولوجية أن جنس سكان المنطقتين في حقب ما قبل التاريخ كان واحدا ولا بد من التذكير بأن جمجمة إنسان (كريمالدي) تماثل جمجمة إنسان (بوثمان) في جنوب القارة، مما يقود إلى التفكير أنه قبل أن يوجد كل من إنسان المنطقة السوداء، وإنسان المحور المغربي في شمال القارة، فإن إفريقيا كلها وجزءا من جنوب أوربا (قبل التاريخ) كانتا مسكونتين بذلك النوع من البشر، الضخم الجمجمة، الطويل الذراعين، القصير الرجلين.

وكان لزاما لنشوء أجيال جديدة أن تنتظر القارة القرن العاشر الميلادى لتنشأ أولى المدنيات البدائية عبر موريطانية إلى الجنوب، مقصد قوافل التجار الذين كانوا يقايضون قماشهم وأوانيهم النحاسية بالذهب الخام متأثرين بسكان الجبال الذين غيروا طرائق حياتهم، فقد تحول كثير منهم من الزراعة إلى التجارة، بل نزعت طوائف منهم إلى التجارة بالرقيق الذين كانوا يغنمونه في الحروب مع بلاد (أكيناون) فيما امتهن المستقرون بالمناطق الصحراوية رعي الإبل والمعز يشربون لبنها ويتدثرون بوبرها ويصنعون خيامهم من جلودها.

ويذكر التاريخ أن (كدالة، ولمتونة، ومصوفة، وبعض قبائل صنهاجة وزناكة) من أولى القبائل التي اتصلت بالافريقيين جنوب نهر السينغال، وامتزجوا معهم في صلات رحم، ولم يغير من تلك العلاقات أي عائق إلى الآن...

الإسلام والتاريخ المتجدد :

وخلال القرون الأربعة الأولى من الهجرة بدأ الإسلام يتقدم عبر بلاد ما وراء الصحراء، ولكن دخول القرن الحادي عشر سجل حدثا تاريخيا خالدا وهو تغلغل الإسلام في كثير من مناطق إفريقيا السوداء على يد رجل من قبائل الصحراء هو يوسف ابن تاشفين زعيم لمتونة، ومؤسس مدينة مراكش (1062م) وفاتح الأندلس ويذكر المؤرخون أن النصر تم له بفضل جيش مخضرم من المسلمين السود ومغاربة الصحراء وبرابرة الجبال، ولم يكن ليتم له ذلك لولا قوة الإلتحام التي وحدت بين هذه القبائل، وبفضل الإسلام تحولت تلك الرابطة التي كانت تجمع بين شعوب المغرب العربي وشعوب إفريقيا السوداء من رابطة مصلحة إلى رابطة روحية مقدسة وأضحت تلك الطرق، مقصدا لصلات الرحم وتلقى العلم، وتبادل لفنون المهن بين سكان الساحل والدراوين والدراميين، فيظهر التأثير واضحا في سبل الحياة، وطرق المعاملات وفي الهندسة المعمارية حيث نراها تزدهر في عهد الإمبراطور (كونغوموسى 1325) الذي جلب معه من قرطبة مهندسا مختصا صمم له مسجدين في كاو، ومسجد في تامبوكتو، وقصرا نفث فيه (الساحلي) وهو إسم المهندس، كل مواهبه الفنية وقد ربطت هذه الصلات علاقات سياسية عميقة بين أمراء إفريقيا السوداء، مانديتك وسوكاي، وبامبارا، وبين سلاطين المغرب، فحوالي 1332 أرسل كونغو موسى بعثة إلى فاس لتهنئة السلطان المريني أبو الحسن بالنصر في معارك تلمسان فيبادله أبو الحسن بالمثل إذ بعث بسفارته إلى مالي التي وصلتها سنة 1336.

دور القبائل الصحراويـــة :

ولقد لعبت القبائل الصحراوية مثل بني حسان، وصنهاجة في القرن الخامس عشر دورا هاما في إرساء هذه العلاقات، وخاصة بين جنوب المغرب والعواصم الإفريقية البارزة حينئذ، مثل تامبكتو ودجين متغلغلة في أعماق القارة فاتحة الطريق لبني أرومتها ليواصلوا رسالة الربط بين الماضي، والحاضر واضعين بذلك أصول علاقات للمستقبل.

وإن توقفا طويلا أمام تلك المحاور التي لاقت ما بين الإنسانين، (إنسان المغرب العربي، والإنسان الإفريقي) ليعطي للمتملي صورة لضخامة ذلك التاريخ المليء بالأحداث الزاخر بالملاحم.

سنطاكروز وهم الإستعمار الإسباني في جنوب المغرب :

سنطاكروز خط وهمي خلقه الإستعمار الإسباني في بداية القرن السابع عشر الميلادي ليجعل منه شباكا تقع فيه السياسة المغربية حينئذ وحلقة مفرغة يدور في بوتقتها الرأي الإسباني الموزع عهدها قصد جمع شمله، وتوحيد كلمته لمضاعفة غزواته لبلاد ما وراء البحر.

لم تكن سنطاكروز منطقة معروفة ذات حدود معلومة، ومعروفة لا في الخريطة ولا في ذهن الساسة الإسبانيين الذين اختلقوها. كانت مجرد خط وهمي رسموه لمخططاتهم التوسعية لحماية استراتيجية مستعمراتهم فالمؤرخ (باشكو) يدعى أن سنطاكروز هي نقطة ما عند البحر الذي يفصل بين جزر الخالدات، والساحل المغربي الجنوبي ويتبعه في ذلك الناقلون عنه وتلاميذه، وما أكثرهم، وعلى رأسهم أولئك الذين أرخوا لفترة ما بعد احتلال إيفني بعد الثلاثينات، وتؤكد أغلب آراء المؤرخين الإسبان قبل الثلاثينات تناقض أرائهم حول إمكان وجود هذه المنطقة. سواء منهم المقتنعين الطامعين أو التابعين، وعندما بدأت أوصال الإستعمار الإسباني تخور قواها في

أمريكا اتجه نظر الكنيسة إلى إيجاد البديل، وتوجيه النظر إلى مصادر أخرى، فصارت تبحث عن المنهاج، ولم تجد غير هذا الوهم لتوعز إلى ترسيخ فكرة تحقيقه، فوجدت الظرف مواتيا عهدئذ إذ كان الغزو الأوربي في القارة الإفريقية يمتد، يوزع أطرافها بمقتضى معاهدات تارة، وبدونها أخرى، ومنذئذ أي بعد تقلص الحكم الإسباني من أمريكا إتخذها السياسيون الإسبان فرصة وحولوا الوهم إلى حـــق أخذوا يطالبون به الحكومات المغربية، ويسعون بكل الوسائل ليفاوضونها من أجلها، فصارت تبعث البعثات تلو البعثات إلى العاصمة (فاس) عهدها لتطالب جلالة السلطان بتعيين مكان هذه المنطقة (الوهم) ففي سنة 1860 مباشرة بعد التوقيع على معاهدة تطوان، طالب المفاوضون السلطان بتعيين لجنتين للبحث في موقع سنطاكروز، ولحكام إسبانيا أسطورة أخرى يعتبرونها معينا لهذا الإسم الوهم الذي يطالبون به... (يقول المصدر : عندما أهديت الجزر إلى البرتغال بعث الملك الفونس الخامس ضابطا ليتولى الحكم فيها، فتزوج هذا الأخير من احدى بنات حاكم الجزر، وخرج الإثنان، الحاكم وصهره، متوجهين إلى الساحل المواجه، ويقول المصدر المذكور أنهما نزلا بالشاطىء وشيدوا في مكان ما منه حصنا احتموا به وسموه (سنطاكروزدي لاماربكينيا

وتضيف الأسطورة أن الحصن تعرض لهجوم فصيلة من الجيش المغربي تحت قيادة الأمير (أوابه) وتعين الأسطورة القرن الخامس عشر كتاريخ هذا الحصن المزعوم.

وتضطرب المصادر وتتناقض في صحة هذه الأسطورة التي أصبحت من ضمن أساطير التاريخ الإسباني.

وعندما نقارن بين هذه المصادر، وأهمها بالدرجة الأولى تلك التي ألفها مؤرخون رسميون مثل (بنيطو) نجد أن هذا الحصن يتهدم أكثر من مرة ليشيد من جديد، فيقول مثلا (ان الحصن شيده الحاكم ايريرا) ثم يرجع فيقول من مصدر آخران (ايريرا) شيد حصنا آخر في مكان يدعى (أرغيلا).

وإذا نظرنا بإمعان إلى المعاهدة المبرمة بين البرتغال وملوك الإسبان القشتاليين سنة 1479 لا نكاد نقف البتة على موقع يحمل إسم (سنطاكروز)، ويتناقض هؤلاء المؤرخون، ولا يجدون حرجا في تناقضهم، لقد عرفت الحقيقة على مدى التاريخ الإنساني الطويل تزييفا هيأه لها الزاعمون ليجدوا لها المصادر، فكم زيف الاستعمار، ولا يزال، ولكن التزييف الذي يقوم على أساس التخريـــص، سرعان ما يفتضح وتنقشع عنه تلك الغمامة التي كانت تغطي الحقيقة، فتظهر هذه واضحة جلية وأساليب الاستعمار واحدة، فهو يزيف مصادره كما يزيف وثائقه، والوثائق التي يعتمدها الاستعمار الإسباني حول مايسميه (سنطاكروز) كلها وثائق مزورة، من هذه الوثائق :

- وثيقة (سيدونيا) المعروفة بالدوقية تقول :

إن خوان الثاني ملك البرتغال أهدى - كزمان وسان لوكاردى - أرضا قريبة من البحر إكتشفت حديثا، وهذه الأرض تقع جنوب الساحل وتوجد بها عدة مراكز للصيد ويمكن التوسع منها نحو الداخل وعندما احتلت ايفني قرر الإستعمار أن ينفذ ادعاءه الخاطىء فسمى الساحل الجنوبي لطرفاية بسنطاكروز... ويظهر أن الإسبان الذين كانوا يتنافسون مع جارتهم البرتغال قرروا أن تكون لهم مثل ما كان لجارتهم البرتغال في جنوب المغرب مستعمرات ولو وهمية !!

المسيرة المظفـــرة :

كان الجناح الغربي من دولة الإسلام أيام عزها يطلق عليه إسم المغرب لزمته التسمية حتى بعد أفول النفوذ الإسلامي من جنوب أوربا، وكان منبع الحكم في هذا الجناح يتركز دائما في عاصمة المملكة المغربية من حيث انطلق الفتح، ذلك الاشعاع الديني والثقافي والحضاري الذي شمل شبه الجزيرة الايبيرية متوغلا في بلاد الغال شمالا وبلاد السينغال نازلا إلى خط الإستواء جنوبا، وعلى الرغم من تقلص الامبراطورية الإسلامية من

الشرق، وتوزع أطرافها بين الملوك. حرص خلفاء المغرب على الحفاظ على رقعة الإسلام وصيانة أمنها مما حول إليه الأنظار وألب عليه الأطماع. وكان حرص خلفاء المغرب على الحفاظ على رقعة الإسلام يوازي حرصهم على حفظ الدين مما زاد من تمسك الرعية بهم ومنحهم الإجماع والصلاحية. ولم يكن هذا الإجماع الكامل إلا ما إصطلح عليه في الإسلام بالبيعة. يقول ابن خلدون (واعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة لأن المبايع يعاهد أميره أنه يسلم له النظر من نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك. ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر المنشط، والمكره) وعلى امتداد التاريخ الإسلامي في المغرب كان هذا البلد دائما وطنا أما لكثير من الدويلات الإنفصالية التي عملت الظروف والأهواء الطائفية على صنعها. ولم يثبت على امتداد التاريخ أن فرط المغرب في شبر من أرضه. فقد كان من أبرز الخصال التي يتميز بها الشعب المغربي ملوكا وشعوبا الحفاظ على السيادة الوطنية والذود عنها. وقد خلف لنا التاريخ مواقف شاهدة على هذه الميزة، ويحدثنا تاريخ الخلافة في المغرب أن ملوك هذه البلاد لم ينتزعوا الإجماع الشعبي قهرا. فقد ثبت أن الشعب دائما قدر في ملوكه جهادهم وتضحياتهم، وتفانيهم في خدمة البلاد... ولعل أروع صفحة حديثة تسجلها الخلافة في المغرب الجهاد من أجل توحيد البلاد وسيذكر التاريخ الحديث ما ناصر مسيرة المغرب السلمية لاسترجاع صحرائه من إجماع آمن به الشعب وحياه. وسيخلد التاريخ هذه المسيرة التي حولت استراتيجية المطالبة بالحق وركزت أنظار الملاحظين على أبعادها. وقد اعتبر عبور الإنسان المغربي الحدود المصطنعة ضربة القرن، كما اعتبر نقطة تحول في تاريخ الأجيال المغربية الحديثة.

ففي السادس من نوفبر 1975 عرفت طرفاية أعظم تجمع جماهيري عرفه التاريخ. وفي انتظار الساعات القليلة التي سيتقرر فيها الفصل كانت كل العيون مشرئبة إلى وراء الحدود المصطنعة تمتد كلما أزفت اللحظة الحاسمة تلك التي لم يعرف المغرب مثيلا لها إلا يوم رجوع جلالة المغفور له محمد الخامس من منفاه ولم ينشغل الناس بشيء منذ اطلالة صباح الإنطلاقة إلا بساعة اختراق الحدود وكانت العيون هي العاصمة التي تعانقها انظار الجاهير المنتظرة.

وقد بدا جليا من خلال خشوع الجماهير أن اللحظة الحاسمة أسرت العقول واستحوذت على الألباب مما أكد أن هذا الشعب لن تنفصم له عرى وأن الله معه يحميه، وما تزال الأواصر قائمة متلاحمة بين العرش والشعب تحددها باستمرار القضايا الإجتماعية والإقتصادية والسياسية تعكسها صور التعاون المتبادل هذه الصور توضح إلى أي حد يمنح الشعب المغربي إجماعه للملوك. إجماع حسب بعضهم أنه نام أو يكاد. ولكن الروح الإسلامية في المواطن المغربي لا تنتظر مناغاة الخارجين عن حدود الله لتنطلق من قمقمها. فقد استتبت الخلافة في المغرب بالحق... لم تأت للحكم لتراهن بمصالح الرعية، إذ كل رهان ليس مؤكدا ربحه... أكد هذا القول جلالة الملك بقوله : «ونظرا للمسؤوليات التي أتحملها ليس من حقي أن أراهن على ما هو ليس مؤكدا».

وحرص ملوك المغرب على أن ربط الوصال مع الصحراء يأتي في الدرجة الأولى. ومنذ تأسيس الدولة العلوية التي انطلقت من الصحراء كان هم الملوك الخلفاء الوحدة وعندما رجع جلالة المغفور له من منفاه، زار الصحراء وقد شهدت قرية المحاميد (محاميد الغزلان) لقاء حارا بين ملك غيور وشعب محب مخلص.

وتأتي المسيرة لتربط الماضي بالحاضر وتواصل ذلك الإلتحام وتؤكد الإجماع الكامل في عصر يكاد ينعدم فيه الإجماع الذي ضرب الشعب فيه أروع الأمثلة في الإمتثال والإنضباط، وعاد التاريخ الحديث إلى عهوده الذهبية.

الرباط ـ **عبد السلام العزيز**

من آثار
أثير الدين أبي حيّان
النفزي الأندلسي

للأستاذ عبد القادر زمامة

أثير الدين محمد بن يوسف النفزي الأندلسي المولود سنة 654 هـ = 1256 م المكنى بأبي حيان شخصية علمية وأدبية شهيرة في كتب التراجم، والطبقات، والفهارس، والتاريخ، والرحلات، وآثاره المتعددة، ولا سيما تفسيره المسمى بالبحر، شرقت وغربت وأعجمت وأعربت منذ عصره وإلى الآن..!

ورحل أبو حيان عن غرناطة سنة 677 هـ ومر في طريقه على المغرب ومكث بفاس ثلاثة أيام فقط..! ومر على بجاية وتونس وأقام بالقاهرة وهي إذ ذاك وارثة علوم بغداد وطال مقامه بها عقودا من السنين إلى أن ودع هذه الحياة بها سنة 745 هـ = 1345 م

وكان مقامه بالقاهرة من أسباب شهرته عند أهل المشرق والمغرب، كما أن تنقله من المذهب المالكي، إلى المذهب الظاهري في الأندلس، ثم تنقله إلى المذهب الشافعي بعد أن أقام في مصر، من الأسباب التي أكثرت الجدل حول شخصيته وأخلاقه وعلمه، فأخذ حيزا من التقدير عند قوم، والإنتقاد عند آخرين، وفيهم الفقهاء والنحاة والمؤرخون والرحالون..!

وشخصية أبي حيان ذات مواقف وتطورات وموازين وأنواع من السلوك وضروب من الأخلاق وغمرات شخصية خاضها في جهات متعددة، ثقافية وفكرية ومذهبية، واتخذ لسانه وقلمه أداتين حادتين للتعبير عنها، فلم يكن ذا لون واحد من السلوك، ولا لون واحد من المعرفة لذلك لفت إليه الأنظار وشغل الأقلام والأفكار..!

واتصل به في مصر الخطيب ابن مرزوق وروى لطلبته في تلمسان ما سمعه منه في مصر وكذلك أبو عبد الله المقري = الجد وابن رشيد السبتي، والوادي آشي والمؤرخ صلاح الدين الصفدي، والسبكيان، تقي الدين وتاج الدين، وغيرهم من أعلام القرن الثامن الهجري.. واتصل به عن طريق الكتابة والإجازة عدد لا يحصى من أعلام المشرق والمغرب.. وموقفه من الشيخ الإمام ابن تيمية شهير...!!

والى جانب هذه المكانة العلمية كان أبو حيان شاعرا ينظم الأبيات والمقطعات والقصائد القصيرة والمطولة.. وله في كل ذلك الغث والسمين والرخيص والثمين..!

واكتشفت مخطوطة ديوان أبي حيان في مدينة = وزان = المغربية، وطبع الديوان بالعراق سنة 1969 م لكن هذه القصيدة التي نقدم نصها هنا ليست من مشمولات الديوان..!

وإنما وقعت الإشارة إليها ص 444 وذكر مطلعها :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده
لقد فاق باغيه وأنجح قاصده

وذلك نقلا عن تلميذ أبي حيان. صلاح الدين الصفدي في كتابه = أعيان العصر وأعوان النصر = وحيث إن الصفدي لم يذكر النص بتمامه فإن محققي الديـــوان اكتفيا بالإشارة إلى ما عند هذا المؤلف..!

وكذلك فعل أبو العباس المقري في نفح الطيب عندما ترجم لأبي حيان تلك الترجمة الطويلة..!

وظهرت طبعة كتاب = الإحاطة = سنة 1975 م وفي الجزء الثالث منها ترجمة أبي حيان وشعره ومن جملته = هذه المطولة = لأبي حيان ص 50 ـ 56.

إلا أن ما وقع في نصها = مع الأسف = من التحريف والتشويه والتصحيف أفسد المعنى والمبنى في عدد كبير من الأبيات كما أن الإشارات التي قصد أبو حيان الإشارة بها إلى أعلام وقضايا. وتاريخ. وأمثال. لم تجد طريقها إلى ذهن القارىء عن طريق هذا التشويه..!

فالنص له أهداف عامة وخاصة تتجلى في نظرة أبي حيان إلى قيمة النحو. وقصة نشأته وما صاحب قصة النشأة من ملابسات مع الإشارة إلى الخليل وسيبويه. والكسائي وغيرهم وما كان هناك من مكايد ومنافسة وتلاعب بقيم الرجال..! لأغراض خاصة..!

كما أن أبا حيان أودع النص بعض مشاعره في مصر وما قاساه من مضايقات وملاحقات من طرف معاصريه..! واتبع ذلك بشوقه إلى الأندلس وذكر ما عليه أهلها من اهتمام بكتاب سيبويه. ثم تخلص إلى مدح أستاذه الذي وجهه هذه الوجهة وأفاده بأصولها وفروعها ، أبي جعفر أحمد بن ابرهيم ابن الزبير مؤلفه كتاب = صلة الصلة = وغيره من الكتب المفيدة وكان من أعلام الأندلس الذين تركوا أحداثا رنانة في كتب الأندلسيين والمغاربة..!

فالنص يهمنا في الدراسات الأندلسية ويعطينا تصورات عن أعلام ومعارف العصر كما أنه يربطنا بما نجده عند تلاميذ أبي حيان من مغاربة وأندلسيين... ويفسر لنا بعض ما نقلوه عنه من أخبار ومعلومات وآراء. وما وصفوه به من صفات...!

لهذا كنت مهتما بهذا النص واستخلاص صورة صحيحة أو قريبة من الصحة له من الكناشات والمؤلفات التي اهتمت به ولا سيما منها مخطوطة كتاب = روضة الإعلام بمنزلة العربية من علوم الإسلام = الذي ألفه أبو عبد الله ابن الأزرق الأندلسي المتوفى سنة 896 هـ = 1491 م قاضيا بمدينة القدس قبل سقوط غرناطة بسنة واحدة...!

وقد كان النص في مخطوطة = الروضة = بالغا حد النهاية في التحريف والتشويه وكسر الأبيات شأنه في ذلك شأن الإحاطة..!

ورغم ما بذلنا من جهد في التصحيح بمقارنة النسخ واختيار أجودها فإن هناك بعض الأبيات التي ما زلنا نشعر فيها بشيء. من الالتواء في المبنى والمعنى وذلك كله من آثار أعمال الناسخين..!

وهذا نص مطولة أبي حيان مع بعض التعليقات التي توضح إشاراتها...

هو العلم لا كالعلم شيء تـــراوده
لقد فاز باغيه وأنجح قاصـــــده
وما فضل الإنســـان إلا بعلمـــه
وما امتاز إلا ثاقب الذهـن واقـده
وقد قصرت أعمارنا وعلومنــــا
يطول علينا حصرهـــا. ونكابـده
وفي كلها خير ولكن أصلهــــا
هو النحو فاحذر من جهول يعانده

به يعرف القرآن والسنة التـــــي
هما أصل دين الله ذو(1) أنت عانده
وناهيك من علم علي مشيـــــد
مبانيه (2) أعزز بالذي هو شائـده
لقد حاز في الدنيا فخارا وسؤددا
أبوالأسود الديلي(3) فلاجم سائده(4)
هو استنبط العلم الذي جل قـدره
وطار بـه للعـرب ذكـر نعاوده
وساد عطاء (5) نجله وابن هرمز (6)
ويحيى(7)ونصر(8)ثم ميمون(9)ماهده
وعنبسة (10) قد كان أبرع صحبه
فقد قلدت جيد المعالي قلائـــده
وما زال هذا العلم تنميه ســادة
جهابذة تبلى به وتعاضـــــده
إلى أن أتى الدهر العقيم بواحـد
من الأزد تنميه إليها فراهده (11)
إمام الورى ذاك الخليل بن أحمـد
أقر له بالسبق في العلم حاسـده
وبالبصرة الغراء قد لاح فجـــره
فنارت (12) أدانيه وضاءت أباعـده
بأذكى الورى ذهنا وأصدق لهجـة
إذا ظن أمرا. قلت هاهو شاهـــده
وما إن يروي (13) بل جميع علومه
بديهة أعيت كل خبر يجالـــده
هو الواضع الثاني الذي فاق أولا(14)
ولا ثالث في الناس تصمي قواصده
وقد كان رباني أهل زمانــــه
صؤوم قؤوم راكع الليل ساجـــده
يقسم منه دهره في مثوبـــــه
وثوقا بأن الله حق مواعـــــده
فعام إلى حج وعام لغـــــزوة
فيعرفه البيت العتيق ووافـــــده
ولم يثنه يوما عن العلم والتقـــى
كواعب حسن تنثني ونواهـــــده
وأكثر سكناه بقفر بحيث لا
تناغيـه إلا عفـره (15) وأوابـده
وما قوته إلا شعيـر يسيغـــــه
بماء قراح ليس تغشى مــــوارده
عزوفا عن الدنيا وعن زهراتهـــا
وشوقا إلى المولى وما هو واعـــده
ولما رأى من سيبويـــه نجابـة
وأيقن أن الخير أدناه باعــــده
تخيـره إذ كـان وارث علمــــه
ولاطفـــه حتـى كـأن هو والده
وعلمـه شيئـا فشيئـا علومـــــه
إلى أن بدت سيماه واشتد ساعـده
فإذ ذاك وافاه من الله وعــــده
وراح وحيد العصر إذ جاء واحـــده
أتى سيبويه ناشـــرا لعلومـــه
فلولاه أضحى النحو عطلا(16)شواهده
وأبدى كتابا كان فخرا وجـــوده
لقحطان إذ كعب بن عمرو محاتده (17)
وجمع فيه ما تفرق في الــــورى
فطارفه يعزى إليـه وتالـــــده
بعمرو بن عثمان بن قنبر الرضـا
أطاعت عواصيه وثابت شــوارده
عليك قران النحو نحو ابن قنبـر
فآياته مشهودة وشواهـده (18)
كتاب أبي (19) بشر فلاتك قاريا
سواه فكل ذاهب الحسن فاقـــده
هم خلج بالعلم مدت فعندمـــا
تناءت غدت تزهى وأنت تشاهـده
ولا تعد عما حازه إنه الفرا (20)
وفي جوفه كل الذي أنت صائـده

إذا كنت يوما محكما لكتابـــــه
فإنك فينا نابه القدر ماجـــــده
ولست تبالي إن فككت رمـــوزه
أعضك دهر أم عرتك شدائــــده
هو العضب ان تلق الهياج شهرتـه
والا تصب حربا فإنك غامــــده
تلقاه كل بالقبول وبالرضـــــا
فذو الفهم من تبدو إليه مقاصـــده
ولم يعترض فيه سوى ابن طراوة(21)
وكان طريا. لم تقادم معاهـــده
وجـره طعــــن المبــرد قبلــه
وان الثمالي (22) بارد الذهن خامده
هماما هما صار مدى الدهر ضحكة
يزيف ما قالا وتبدو مفاســـده
تكون صحيح العقل حتى إذا تـرى
تباري أبا بشر إذا أنت فاســـده
يقول امرؤ قد خامر الكبر رأســه
وقد ظن أن النحو سهل مقاصـــده
ولم يشتغل إلا بنزر مسائـــــل
من الفقه في أوراقه هو راصـــده
قد نال بين الناس جاها ورتبـة
وألهاه عن نيل المعالي ولايـــده
وما ذاق للآداب طعما ولم يبـت
يعنى بمنظوم ونثر يجـــــاوده
فينكح أبكار المعاني ويبتغي لهـا
الكفء من لفظ بها هو عاقـــده
رأى سيبويه فيه بعض نكـــادة
وعجمة لفظ لاتحل معاقـــــده
فقلت اتئد ما أنت أهل لفهمــه
وما أنت إلا غائض الفكر راكـده
لعمرك مـاذو لحيـة وتسمـــت
وإطـراق رأس والجهات تساعـده

فيمشي على الارض الهوينا كأنما
إلى الملإ الأعلى تناهـت مراصده
وإيهامه الجهـــال أنـــه عالـــم
وأنه فرد في الوجود وزاهـــده
بأجلب للنحو الذي أنت هاجــر
من الدرس بالليل الذي أنت هاجده
أصاح تجنب من غوي مخــــذل
وخذ في طريق النحو انك راشده
لك الخير فادأب ساهرا في علومه
فلم يسم إلا ساهر الطرف ساهده
ولا ترج في الدنيا ثوابا فإنمـــا
لدى الله حقا أنت لاشك واجـــده
ذوو النحو في الدنيا قليل حظوظهم
وذو الجهل فيها وافر الحظ زائده
لهم اسوة فيها علي لقد مضـــى
ولم يلق في الدنيا صديقا يساعده
مضى بعده عنها الخليل فلم
كفافا ولم يعدم حسودا يناكــده
ولاقى أبا بشر بشر سفيههـــــا
غداة تمادت في ضلال بغادده (24)
أتى نحو هارون يناظـر شيخـــه
فنافحـه حتـى تبدت مناكـــده
فأطرق شيئا ثم أبدى جوابـــه
بحق. ولكن أنكر الحق جاحـــده
وكاد علي عمرا إذ صار حاكمـا
وقدما علي كان عمرو يكايده (25)
سقاه بكأس لم يفق من خمارهـا
وأورده الأمر الذي هو وارده
ولابن زياد (26) شركة في مراده
وكابن زياد مشرك القلب زائده
هما جرعا آلي علي وقنبـــــر
أفاويق سم لم تنجذ أســــاوده (27)

أبكي على عمرو ولا عمرو مثلـــه
إذا مشكل أعيا وأعـوز ناقـــده
قضى نحبه شرخ الشباب ولم يرع
بشيب ولم تعلق بذام معاقـــده
لقد كان للناس اعتناء بعلمـــه
بشرق وغرب تستنار فوائـــده
ولان(28)فلا شخص على الارض قارئ
كتاب أبي بشر ولا هو رايـــده
سوى معشر بالغرب فيهم تلفـــت
إليه وشوق ليس تخبو مواقـــده
وما زال منا أهل أندلس لـــه
جهابذ تبدي فضله وتناجده (29)
واني في مصر على ضعف ناصري
لناصره مادمت حيا وعاضـــده
أثار أثير الغرب (30) للنحو كامنا
وعالجه حتى تبدت قواعـــده
وأحيا أبو حيان ميت علومـــه
فأصبح علم النحو ينفق كاســده
إذا مغربي حط بالثغر رحلـــه
تيقن أن النحو أخفاه لاحـده (31)
بلينا بقوم صدروا في مجالـــس
لإقراء علم ضل عنهـم مراشـــده
لقد أخر التصدير عن مستحقـــه
وقدم غمر خامد الذهن جامـــده
وسوف يلاقي من سعي في جلوسهم
من الله عقبى ما اكنت عقائـــده
علا عقله فيهم هواه فما درى
بأن هوى الإنسان للنار قائـــده
أقمنا بمصر نحو عشرين حجـــة
يشاهدنا ذو أمرهم ونشاهـده (32)
فلما ننل منهم مدى الدهر طائلا
ولما نجد فيهم صديقا نـوادده

لنا سلوة فيمن سردنا حديثهـــم
وقد يتسلى بالذي قال ســـارده
أخي إن تصل يوما وبلغت سالمـا
لغرناطة فانفذ لما أنا عاهـــده
وقبل ثرى أرض بها حل ملكنـــا
وسلطاننا الشهم الجميل عوائـــده
مبيد العدا قتلا وقد عم شرهـــم
ومحيي الندا فضلا وقد رم هامده (33)
أفاض على الإسلام جودا ونجـــدة
فعز مواليه وذل معانـــــده
وعم بها إخوانـنـا بتحيـــــة
وخص بها الأستاذ لاعاش كائـــده
جزى الله عنا شيخنا وإمامنـــا
وأستاذنا الحبر الذي عم فائـــده
لقد أطلعت جيان أوحد عصـــره
فللغرب فخرا أعجز الشرق خالـده
مؤرخـــه نحويـــه وإمامـــه
محدثه جلت وصحت مسانـــده
نماه عظيم من ثقيف وإنمـــا
به استوثقت منه العرى ومساعده(34)
وما أنس لا أنسى سهادي ببابـــه
بسبق وغيري نائم الليل راقـــده
فيجلو بنور العلم ظلمة جهلنـــا
ويفتح علما مغلقـات وطائـــده
وإني وان شطت بنا غربة النوى
لشاكره في كل وقت وحامـــده
بغرناطة روحي وفي مصر جثتـي
ترى هل يثني الفرد من هو فارده
أبا جعفر خذها قوافي من فتـى
تتيه على ثمر القوافي قصائده (35)

يـسير بلا إذن إلى الأذن حـسنهـا … فيرتاح سماع لها ومناشـــــده
لهوبتني حتى أحوك مفوفـــا … من النظم لا يبلى على الدهر ءابده
غريبة شكل كم حوت من غرائـب … مجيدة أصل انتجتها أماجــــده
وأذكيت فكري بعد ما كان جامـدا … وقيد شعري بعدما ند شـــارده
فلولاك يا مولاي مافاه مقولـــي … بمصر ولا حبرت ما أنا قاصـده
جعلت ختاما فيه ذكرك إنــــه … هو المـك بل أعلى وإن عز ناشده

التعاليق

1) هذه «ذو» المعروفة عند النحاة باسم «ذو» الطائية وقد أشبعوا الحديث عنها ولا سيما منهم شراح الخلاصة حيث ذكروا الفرق بينها وبين أختها المعربة بالحروف التي أشار إليها ابن مالك بقوله :

«من ذاك = ذو = إن صحبة أبانا»

2) يشير إلى ما ورد في كتب النحاة من أن الإمام عليا رضي الله عنه أشار على أبي الأسود الدؤلي بالشروع في تدوين مبادىء النحو ونقل ذلك المؤرخون أيضا... ومعلوم ما في ذلك من خلاف ...!

3) أبو الأسود الدؤلي منسوب إلى دئل فحقه أن تفتح الهمزة مع ضم الدال. لكن هذه النسبة وقع فيها تحريف منذ القديم. وقيل فيها = الديلي = على ألسنة العامة من غير ضرورة شعرية. أشار إلى ذلك أبو الطيب اللغوي المتوفي سنة 351 هـ في كتابه ، مراتب النحويين ص 35 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ط القاهرة 1974م.

4) جم القوم في اللغة جماما بمعنى استراحوا وكثروا. والجملة دعائية تعني أن من يحاول أن يسود أبا الأسود لا استراح ولاكثر عدده ...!

5) عطاء هو نجل أبي الأسود وتلميذه في النحو. وهو من نحاة البصرة. ولم يعقب ، مراتب النحويين ص 30 ولعله من المفيد هنا أن نشير إلى تلك الإشارة الغريبة التي جاءت في كتاب = الإصابة = للحافظ ابن حجر عن أبي الأسود الدؤلي ، ج 3 ص 242 ط القاهرة سنة 1328 هـ.

= كان يعد في التابعين ● والشعراء ● والفقهاء ● والمحدثين ● والأشراف ● والفرسان ● والأمراء ● والنحاة ● والحاضري الجواب ● والشيعة ● والصلع ● والبخر ● والبخلاء ●

6) عبد الرحمن بن هرمز المدني كان من أوائل من وضع علم العربية وكان من أعلم الناس بالنحو وأنساب قريش . وهو من أشياخ الإمام مالك اختلف إليه عدة سنين... !

انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيري ص 19 ـ 20 تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم. ط القاهرة 1954م.

7) يحيى بن يعمر العدواني من نحاة البصرة حليف بني ليث ذكره أبو الطيب اللغوي. في مراتب النحويين ص 30 وكذلك الزبيري في الطبقات ص 22 مع أخبار وفوائد .

8) نصر بن عاصم الليثي من طلائع النحاة ذكره الزبيدي في الطبقات ص 21. والسيوطي في بغية الوعاة ص 403 ط القاهرة 1326 هـ والحافظ اليغموري. في نور القبس ص 23 تحقيق رودلف زلهايم.

9) ميمون الاقرن.أشار إليه أبو الطيب اللغوي ص 30 والزبيدي ص 24. والحافظ اليغموري ص 5.

10) عنبسة الملقب بالفيل واسم أبيه معدان وكان عنبسة يروي بعض شعر جرير. ومن أجل ذلك هجاه الفرزدق بقوله :

لقد كان في معدان والفيل زاجر … لعنبسة الراوي علي القصائدا

انظر الزبيدي ص 24 وأبو الطيب اللغوي ص 30 الذي روى بيت الفرزدق هكذا :

أما كان في معدان والفيل شاغل … لعنبسة الراوي علي القصائدا

وانظر الحافظ اليغموري ص 23.

11) الفراهيد ، من بطون قبيلة الأزد . واليهم ينسب الخليل بن أحمد.والواحد فرهود . وقد تكلم اللغويون على هذه النسبة.

12) نار الثلاثي معروف في اللغة. والمصدر النور والنيار.

13) يروي - بالتشديد - في الأمر يتامل ويفكر فيه.

14) يقصد أن الخليل بن أحمد - في نظره - هو الواضع الثاني لأبواب علم النحو وقواعده ...!

15) يقول أبو الطيب اللغوي ، كان الخليل يعيش من بستان خلفه عليه أبوه بالخريبة - خارج البصرة - ص 56 والمراد بالعفر. ظباء الفلاة. وبالاوابد. وحوشها...

16) عطلا شواهده. يقصد أنه لولا سيبويه لخلا النحو من الشواهد التي تصحح الاستعمال وتقعد القواعد .

17) حتد في اللغة كرم أصله. ومحتد الإنسان أصله. والمحاتد الجمع. يشير إلى أن سيبويه. واسمه عمرو بن عثمان بن قنبر كان ينتمي ولاء على ما عند المؤرخين إلى بني الحارث بن كعب بن عمرو. انظر الزبيدي ص 66. وانظر الحافظ اليغموري ص 95.

18) يقصد الزم أخذ النحو من كتاب سيبويه. واستعمل كثيره من المعجبين بهذا الكتاب مبالغة قديمة عندهم. وهي التعبير عنه بقرآن النحو...!

وقد أشار إلى هذه المبالغة أبو الطيب اللغوي ص 106 وقال = وألف كتابه الذي سماه الناس قرءان النحو... =

19) أبو بشر كنية سيبويه. وله كنية أخرى. وهي أبو الحسن أشار إليها السيوطي ص 266 واليغموري ص 93.

20) يشير إلى المثل العربي الشهير : كل الصيد في جوف الفرا والفرا الحمار الوحشي. انظر قصة المثل في مجمع الأمثال للميداني ص 82 ج 2 ط القاهرة 1352 هـ.

21) ابن الطراوة أبو الحسين سليمان بن محمد المالقي المشهور بابن الطراوة من نحاة الأندلس وادبائها وهو من تلاميذ الباجي وشيوخ عياض. وبرز في النحو وله آراء فيه انفرد بها في عصره. وألف كتبا نال فيها من نحو سيبويه. وهو صاحب البيتين الشهيرين :

إذا رأوا جمـــلا يأتـــي علـــى بعـــد
مـدوا إليـه جميعــا كـف مقتنـــــــــــص
إن جئتهـــم فارغـــا لـــزوك في قـــرن
وإن رأوا رشـــوة أفتـــوك بالرخــــص

وتوفي سنة 528 هـ انظر السيوطي ص 263.

22) أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي الملقب بالمبرد - منهم من يكسر الراء، ومنهم من يفتحها - من أشهر النحاة الأدباء المؤلفين. ومؤلفاته جيدة شهيرة ويذكر بعض المؤرخين أخبارا طريفة تتعلق بجرأته وذكائه كما يذكرون من مؤلفاته : الرد على سيبويه - وشرح شواهد الكتاب. ويظهر أنه انتقد نحو سيبويه وطريقته في التأليف والاستشهاد.. توفي سنة 285 هـ انظر الحافظ اليغموري ص 324 وانظر السيوطي ص 116.

23) الولايد المفرد وليدة ، بمعنى صبية.

24) يقصد بأبي بشر، سيبويه، الذي لقي شرا كبيرا على يد البغداديين في مناظرته الشهيرة مع الكسائي عند هرون الرشيد. وكان الكسائي مؤدب أبناء الرشيد وهو من أعلام نحاة الكوفة. ويذكر أبو الطيب اللغوي أن الكسائي حمل إلى أبي الحسن الأخفش خمسين دينارا وقرأ عليه كتاب سيبويه سرا... ! ص 120 وانظر الحافظ اليغموري ص 283.

25) يقصد بعلي : الكسائي... فهو علي بن حمزة..
ويقصد بعمرو : سيبويه.. فهو عمرو بن عثمان بنْ قنبر..
وفي الشطر الثاني يشير إلى قضية عمرو بن العاص مع علي بن أبي طالب... ففي رأي الشاعر أن هناك قضية معكوسة....!!

26) يريد بابن زياد في الشطر الأول الفراء... وهو يحيى بن زياد من نحاة الكوفة وهو من تلامذة الكسائي الذين كانوا يتتبعون أخطاء سيبويه ويشهرون بها...!
ويريد بابن زياد في الشطر الثاني عبيد الله بن زياد بن أبيه المعروف عند المؤرخين بابن مرجانة وهي أمه وهو من أشهر القواد وولاة الأمويين. وهو صاحب فاجعة كربلاء الشهيرة. والشاعر اشتغل التشابه في الاسم بين الفراء الذي هو يحيى بن زياد وبين عبيد الله بن زياد. وبنى على ذلك ماجاء في البيت بعده.

27) تجذته التجارب احكمته وصيرته منجذا أو منجدا بفتح الجيم المشددة وكسرها أي عارفا مجربا للأمور ومنه قول سحيم بن وثيل :

أخو خمسين مجتمع أشدي ونجذني مداورة الشؤون

والاساود مفردها أسود الحية العظيمة السوداء
الحنش يقصد الشاعر أن هذا السم من أساود فتية قوية فسمها أشد إذاية وأعظم خطرا من غيرها.

28) يقصد : والآن هجر كتاب سيبويه في أقطار الارض سوى في بلاد الغرب فلهم هنالك اعتناء بدراسته.

29) تناجده : تعين على نشره ودراسته وابداء فضله وقيمته العلمية.

30) أثير الدين هو لقب أبي حيان الذي لقب به في المشرق على عادة أهله. فهو أثير الدين المنتسب إلى الغرب..

31) يقصد نفسه لامامته في النحو وهو مغربي. فإذا أراد الرحيل وحط رحاله بثغر الاسكندرية للرجوع إلى بلاده. فإن علم النحو ـ في نظره ـ يدفن...!

32) رحل أبو حيان إلى الشرق سنة 677 هـ فيكون نظمه لهذه القصيدة حوالي سنة 698 هـ وكان الحاكم إذ ذاك بغرناطة هو أبو عبد الله ابن الأحمر ثاني ملوك بني الأحمر الملقب بالفقيه الذي تولى من سنة 671 هـ إلى سنة 701 هـ = اللمحة البدرية الخطيب ص 58 = واياه يقصد أبو حيان في الأبيات التالية :

33) رم العظم بلي فهو رميم.

34) لعله يشير إلى عروة بن مسعود الثقفي الصحابي الشهير...!

35) خص أبو حيان استاذه أبا جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الجياني نزيل غرناطة 627 هـ ـ 708 هـ الأستاذ الشهير مؤلف كتاب = صلة الصلة = وغيرها من المؤلفات الجيدة. بهذه الأبيات المعبرة عن اعترافه بفضله وتقديره لعلمه = انظر الإحاطة ج 1 ص 188 وانظر مقدمة صلة الصلة. التي كتبها لفي بروفانصال الرباط 1937م وانظر مقدمة تفسير أبي حيان...



التسامح البديع...
لا التعصب المقيت

للأستاذ قدور الورطاسي

حينما ندعي أن الإسلام متسامح مع الأجانب عنه، وأنه لا رائحة للتعصب في تعاليمه الجوهرية، فإننا لا نستهدف الدفاع عن الإسلام.

فأي رجل له أدنى نصيب من العقل، لا يتخيل أبدا أن الإسلام في قفص الاتهام.

فالإسلام دين منسجم كل الإنسجام مع الفطرة والمنطق، منسجم بنصوصه المحكمة ومقدمات منطقه الكبرى والصغرى.

فالمسامع المرهفة، والوجدان اللطيف، وحتى البداهة في بعض الأحيان، كل ذلك من العناصر التي تواكب وتؤيد منطقية الإسلام في غير تحرج ولا نشاز. ومن أسرار قوة الإسلام ومنطقيته، أنه ـ في أصوله الجوهرية الأولية، في وفاق كامل مع أصول الأديان السماوية السابقة السليمة من كل أي انحراف، ولكنه مهيمن عليها، ومقدم فيها، ورافع لوائها. فالقرآن الكريم يخبرنا عن أعظم الرسل الأول نوح عليه السلام، بأنه كان يكتفي بتبليغ ما أنزل إليه من ربه من غير أية محاولة إكراه.

فالله سبحانه وتعالى يخبرنا في خطابه الخالد من سورة هود الآية 28 عن ذلك بقوله : «قال : يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وءاتاني رحمة من عنده، فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون» ؟

فبالرغم مما هو مقرر عند علماء النطق الإلهي من أن الرسل يعلمون صدق رسالتهم بالضرورة، فإنهم لا يحاولون أبدا إلزام أي أحد بها.

يعلمونها بالضرورة لأنهم من أوسط أقوامهم، أي من أفضل أقوامهم في اتساع ءافاق الفكر، وصدق المشاعر، وبعد النظر، والترفع عن كل إسفاف، فإذا ما أوحي إليهم، تأكدوا بصدق الوحي في منتهى اليقين، لما يرونه من أيات بينات لا تمت أبدا إلى ما ألفته البشرية من وسائل الغيبيات.

وجاء الإسلام ليبين لخاتم الرسل وأمته سر النهي عن الإكراه في الدين، لأنه مخالف على طول سنة الله في خلقه.

ومن شروط الدين الصحيح السليم : أن لا يصطدم بسنن الله في كونه، ولا بالمدارك العقلية السليمة، وكذلك هو الإسلام في تفاعله مع الفطرة والمنطق وسنن الكون.

فهو على هدي من ذلك، إذ أن الله سبحانه وتعالى صرح في القرءان الكريم بأن اختلاف الناس في معتقداتهم، من سنن الله في خلقه، قال تعالى في الأيتين : 118 ـ 119 ـ من سورة «هود» **«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، ولذلك خلقهم»**. فما دام أن الله خلق الخلق مختلفي الفكر

والنزعة والمذهب، فلا يكلفهم أبدا بضد ما خلقوا عليه، غير أن الله لم يعين لنا من يهتدى ومن يضل، إلا حينما ينص على ذلك كما نص على «أبي لهب وحمالة الحطب».

وفي نطاق ترك حالتهم كذلك، أمر الله سبحانه رسله بالتبليغ فحسب، والله يهدي ويضل من يشاء، أي بدون إكراه أي أحد على أي دين.

فعلى الرسل واجب الإرشاد والتبليغ، ولله شأن هداية الإيصال : إيصال هديه إلى قلب من يشاء لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون.

وقال تعالى في سورة «يوسف» الآية 103 «وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين».

وبهذه النصوص القرءانية المحكمة، علم المسلمون أنهم لا حق لهم في أي حقد أو اضطهاد لمن يكون على غير دينهم، بل عليهم أن يبادلوهم كل مسالمة، ويحترموهم، ويعدلوا بينهم، ويتركوهم لمعتقداتهم، وشرائعهم، من غير إقلاق، ولا إحراج.

وعليهم أن يتجنبوا كل نوع من أنواع الإكراه على دينهم.

فبينما كان رؤساء الأديان الأخرى - في أكثرهم - يأمرون أتباعهم باستعمال أشد طرق الإكراه للحمل على دينهم، ولو اقتضى الحال، إزهاق أرواحهم، وسلب أموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، نرى الإسلام ينهى متبعيه عن كل وسيلة من وسائل الإكراه.

ففي سورة البقرة ءاية 256 يقول محكم القرءان : «لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي» وفي سورة يونس الآية : 99 - يخاطب الله خاتم المرسلين بقوله : ولو شاء ربك لآمن من في الأرض جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين ؟».

أي أن هذا ليس في استطاعتك، ولا أنه داخل في نطاق رسالتك، فبشرهم، وانذرهم بدون إكراه.

هكذا سار الرسول الأعظم على هذا المنهاج الالهي، وسار أصحابه الفاتحون من بعده. فابن الخطاب رضي الله عنه، ينص «عهده» لأهل القدس على أنه : «أعطاهم الأمان لأنفسهم، وأموالهم، ولكنائسهم، وصلبانهم ... أن لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن «بالياء» معهم أحد من اليهود». انتهى باختصار من الطبرى : تاريخ الأمم والملوك.

بل أن ما ناله غير المسلمين من حرية في ظل الإسلام وحمايته، لم ينله المسلمون، ولن ينالوه أبد الابدين، ذلك أن أي شيء تبيحه شريعة أهل الكتاب، لا يتعرض لهم فيه، فلهم أن يشربوا الخمور دون خشية إقامة الحد عليهم، ولهم أن يأكلوا لحم الميتة والخنزير، وهم متساكنون مع المسلمين، بل إن «أبا حنيفة» يحكم بتغريم المسلم إذا أهرق خمر أحد من أهل الكتاب، أو أتلف له لحم خنزير، فيوجب عليه أن يدفع قيمة ما أتلف.

وفي ذلك منتهى التسامح والإكرام والاحترام لغير المسلمين في ظل الحكم الإسلامي، وفي مجال مناقشة أهل الكتاب، يأمر الله المسلمين بهذا الخلق المنتهى في الروعة والسمو.

ففي الآية 125 من سورة النحل **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»** ويتأكد هذا الخلق الكريم في الآية : 46 من العنكبوت **«ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، وقولوا، ءامنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون».**

ويرشدنا الله سبحانه وتعالى إلى سلوك المعاملة معهم خير إرشاد وأكرمه فيقول لنا في سورة الممتحنة ءاية «8» وءاية 9...

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين

وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون».

ففي هاتين الآيتين توصية بالعدل والبر الذي هو فوق العدل.

فالبر منبع العطف والحنو، وإرادة الخير. فأي تسامح أكثر من هذا ؟ وأي بر أكثر من هذا ؟ إنه السمو الخلقي القرءاني في منتهى آفاقه. فكيف يتخيل أي عاقل أي تعصب، أو حقد، في تعاليم الإسلام، والنصوص الالهية المحكمة في منتهى البيان والوضوح والإشراق ؟

روى أن غلاما لابن عباس، ذبح شاة فقال ابن عباس «لا تنس جارنا اليهودي، ثم كررها حتى قال الغلام : كم تقول هذا» فقال ابن عباس : «إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه».

كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تصدقوا حتى على أهل الأديان كلها» وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضر ولائمهم، ويعود مرضاهم، ويكرمهم حتى روى أنه لما زاره «وفد نجران» فرش لهم عباءته، وأمرهم بالجلوس عليها ! وكان يقترض من اليهود، وله في صحابته غنى عنهم، ولكن يفعل ذلك إرشادا لأمته، وتعليما لها لأن يلاطفوا جميع أهل الأديان.

نعم إن التسامح الإسلامي المنافي لكل تعصب وحقد وبغض مع أهل الأديان الأخرى، قد اعترف به كثيرون من كتاب النصرانية في مختلف العهود.

والشيء المهم الذي يجب استخلاصه من هذا التسامح الإسلامي العجيب، أنه ليس من مواهب المسلمين، ولا هو من كسبهم، ولا كان، ولن يكون ذلك في استطاعتهم أبدا.

فالطبيعة البشرية مفطورة على التعصب للسلالة من قريب أو بعيد.

مفطورة على التنافس، والصراع والأحقاد، والانتقام، والجفاء، إلى غير هذه الغرائز من جانبها المادي.

إذا، فمنطلق الأخلاق في العالم الإسلامي، ومنبعه : الخطاب الالهي المحكم، تفاعل مع الروح البشرية فسما بها إلى أعلى قمة الأخلاق في عالم الإنسان. وفي ذلك دلالة قاطعة على أن هذا الدين الإسلامي ليس من صفاء سريرة صاحبه عليه الصلاة والسلام، ولا من روحانيته العالية، ولا أنه تلقاه من أي بشر، ولا أنه نتيجة أي مطامع، أو أي أماني، وغير ذلك مما هو مألوف في قادة البشرية وزعمائها.

بل أن هذا الدين من فاطر السماوات والأرض وما بينهما، يعلو، ولا يعلى عليه، وما هو بقول البشر، كما اعترف بذلك في القرءان الكريم غير زعيم من زعماء العروبة وفارس من فرسانها.

فلقد خبر فحول اللغة العربية كل فنون الأقوال والمعاني، فما وجدوا للقرءان الكريم ما يماثله، ولا ما يشابهه، أو يقاربه.

قال : «عتبة بن ربيعة» وقد سمع ءايات من «فصلت»

«والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط».
«والله ما هو بالشعر، ولا بالكهانة، ولا بالسحر».
«يا معشر قريش، أطيعوني فاجعلوها لي».
«خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه، فاعتزلوه..».
«فوالله ليكونن لكلامه الذى سمعت نبأ..».

أرأيتم كيف اعترف أحد فرسان الفصاحة والبلاغة والخبرة بفنون الأقوال والمعاني بأن النطق الإلهي لم يكن مألوفا، ولا معروفا في عالم العروبة كما قال نظائره : أنه ليس من قول البشر ؟

إنه من هذا الينبوع الحق شعت مكارم الأخـــــلاق، فسمت بأهلها إلى أقصى قمم النبل الإنساني. قلت : إلى عرض هذه الجواهر الإسلامية وأسرارها المتنوعة التي لا يرقى إليها الفكر البشرى، على «مجلة دعوة الحق» أن

تتفرغ للقيام به لتؤدى رسالتها الإلهية بين عالم البشرية كله المتطاحن على تفاهة متاع الحياة الدنيا لإرضاء أنانيته التي يستحيل إرضاؤها مدى الحياة. بكل ما احتوته بطون الحياة.

عليها أن تتفرغ لذلك. تاركة المجالات الثقافية والإعلامية لذوي الإختصاص والهواية. ولن يتم لها ذلك إلا بوسيلة جهاز تحريري متنوع الإختصاص في أسرار هذا الدين العالمي. على اعترافي الصادق بأن إصدارها في منهجيتها القيمة الحالية. يعد من غرائب الاصدار في عالم الصحافة ووسائل الإعلام.

شخص واحد. هو الأخ الكريم الأستاذ عبد القادر الإدريسي يقوم بإصدارها مسيرا جميع جوانبها. وفي ظروف غير موفرة للاطمئنان والهدوء الضروريين. إن هذا لشيء عجاب

الرباط : قدور الورطاسي

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

لعل أجمع وأنفع وصية يوصي بها كل مسلم أخاه في بداية القرن الجديد هي أن نطبع فكرنا وحياتنا وسلوكنا الخاص والعام بالطابع المميز لحضارتنا الإسلامية الذي ارتضاه الله لنا. ألا وهو طابع الاعتدال والوسط، المنافي لكل إسراف وشطط. والمترفع عن كل تهريج ولغط. ففي نطاق المبدأ الإسلامي «الوسط» والحد الفطري «الوسط» لاكبت ولا إباحية. وإنما علاقات شرعية أخلاقية.

نظرات في تاريخ المذهب المالكي :

أسبابُ انتشار المذهَب المالكي في الغرب الاسلامي

-2-

للدكتور عمر الجيدي

رأينا فيما سبق(1) كيف أن المذهب المالكي انتشر في الآفاق شرقا وغربا حتى انه انتشر في ثلاث قارات، وتمذهب به الناس، وصاحبه ما يزال على قيد الحياة، ملاحظين تقلص نفوذه في بعض الجهات من المشرق، واضمحلاله في بعضها الآخر، بينما ازداد انتشاره في الغرب الإسلامي، حيث توطدت أركانه، وقويت دعائمه، حتى غدا المذهب السائد في رقعة تمتد من مصر شرقا، حتى جبال لبرانس غربا، إذا استثنينا المنافسة النسبية لمذهب الأحناف في بعض الجهات من القطر التونسي خاصة..... وهنا نريد أن نعرف ما هي الأسباب التي أدت به الى أن ينتشر ويشيع في هذه الربوع، ويتقلص نفوذه في المشرق ـ موطن نشأته ـ على خلاف المعهود..

والباحثون في ذلك مختلفون، فمنهم من يرجع ذلك الى :

1) شخصية صاحب المذهب نفسه، لما عرف عنه من تمسكه بالسنة ومحاربة البدعة، وتشبثه التام بآثار الصحابة والتابعين واستجماعه أدوات الإمامة.. وهذا ما دفع الناس إلى أن يقدروا علمه، وينقادوا لفكره، ويقتنعوا بأن مذهبه أولى بالاقتداء والاتباع، لأنه أقرب الى روح الشريعة من سائر فقهاء الشام والعراق وغيرهما من الأمصار الأخرى، إضافة إلى ثناء الناس عليه، وإعجابهم بحسن سيرته، وموطن نشأته واستقامة سلوكه، وجديته وإخلاصه في بذل العلم، والتزامه الصارم باتباع نصوص الكتاب والسنة، والقياس الواضح، فما من مسألة عرضت عليه، إلا والتمس لها حلا في الكتاب والسنة، فإن لم يجد ذهب الى القياس الصحيح، فإذا لم يجد اعتذر عن الإفتاء والحكم، واكتفى بجملته المحببة لديه : «لا أدري»..

وللأثر الوارد في شأن عالم المدينة، الذي حمله بعض العلماء عليه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة (2) قال سفيان بن عيينة : كنا نسمع أهل المدينة يقولون إنه مالك بن أنس(3).

ومن تقدير الناس له، وإعجابهم به، ما رواه المالكي عن سحنون قال : قرأ علينا ابن غانم كتابا من الموطأ فقال له رجل : ياأبا عبد الرحمن : يعجبك هذا من قول مالك ؟ فقام ابن غانم وألقى الكتاب من يده، وقال : أوليس وصمة

1) انظر ص : 71 من مجلة دعوة الحق، عدد : 3 ـ السنة : 23.

2) انظر تفاصيل هذه النقطة في المدارك 1 / 68.

3) الإرشاد لأبي يعلى القزويني ص : 7 مخطوط خ.ع.ر.

علي في ديني أن أرد قولة قالها ؟ والله لقد أدركت العباد الذين يتورعون عن الذر فما فوقه... فما رأيت بعيني أورع من مالك(4). وكانوا يقولون مثل مالك في العلماء مثل الثريا(5)...

فمالك كان عند العلماء ثقة مأمونا ثبتا فقيها ورعا حجة عالما.. وهذه الصفات هي التي حببته الى قلوب المغاربة، وأكسبته ثقتهم. لما رجع طلابه يصفون فضله، وسعة علمه، واستقامة سيرته، وجلال قدره، ولذلك كان طلبة العلم يقطعون إليه آلاف الأميال يسألونه، ويأخذون عنه، فاتفقت آراؤهم مع آرائه، وأصبح عندهم الإمام الحق، الذي لا يدانيه غيره، بل إنهم افتتنوا به وبأفكاره وسلوكه، حتى اتخذوه قدوة لهم في كل شيء، حتى في سلوكه الخاص من لباس وأكل، وكيفية جلوسه للإقراء، وطريقته في التحديث.. كل ذلك غدا عند طلابه ومريديه المثل الأعلى الذي ينبغي أن يحتذيه المسلم الحق، والعالم المتثبت.

2) ومنهم من يرد ذلك الى ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة. ذلك أن المذهب المالكي - كما هو معروف عنه - مذهب عملي يعتد بالواقع، ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، ففقهه عملي أكثر منه نظري، يتمشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها، دون تكلف أو تعقيد. وأهل المغرب بطبعهم يميلون الى البساطة والوضوح، وينفرون من النظريات المتطرفة، والتأويلات البعيدة المتكلفة، فمذهبه خلا من تداخل الآراء، وظل بعيدا عن الشوائب التي تسربت الى الدين في الأمصار الأخرى، نتيجة اختلاف الناس، باختلاف مذهبهم وأنظمتهم السياسية والفكرية والعقيدية. فبقي مذهبه سليما نقيا من كل ذلك.. فتربى في نفوسهم نفور من كل تخريج أو تأويل ناظرين إلى كل انحراف نحو التأويل والتخريج، والتفسير البعيد كأنه خروج عن الإسلام الحق. ومن ثم ابتعدوا عن أصحاب الرأي ولم يقبلوا على مذهب أبي حنيفة وغيره. ولأن بلادهم لقيت من المتاعب والأهوال، بسبب أصحاب الآراء والتأويلات من دعاة الآراء المتطرفة، والأفكار الشاذة، ما جعلهم يوقنون أن الدين إنما هو القرآن والسنة، ولا شيء بعد ذلك، زيادة منهم في الحرص على دينهم، والتمسك بأصوله، خوفا من الانزلاق في مهاوي الضلالات، ومن ثم وضعوا المعتزلة والخوارج في كفة الزنادقة، وانتقدوا الأحناف، وجاهروهم بالعداء الصريح(6).

سمع الحميدي أبا عبد الله محمد بن الفرج الأنصاري يقول : «سمعنا أبا محمد عبد الله بن أبي زيد يسأل أبا عمر أحمد بن سعيد المالكي عند وصوله الى القيروان من ديار المشرق، وكان أبو عمر دخل بغداد في حياة أبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري فقال له يوما : هل حضرت مجالس أهل الكلام ؟ فقال بلى، حضرتها مرتين، ثم تركت مجالسهم ولم أعد إليها. فقال له أبو محمد : ولم ؟ فقال : أما أول مجلس حضرته فرأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنة، والبدعة، والكفار، والمجوس، والدهرية، والزنادقة، واليهود، والنصارى وسائر أجناس الكفر، ولكل فرقة رئيس يتكلم على مذهبه، ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس من أي فرقة كان، قامت الجماعة إليه قياما على أقدامهم حتى يجلس فيجلسون بجلوسه، فإذا غص المجلس بأهله، ورأوا أنه لم يبق لهم أحد ينتظرونه قال قائل من الكفار : قد اجتمعتم للمناظرة، فلا يحتج علينا المسلمون بكتابهم، ولا بقول نبيهم، فإنا لانصدق بذلك، ولا نقربه، وإنما نتناظر بحجج العقل، وما يحتمله النظر والقياس، فيقولون : نعم لك ذلك. قال أبو عمر : فلما سمعت ذلك لم أعد الى ذلك المجلس، ثم قيل لي : ثم مجلس آخر للكلام، فذهبت إليه، فوجدتهم مثل سيرة أصحابهم سواء، فقطعت مجالس أهل الكلام، فلم أعد إليها. فقال أبو محمد بن أبي زيد : ورضي المسلمون بهذا

4) رياض النفوس للمالكي ص 145 ومعالم الإيمان : 305/1 والمدارك 1 / 158.

5) المدارك 1 / 77.

6) مقدمة كتاب رياض النفوس ص : 10.

في الفعل والقول ؟ قال أبو عمر : هذا الذي شاهدت منهم، فجعل أبو محمد يتعجب من ذلك وقال : ذهب العلماء، وذهبت حرمة الإسلام وحقوقه(7).

وروى ابن الفرضي أن خليل بن عبد الملك المعروف بخليل المصله رحل إلى المشرق وروى به عن قوم، وكان في بداية أمره صديقا لابن وضاح . فلما جاهر بالقـــدر هاجره، وعمد الفقهاء الى كتبه فأحرقوها إلا ما كان فيها من كتب المسائل(8).. فهذا وغيره يصور لنا موقف المغاربة من أهل الأهواء والملل ومن الجدل في العقيدة وعلم الكلام..

ويظهر أن هذا الموقف كان سائدا بين المغاربة جميعا رؤساء ومرؤوسين. فقد روى المقدسي أن فريقين من الحنفية والمالكية تناظرا يوما أمام «سلطان» فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة. قال : ومالك ؟ قالوا من المدينة. قال : عالم المدينة يكفينا، وأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة ! وهذا الرأي عبر عنه صراحة الأمير هشام بن عبد الرحمن أمير الأندلس، الذي ألزم الناس باتباع مذهب مالك، وصير القضاء والفتوى عليه(9).

كما أن الحكم الأموي سار في هذا الاتجاه عندما صرح بأنه نظر طويلا في أخبار الفقهاء، وقرأ ما صنف من أخبارهم الى يومه، فلم ير مذهبا من المذاهب غير المذهب المالكي أسلم منه(10) فقد اختبر فوجد أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، إذ لم ير في أصحابه، ولا فيمن تقلد مذهبه غير معتقد للسنة والجماعة بخلاف غيره من المذاهب، ففيها الجهمية، والرافضة، والخوارج، والمرجئة، والشيعة.. لذلك رأى الاستمساك به نجاة(11).

فاختيار المغاربة إذن لمذهب مالك . هو اختيـــار مذهب أهل السنة، وفقه الصحابة والتابعين. ولا شك أن هذه الاعتبارات التي ذكرناها كان لها تأثير خـاص فـــي نفوس المغاربة. ومن ثم كان فقهاؤهم يبايعون الأمراء على كتاب الله، وسنة رسول الله، ومذهب مالك. كما اشترط ذلك صراحة الفقيه الورع أبو إسحاق السبائي(12).

وعندما أفتى الفقيه ابن لبابة في مسألة بخلاف المذهب تابعا لمذهب الكوفيين، ثار عليه الفقهاء صائحين : «سبحان الله ! نترك قول مالك الذي أفتى به أسلافنا، ومضوا عليه، واعتقدناه بعدهم وأفتينا به، لا نحيد عنه بوجه، وهو رأي أمير المومنين ورأي الأئمة آبائه(13).

بالإضافة الى أن المدينة مصدر العلوم الإسلامية كلها، فيها نشأت ونضجت، ثم عنها تفرعت الى بقية الأقطار الإسلامية الأخرى، والمدينة كما نعلم لها في نفوس المغاربة مكانة خاصة..

3) ويرجع البعض الآخر سبب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي الى مناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الأحناف، إذ كانوا ياخذون عليهم تواطؤهم مع الأمراء الأغالبة الذين ناصروا المذهب الحنفي وقربوا فقهاءه، وأسندوا إليهم الرئاسة والقضاء، ونكلوا بالمالكية، وهذا دفع الأحناف الى أن يتساهلوا في إصدار الأحكام الشرعية، مسايرة منهم لحياة الترف التي كان يحياها الأغالبة. فكان المالكية ياخذون عليهم تساهلهم في إصدار بعض الآراء خلاف ما يعتقده المالكية كتحليل النبيذ مثلا. والذي يقال إن هذا الموقف من الأحناف دفع محمد بن سحنون الى أن يؤلف كتابا في تحريمه(14).

وكذا القول بخلق القرآن الذي مال إليه الأغالبة وتبعهم فيه فقهاؤهم الأحناف، وهي مسألة امتحن فيها سحنون في المغرب امتحان أحمد بن حنبل في المشرق، إذ جمع له أحمد بن الأغلب قواده وقاضيه ابن أبي الجواد

7) جدوة المقتبس ص 109 ط : الدار المصرية للتأليف.
8) تاريخ ابن الفرضي ص 139 ط : الدار المصرية للتأليف.
9) المعيار للونشريسي 6 / 356 ط : بيروت.
10) المعيار 6 / 357 ونيل الابتهاج 191 على هامش الديباج.
11) المدارك 1 / 22 والمعيار 6 / 357.
12) المدارك 6 / 73 تحقيق أستاذنا الفاضل سعيد أعراب.
13) المدارك 6 / 90.
14) المدارك 4 / 207.

وغيره. وسأله عن القرآن فقال له سحنون : «أما شيء ابتدئه من نفسي فلا، ولكنني سمعت من تعلمت منهم وأخذت عنهم كلهم يقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق» فقال ابن أبي الجواد : كفر فاقتله ودمه في عنقي. وقال مثله غيره ممن يرى رأيه. وقال بعضهم يقطع أرباعا ويجعل كل ربع بموضع من المدينة ويقال : هذا جزاء من لم يقل بكذا. فقال الأمير لداود بن حمزة : ما تقول أنت ؟ قال : قتله بالسيف راحة، ولكن اقتله قتل الحياة. فتأخذ عليه الضمناء، وينادي عليه بسماط القيروان الا يفتي ولا يسمع أحدا. ويلزم داره. ففعل ذلك، وأخذ عليه عشرة حملاء(15) وهذا الموقف من الأحناف جعل الشعب يميل الى المالكية. وينفر من الأحناف. نظرا لتواطؤهم مع أمراء عملوا جهدهم على أن يحاربوا المالكية لا لشيء، إلا لإرضاء نزواتهم ورغباتهم، والتمشي مع رأيهم الذي يخالف بعض النصوص. ويصادم الشرع أحيانا..

هذا عن الأحناف. أما بالنسبة للشافعية. فمما أخذه عليهم المالكية ما رواه المقدسي قال : «رأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعي قالوا : أخذ عن مالك ثم خالفه»(16)

وأضاف بأن سائر بلاد المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعي رحمه الله. إنما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله. وكنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعي فقال : اسكت من هو الشافعي ؟ إنما كان بحران : أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب. أفنتركهما وتشتغل بالساقية(17).

أما عزوفهم عن مذهب الإمام أحمد بن حنبل. فلعل ذلك يرجع الى أن هذا الأخير أخذ بالخبر الضعيف وفضله على القياس حتى ان الكثير من الفقهاء لم يعدوا أحمد بن حنبل من الفقهاء. وإنما صنفوه في طبقة المحدثين(18).

4) ومنهم من يرد ذلك الى موقف بعض السلاطين. إذ يذكر بعض المؤرخين أن مالكا سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس. فوصف له سيرته قائلا : إنه يأكل الشعير ويلبس الصوف. ويجاهد في سبيل الله. فقال مالك : ليت الله زين حرمنا بمثله (19) فوصل الخبر إلى ملـــك الأندلس فحمل الناس على مذهبه. وترك مذهب الأوزاعي(20).

وهناك رأي للعلامة ابن حزم يذهب فيه الى أن سبب انتشار مذهب مالك يرجع الى نفوذ الحكام وسلطانهم فيقول : «مذهبان انتشرا بالرياسة والسلطان. مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله في أقصى المشرق الى أقصى عمل افريقية. فكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين لمذهبه. ومذهب مالك عندنا بالأندلس. فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان. مقبولا في القضاء. وكان لا يولى قاض من أقطار الأندلس إلا بمشورته واختياره. ولا يشير إلا بأصحابه. ومن كان على مذهبه. والناس سراع الى الدنيا. فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به. على أن يحيى لم يل قضاء قط. ولا أجاب إليه. وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم. وداعيا إلى قبول رأيه لديهم» (21).

ورأي ابن حزم هذا فيه الكثير من الصواب(22) ولكن الذي يرد عليه أمران :

أ) منشور «الحكم» الذي قرر فيه وجوب التمسك بمذهب مالك كان بعد البحث والتنقيب. والاطلاع على

15) رياض النفوس ص : 286.
16) أحسن التقاسيم ص : 42.
17) أحسن التقاسيم ص 42.
18) اختلاف الفقهاء ص 13 للطبري والمدارك 1 / 86.
19) الاستقصا 1 / 139.
20) نفح الطيب 3 / 230 تحقيق إحسان عباس.
21) جذوة المقتبس ص : 383 ونفح الطيب 2 / 218.
22) الحقيقة أن القوة دائما تفعل فعلها. ولنا في موقف العثمانيين الذين نشروا المذهب الحنفي بالقوة على الأقطار التي خضعت لحكمهم. وموقف الدولة السعودية في المذهب الحنبلي شاهد على ذلك. أما من انتقد رأي ابن حزم فلم يأت بأدلة مقنعة والناس ـ كما قيل ـ على دين ملوكهم.

مآخذه وبعدما تبين له أنه الحق والصواب، والجدير بالاتباع والتقليد(23) فهو لم يختره طلبا للدنيا، وإنما كان تدينا.

ب) إن ظهور المذهب المالكي في الأندلس تم في عهد هشام والد الحكم، وأن أول من أدخله وأشاعه هم أشياخ يحي بن يحي كزياد وقرعوس وعيسى بن دينار وغيرهم.. وهؤلاء لم تكن بيدهم سلطة حتى يخشاهم الناس، وإنما كانوا علماء رحلوا الى الحجاز ليتفقهوا في الدين، فلما رجعوا أذاعوا مذهب مالك في الناس فاقتدوا بهم رغبة في الدين، واتباعا لسنة الرسول عليه السلام(24).

ويبدو أن القاضي عياضا يسير مع رأي ابن حزم، فيستفاد من كلامه أن هشام بن عبد الرحمن ثاني خلفاء بني أمية في الأندلس أخذ الناس جميعا بالتزام مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشر السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك، فالتزم الناس به، وحموه بالسيف عن غيره»(25) ويقول في ترجمة أبي بكر الأبهري : «وبعد موت الأبهري وكبار أصحابه وتلاحقهم به، وخروج القضاء عنهم الى غيرهم من مذهب الشافعي وأبي حنيفة، ضعف مذهب مالك بالعراق وقل طالبوه،لاتباع الناس أهل الرياسة والظهور» (26).فهو يعزي ضعف المذهب في العراق وخروجه عنهم لامتناعهم من تولية القضاء، وهنا يلتقي مع رأي ابن حزم فيما ذهب إليه من أن المذاهب تنتشر بقوة السلطان والنفوذ..

5) تشابه البيئة في كل من الحجاز وبلاد المغرب، وهذا الرأي ذهب اليه العلامة ابن خلدون الذي يرى أن البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة، ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب(26).

وقصده بالبداوة الحالة التي ظل عليها عرب الحجاز من التشبث بتقاليد العرب، وعدم اندماجهم في الحضارة الوافدة عليهم، لا البداوة بمعناها التخلف وخشونة الطبع وإلا فإن مدن الحجاز لم يكن سكانها كلهم من البدو، خاصة في العصر الأموي وما تلاه، فقد تحضرت المدينة ومكة، وظهر فيهما الترف، والرقة.. ولم تكن الأندلس بدوية الطبع والمعاش، فالتاريخ يحدث أنها كانت دائما متحضرة قبل الفتح وبعده، وقل مثل ذلك بالنسبة لمصر، ولذلك رد الكثير من الباحثين هذا الرأي على ابن خلدون، واعتبروه تهمة موجهة الى هذا المذهب، وتجنيا على قومه البربر، ثم إن تشابه البيئة - على رأي ابن خلدون - لو صح سببا لكان المذهب المالكي حافظ على مكانته في الحجاز..

6) وهناك سبب آخر يرى ابن خلدون - وهو محق في هذا - أنه كان عاملا أساسيا في انتشار المذهب وهو، رحلة المغاربة إلى الحجاز غالبا، وفي هذا يقول : «وأما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا الى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج الى العراق، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك بن أنس، وشيوخه من قبله، وتلاميذه من بعده، فرجع إليه أهل المغرب والأندلس، وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته(28).

7) ويعد البعض من الأسباب : مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج الذي كان قد تسرب الى المغرب منذ أوائل القرن الثاني الهجري على يد بعض خوارج العراق،

23) انظر منشور الحكم في المدارك 1 / 22 ونيل الابتهاج 191.

24) انظر الأبحاث السامية 1 / 81.

25) المدارك 1 / 26 والمعيار 6 / 356.

26) المدارك 6 / 188 - 189.

27) مقدمة ابن خلدون ص : 245 ط : الخيرية.

28) المقدمة ص 245 ط : الخيرية.



واستشرى فيه. والخوارج ـ كما نعلم ـ ينكرون حكم الأمويين والعلويين. وبما أن الأندلس كانت تحكم من قبل الأمويين. والمغرب كان يساس من طرف الأدارسة العلويين. لذلك عمل حكام هذين القطرين على ترسيخ مذهب مالك لإبطال مذهب الخوارج...

هذه هي الأسباب التي قيل أنها كانت من العوامل التي ساعدت على انتشار المذهب المالكي. وهي وإن كانت من العوامل التي ساعدت ـ في الجملة ـ على انتشار هذا المذهب في هذه الربوع. إلا أنها لا تعد في نظر الباحث المتفحص أسبابا حقيقية لانتشار هذا المذهب. وتنهض حجة على ذلك. والذي نميل إليه هو أن هذا المذهب قدر له أن ينتشر في هذه الربوع. ويقاوم الزمان. كما انتشرت بقية المذاهب الأخرى في غيرها. دون أن نرجع ذلك الى أي سبب من الأسباب التي استعرضناها اللهم إلا ما كان من سبب حمل سلاطين المغرب رعاياهم على الالتزام به. والهجرة التي كانت مستمرة بين المغرب والمدينة المنورة. موطن المذهب ومنشئه. والله أعلم...

والذي ينبغي أن ننبه عليه في هذا المقام هو أن المذهب المالكي لم يكن المذهب الوحيد الذي عرفه المغاربة ودانوا به. بل كانت هناك مذاهب أخرى متعددة. إلا أنها لم تكن سائدة. وقد عرفت فيما بينها صراعا عنيفا كاد يعصف بالمذهب المالكي ورجالاته في بعض الجهات (تونس مثلا). لولا صمود المالكية واستماتتهم في الدفاع عنه. وموضوع هذا الصراع هو ما تتناوله الحلقة القادمة إن شاء الله.

د. عمر الجيدي

على هامش توجيهات أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني في المؤتمرات الإسلامية:

نصائح مسلم وتوجيهات حكيم

للأستاذ عبد القادر رفيق العلوي

إن الإسلام اليوم يمر بفترة انتفاضة تقوده بحول الله الى ازدهاره المعهود وتفتح امامه طريق القيام برسالتـه الأساسية فيحقق للبشرية سعادة الدنيا والدين ويعد لأمته مكانتها الاجتماعية وحضارتها الأصيلة.

وإذا كان هذا الانطلاق يشوبه نوع من التعثر وتعتريه فترة يتراجع فيها نسبيا ليعود الى السير ببطء وحذر، فإن ذلك لسبب اثنين لا ثالث لهما وقد يتفرع كل منهما الى عدة أسباب ثانوية وهامشية.

وتختلف أهمية السببين المذكورين باختلاف المصدر والقوة ويتجلى هذا الاختلاف عند التعرف عليهما.

إن أول سبب يعاني منه الإسلام ويحد من انطلاقه هو المحاربة القوية والشديدة والحملات المسعورة التي يوجهها ضده أعداؤه في مختلف الواجهات. والنعوت الدنيئة التي ينعتونه بها بغية تشويه معالمه وطمس حقائقه. ويقود هذه الواجهة رجال ونساء جندتهم الكنيسة واعداء الفضيلة ليكونوا معاول تحطم كل ما يبنيه الداعية الإسلامي والمجتمع المثالي. فنسبوا للإسلام استعباد المرأة، وعقم أفكاره، وتحجيره للعقل، ومعارضته للعلم والاختراع، وغير ذلك من أصناف النعوت التي يريدون بها الحط من قيمته الاجتماعية والإنسانية ويودون أن يكلبوا عليه الرأي العام ليقول عليه شتى الأقاويل. ولم تتوقف محاربتهم هذه عند حد الأبواق والنشرات بل تسربوا الى الشباب في أوساط العائلات المنحلة فاستغلوه ليكون رسولهم بطرق لا يدري هو نفسه أنها طرق تبشير ضد الاسلام. يكتبون مثلا رسائل الى شاب يتوصل بها مع طلب بإرسال نسخ منها الى العديد من أصحابه. وهكذا يتكاثر عددهم وتنتشر

دعوتهم الى عداوة الإسلام. ومع هذه الطائفة طائفة أخرى تعرف بالشيوعية والتي لا تقول بالله خالقا ومسيرا ومدبرا، وأن الأمر كله اليه. وتحارب الإسلام لدعوته الخالصة لوحدة الله واتباع تعاليم القرآن. وليس غريبا أن يعلنوا عداوتهم للإسلام وهو الذي يريد أن يصحح أخطاءهم ويسلبهم السلطة المطلقة التي يسيرون بها أممهم وشعوبهم. فعداوتهم للإسلام مدخول عليها منهم ومن اليهود الذين يوجهون حملاتهم المسعورة ضد الإسلام والعرب. في طريقهم الى توجيهها الى العالم كله. وصدق الله العظيم (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا).

ولهؤلاء، أسطر جوابا شافيا تكفل الخالق سبحانه بإنزاله لرسوله صلى الله عليه وحيا قرآنيا يطمئن القلب ويشرح النفس.

يقول الله تبارك وتعالى :

((يريدون ليطفئوا نور الله، بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)). ((الصف))

ومهمة التصدى لهؤلاء تقع على عاتق العلماء ورجال الدعوة الإسلامية إذ بواسطتهم يمكن توضيح الحقائق وبسط الأدلة على صلاح رسالة الإسلام لكل زمان ومكان. وأنه دين التوجيه والإنسانية والتآخي والتعاون على البر والتقوى وأنه حمى الأسرة ونظم حياتها وحد أسباب الخلاف بين الإخوة والأقارب فمنع الحسد والكذب والنميمة والتجسس وقتل النفس التي حرم الله. وأوصى برعاية اليتيم والإحسان الى الفقراء والمساكين ونظم طرق التعامل المالي بالمحافظة على الأمانة والعدل في الحكم والنصح في القول والعمل. الى غير ذلك من المواضيع التي يجب بسطها وشرح أهداف الإسلام فيها وغايته منها. وعند ذاك سيرجع المبشرون بغيره على أعقابهم خاسرين وتصبح كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم.

أما السبب الثاني وهو عندي الأخطر والأهـــــول

وهو ما تحدث عنه جلالة الملك أعز الله أمره في توجيهاته عند انعقاد الاجتماع التأسيسي بمنظمة الإسلامية للثقافة في فاس وعند اجتماع الدورة السادسة للجنة القدس في افران.

والذي أراد من توجيهاته حفظه الله أن يكون المجتمع الإسلامي كتلة واحدة لا تفرق بينها الاتجاهات الدنيوية أو الأغراض الإقليمية أو النزعات المذهبية مصداقا لقوله تعالى : (إنما المومنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم).

فعبر عن نيته الحسنة نحو الجميع وعلى أن تناسى الحزازات والخلافات يعتبر مطلبا أساسيا في حياتنا فيعلن عن رغبته في أن يمحو خلافاتنا مع موريتانيا تنازلا منه لفائدة الأسرة الإسلامية وتضامنها. ويريد أن يكون هذا الشعار بين بقية الإخوان العراق، سوريا، وإيران. ليتم التكتل المطلوب لتحقيق كلمة الله.

وأن جلالته وهو يتحدث عن التضامن ونبذ الخلافات يعلم علم يقين أن الإنطلاقة الإسلامية لا يمكن أن تتم من جسد أعرج. بل يجب أن نكون في الحلبة أصحاء أقوياء نستطيع أن نقاوم تعنت المتعنتين ونواجه طغيان الظالمين. فقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)، لا يمكن تحقيقه والخلاف منتشر بين الأمم الإسلامية. والنفور مسيطر عليها إذ القوة عمل من أعمال الأقوياء بالعدة والإيمان والصبر والعزم الأكيد على توحيد المسعى والغاية ولذلك نبه الله الأمة الاسلامية في محكم كتابه بقوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا أن الله مع الصابرين). فالاتحاد والتضامن والاعتصام بحبل الله هي الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف الأمة الإسلامية ورفع راية الإسلام في كل مكان.

وتوجيهات جلالة الملك الحسن الثاني مستمدة دائما من الكتاب الصادق والسنة الطاهرة وهذا ما يجعلها تنزل بردا وسلاما على قلوب المسلمين وتذكرهم بواجبهم وتلفت نظرهم الى ما ينسون أو يغيب عن آذانهم من تشريعات وإرشادات إسلامية حافلة بالخير ودالة عليه. امتثالا لقول الله تعالى : (وذكر فإن الذكري تنفع المومنين).

أمة مفترقة أو مختلفة فالمذهبية في الإسلام محدثة على أساس التوسع في أحكام شرعية تعددت الأقوال فيها ولكنها لم تشرع لتكون عنصرا من عناصر توسيع الخلاف وخلق العداوة. فالله تبارك وتعالى يقول : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) فلا سنية ولا شيعية ولا ظاهرية ولا أمامية ولا ... ولا ... بل كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله دخل في حماية الإسلام وأصبح مطالبا باتباع كل ما جاء به القرآن والسنة المطهرة. لا يزيغ عنهما ولا يخرج عن طاعتهما.

وإذا وقع اختلاف في تشريع من الأعمال الدنيوية التي ترجع الى المعاملات فمرده الى كتاب الله أو إلى سنة نبيه فإن لم يكن فلكل وجهته التي يطمئن اليها على أن لا تكون ماسة بالمعتقدات التي ذكرها الله ولم يترك للعباد أن تتصرفوا فيها.

ومادام الأمر يتعلق بنا نحن الأمة الإسلامية فيجدر بنا أن نحمد الله أن حمانا بالقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي تكفل الله بحفظه (انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فلم يقع ولن يقع تغيير أو تحريف فيه منذ أن نزل على خير خلقه. فهو إذن كفيل بالرجوع اليه عند كل اختلاف وستكون في منجى عن كل حرج متى حكمناه واتبعناه ولن يصل بنا الأمر أبدا الى ما وصل نتيجة نظريات متعصبة وشاذة. وتكون سببا في تصعيد الشقاق وإذكاء شرارة العداوة.

وعلى كل فإن جلالة الملك الحسن الثاني يؤدى واجب الله والإسلام عليه وهو يقرع ناقوس الخطر في آذان قادة المسلمين ولسان حاله يقول قول الله تعالى : (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) نص شيخ الإسلام ابن تيمية عند ذكر هذه الآية على القول : (أي هذه الفتنة لا تصيب الظالم فقط بل تصيب الظالم والساكت عن نهيه عن الظلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إن الناس رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).

فكيف إذن يمكن أن يتغافل زعيم مسلم وقائد محنك ندب نفسه لخدمة الإسلام في رئاسة لجنة القدس على الحروب الطاحنة التي تذهب بالأرواح والأموال كل صباح تجري رحاها بين إخوان تجمعهم كلمة لا إلاه إلا الله وتضمهم أرض متجاورة وهي تزداد كل يوم حدة وبطشا. وتجر وراءها من الأيتام والأرامل ما لا يحصى عدده ومن وراء كل ذلك معاول الاعداء تخرب وتهدم وتزيد الحرب ضراوة واشتدادا.

وكيف للمجتمع الإسلامي وهو يشاهد ضحايا هذه الحرب ومصائبها أن يبقى مكتوف الأيدى والله تبارك وتعالى يقول : (وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما).

وكيف لهذا الإسلام أن ينهض وحروب أبنائه فيما بينهم تثقل كاهله وتقض مضجعه.

إن الأمة الإسلامية موصوفة في القرآن الكريم بأحسن الصفات وليس ذلك من قبل العبث بل هو تذكير بالمأمورية التي تتلقاها من وحي السماء، والتي لا يزيدها طول الزمان إلا تكاثرا وتزايدا. فأقرأ معي أن شئت قول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله) ففي نبراتها وفقراتها ما يشد الأذن ويحرك المشاعر فهل هذه الآيات مجرد فقرات وردت في القرآن تسلية ومدحا، وحاشاه أن يكون كذلك وهو كلام الله الذي يهدي للتي هي أقوم. ذكر ابن كثير عند شرح هذه الآيات (كنتم خير أمة أخرجت للناس) يعنى خير الناس للناس. والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ولهذا قال (تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله).

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إلا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا بلى. قال : (اصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة).

ويحرص جلالته في كل مناسبة على أن يهتدى القادة المسلمون بهدى القرآن ويرجعوا الى تعاليمه لأنه حبل الله المتين الذي ألح سبحانه وتعالى على الاعتصام به والتمسك بأهدابه كما ثبت ذلك في القرآن الكريم عنــد قوله تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين لكم آيته لعلكم تهتدون) (آل عمران).

وجاء في تفسير هذه الآية المقصود بحبل الله هو عهد الله، وشرحه آخرون أنه القرآن استنادا الى ما رواه الطبري عن أبي سعيد قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الأرض).

وإذا كان الإسلام يحتاج الى الاعتصام بحبل الله سواء كان على معنى أنه عهد الله أو على معنى أنه كتاب الله. فإنه لا يرضى لأمته التفرقة والانشقاق لأنها سبب من أسباب الفشل ووسيلة يجدها العدو ذريعة لتوسيع الشقة وبث العداوة. فقد روى مسلم بن سهل عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أن الله يرضى لكم ثلاثا، ويسخط لكم ثلاثا. يرضى لكم أن تعبدوه، ولاتشركوا به شيئا. وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا. وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم. ويسخط لكم ثلاثا : قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال.

وأهمية الاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة بين المسلمين تتأكد من كون ذلك يعتبر من باب التقوى فيقول تعالى في الآية السابقة لهذه : (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا).

فالترابط والتتابع في الآيات يقتضي الترابط والتناسق في الامتثال والأعمال فالتقوى الحقيقية تكمل بالاعتصام بحبل الله وعدم التفرقة.

وأن رغبة جلالته في جمع شتات الأمة الإسلامية ودفع أذى التفرقة عنها رغبة متأصلة في قلبه ونابعة من إيمانه ومستمدة من عقيدته يعتبرها أمانة في عنقه يتحملها كما يتحمل رسالة الإسلام وهو بذلك يستنير بنور الله الذي يقول وهو صدق القائلين (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). (آل عمران).

وهو بذلك حريص كل الحرص على أن يذوب كل خلاف بين الأمم الإسلامية ويجتمع قادتها على صعيد واحد حسبهم مواجهة أعداء الله واحقاق الحق وإرجاع الظالم عن ظلمه والباغض عن ضلاله حتى يستقيم شأن الإسلام ويعلو ذكره ويتربع على عرش الحياة خليفة في الأرض وتستحق الأمة الإسلامية وعد الله لها (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا) (النور).

وتقديم النصح والنهي عن المنكر أمانة ملقاة على عاتق كل مسلم، روى الإمام أحمد من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر وليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم).

فأي امتثال للإسلام إذا لم يتحرك قادته للدفاع عنه واعلاء كلمته وأي دفاع وأي أعلاء في مجتمعات تسيطر التفرقة على قلوب قادتها وتغشى العداوة أبصارهم وتؤجج نار الحرب بين جنودهم يخربون بيوتهم بأيديهم ويعطون لعدوهم وسائل استغلال ثرواتهم وخيراتهم فلا يزداد إلا تحرشا بهم وبلبلة في صفوفهم همه أضعاف شوكتهم واستنزاف طاقاتهم ليجد لنفسه الاطمئنان وراحة البال وهو يرى أمر الله يتحقق فيهم «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم».

ولم يفت الموجه الرائد والناصح الأمين جلالة الملك الحسن الثاني أن يشير الى بعض أسباب التفرقة بين المسلمين وهي من أصلها أسباب لا تستحق أن تجعل منا

وفي رواية : (لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين)

وجلالة الملك الحسن الثاني أشار إشارة الحكيم المتبصر الى أن التفرقة المذهبية غير مقبولة في تعاليم الاسلام لتكون وسيلة من وسائل العصبة والقبلية إذ الإسلام ينهانا عن ذلك ومصداقا ذلك قوله تعالى : (وإن هذه أمتكم أمة واحدة). وقول الرسول الأكرم عليه أزكى الصلاة وأسمى التسليم يوصي في حجة الوداع ويقول : (الناس سواسية كأسنان المشط لافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) فلا محل للعصبية لأنها كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (دعوها فإنها منتنة) أو كما يقول في رواية أخرى «ليس منا من دعا الى عصبية».

وأشار جلالته الى قوله الله تعالى : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم). فأي تقوى ودماء بعضنا تنزف بطعنات إخواننا. وأي تقوى وبعضنا يهيء ويدرب المرتزقة لشن العدوان على الجوار والأقارب وهو ينسى أو يتناسى قول الشاعر :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة
على المرء من وقع الحسام المهند

وكيف ندعى استعدادنا للنهوض بالرسالة الإسلامية وقد جند بعضنا إذاعته وجرائده للحملة على الآخرين وأي نفع يرجى وقد فرقت الأغراض الشخصية والنزعات السياسية كيان المجتمع الاسلامي ودفعت ببعض قادته الى أحضان الشيوعية بعيدا عن توجيها ت الإسلام وأهدافه بل وحملته مسؤولية تحطيم معالمه بمعاول الجحود والتقدمية ونشر الأفكار الهدامة المخربة البعيدة عن القـــــرآن وسنته إن لم نقل والمعادية لهما.

إن الحديث عن تفرقة شعوبنا أصبح ندوات الأسر والمجموعات أينما حللنا وارتحلنا وأصبح أفراد الأمم الاسلامية ينظرون الى بعضهم نظرات استغراب وحيرة فهم يعلمون أن الاسلام يدعو الى المحبة والتآخى ونبذ الخلافات وهم يعلمون أن الأخوة الإسلامية. فرض عينى ولا يمكن لأحد أن ينكرها ثم أنهم من وراء هذا يجدون الواقع عكس ذلك فلا يستقر لهم قلب ولا يطمئن لهم خاطر ولسان حالهم يقول (ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به).

إن الرسول الكريم عليه أزكى الصلاة وأسمى التسليم بادر بمجرد دخوله الى المدينة المنورة لإنشاء الدولة الإسلامية وارساء قواعدها ـ الى قطع دابر الخلاف الموجود فيها بين الأوس والخزرج وآخا بين المهاجرين والأنصار ليعلمنا أن نجاح الأمم والدول يكمن في الاتفاق والتلاحم والتضامن وابعاد الشقاق وبذلك أعطى للمجتمع الاسلامي المثل العلمي لقيام حياته واستقرار حكمه.

فهل لا نتخذ من سيرة الرسول عليه السلام قبسا يضيء حياتنا ودليلا يوجه أعمالنا فننال سعادة الدنيا والآخرة وتمثل قول الله تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر).

تدبروا أيها المسلمون الكرام والقادة العظام وحملة أمانة الإسلام توجيهات ونصائح جلالة الملك الحسن الثاني واعلموا أنها تنبع من مسلم أنار الله بصيرته وقائد أخلص الوفاء لمسؤوليته الوطنية والإسلامية (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا).

وتدبروا قول الله تعالى :

(يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل).

عبد القادر رفهي العلوي

فن التوقيعات على عهد الأمويين بالأندلس

للأستاذ علي لغزيوي

لم يحظ النثر الأدبي في الأندلس - على غناه وتعدد اتجاهاته الموضوعية والفنية - بدراسات علمية مستقلة توفيه حقه إلا على نطاق ضيق. بينما استأثر الشعر في الأندلس بكثير من الدراسات. وإن كان جلها قد انصب على موضوعات معينة، أو على فترات بعينها أكثر من غيرها. وهذا ما يجعل التراث الأندلسي في حاجة ماسة إلى مزيد من البحث والدرس الجادين.

من هذا المنطلق، كان اتجاهي إلى الدرس الأدبي في الأندلس، متوخيا الجمع بين المطلبين : **الأول** : الخوض في موضوع بكر لم تخض فيه أقلام الدارسين.

والثاني : الالتفات إلى النثر الأدبي لأنه لم يحظ إلا بدراسات قليلة، بعضها لدارسين عرب، وبعضها الآخر لمستشرقين.

وكان نتيجة ذلك أن اتخذت : أدب السياسة والحرب موضوعا للدراسة، بشقيه : الشعر والنثر.

وأقف في هذه الصفحات عند فن من فنون النثر الأندلسي ذات الصبغة السياسية، هو فن التوقيعات واقتصرت في ذلك على عهد الأمويين التزاما بالحدود الزمنية التي حصرت فيها موضوعي المشار إليه، وتمتد من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري. غير أنه تجدر الإشارة إلى أن النصوص لا تسعف دائما على ملء الثغرات. ولذلك سأنطلق في الدراسة مما بين يدي من نصوص في هذا المجال.

تمثل التوقيعات جانبا من جوانب بلاغة الحكام في مجال النثر. وإذا كانت التوقيعات قد عرفت منذ عرفت الدواوين على عهد عمر ابن الخطاب، فقد عرفها الأندلسيون أيضا، ولو في وقت متأخر. وتعود أقدم النماذج التي بين أيدينا إلى فترة الإمارة التي تمثل استقلال البلاد، وإرساء دعائمها وأنظمتها الإدارية.

---

1) هذا البحث من الفصل الثاني من الباب الثاني من رسالة جامعية في موضوع : أدب السياسة والحرب في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى نهاية القرن الرابع الهجري. وقد قدمت لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأدب العربي بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب بفاس، ونوقشت بتاريخ 1981/12/12، من لدن لجنة علمية مكونة من الأساتذة : الدكتور عباس الجراري رئيسا - الدكتور عبد السلام الهراس مشرفا ومقررا - الدكتور ابراهيم السولامي عضوا - الأستاذ محمد الخمار الكنوني عضوا - ونالت ميزة حسن.

والتوقيعات تذييل يكتب أسفل الرسائل الواردة إلى ديوان الدولة، أو على ظهرها، وتعتبر ردا من الحاكم وتعقيبا يمليه على كاتبه، أو يخطه بيده، ومن ثم فهو من إنشاء الحاكم نفسه، ونظرا لضيق وقته وكثرة مشاغله، لم يكن لديه متسع للإفاضة والاسهاب في الجواب، ولا سيما أمام كثرة الرسائل التي تحتاج إلى الرد السريع، مما جعل التوقيعات تتميز في الغالب بالإيجاز الشديد الموفي للمقصود، وهي ظاهرة تجعلها شديدة الشبه بالبرقية من هذه الناحية.

ونظرا لاتصال التوقيعات برجال السياسة، فإنها تفيدنا في معرفة كثير من جوانبها، من خلال ما تبرزه من مواقف الحكام وعقليتهم وبعد نظرهم، إلى جانب ما تقدمه من صور عن قدرتهم البيانية، مما يجعلها شديدة الدلالة على شخصية كاتبها.

وقد اعتمد عليها الحكام الأندلسيون في التعبير عن مواقفهم في كثير من الأشخاص، والقضايا، ومن ذلك :

1 ـ موقفهم من رجال الحاشية والمقربين ورجال الدولة : ومن أمثلة ذلك توقيع أبي المطرف عبد الرحمن بن الحكم (206 ـ 238 هـ) إلى ابنه المنذر ـ وكان بليغا مفوها ـ بعد أن كتب إليه يسأله أن يأذن له في اعتلاء المنبر بالبلد الذي يليه له ليقيم الجمعة، ويخطب ليحيي رسوم سلفهم، فوقع على ظهر كتابه :

«قالت الحكماء : لو كان الكلام من فضة، لكان الصمت من ذهب، وإني لأشفق عليك مما تحسنه، فكيف مما توهم عليك بعض التقصير فيه ؟» (2).

وهو يتضمن أمرين : حكمة في الجزء الأول، ثم توجيها في الجزء الثاني في صيغة تساؤل انكاري.

وحين سأله بعض مواليه توليته عملا لم يكن أهلا له، وقع على كتابه : «من لم يعرف وجه مطلبه كان الحرمان أولى به» (3).

وهو توقيع يتخذ شكل حكمة عميقة الدلالة، تدفع صاحب الرسالة إلى التأمل وإعادة النظر في مطلبه.

وكتب أمية بن زيد (4) عن عبد الرحمن الداخل كتابا إلى أحد عماله يستقصره فيما فرط من عمله، فأكثر وأطال الكتاب، فلما لاحظه الأمير أمر بقطعه، وكتب بخط يده :

«أما بعد، فإن يكن التقصير لك مقدما، فعد الإكتفاء أن يكون لك مؤخرا، وقد علمت بما تقدمت، فاعتمد على أيهما أحببت» (5).

وهذه الرسالة في إيجازها وقوتها وحزم لهجتها تعتبر من قبيل التوقيعات، وهي مزيج من التعنيف على التقصير، والأمر بإظهار الكفاءة في تحمل المسؤولية، وإذا كان العامل المذكور قد قدم التقصير، فعليه أن يمحوه بإبراز الكفاءة، ويترك له حرية الإختيار، وفي ذلك دلالة أبلغ من الكلام الطويل (6).

ولما رفع أحد المشتغلين بتثمير الخراج للأمير عبد الرحمن ابن الحكم أن القنطرة التي بناها جده على نهر قرطبة، لو رسم على الدواب والإحمال التي تعبر عليها رسم لاجتمع من ذلك مال عظيم، فوقع الأمير عبد الرحمن على كتابه مستنكرا مثل هذا الإقتراح، لما فيه من إثقال على الرعية، موجها اهتمامه إلى مجالات الإصلاح الأخرى التي

---

2) المقتبس (د. مكي) 89 ـ المغرب : 46/1.

3) المقتبس (د. مكي) : 89 ـ 90.

4) دخل إلى الأندلس في طالعة بلج، وكتب لعبد الرحمان الداخل، وتوارث أبناؤه الكتابة من بعده، انظر : الحلة السيراء : 373/2 ـ المغرب : 71/1.

5) البيان المغرب : 58/2، ويعتبر د. احسان عباس هذه الرسالة من إنشاء أمية بن زيد نفسه، عصر سيادة قرطبة 327.

6) والكاتب ينظر في ذلك إلى نموذج مشرقي للوليد بن يزيد يعاتب فيه أحد الولاة، ونصه «إني أراك تقدم في الطاعة رجلا وتؤخر أخرى، فاعتمد على أيتهما شئت، والسلام».

انظر الصناعتين للعسكري ص : 197.

تورث الذكر الحسن، مثل بناء المساجد وإصلاحها، وحمله نفقة إصلاح المسجد المجاور له، ونص توقيعه كما يلي :

«نحن أحوج إلى أن نحدث من أفعال البر أمثال هذه القنطرة، لا أن نمحو ما خلده آباؤنا باختراع هذا المكس القبيح، فتكون عائدته قليلة لنا، وتبقى تبعته وذكرة السوء علينا، وهلا كنت نبهتنا إلى إصلاح المسجد المجاور لك الذي قد تداعى جداره واختل سقفه، وفصل المطر مستقبل، لكن يأبى الله أن تكون هذه المكرمة في صحيفتك، وقد جعلنا عقوبتك بأن تصلح المسجد المذكور من مالك على رغم أنفك، فيكون ما تنفق فيه منك، وأجره لنا إن شاء الله» (7).

ومن خلال هذا التوقيع، تبرز قوة شخصية الأمير، وموقفه الحازم، وحرصه على مصلحة الرعية، ورغبته في عمل البر وسعيه إلى الذكر الحسن.

غير أننا نلاحظ أن التوقيعين الاخيرين يطولان عن الحجم المألوف، ولا شك أن الأمير كان يرغب في استغلال ما يرد عليه من مثل هؤلاء لتوجيههم بطريقة أكثر تفصيلا.

وللأمير محمد بدوره توقيعات تظهر فيها مواقفه من رجال الدولة، فقد بعث له أحدهم - وهو وليد بن غانم - (8) رسالة يشكره فيها على فضله عليه، ويستقل ما ولاه من خدمته، ويجدد طاعته، ونسختها بعد التصدير :

«عظمت نعمة الخليفة سيدي أيده الله عن الشكر، وجلت أياديه عن النشر، فمتى رمت ذكر أدنى شكره، وحمد أيسر ما اشتمل علي من فضله، تكاءدني (9) الشكر، وأعجزني الحمد، لكنني غير مؤتل (10) في ذلك عن الإستفراغ في القول، والإجتهاد في العمل، إذ لم أرهما يدوران إلا على نعمة سلفت، ويقتصران إلا على زيادة انتظرت، وأنا بينهما مخيم، وعليهما معول، والله الناقل لعباده بطاعتهم له وشكرهم إياه، من دار الشقاء إلى دار السعادة، ومن نصب العاجل، إلى راحة الآجل، والسلام» (11).

فوقع الأمير في كتابه : «إن الله شاكر يحب الشاكرين، ولا يضيع أجر المحسنين، (12) وقد ناديت فأسمعت، ولكل أجل كتاب (13)، والسلام» (14).

ويقوم هذا التوقيع على التمثيل بالآيات القرآنية، بطريقة تبرز حسن استغلاله واستفادته من ثقافته ومحفوظه.

وحين وصله كتاب القاضي محمد بن زياد (15) يذكر فيه تداعي جانب من المسجد الجامع بقرطبة، ويحثه على إصلاحه، وقع على كتابه :

«إننا لسنا ننفق نفقة أحب إلينا ولا آثر عندنا من الإنفاق فيما ذكرت به وحضضت عليه، ونحن آمرون بالنظر في بنيان المسجد الجامع المكرم، والإجتهاد في رم شعثه والأخذ بالجد في ذلك وتعجيله، مع الإبلاغ في تقويته وتحصينه، ونوكل كفاتنا بعمله والقيام عليه، ونأمرهم ألا يرفعوا أيديهم عنه غبنا أو حضرنا، حتى يبلغ تمامه بحول الله وقوته، ونحن نحملك مع ذلك التفقد لذلك والمعونة عليه وإحسان النظر في معانيه لتشركنا في عظيم ثواب الله والمعونة عليه، فانهض بذلك راشدا إن شاء الله تعالى» (16).

---

7) المغرب : 51/1.

8) من بيت وزارة وحجابة، ولي للأمير محمد : الوزراة والمدينة والقيادة، وكان كاتبا مترسلا، اعجب الأمير برسالة بليغة له فرفعه إلى الوزارة، انظر عنه : المقتبس (د. مكي) 174 وما بعدها، وتعليق المحقق رقم : 343، الحلة : 374/2.

9) تكاءده الأمر : شق عليه وصعب.

10) المؤتل : من أتل : مشى متثاقلا.

11) المقتبس (د. مكي) : 177.

12) سورة هود /115.

13) سورة الرعد /38.

14) المقتبس (د. مكي) : 177.

15) انظر عنه : المقتبس (د. مكي) : 71 وتعليق المحقق رقم 179، وانظر ما بقي من نص كتابه المذكور في المصدر نفسه : 223 - 225.

16) المصدر نفسه : ص : 225.

ويعبر الأمير في هذا التوقيع عن ارتياحه لما حثه عليه قاضيه، ويسارع إلى الإستجابة له، ويعلن الإجراءات التي اتخذها في هذا السبيل، ويدعو القاضي نفسه إلى مديد العون، وإذا كان هذا التوقيع يطول بدوره، فإنه بذلك يؤكد ما أشرنا إليه من قبل من جنوح الموقعين إلى الإطالة أحيانا رغبة في التفصيل والتوضيح أكثر، وبصفة خاصة في مثل هذه المواقف التي تتعلق بالقضايا المتصلة بالرعية والمصلحة العامة، والرغبة في الثواب ونيل الأجر من الله، ولعل خاتمة التوقيع شاهدة على ذلك، بل إن الأمير يرغب في أن يشرك قاضيه الذي كان له فضل التنبيه إلى هذه المأثرة، في الثواب الذي ينتظره.

وإلى جانب التوقيعات النثرية، هناك توقيعات شعرية، ومنها مما يتصل بمواقف الحكام من رجال الدولة، ما وقع به الأمير عبد الله إلى الوزراء في قصة موسى بن حدير (17)، وعيسى بن أحمد بن أبي عبدة (18)، حين أراد كل منهما أن يكون مجلسه فوق الآخر، خلافا لما كان والده الأمير محمد قد رتبه من رفع الموالي الشاميين على البلديين، وقد وقع على الكتاب الذي رفع إليه بهذا الشأن :

موالي قريش من قريش فقدموا
موالي قريش لا موالي معتب
إذا كان مولانا «يساويه (19)»عندنا
سواه فمولانا كآخر أجنبي (20)

وهو يؤثر أن يظل الأمر كما رسمه أبوه، وأن يظل بنو حدير ـ وهم معدودون من الشاميين ـ مقدمين على بني أبي عبدة المعدودين من موالي الأمويين البلديين.

ومن قبيل مواقف الحكام من الحاشية، من خلال التوقيعات، موقفهم من بعض الوشاة، ومن نماذج ذلك أنه حين أنعم الأمير عبد الرحمن بن الحكم على زرياب بثلاثة آلاف دينار بعد أن أطربه، فنثرها هذا على جواريه وولده، كتب أحد السعاة إليه يخبره أن المغني لم يعظم في عينيه ذلك المال، وأنه أعطاه في ساعة واحدة، فوقع الأمير على كتابه : «نبهت على شيء كنا نحتاج التنبيه عليه، وإنما رزقه نطق على لسانك، وقد رأينا أنه لم يفعل ذلك إلا ليحببنا لأهل داره، ويغمرهم بنعمتنا، وقد شكرناه، وأمرنا له بمثل المال المتقدم، ليمسكه لنفسه، فإن كان عندك في حقه مضرة أخرى، فارفعها إلينا» (21).

2 ـ مواقفهم من الثوار :

وقد عبر الحكام الأندلسيون في توقيعاتهم، أحيانا، عن مواقفهم من بعض الثوار، فيما دار بين الطرفين من مراسلات، وما ورد في شأنهم من رسائل بعض العمال والقادة، ومن ذلك ما أملاه عبد الرحمن الداخل على بعض كتابه إلى سليمان بن الأعرابي وكان خارجا عليه.

«أما بعد ، فدعني من معاريض المعاذير، والتعسف عن جادة الطريق، لتمدن يدا إلى الطاعة، والإعتصام بحبل الجماعة، أو لالقين بنابها على رضف المعصية نكالا بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد» (22).

ويتميز هذا التوقيع بلهجته الحازمة، وتهديده الواضح الذي يضع الثائر أمام اختيارين لا ثالث لهما : إما إعلان الطاعة، وإما الإستعداد للحرب.

---

17) ينتمي إلى بيت بني حدير، أحد بيوتات موالي الأمويين الشاميين، ارتفع شأنه فولي الحجابة في عهد الناصر، انظر عنه : المقتبس (د. مكي) تعليق المحقق رقم : 371، والحلة : 120/1 ـ 121 وهامش : 3 في الصفحة نفسها، وص : 232 وما بعدها من المصدر نفسه.

18) ينتمي لبيت بني أبي عبدة، أحد بيوتات موالي الأمويين البلديين، ارتفع شأنه أيضا فولي الشرطة العليا لعبد الرحمن الناصر، ثم الوزارة والقيادة، وكورة اشبيلية، انظر عنه المقتبس (د. مكي) تعليق المحقق رقم : 372.

19) في الحلة : يساوم : 121/1.

20) المقتبس (د. مكي) : 196 ـ 197، والحلة : 120/1 ـ 121.

21) المغرب : 51/1.

22) البيان المغرب : 58/2، وآخر هذا التوقيع مستمد من سورة آل عمران /182.

وكتب محمد بن عبد الرحمن المعروف بالشيخ الذي كان ممتنعا بحصن (لقنت) (23) إلى عبد الرحمن الثالث كتابا فيه ما أوجب أن أجابه عبد الرحمن بالتوقيع التالي :

«ولما رأيناك قد تذرعت بإظهار اتقاء الله، رأينا أن نعرض أولا ما لا بد لك منه آخرا، وليس من أطاع بالمقال، كمن أطاع بعد الفعال» (24).

فبادر الثائر إلى قرطبة مستسلما، مما يبرز بلاغة التوقيع وعميق تأثيره في نفس الثائر.

وتتميز هذه النماذج من التوقيعات بأنها تعبر عن مواقف سياسية تعكس شخصية الموقعين القوية وعقليتهم، وقدرتهم البيانية في الوقت نفسه.

ومع أن التوقيع يتميز عادة بالإيجاز الشديد غير المخل، فإننا وجدنا بعض التوقيعات تطول فتزيد عن الحد المألوف، حين يستدعي الأمر مثل ذلك في رأي الموقع، وكما اتخذوا النثر قالبا لتوقيعاتهم، وهو المألوف، فقد عمد بعضهم إلى التوقيع شعرا، زيادة في إبراز القدرة البيانية.

23) لقنت : حصن يقع على بحر الروم، بينه وبين (دانية) إلى شمالها سبعون ميلا.

24) المغرب : 179/1.

أما المادة التي استقوا منها توقيعاتهم فهي : القرآن الكريم، والحكم والامثال في معظم الأحيان، وقد برهن الموقعون في توقيعاتهم على براعتهم ومهارتهم، وحذقهم في تصريف الألفاظ وصياغة المعاني (25)، في هذا المجال الذي يحتاج إلى ذوق فني رفيع، وحضور بديهة، وبعد نظر، وقوة تركيز. ومن ناحية أخرى، فإن هذه التوقيعات فضلا عن قيمتها الوثائقية، ودلالتها القوية على شخصية أصحابها، وعقليتهم من خلال مواقفهم وأساليبهم، تقدم لنا صورة عن ذوق المسلمين الأدبي الرفيع، وثقافتهم التي وصلت إلى درجة من الارتقاء والنضج، جعلتهم يفهمون المقصود من تلك التوقيعات في يسر وسرعة برغم صياغتها الموجزة الموحية (26)، سواء أكانت من إنشاء الموقع أم استمدها من القرآن أو الشعر أو الحكم والامثال السائرة.

غير أن تلك الخصائص ليست مقصورة على توقيعات الأندلسيين وحدهم، بل تكاد تمثل سمات عامة لفن التوقيعات بصفة عامة سواء في المشرق أم في المغرب والأندلس.

25) انظر مقالة : صور من الحياة الإسلامية في فن التوقيعات لمحمد رياض العشيري، مجلة الفيصل ع 33 فبراير 1980 ص : 137.

26) نفسه.

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- البيان المغرب، لابن عذاري المراكشي - تحقيق كولان وليفي بروفنسال دار الثقافة - بيروت.
- تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) للدكتور إحسان عباس دار الثقافة - بيروت - ط 1969/2.
- الحلة السيراء لابن الأبار تحقيق د. حسين مؤنس - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - الطبعة 1963/1.
- صفة جزيرة الأندلس (قطعة منتخبة من الروض المعطار) للحميري، تحقيق ليفي بروفنسال - لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - 1937.
- القاموس المحيط للفيروز أبادي.
- الفيصل (مجلة) المملكة العربية السعودية - العدد 33 السنة 1980.
- كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر - 1971.
- لسان العرب لابن منظور.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر - بيروت.
- المغرب في حلى المغرب لابن سعيد تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف - مصر ط 1964/2.
- المقتبس لابن حيان القرطبي، قطعة بتحقيق د. محمود علي مكي - دار الكتاب العربي - بيروت - 1393 هـ/1973م

الخدمة الإجتماعية في مجتمع متبدّل

للأستاذ محمد الحلو

قبل طرق موضوع الخدمة الإجتماعية في مجتمع متبدل، تجدر الإشارة إلى أن التبدل الذي قد يقع في مجتمع ما، لا يعني بالضرورة تغيرا إلى الأحسن. إذ قد يكون ذلك التبدل الذي غالبا ما ينتج عن هزات في المجتمع، تغيرا نحو الأردأ. وأخشى أن يكون ما أصاب المجتمعات الإسلامية، منذ اتصالها المباشر بحضارة الغرب في مطلع القرن العشرين، هو من النوع الأخير.

وأظن أن النموذج المغربي فيما حصل لمجتمعنا من تبدلات ينطبق على معظم المجتمعات الإسلامية، ان لم ينطبق عليها جميعها.

لقد بلغت أنماط الخدمة الإجتماعية في المغرب درجة من التبلور وصلتها بعد قرون من التجربة والخطإ، وبعد تراكمات في العادات والتقاليد التي تستمد أصولها من الدين الإسلامي، عقيدة وممارسة.

وأكاد أقول إن أرقى المجتمعات المعاصرة، الرأسمالية منها والإشتراكية، الأوروبية والأمريكية، لم ترق بعد إلى المستوى الذي كانت عليه الخدمة الإجتماعية في بلادنا حتى مطلع هذا القرن.

وبالمثال يتضح المقال.

ففي مدن كتطوان وفاس والرباط، وفي مجتمعات ريفية كمنطقة سوس، وصل إحكام التنظيم المجتمعي، وضمنه الخدمة الإجتماعية، إلى درجة العناية بالحيوانات، عناية لا تلقاها اليوم في أوروبا.

فلازالت إلى اليوم، أوقاف حبسها أهل الفضل على الحيوانات العاجزة والمريضة، من ذلك دار للحمير العجزة بتطوان، وأوقاف لطير اللقلاق الوافد في الفصل الحار على بلادنا من أقطار افريقيا فيما وراء الصحراء، تخصص لتغذيتها ولمداواتها.

هذا بعد أن كان المجتمع قد وفر كل الخدمات التعليمية والصحية للسكان، بغض النظر عن معتقداتهم، وعن أصلهم، إذ كان يكفي أن يكون الإنسان محتاجا ليستفيد من خدمات المؤسسات الإجتماعية، من مارستانات للمرضى، ودار التقى للمطلقات والارامل، وطعام وكساء لطلاب العلم، وقروض للمحتاجين.

وأطرف ما بلغته الخدمة الإجتماعية في المغرب، ما يحكى عن وجود هيئة «للتسديد الإجتماعي» بفاس، كانت تجتمع بعد صلاة العصر في مسجد النبارين، هدفها أن تحقق زيجات بين أفراد قد لا ينجحوا في حياتهم الزوجية، لو أنه عقد لهم على أشخاص أسوياء. فكان يبحث للرجل الشرس الطباع السليط اللسان عن زوجة حباها الله البكم والصم، وللأعمى عن امرأة لم ينلها نصيب من الجمال.

وللفقير المعدم عن الأرملة الغنية. وما إلى ذلك من تسديد — بين العناصر السلبية التي كانت تتحول إلى الإيجاب بمجرد لقاء بعضها مع البعض. تماما كما يقع في عمليات الجبر عند الحيـوبيين.

ومن الخدمات الإجتماعية الطريفة أيضا. تلك الأوقاف التي كانت ترصد لتعويض ما يكسره المتعلم من أدوات أو أواني يستعملها المعلم. اتقاء لغضب هذا الأخير وعقابه. وتسهيلا على المتعلم في التمرس على الصنعة وتحبيبا له للحرفة.

وقد يسر هذا الإحكام في الخدمة الإجتماعية ما كانت عليه مدننا الأصيلة من تنظيم في العمران. أسواقا ومسكنا. وما كان يضبط تسييرها من مؤسسات إدارية وقضائية واقتصادية واجتماعية كان يحرص المضطلعون بمسؤوليتها أشد الحرص على أن تقوم بدورها كاملا بدون تفريط في الحقوق. أو افراط أو شطط في استعمال السلطة.

فلا غرابة إذن. إذا لم تكن نسب الطلاق مرتفعة على نحو ما يعرفه مجتمعنا الآن ولا عجب إذا لم يكن المجتمع يعرف الإنحرافات التي تعج السجون اليوم بمقترفيها.

فمجتمعنا المغربي كان شبه خال مما نسميه اليوم بالطفولة الجانحة. وكذلك كانت خالية محاكم القواد والقضاة. وبالتالي السجون.

ومرد هذا الفضل الذي كان يطبع مجتمعنا إلى ثلاثة أسباب :

أولهما عمراني. باعتبار أن التجمع السكاني كان صغيرا يسهل تنظيمه والتحكم في مساره. وإن كانت هناك استثناءات كمدينة فاس مثلا التي لم يحل كبرها دون أن يكون مجتمعها منظما أحسن التنظيم.

وثاني الأسباب خلقي. إذ أن التمسك التلقائي للمجتمع بقيم تستمد أصولها من الدين والعادات والتقاليد. أو جبر بعض الفئات عند الإقتضاء. على احترام تلك القيم تحت تأثير الضغط المجتمعي أو بقوة السلطة إن اقتضى الحال. جعل المجتمعات متماسكة متكافلة في النهوض بالاعباء الإجتماعية.

أما السبب الثالث. فهو العزلة النسبية للمجتمع المغربي. واكتسابه مناعة ضد التغيير. أو استعارة أنماط اجتماعية دخيلة عليه.

وأهم شيء كان يميز الخدمة الإجتماعية. أنها كانت. كما هي حالتها اليوم في الدول الراقية. من عمل الخواص الذين كانوا يفردون لها المال والوقت. فالمال كان يرصد على سبيل الوقف. والوقت كان يرصد على سبيل التطوع.

واستمر التنظيم المجتمعي على هذا المنوال. حتى كانت الهزة الأولى التي تلقاها مجتمعنا في مطلع القرن العشرين.

فنظام الحمايات الذي سمح به لمواطنين مغاربة كان أول ضربة وجهت إلى المجتمع المغربي. إذ أنه حلل بعض رعايا السلطان من التزامات تكافلية . وشجع البعض الآخر على التهاون في النهوض بقسطه من الاعباء الإجتماعية. وكانت ثاني هزة أصابت الهيكل المجتمعي. فرض الحماية السياسية على المغرب. الأمر الذي ترتب عنه مس بالمؤسسات الوطنية. وتدخل في اختصاصاتها. مما جعل تلك المؤسسات تندثر رويدا رويدا. ليبقى المستفيدون منها فريسة للضياع. ذلك أن المؤسسات البديلة. كالجمعيات الخيرية ودور العجزة التي انشأت على النمط الأجنبي. لم تسد الفراغ الذي أحدث بغياب الهياكل المعفاة من مهامها.

وقد نشأ عن تماس حضارتنا بالحضارة الأجنبية وضعية هجينة. فلا نحن سمح لنا بالإحتفاظ بالهياكل التي برهنت خلال قرون عن فعاليتها في مواجهة المشاكل الاجتماعية. ولا نحن استعرنا كليا النمط الأجنبـي في التنظيم المجتمعي. ونفذناه بحذافيره بكل ما يتطلبه ذلك من إمكانات بشرية ومادية لا قبل لنا بها.

ونتج عن الوضعية الهجينة هذه. ما تلاحظه اليوم من خلل في المجتمع

فكيف السبيل إلى الخروج من هذا المأزق، وأي تصور يمكن أن نعطيه لتنظيم مجتمعي يمكن أن يوفر للأجيال الحالية والآتية، الراحة النفسية والمادية التي كانت متوفرة لما سبقنا من الأجيال.

إن أي تصور لتنظيم جديد للمجتمع، لابد أن يكون بالضرورة شموليا، أي أننا لا يمكن أن نتصور كيفية تقديم الخدمة الإجتماعية، دون أن نتصور أنماط الخدمات الأخرى التي تقدم للمواطنين، من عدالة وتعليم الخ...

ويصعب أن نتصور عودة إلى النمط الأصيل، ذلك أن هذا النمط كان يصلح لمجتمع مغلق معنويا وماديا، معنويا برفض كل بدعة دخيلة، وماديا بوجود تنظيم عمراني منغلق يتجلى في وجود مدن مسورة تعيش داخلها التجمعات السكنية، وأحياء توصد أبوابها في المساء أو عند الشعور بالخطر، كما تعيش في تكافل اجتماعي تام، بحيث أن الحي يتولى رعاية المحتاجين من بين سكانه، كما تتولى المدينة القيام بالخدمات الإجتماعية الكبرى التي تتجاوز إمكانات الحي، كتسيير المارستانات أو دار التقى الخ...

انه في مجتمع أصبح منفتحا ومتفتحا، لابد من أن تتولى الخدمة الإجتماعية فيه مؤسسات تتولاها الدولة، فهي وحدها قادرة على تحمل المصاريف التي يتطلبها إنشاء وتسيير مثل هذه المؤسسات.

إلا أن العنصر السلبي في هذا التنظيم الجديد، هو أنه يجتث المحتاج من وسطه، أي من بين أفراد عائلته، ليلقي به في متاهات المؤسسة الكبرى، كالمستشفى أو الملجإ، بعيدا عن الحنو والدفء الاسروي.

كما أنه يحلل الفرد من تبعاته الإجتماعية ومن الضغط المجتمعي، ومن ثم، يكثر الطلاق والجنوح، وما إلى ذلك من الممارسات اللا أخلاقية. والشواهد كثيرة على ما نقول، ذلك أن المؤسسات الإجتماعية في أوروبا، كملاجيء العجزة، أو المتخلفين عقليا، تشاهد من حين لآخر تجاوزات لا يمكن أن تقع داخل مجتمع صغير.

إن التصور المثالي يكمن في أن يعهد إلى الجمعيات الإجتماعية المحلية وإلى الأسر، بتوفير الخدمة الإجتماعية لمن يحتاجها، على أن تتكفل الدولة والموسرون من الخواص بالانفاق، إلا أن هذا يتطلب توفر إمكانات مادية لا تتوفر لكثير من البلاد الإسلامية، كما يتطلب وجود الوازع الخلقي الذي أخذ، مع الأسف، يختفي في خضم التجمعات السكنية الكبيرة التي تضم خليطا من الناس، يتواردون من كل فج.

وسيمضي وقت طويل، قبل أن تعطي التجربة في بعض البلدان الإسلامية، التي تحاول الرجوع إلى النمط الأصيل في المجتمع، ثمارها، وأنذاك سيمكن مقارنة هذه التجربة بتجارب في اتجاهات أخرى، ليتبلور أخيرا نمط في المجتمع يلبي حاجة الناس إلى الحياة الأفضل، وإلى الخدمة الإجتماعية الامثل، وإلى أن يتحقق ذلك، يجب أن ننتظر حتى يذهب الزبد جفاءا، ويبقى ما ينفع الناس.

الرباط محمد الحلـو



مَعَ مُسْلِمِي غرناطة

للأستاذ أحمد مصطفى عاشور

سبق للأستاذ محمد قشتيليو أن كتب مقالا، منذ أزيد من سنة، على أعمدة جريدة (العلم) الغراء، بعنوان (ارتسامات حول صلاة عيد الأضحى. بقرطبة. من ثلاثة مسلمين الى مائة مسلم، خلال عامين)، وقد حضر فعلا هذه الصلاة، واتصل بإخواننا الإسبانيين الذين هداهم الله الى الاسلام، فلمس فيهم حماسا كبيرا للتبشير به، والدعوة الى الله بين مواطنيهم، وقد طبعت جمعيتهم الاسلامية (العودة الاسلام الى اسبانيا) شريطا مصورا عن هذا المهرجان العظيم، ومما يستحق الذكر، أن يكون الأستاذ قشتيليو نشر مؤلفا تاريخيا من انتاجه، عن (محنة الموريسكوس باسبانيا) كما أسماه، وهو أول كتاب يصدر بالعربية في المغرب، عن تاريخ أعقاب مسلمي اسبانيا، أولئك المساكين الذين حكمت عليهم الظروف القاسية أن يعيشوا مضطهدين، في عهد حكم نصراني ظالم جائر فآثروا ـ رحمهم الله ـ طريق النضال والجهاد على الاستسلام والخنوع، متحملين كامل مسؤلياتهم أمام الله والتاريخ، محاولين فوق طاقاتهم، استرجاع مجد أجدادهم الكرام، وعزتهم القعساء، وتلك شنشنة سجلها لهم المؤرخون الأجانب النزهاء، في شيء من الاكبار والاجلال. ومن غريب الصدف، أن يكون أستاذ آخر، وهو الدكتور أسعد، السوري الجنسية نشر بدوره دراسة قيمة في نفس السنة، عن تاريخ الأندلس، وضمنها صفحات تتعلق بجهاد الموريسكيين داخل اسبانيا النصرانية، تحت عنوان : «محنة العرب في الأندلس». ويعد الكتابان معا، مرجعين هامين باللغة العربية، وذلك بالنسبة للأحقاب التي تلت انهيار الوجود العربي بالفردوس المفقود، أو الفردوس الموعود كما يسميه الدكتور حسين مؤنس إلا أن الكتاب الثاني كان أضخم شكلا، وأغزر مادة، بينما سد الأول فراغا كبيرا، كانت الخزانة العربية الأندلسية في مسيس الحاجة اليه. هذا وعلى غير ميعاد، أتيح لنا نحن ثلة من الأصدقاء، أن نتصل بالأستاذ قشتيليو في الرباط، ونتجاذب معه أطراف الحديث حول مؤلفه التاريخي، وحول حركة الاسبانيين المسلمين المباركة بغرناطة، وفي الأخير زودنا بمعلومات عنهم، وودعناه شاكرين له حسن صنيعه، وراجين منه أن يسترسل في بحوثه التاريخية، وفاء لأرواح شهداء الأندلس، وضحايا محاكم التحقيق الكاثوليكية.

وخلال عطلة ربيع السنة المنصرمة، شاء الله لنا أن نشارك الاسبانيين المسلمين صلاة المغرب بمركزهم الاسلامي، بحي ضار أبيا بغرناطة، وقد كانوا زهاء خمسة عشر مصليا، وبعد الانتهاء من الصلاة، قرأنا معهم سورة يس، ثم وردهم الصوفي من تنسيق الشيخ المغربي المرحوم بلحبيب، وقد كان هذا الورد عبارة عن آيات قرآنية كريمة،

واذكار نبوية شريفة لاغير. وبعدما دعا الاخوان الاسبانيون المسلمون لجميع اخوانهم المومنين. سقاهم أحد المصلين ماء زمزم، وكان قد عاد من عمرته. كما وزع أيضا عليهم شيئا من تمور الحجاج وبعض البلدان العربية. ثم انهم لما تعرفوا على جنسيتنا أطلقوا لسانهم بالثناء على المساعدة التي يلقونها من المغاربة الميامين. حينذاك كان من اللباقة أن نجيب عن الكلمة الطيبة بأحسن منها، فحياهم عضو منا في عبارات فرنسية واسبانية، وشبه مركزهم الاسلامي بدار الأرقم، التي لعبت دورا أساسيا في تاريخ المسلمين الأولين، وتمنى لهم مزيدا من التوفيق والنجاح. وعند حلول وقت صلاة العشاء، أذن لها شاب أمريكي مسلم، بداخل المركز. ولما فرغنا من الصلاة، أقبلنا على توديعهم، فلم يتركونا نغادرهم إلا بعد أن تناولنا معهم وعلى حسابهم طعام العشاء، بشقة قريبة من الفندق العربي المشهور بمخزن الفحم، ذلك النزل القديم الذي لازال بناؤه صامدا كغيره من الآثار العربية الباقية. أما عن وجبة الطعام، فقد كانت على الطريقة المغربية كالتي تكون عـادة فـي زوايانـا بالمغرب، بمناسبة الأعياد الدينية، بدون مائدة، في صحنين اثنين، ملىء الأول بالطماطم المحلية الطرية، ممزوجة بالسمك الأندلسي، والثاني بفواكه غرناطية مختلفة. ثم بعد ذلك، رفع الاخوان أكفهم الى الله يتلون جهارا سورة الفاتحة، وقد اتخذوا قراءتها سنة يتبركون بها إثر انتهائهم من كل طعام في تجمعاتهم. كما نفعل نحن المغاربة أيضا في ولائمنا الدينية بمنازلنا. وعند ما أديرت كؤوس الشاي والقهوة، وزعوا على الحاضرين مرطبات، قال لنا زميل لهم إنها مصنوعة خصيصا للمسلمين، وحذرنا من تناول بعض الحلويات المعروضة، لأنها تهيأ بشحوم الخنازير وبمواد أخرى، لا تبيح أكلها الشريعة الإسلامية.

وعلى هامش العصور الذهبية للثقافة العربية الإسلامية بالأندلس، أخذت المناقشة حصة الأسد عن ابن خلدون وابن حيان القرطبي. أما عن التبشير بالإسلام بين الإسبانيين، فقد اقترحنا عليهم تنظيم ندوات ومحاضرات للجمهور، فأجابنا منهم شاب يتقن التحدث بالفرنسية، بأنهم يستدعون من يهمهم الأمر الى تناول الشاي أو القهوة، ويبدأ الحديث يدور تلقائيا حول الإسلام وأركانه وأهدافه، وما يدعو إليه من توحيد بالخالق وتسامح في المعاملات، وتفاهم بين الملل والشعوب. وأبلغنا السيد عبد الرحمن وقد أطلق، على نفسه . هذا الاسم ـ أن الناس في إسبانيا يندهشون لوجود إسبانيين مسلمين، من بين صفوفهم، داخل المدن، وقد كانوا يعتقدونهم من سكان بلدان المورو، والجمعية الإسلامية لعودة الإسلام الى إسبانيا تشق اليوم طريقها في إيمان، وتمارس أعمالها طبقا للقوانين، ولا يهمها إلا نشر التوحيد بالله، والرجوع بالبلاد الى غابر مجدها، والأسرة الأوروبية ـ تابع نفس الرجل حديثه بحماس ـ يكاد كيانها ينهار من جراء الاستهتار والانحلال الخلقي والإلحاد، وإن الإسلام هو الدين الوحيد الذي في إمكانه أن يصلح الشيء الكثير من أحوالها ويعالج مشاكلها العويصة المزمنة، ويصحح أوضاعها الفاسدة، بل ويسعدها في الحياة... وكنا نود ـ نحن الزوار ـ أن نبدي رأينا في التبشير بالإسلام الذي يجب أن يعتمد على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى القدرة الحسنة المشروطة في الهداة والمرشدين، ونبذ جميع الطرق الدخيلة التي لا رابطة لها بديننا الحنيف، ولكن فوات الأوان وضيق الوقت لم يسمحا لنا بذكر كل شيء، فرأينا أن نؤخر الرد الى فرصة مواتية، منطلقين من محبتنا الصادقة لديننا الحنيف، آملين أن نلتقي بإخواننا في صلواتهم مرة أخرى ـ إن شاء الله ـ بغرناطة الفيحاء.

الرباط : **أحمد مصطفى عاشور**



للشاعر الأستاذ قدور الورطاسي

الشعر في ساحة الملوك مفخرة   للفكر فانثر بها روائع الدرر
لا تلجأن إلى الخيال تأله   زيفا من المدح، في واه من الفكر
إن الفضائل في خير الملوك غدت   في الشرق والغرب إشعاعا بلا ستر

× ×   × ×

نور النبوة باد في جلالته   يعفو، ويقظ، والالا، كالغرر
صيغت فضائله من نورها فغدت   أعجوبة العصر في مضارب الجسر
في كل صوب له إشعاع بادرة   من نورها تتهادى راية الظفر

× ×   × ×

أنظر إليه، فكم هزت صوارمه   دنيا الغرور، وقد أشفت على الخطر
ما ثار الاغدت أفكاره لهبا   يضوى الوجوه، ولا يبقى على الأثر
السلم شيمته، والعدل رائده   والفكر قائده، في كل مبتكر

× ×   × ×

يبنى كما قد بنت أسلافه مثلا   تدنى الأماني والآمال عن بصر
يعطى الحضارة إشراقا، يتوجها   عز العروبة والإسلام للخفر

× ×   × ×

هذي المعالي، وهذه مشارقها   في ساحة «الحسن» المحبوب كالزهر
تسمو فتعبق بالوفاء صادقة   من ذا يغالبها من سادة البشر ؟
أين الثرى من ثريا النبل منبلجا   كالصبح في الأفق يبدو مزهو الطرر

× ×   × ×

عيد الشباب، هياما من مفاخــــره … ما الفخر إلا الذى في دوحه العطر

واهنأ بملك غدا في الكون معجزة … جبارة، باركتها عزة القـــــدر

ما شاء، شاءت له الأقدار راضيــة … فالعزم من نورها موفق الصـــدر

× × × ×

بالله يا غرة الملوك معــــذرة … إما تقاصر هذا المدح عن نظـــرى

أرنو إلى قمة الأمجاد مغريـــــة … لكن شعري ـ دون الغاي ـ في قصر

لو كنت أملك من سحر البيان مدى … رصعتها عبرة لسائر العصـــــر

تخبو النجوم، ولا تخبو لوامعهـــا … كالروح تخلد في غلائل الصــور

× × × ×

حييت من ملك تسمو شمائلـــه … مر الليالي، برغم نزوة الغيـــر

وليحيى «سرك» في رمز الشباب، ومن … يسمو بحضنك، في أطايب السيـر

وليحيى شعبك موفور الكرامة مـا … دام الولاء لعرش خالد الأثــــر

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

إن من تيسير الله لنا في معالجة شؤون الدنيا وشؤون الدين، أن جعل الشريعة الإسلامية التي أكرمنا بها شريعة فطرية في مبادئها، منطقية في أحكامها، قادرة على استيعاب مراحل التطور بأجمعها، مستجيبة لحاجيات المجتمعات على اختلاف مستوياتها وأنواعها، صالحة للتطبيق في كل عصر وجيل، دون حاجة إلى إدخال أي تغيير على مبادئها أو تبديل.

اتجاهات المسرح المغربي

في مجلة «دعوة الحق» خلال 25 سنة

للأستاذ مصطفى عبد السلام المهماه

ان الحديث عن المسرح المغربي في مجلة «دعوة الحق» خلال مسيرتها 25 سنة، يعتبر من المواضيع المسلم في العثور على عدد لا بأس به في أعداد المجلة، إذا عرفنا أن المغرب عرف حركة مسرحية قد حدد أغلب المتحدثين عن المسرح المغربي بدايتها بقدوم فرقة فاطمة رشدي، ولكن رغم النشاط المسجل في تاريخ الحركة المسرحية المغربية نجد قليلا من المراجع في هذا الموضوع. ومن هنا لانتعجب إذا عثرنا على بحوث أو مقالات قليلة بين أعداد المجلة خلال 25 سنة، لكن هذا لايعني أن المطروق من المواضيع ليس له قيمة أو مكرورة، بل العكس، فإن المطروق منها والمنشور فيها يبرز اتجاهات مسرحية، عرفها المغرب. وإن كانت هذه الاتجاهات حتى الآن لم تأخذ طريق الدراسة التعمقية لابرازها وخلق منها مدارس مسرحية، باستثناء بعض الدراسات التاريخية الأكاديمية نذكر منها دراسة حسن المنيعي، دراسة حسن الطريبق، دراسة مصطفى عبد السلام المهماه، دراسة مصطفى فاضل، عبد الرحمان ابن زيدان.

نعود فنقول بأن مانشر بالمجلة هو نواة لدراسة موضوع أو بحث نسميه (الاتجاهات المسرحية) في مجلة «دعوة الحق».

إذن، يمكن القول أن المواضيع المطروقة في «دعوة الحق» اتخذت الاتجاهات التالية من حيث الدراسة للمسرح عامة.

1 ـ اتجاه في دراسة سكشبير ومسرحه بصفة شاملة، ونجد هذا الاتجاه تناوله كل من الأستاذ ابن تاويت في العدد الثامن من السنة التاسعة، صفحة (49) وعند عبد اللطيف الخطيب في العدد السابع، السنة السابعة الصفحة (22) سنة، وعند سلامة بولس في العدد الرابع السنة الثالثة صفحة (65)، وعند حسن المنيعي في عرضه لكتاب فرانسو كارير، العدد الأول، السنة العاشرة الصفحة (40).

2 ـ اتجاه المسرح الكلاسيكي، وهذا لايبتعد عن السابق حيث نجده عند عباس الجراري في دراسة نشرها عن المسرح الكلاسكي في العدد السادس السنة السابعة صفحة 52.

3 ـ اتجاه المسرح اللامعقول، مثل دراسة المسرح اللامعقول ونقاد القاهرة، للدكتور عباس الجراري في العدد السابع السنة السابعة صفحة (28) . ودراسة عن المسرح اللامعقول بين العبثية والنقد للدكتور مبارك ربيع، في العدد السادس والسابع، أو السنة العاشرة صفحة (140).

ان الدراسات السابقة كانت كلها متجهة إلى دراسة أعمال العظماء، والمسرح الأجنبي، سواء في موطنه الأصلي أوروبا وأمريكا، أو خارجه في بلاد عربية. ومن هنا نلاحظ أنه بدلا من الاتجاه إلى تاريخ وتقييم حركتنا المسرحية الفنية التي ابتدأت قبل الاستقلال، والتي لا ينكر دورها في محاربة الاستعمار بتوعية المجتمع، وبعد الاستقلال حيث اتخذت طريقا جديا بظهور أطر مسرحية تلقت دراسة أكاديمية في المسرح وتداريب في الخارج والداخل. ومن هنا يتبين التأخر الذي أصاب الاهتمام بدراسة وتأريخ المسرح المغربي. ولم تظهر محاولة جمع شتات تاريخ المسرح المغربي إلا بعد سنوات ونطرح هذا السؤال.

هل أن تأخير ودراسة المسرح المغربي منع ظهور اتجاه أو اتجاهات في المسرح المغربي ؟

ان جوابنا سيكون من مانشرته مجلة «دعوة الحق» من مسرحيات، ودراسات، ومنها سنحدد الاتجاهات الخاصة بالمسرح المغربي المنشورة في المجلة.

1 ـ اتجاه المسرح الهزلي أو الضاحك، وهذا النوع كان سائدا في المغرب وما زال، حيث اتخذ في السابق فصل هزلي عند كل عرض مسرحي. يكون عبارة عن فرجة للترفيه عن المتفرجين. وقد تكون مواضيعه نقدية ساخرة أو وعظية. ويتبين من الجرد الذي أجريناه على مجلة «دعوة الحق» خلال 25 سنة، أما أول مسرحية هزلية في فصل واحد والتي جعلناها هي أول اتجاه مسرحي نشرته «دعوة الحق» في مسرحية (أحلام) من تأليف الأستاذ عبد القادر المقدم، نشرت في العدد الخامس، السنة الرابعة صفحة (92).

هذه المسرحية مكتوبة بلغة عربية فصحى، وموضوعها :

الزوجة المؤمنة بالتغير في الحياة والتطلع نحو حياة أفضل، والزوج القنوع بوضعه ولا يريد تغييره، إلا بالحلم بدلا من العمل وبذل الجهد للوصول إلى وضعية أفضل.

وقد سار الكاتب في كتابتها باستخدام كل وسائل الإقناع والتوجيه من شعر، وبعض قواعد النحو وحكم الفلاسفة، وأمثال شعبية.

نقدم للقارىء فقرات من المسرحية ليتضح لنا ما طرحه الكاتب من أفكار.

كريمة (في دهاء) كل الأشياء في هذه الدنيا تنالها يد التغيير إلا أنت ياصابر فلا تزال كما عهدتك منذ الساعة التي تلاقينا فيها على عادات رتيبة وأحوال متشابهة لاتحويل فيها ولا تبديل... كأنني وإياك تمثلان في متحف الفراعنة... آه ياصابر أنا ضحية هذا الإهمال.

صابرا : (متأثرا) ماذا تنتظرين مني أن أفعل إني كما تعلمين، أصرف أوقاتي في العمل، أجاهد سحابة نهاري وأسهر طرفا من الليل سعيا وراء غاية واحدة هي حفظ توازن أسرتنا وحذاري من تقلبات الحياة.

كريمة ـ أنا موقنة من أن الدهر لايمهه من أمرنا شيء كفى مانحن عليه من الخمول...

فليله لا يختلف في شيء عن نهاره... وكل شيء فينا وحولنا يحتفظ بلونه وشكله كما تحتفظ «نعم» و «بئس» بوزنيهما وصيغتهما من عهد سيبويه، والكسائي...

صابر ـ ألا يرضيك أن أكون رجلا عاديا يعمل ليوفر له ولعائلته مؤونة العيش ؟ فيسلم الناس من شره ليسلم هو من شررهم ؟

كريمة ـ أنا لا أقر هذا المبدأ ـ المهم أن تجاري الحياة..

صابر ـ لعلك تضربين على وتر الشاعر الذي يقول :

إذا أنت لم تنفع فضر فإنما

يرجى الفتى كيما يضر وينفعا

كريمة ـ لست أول ولا أخر من جرب الفشل.

قال أحد الفلاسفة «لا بد من عبور قنطرة الفشل لمن يتوق إلى النجاح».

صابر ـ سترين عما قريب أي مغامر أنا.

تستمر كريمة في تحريضه على مجارة الحيـــاة لتغيرها، ويقتنع اقتناعا وقتيا، مع استمرار في حمله بلقاءه مع صديقه حيث يشتكي له :

صابرا - (متأثرا) أنت تعلم أنني رحل خامل. وقد ورثت هذا عن الآباء رحمهم الله إذ كنا نسمعهم يريـدون هذه العبارة «الخمول نصف السعادة» فنشأنا محبين لهذا المبدأ. ولكن سرعان ما انقلبت الأوضاع وتغيرت الأصول وتبع ذلك تغير شامل لمفاهيم الكلمات ومضامين العبارات... وها نحن اليوم نرى الخمول أصبح نصف الشقاء.

يستمر في الحلم مع صديقه في ركوب الطائرة والباخرة والمال الكثير... وهو متشكك في كل ما وصل إليه بهذه السرعة والتمتع بالحياة.. يستيقظ صابر على صوت زوجته.

كريمة : تعد الافطار وتردد كلمات أحلام أيا أحلام يا... يا... صابر.. صابر.. قم وقت العمل يقترب... من هذه التي تحلم بها ياظالم ؟ أهذا أنت ؟

صابر : (يستيقظ يتمطى) .. أنا... أنا... أعود بالله من الشيطان الرجيم... انها فتنة الأحلام لقد صدق ظني.

2 - الاتجاه الشعري، هذا الاتجاه كما هو واضح من عنوانه يعتمد على التفعيلة والوزن، وقد عرفه المسرح المغربي كذلك منذ الأربعينات إلا أنه قد درس مؤخرا دراسة أكاديمية لنيل دبلوم الدراسات العليا من طرف الأستاذ حسن الطريبق، وساهم في تطويره العديد من المبدعين كأحمد بنميمون..

المهم يبدو من جردنا لأعداد المجلة انها قد عرفته خلال مسيرتها الثقافية حيث نشر الأستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي، في العدد الرابع والسادس والسابع والتاسع والعاشر من السنة العاشرة في صفحات 126 و 103 و 107 مسرحية شعرية عن «ابن زيدون» في أربعة فصول فيها قصة الشاعر الأندلسي الشهير ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي وهي مكتوبة بطريقة الشعر العمودي الموزون والمقفى.

تقدم هذه الفقرة من المسرحية وهي من الفصل الرابع المشهد الثالث والتي تبرز موقفا من المواقف الصعبة لابن زيدون في حواره مع حبيبته ولادة..

ابن زيدون في دهشة وفرحة :
أحقـــــــــا مـــا أرى
هل أنا في يقظة أم في منـــــام
ولادة : ابن زيدون يا أعز حبيب
عائشة المغربية :
«ابن زيدون» يابنـــي وروحـــي
ابن زيدون :
جئتمـا فرحـة لقلبـي، ونـــورا
لجفوني، وبلسمـا لجروحـــي
جئتنـي «يــاولادة» كصبـــاح
زحزح الليل عن حياتي الحزينـة
ولادة :
يابن زيدون ياربيع شبابـــي
حبك الغالي واجب أن أصونـه
ابن زيدون :
أنت حبي، وأنت ربة شعـــري
أنـت لحنـي، أصـوغ منـك رنينـه
حجبتنـي الغيـوم عنـك، ولكـن
جعل القلب من غرامك دينـــه
ظلموني . فالحزن أدمى فـــؤادي
يسمع السجن في الظلام أنينـــه
شنع الحاسدون أني مريـــب
ووشوا للحميد جورا وظلمـــا
غير مجد ما صغته من قصيـــد
لم أجد في العميد عطفا وحلمـــا
٥ ٥ ٥
حسدونـي علـى هـواك، وكـادوا
كل كيد وبالغوا في الخيانـــة

وخلا الجو، فانبرى كل وغـــد
لك يبدى غرامه وحنانـــه
لاتحيـدى عـن الهـوى ففؤادي
حفظ العهد في الغرام وصانــه
أين في النادى من يشابـه فتـى
في اقتدار، وفي حلاوة جـرس
أين فيهم من يدرك اليوم شـأوى
في نبوغ، وفي كرامة نفـس
ة ة ة
في دمي ثورة على الكفر تغلـي
وبحب الإسلام دانى فـؤادى
كل يوم يزداد صف الأعـادى
في اتحاد، وصفنا في تعـاد
ان هـذا إذا رأوه عقوقـا
لبلادى فياضيـاع بـلادي

ولادة : يابن زيدون
ابن زيدون : ها أنا
ولادة :
ضـاق صـدري
كما تقاسـي مـن الاسـى والبعاد
لـم يلـن شعـرك الجميل قلوبـا
كصخـور تسـيء للأخـلاق
حيـل الكفـر لـو عمدنا إليهـا
صرت حرا وضاع كيد العـداة
ابن زيدون :
اسمعـي يـاولادة أنـا حـر
رغم انى سجين جـور الحيـاة
ان سجنـي، وان ضـر بذاتـي
هو أجدى لفكرتي واعتقـادي
كل حر سيبلـغ القصد، مهمـا
خانه الحظ، ورغم كيد الأعـادي

ولادة : أنت انساني، ولكن رويـدا
ليس هذا مصير كل نبيـل
ابـن زيـدون : ظلمونـي....
ولادة : ظلمونـي وفي فراقك منهم
أسوة الهجرة التي للرسـول
ابن زيدون : كل ماتنطقين صدقا،ولكن
كيـف أنجـو
ولادة : كل ماتنطقين صدقا، ولكـن
وذاك يسيـر

3 ـ اتجاه تأريخ المسرح المغربي. يأتي ظهور هذا الاتجاه على صفحات المجلة بعد سنوات من اهتمام نفس الكاتب بنشر أعمال عن شكسبير حيث نشر في العدد الثامن من السنة الثانية عشرة، بصفحة (145) بحث بعنوان «نظرة على المسرح المغربي منذ أربعين سنة» للأستاذ حسن المنيعي، في العدد الثامن من السنة 12 بصفحة (145)، وبدون شك فإن هذا البحث شكل فيما بعد الجزء الهام من الرسالة الجامعية التي قدمها الأستـاذ حسـن المنيعي لنيل شهادة الدكتورة، بعنوان «أبحاث في المسرح المغربي».

في نفس الاتجاه نشرت المجلة مؤخرا بحثا بعنوان «نشأة المسرح المغربي» «للأستاذ محمد بن العلمي حمدان.

4 ـ الاتجاه الدرامي. هذا الاتجاه لم يظهر على صفحات المجلة إلا مؤخرا حيث نشرت مسرحية في فصل واحد في العددين السادس والسابع سنة 1978، بصفحة (111) الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي، تحت عنوان : «تصفية حساب» مكتوبة بأسلوب نثري تدور احداثها بين شخصين لكل واحد منهما حساب مع الآخر، يريد تصفيته، وموضوعها اجتماعي.

نقدم هذه الفقرة من المسرحية.

عزوز : (يتنهد متأثرا) السي الشرقي... مادمت قد فتحت لي قلبك، وأعلنت توبتك عن ذنبك، وطلبت

مغفرتي. فأنا الآخر عندى ما أعترف لك به. فأنت في الحقيقة لم تكن إلا آلة مسخرة في يد الأقدار لتحويل مصيري. وايقاظ ضميري.. العقوبة التي حكم بها على بشهادتك ظلما كنت أستحقها. واستحق أكثر منها.

الشرقي : كيف ؟ ماذا تقول ؟

عزوز : كما تسمع...ولكن ليس على قتل ذلك الغلام. بأني بارىء من دمه كما قلت لك. ولكني مذنب في حق مجموعة من الايتام تركني أبوهم وصيا ووكيلا عليهم. للصداقة التي كانت تربطني به.. واستحلفني على فراش موته. وهو على باب لقاء ربه أن أكون لأبنائه التسعة مكانه هو. فاقسمت له...

ومات الرجل وترك في يدي ثروة طائلة... واعترف لك. ان الشيطان لعب بضميري بمساعدة أحد القضاة المجرمين. فأسأنا التصرف في أموال اليتامى التسعة... ولم يكبروا حتى وجدوا ثروة أبيهم قد تبخرت...

الشرقي : يا إلهي....

عزوز : وحين نزل على ظلمك كالصاعقة. كانت الفكرة الوحيدة التي تخفف من شعوري بذلك الظلم هي ان هذه العقوبة من الله على ظلمي أنا لأولئك المساكين وقد منعني الكبرياء والخوف حتى بعد خروجي من الحبس. من الاعتراف لأبناء صديقي بذنوبي. وطلب غفرانهم... ولكن مجيئك عندى هذا الصباح. واعترافك لـي بذلك في حقي. جعلني أفكر جديا الاعتراف لأبناء صديقي بذنبي وليكن ما يكون...

فالأحسن كما قلت أنت. مواجهة العقوبة في هذه الدنيا. على الوقوف امامهم غدا يوم القيامة. وأنا مدين لك بهذا القرار... وأشكرك عليه. وأسامحك على كل ماصدر منك...

ه ه ه

5 ـ اتجاه تأريخ المسرح الإسلامي برز هذا الاتجاه على صفحات المجلة مؤخرا في محاولـة لتأريـــــخ تاريخ المسرح الإسلامي في المغرب. من طرف الأستاذ زين العابدين الكتاني. في بحثين نشرا في العدد التاسع من السنة الواحدة والعشرين. والعدد الرابع من السنة الثانية والعشرين في الصفحات (22) و (114) تحت عنوان : «بوادر المسرح الإسلامي بالمغرب».

وبعد :

لقد تبين لنا من خلال ما قدمناه بأن الاهتمام بالمسرح المغربي لم يبدأ إلا في سنوات متأخرة مما جعل الخزانة المسرحية المغربية فقيرة إلى حد أن مابها من الكتب يعد على أصابع اليد. رغم ما لهذا الفن من هواة. ولكن رغم ما أصاب المسرح من تأخر في كتابته. فإن هذا لم يمنع كما قلنا من ظهور بوادر اتجاهات مسرحية. سواء على صفحات مجلة «دعوة الحق» خلال مدة 25 سنة. أو على صفحات مجلات أخرى.



دعوة الحق

في مهرجان بلوغها ربع قرن

للأستاذ مصطفى بوهلال (تونس)

«تريد تجديد بلدك ؟ تريد ترقي بلدك؟ إذن ، اقرأ، ثم اقرأ، ثم اقرأ»(1) تلك هي السمة الهوية الأزكى، والدعامة الأفعل في مسيرة الحضارة. وغير عجيب ارتكاز «القراءة» - في استمرارية وتواصل - منذ الغابر، بين جماهير، امتازت بتعددية النبوغ في الإسلاميات وكافة حقول المعرفة.. حقا لهي وظيفة أسمى أن يرابط ذووا الألباب - على ضفاف المتوسط والأطلس - حماة لشرف العقل، وذادة لنورانية الكلمات - كلمات الله.. وهو دور كفاحي اضطلع به المغرب، ومن ثمة فإنه «ليحظى - يؤكد لك جلالة الملك الحسن الثاني - بالتقدير في حظيرة الدول وأن الاعتبار الذي تتمتع به بلادنا لم يبلغ في أي وقت مضى ما بلغه الآن من سعة وامتداد»(2).

من هاته الجذوة استقت مجلة «دعوة الحق» قبسا منيرا وكنت تلقى لولادتها عام 1957 تهليلا واستبشارا، في تونس، رافقا مراحل تطورها الدائم، من ذلك الكلمة الترحيبية الرشيقة بركن (أصداء الفكر) من مجلة (الفكر)(3) تعريفا بموقع المولودة من شبكة الحركة الأدبية والعلمية بالمغرب، وإشارة إلى القائمين عليها ومنهم الأستاذان المكي بادو وعبد القادر الصحراوي عضو الوفد المغربي إلى مؤتمر الأدباء العرب الثالث (4).

ولئن استأهلت هاته الظاهرة الفكرية كل التنويه، فإنها ليست بالأولى في ميدان وضع المجلات بالمغرب العربي، ففي تونس - مثلا - برزت (الفكر) في أكتوبر 1955(5) خادمة عموم فروع الثقافة العربية.. ومن قبلها ابتدعت السعادة العظمى» كأول مجلة إسلامية بتونس، في محرم 1322 أبريل 1904(6) أصدرها الشيخ المرحوم محمد الخضر حسين خريج الزيتونة وأستاذها، وشيخ الجامع الأزهر من عام 1371 / 1952(7).

أما المغرب الأقصى، فتعد مجلة «السلام» - الصادرة بتطوان سنة 1933 - السباقة إلى الحلبة الصحفية دفاعا عن ثنائية الشخصية المغربية ، العروبة والإسلام (8).

فأنت إذن - إزاء قلاع من مؤسسات المعرفة، تزكي الروح وتنمي الفكر وتذكي الحماس بشكل يقوي مكونات

1) معالم على طريق المستقبل - من خطب جلالة الملك الحسن الثاني - دعوة الحق ع 1 س 21 مارس 1980 ص 19.

2) نفس المصدر ص 20.

3) انظر (الفكر) س 3 ع 6 مارس 1958 ص 96.

4) انعقد بالقاهرة من 9 إلى 15 ديسمبر 1957 وموضوعه الأدب والقومية العربية.

5) بعثها بعصامية مثالية وإيمان فريد الأستاذ المفكر محمد مزالي - الوزير الأول حاليا كان استاذا بالعاصمة، في ظروف مشجعة..

6) اختصت بالبحوث الدينية والأدبية، كان يحررها كبار علماء الزيتونة المعتدلين، وهي نصف شهرية، توقفت في جانفي 1905.

7) ولد بنفطة - جنوب تونس - عام 1293 - 1873 وانتقل إلى العاصمة ليتعلم بالزيتونة، ثم اشتغل بالقضاء والتدريس، هاجر إلى دمشق عام 1912 واستقر بالقاهرة سنة 1910 توفي بها عام 1958. مؤلف وشاعر، انظر عنه كتاب ؛ محمد الخضر حسين ، حياته وآثاره للأستاذ محمد مواعدة ، طبع الدار التونسية للنشر سنة 1974.

8) «دعوة الحق» ع 1 س 21 ص 104 ، مجلة السلام أول صحيفة وطنية مغربية، للأستاذ محمد العربي الشاوش.

البطولة حماية لنمطية الانتساب والوجود، ووصلا بين أمسنا والحاضر.. و :

ما أشبه الأمس ـ يا دنيا ـ بحاضرنا

فنحن شعب مدى الأزمان ما وهنا

لن يستباح حمانا اننا همـــــــم

من البطولات تفدي الترب والسكنا(9)

وعساه يكون من مقدمات الوصل الحضاري بين الجماعة الإسلامية الذي ارتأته مجلتنا الفيحاء قدرها : النهج الحثيث لإقامة «تعارف» حقيقي ومثمر، امتثالا للحكمة القرآنية البليغة : «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»(10).

وما علو منزلة ـ التعارف ـ كظاهرة إنسانية سامية ـ إلا تدليل على إثارته موجة عتيدة من موجات التقادح والتساند بين المتأدبين والعلماء، باتجاه التكامل الأنفذ. وفي هذا شيء من معاني السمو الوارد في قول البارئ تعالى : «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله»(11).

و «دعوة الحق» أدت ـ وتؤدي ـ مهمتها جاهدة في تمتين ذلك الحبل ـ حبل الود والتقوى والانعتاق والترفع ـ بين جماهير قرائها ـ على الأقل ـ لما نهضت عليه من شرائط البحث العلمي الطارح للتعصب المذهبي أو التزين بالهجين من الإيديولوجيات، مقابل التقوى بالأخلاقية وعرى الأصالة الحق والموضوعية، في منأى عن الإثارات المنحرفة والاهتزازات المشتتة والخطرات السياسية العائمة والشطحات العشوائية المذبذبة «فإن المطلوب ـ تعري لك المجلة عن مذهبيتها في وضوح وإصرار ـ الترفع عن الصغائر وسفاسف الأمور وتوافهها، واللجوء إلى الحكمة والعقل والعلم والمعرفة والفطنة والذكاء، والإعراض عن الا بتذال والإسفاف والسفه، وكل ما من شأنه أن ينال من مكانة المجتمع الإسلامي ويشوه صورة الإسلام المشرقة في الأذهان، ويلحق الأذى والضرر بالقائمين على الإعلام بدرجة أو بأخرى»(12).

إنما دأب «دعوة الحق» الغوص الدؤوب في الجوهري من شؤون التربية والاجتماع والفكر والرعاية والدين، وهي وإن كانت تنطلق ـ في بعض المناحي ـ نحو بسط ملامح قد تبدو أخص بمنطقة دون أخرى، فـ «إن معرفة العرب بقضاياهم، وبهذه الأجزاء التي تكون وطنهم، لخير سبل لتحقيق ما يعمل له العرب جميعا من وحدة في العمل «لبناء كيان عربي متين» (13).

وتأسيسا على ذلك، نلتقي بها دون سقوط في أخاديد الجمود والانغلاق، وإغفال المستقبل وملابسات الآن، تكريسا للقوى بغية تقديس الماضي، فهاتيك كلاكل صلدة لإعاقة الدفع التقدمي وشل حركة الانبعاث الإسلامي التي أريد لها : «أن تكون منطلق نهضة دينية شاملة تقوم على أساس التجديد في الدين، دون المساس بجوهره الأصيل، وتحديث أساليب الدعوة إليه وطرق التبشير به ووسائل تلقين وتعليم مبادئه ومقاصده ومفاهيمه من غير إخلال بالهدف النبيل والقصد الشريف، أو انحراف عن السبيل الذي اختطه السلف الصالح لتبليغ رسالة رب العالمين مسايرة للصحوة الإسلامية المتنامية التي تهدف إلى الأخذ بالإسلام عقيدة وسلوكا ومنهجا ودستورا»(14).

قلت : أليست «دعوة الحق» خير معبر عن النية والإرادة الجماعيتين لمسلمي العصر في قضية (الإعلام الإسلامي المعاصر) ؟ بله أقول : وجاءت السباقة إلى كسب الرهان !! ذلك أنها أتقنت الإيفاء ـ مقدما ـ بتطلعات

---

9) «دعوة الحق» ع 9 س 20 شتنبر 1979 ص 53 ـ شعر : وجيه فهمي صلاح.

10) سورة الحجرات، آ = 13.

11) سورة التوبة ـ آ = 71.

12) «دعوة الحق» الافتتاحية : الإعلام الإسلامي، ع 9 س 20 شتنبر 1979

13) «دعوة الحق» ع 1 س 21 مارس 1980 ص 84 (علال الفاسي).

14) نفس المصدر، ص 10 : ثبات وصمود لحماية الوجود، د أحمد رمزي.

المؤتمر العالمي الأول للإعلام الإسلامي بأندونيسيا .. يوصي ميثاق جاكرتا الدعاة بوصايا وتذكيرات، معها يقدم الفوز، حين «يلتزمون بنشر الدعوة الإسلامية والتعريف بالقضايا الإسلامية والدفاع عنها، وتعريف الشعوب الإسلامية بعضها ببعض والاهتمام بالتراث الإسلامي والتاريخ والحضارة الإسلامية ومزيد العناية باللغة العربية والحرص على سلامتها ونشرها بين أبناء الأمة الإسلامية... بتثبيت فكرة الأمة الإسلامية المنزهة عن الإقليمية الضيقة والتعصب العنصري والقبلي واستنهاض الهمم لمقاومة التخلف في جميع مظاهره»(15).

ولجل هاتيكم الآفاق والامتدادات تصدرت «دعوة الحق» مرتبة رائدة كوثيقة مرجعية معتمدة تستقطب الباحثين وراصدي الحركة الفكرية في المغرب لهاته الفترة، فتتحفهم بالطريف الممتع واليقين الراسخ والتسجيل الدقيق، ولذلك من إشراقة بلد يكفيه فخرا بعث الأكاديمية العلمية «هذه التجربة الكبيرة التي ستكون مثمرة ما في ذلك شك نظرا إلى قيمة الرجال الذين تم اختيارهم وللأهداف النبيلة المحددة وللانطلاق المحمود الذي برز من أول الأمر»(16)، كما وإنشاء المجالس العلمية بكافة مناطق المملكة(17)...

وبحوصلة لامة، نلمس، في يسر، البعد التسجيلي المطابـق عيـن الواقـع، لمـا أرسلـه الأستــاذ الصديق عبد القادر الإدريسي - رئيس تحريرها - من أن المجلة في تطورها المتلاحق، لتتطلع إلى الإجادة والإتقان والإبداع في حدود الطاقات الخلاقة للفكر المغربي الملتزم بالأصالة الدينية والسمو الأدبي ومعطيات البيئة المغربية في جوانبها الثقافية المشرقة»(18).

ومن منطلق الإحساس بالتعاطف والتحية، أجدني مدفوعا لبث خلجات هي إلى التناصح ألصق.. ذلك أن تضايقا بدر من جراء الاسراف في استعمال الورق، إما بإبقاء مساحة شاغرة قد تصل إلى الصفحة الكاملة.. وإما بالإفراط في تركيب العناوين، ولارتفاع سعر الورق. ولكون المجلة ملكا للمطالع، لا ينبغي الإعراض، بأي شكل، عن حقه في التماس زيادة حسن التصرف في تغطية الفضاء الورقـــي والضغط على حجم العنونة في اعتدال. ويعني كل ذلك، تدعيم تقنية الإخراج...

ومن هذا الضرب، لعل بذل لفتة أرحب نحو التنظير المركز بين المواد المجمعة في عدد واحد - وأمثل هنا بالأعداد الخاصة كعدد تنصيب المجالس العلمية - يعطي القارئ نفسا أدوم وشحنة موقظة أقوى، حيث أزيل من أمامه الإعادات على وتيرة واحدة، مستجابا لرغباته والميول، دون دوران في خصوصية ضيقة، أو اجترار جماعي لفكرة أو ظاهرة محددة وإن سمت..!

على أنه وإن تدافع أمثالي، بغية تمجيد نضال مجلة «دعوة الحق» الصامدة، في محاولة لتوسيع رقعة مجال ذكرها وتناولها، فإنه سرعان ما تهمس النفس لهذا المتدافع الجاد، مذكرة متمثلة بصدر بيت لعمر الخيام عن الورد وشذاه:

وكذا الورد - أمس - ذاع شذاه!

...غير أن شذا مجلتنا العبق، لقاح الأذهان الراغبة، وقوت القلوب اللهفى، وري التآخي من أجل النماء.. ولا ضير علي وعليك - قارئي الكريم - إن اجتبانا هذا الشذا إليه، وإلى حيث مرباه الثر، المغرب الأقصى.. فإنه:

بالمغرب الأقصى يهيم جنانـــي
وأراه في الأعماق حيث يرانـــي
حسناته تترى مع (الحسن) الـــذي
بالفكر والخلق العظيم سباني (19)

15) اقرأ نص القرارات والتوصيات بـ «دعوة الحق» ع 6 س 21 أكتوبر 1980 ص 25 وما بعدها.

16) من مقال: أكاديمية المملكة المغربية - الأستاذ البشير بن سلامة - رئيس تحرير (الفكر) ووزير الثقافة بتونس - (الفكر) س 25 ع 9 جوان 1980 افتتحت دورة تأسيس الأكاديمية بفاس يوم 21 أبريل 1980. وللمزيد انظر «دعوة الحق» ع 2 س 22 أبريل 1980.

17) أعلن جلالة الملك الحسن الثاني عن تأسيس مجلس أعلى للمجالس العلمية في خطابه يوم 8 يوليوز 1972، ثم تلاحق - فيما بعد - تركيز مجالس ما قليمية، اقرأ عنها:
«دعوة الحق» ع 1 س 21 ص 15 وما بعدها، و: ع 6 س 22 أكتوبر 1981.

18) «دعوة الحق» ع 1 س 21 مارس 1980: زاوية: هذا العدد.

19) نفس المصدر السابق ص 107، شعر: محمد بن محمد العلمي.

تحية لمجلة "دعوة الحق" في عيدها الفضي :

دعوة الحق.. رسالة وجهاد

للأستاذ عبد الكريم التواتي

... الحديث عن مجلة «دعوة الحق» في عيدها الفضي، حديث ذو شجون. ذلك أن هذه المجلة التي طاولت السنين. فما زادتها إلا ثباتا ورسوخا. وعجمت عودها الأحداث. فما ضعفت وما استكانت. وإنما صاولت الأحداث، وقاومت السنين، وأصبحت عملاقا في مجال ما انتدبت نفسها إليه، وما استهدفته من غايات، وتحملته من التزامات، فكانت المنبر المدوي، في ميادين الدعوة إلى الله، وكانت المنار الهادي إلى أقوم السبل وأوضح المحجات، حين واكبت مسيرتها الطويلة المباركة أعمق وأوضح الدراسات، التي تناولت مختلف المجالات، علمية، وإنسانية، واجتماعية، ودينية، وسياسية. فما كلت أقلامها، ولا ناء بعبء رسالتها كتابها، ولا خارت بالمشرفين عليها ـ على اختلاف تعاورهم منذ نشأتها إلى الآن ـ العزائم ولا الإرادات، ولا وهنت همة ولا قلت إفادات، أقول : إن هذه المجلة ليست مجرد حدث عابر يمكن للإنسان أن يستوعب ابعاده في خطرات، أو أن يسجل خطواته بل طفراته في كلمات.

ولكنها ديوان انساني ضخم، يضم بين دفتيه ـ في مسيرتها الموفقة الميمونة ـ ربما جميع، لا مجموع الحركات، التي عرفها المغرب في ربع قرن من الزمن، واستقطبت كل الطبقات والطاقات والعبقريات، لا المغربية فحسب، ولكن العالمية قاطبة، وبالأخص في المجال الديني، حتى لقد اصبحت المنبر الوحيد، الذي يستقطب مختلف الآراء والنظريات الجادة والمفيدة، دون تحيز أو مداراة، واستطاعت في نفس الوقت ـ لما اتسمت به من جدية ورصانة، وما التزمته في رسالتها الثقافية والدينية من فتح النوافذ على مختلف الرياح شرقية وغربية ـ أن تضم حولها أبرز الشخصيات في عالم الفكر والعلم والأدب، وأن تحتل عن جدارة واستحقاق، ودون مجاملة أو نفاق، الساحة الأدبية لمغرب ما بعد الاستقلال، وأن يكون لها فضل السبق في كشف ما يزخر به تاريخ هذه الأمة من عظائم وبطولات، وما يتوفر عليه أبناؤها من فتوة وطاقات.

وإذا كانت مجلتنا هذه، في بداية صدورها (صدر العدد الأول منها في ذي الحجة 1376 / يوليوز / 1957 م) لم تتمكن من استقطاب سوى مفكرين وأساتذة قد يعدون على رؤوس الأصابع، وهم يومئذ الثلة المؤمنة بجدوى الرسالة التي تصدت المجلة لحملها والدفاع عنها والجهاد في سبيلها... فإنها عبر مسيرتها المباركة تلك، استطاعت أن تجمع حولها أهم العناصر المثقفة في البلاد وأن تكون لها مريدين، ومشجعين : كتبة وقراء، في مختلف الأصقاع الإسلامية بفضل هذه الرسالة الشريفة النبيلة التي اضطلعت بحملها، وآلت على نفسها أن لا تحيد عنها : رسالة الدعوة إلى الله، على أساس من العلم والوعي، هذه الرسالة التي

كان هدفها ـ كما جاء في افتتاحية العدد الأول ـ حمل مشعل الدعوة الدينية والحضارية في هذه الأمة وفي كل ربوع العالم الإسلامي، وضم أصوات الدعاة والمصلحين والعلماء والشباب المثقف في وحدة متراصة لينير كل أولئك الطريق إلى الحق، كي لا تضل هذه الأمة بين الدعوات، ولا تتفرق بها السبل، وكي لا تضطرب في خضم التيارات الجارفة، ولا تنخدع بقشور الحضارة وتتلهى بها عن لبابها، وكي لا تغفل عن مقدساتها وتاريخها، وكي تقرر منذ خطواتها الأولى أن تكون دعوتها قائمة على أساس التمسك بأهداب الدين، والتحلي بالفضيلة، واحترام القيم العليا، مع الأخذ بأسباب الحضارة، والاستفادة من علوم العصر وأفكاره وفلسفاته، بعد تمييز صحيحها من سقيمها، ولبابها من قشورها ونافعها من ضارها.

والحق أن المجلة قد تمسكت ـ طيلة مسيرتها ـ بما التزمته في بداية صدورها، كما سعى جميع المشرفين على تحريرها وإدارتها إلى نهج نفس الفلسفة والأهداف التي توخاها المنشئ الأول الحقيقي لها، الداعي لابرازها، المغفور له جلالة السلطان المقدس أمير المؤمنين **محمد الخامس**، الذي تفضل فحلى صدر عددها الأول بصورته، وبارك اخراجها بدعواته، ووضع لها الخطوط الكبرى في افتتاحيته التوجيهية وإرشاداته النيرة إذ تحلية أول عدد منها بصورة هذا المليك الملهم الخالد، مع الكلمة السامية التي وضعها منهاجا ومعلمة، لما يجب أن تكون عليه في رسالتها ما كانت ولم تكن لمجرد ملء حيز من الفراغ، ولكن ذلك كان توجيها ورسما للأهداف النبيلة التي يجب أن تلتزم بها المجلة، وتتوخاها في عزيمة وتصميم، وأن تسعى لتحقيقها في إيمان وصبر وأناة، وقد فعلت بتوفيق الله واخلاص العاملين فيها، وحققت الشيء الكثير، وما زالت تواصل ـ في استماتة وإيمان صادقين ـ خطاها منذ يومئذ مرشدة داعية، تترصد الأحداث فتسجل منها ما ينفع الناس، وتواكب التاريخ فتسمه بما يحقق له النزاهة والصدق والوضوح، وتستشرف إلى المستقبل فترسم الطريق اللاحب السليم.

لقد كانت كلمات ابن يوسف رحمه الله، التوجيهية تلك، نبراسا أنار الطريق، وحدد الهدف، وملأ نفوس وقلوب المشرفين على هذه المجلة ـ وعلى اختلاف مستوياتهم ومسؤولياتهم ـ بالإيمان بهذه الرسالة التي أنيطت بها، أي معالجة مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية مع العناية الخاصة ـ وكما جاء في كلمة ابن يوسف تلك ـ بناحية الإصلاح الديني، لأن الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه، والسير على سنته ـ كما يقول قدس الله روحه ـ يعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة، كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة، إذ مضاعفة العناية بالناحية الروحية والفكرية، والعمل على تحرير العقول من التقاليد الباطلة، والأوهام الخاطئة التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف هما من آكد الواجبات وأهم الرسالات.

الحق أقول لقد حققت المجلة من هذه الرسالة الشيء الكثير، بفضل أن كانت نظرة جميع المواطنين ـ وعلى رأسهم صاحب الجلالة **الحسن الثاني** ـ إلى هذه المجلة، وكانت نظرتها هي إلى نفسها والى قرائها نظرة التزامية إن صح التعبير، فمن جهتها التزمت الخط المستقيم الذي حددته هي، أو حدد لها، منذ البداية، ومن جهة المواطنين التزموا اعتبارها لسانهم في نطاق رسالتها، فأيدوها بالتشجيع، وشايعوها بما كتبوه على صفحاتها من بيان وترصيع، فكانت المنبر المنير، والموجه الرشيد، وكانت بالإضافة إلى ذلك مدرسة خرجت الدعاة والكتاب والمفكرين، وبلورت مواقف المغرب الدينية والقومية، وأسهمت في إبراز معالم النهضة الحديثة للمغرب تلك النهضة الهادفة، وكما جاء في كلمة صاحب الجلالة **الحسن الثاني** التي كان بعث بها إلى هذه المجلة أول صدورها، (أنظر العدد الثاني السنة الأولى) ـ إلى : (إقامة مجتمع

سليم، على مثال ما دعت إليه تعاليم الإسلام النقية الطاهرة، الداعية إلى الإيمان بالله، على ما فيه من سعادة الدارين والحكم العدل الذي يربط الحاكمين والمحكومين برباط الألفة والمودة، والتعاون على تحقيق الخير للمجموع، وضمان حرية العقيدة والفكر، والتصرف في حدود القانون، وحماية كل ما يعتز به الإنسان من أسرة ووطن وتراث مادي ومعنوي، واستثمار الموارد الطبيعية التي سخرها الله لنا، وجعل التمتع بها حلالا طيبا) ثم كان من أجل ما حققته المجلة، قبل كل ذلك وبعده، أنها كونت معظم هذه الثلة التي تحمل القلم وتؤمن بالكلمة، أو بالأحرى أخرجتها من عزلتها وأبراجها العاجية وأظهرت على يدها هذه الثروة من التراث والكتابات والأبحاث الشيقة المفيدة.

وبالمناسبة أذكر أنه يوم وجه إلي المرحوم الأخ الأستاذ المكي بادو دعوة للمشاركة في تحرير هذه المجلة والإسهام بالكتابة فيها، كنت أتهيب خوض هذا الميدان، وكنت أرى أنني أقل من ذلك بكثير، ولكن لما فسحت لي هذه المجلة صدرها، وأخذت بيدي مع تشجيع الأخ بادو - رحمه الله - الذي ألزمني، بلباقة وأدب جم، الكتابة فيها، وإلى الدرجة التي أعترف معها بأن لهذه المجلة اليد الطولى والفضل الأكبر في الكثير مما كتبته وأكتبه، آمنت بما قدمته لي من المساعدة مما أجدني عاجزا عن شكره وآمنت أنها ذات رسالة وأهداف، وأنها صادقة مخلصة فيما التزمته من هذه الأهداف، وما تقيدت به من نبيل المرامي الخالدات، وأوجبت على نفسها من شريف الغايات.

ثم لا أحب أن يفوتني - في هذه التحية التي نحيي بها العيد الفضي لمجلتنا الغراء «دعوة الحق» - أن اذكر للتاريخ ما حدثني به المرحوم أستاذنا الزعيم المجاهد السيد علال الفاسي عن بداية مشروع مجلة «دعوة الحق» - وهو يشجعني - رحمه الله - على المشاركة كتابة وتحريرا في بيت ابن عمه المرحوم بكرم الله أستاذنا العلامة سيدي محمد العابد الفاسي وكان يحاول معه هو الآخر اتحاف المجلة بأبحاثه القيمة الموفورة، أن اذكر قوله لي، أنه هو الذي اختار للمجلة اسمها وشعارها استرشادا بالآية القرآنية الكريمة في سورة الرعد، **(له دعوة الحق، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه، وما هو ببالغه، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)**؛ وقد كان أول مقال له - كما هو معلوم - وفي العدد الأول منها بعنوان، (لا جمود ولا جحود)، وأخيرا لا يسعنا - ونحن نسجل هذه التحية - إلا أن نشكر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على هذا المشروع الجليل داعين الله أن يكلأ حاميه صاحب الجلالة **الحسن الثاني** بعينه التي لا تنام وأن يرحم أباه المقدس مؤسس المجلة ومنشئها مرددين كلمة الرسول (ص) التي رواها مسلم، «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء» ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء» وصدق الله العظيم، **(من يشفع شفاعة حسنة يكن نصيبه منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا)**.

فاس : عبد الكريم التواتي



قراءة جديدة للمقال الأول

في العدد الأول

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

إنها مناسبة عظيمة ترجع بنا إلى المقال الأول المنشور بالعدد الأول بقلم صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ضريحه حيث يقول :

((إلى وزارة عموم الأوقاف تقديرا لمجهوداتنا الإصلاحية. في الميدانين الديني والإجتماعي 14 جمادى الثانية 1367 هـ (16 يناير 1957)).

«أصبح من أكثر الواجبات المنوطة بنا، في فجر نهضتنا الشاملة، أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام، التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الشريف، إن حرصنا على الإعتصام بحبل الدين، والتشبث بمبادئه، والسير على سنته، ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، بالرغم عما اعترض، سبيلنا من عراقيل، وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة، كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة بالشرق والغرب، ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الإجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها، دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء، وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والسلام)). العدد الأول ذو الحجة 1376 هـ/ يوليوز 1957م.

ومن هذا المنطلق والنهج القويم الذي خطه رضي الله عنه، وصدرت المجلة بهمته القعساء كان يجب السير والسلوك.

لقد كان مولانا محمد الخامس رحمه الله رجلا عمليا ينفذ أفكاره الإصلاحية في أوقات الشدة والمسؤولية، ولا يخشى إلا الله، فيبلغ الأهداف بعد الشدة والبذل والعناء،

وبهذه الروح الوثابة يجب السير، ونأخذ الطريق إذ بها وحدها حصلنا على حريتنا واستقلالنا، ولولا مواقفه الخالدة، ولولا الصدمات والمقارعات والأقدام بدون تخوف ولا تردد، لما كنا اليوم نرتع في بحبوحة الملكية الدستورية الحرة الرفيعة، إنه أعزه الله، كان دائما يختار الطريق الوعر، لأنه السبيل للنجاح والفلاح، فلو كان جلالته مترددا أو متخوفا لما بلغنا قمة المجد، ولما توجت تضحياته بالحصول على عزة المغرب، وشرف الإستقلال والحرية.

وهنا يجب أن أسجل حدثا هاما، وخطوة جبارة دعا إليها وارث سره وخلفه من بعده، وولي عهده، ورفيقه في كل الشدائد والمهمات، وسنده القوي بعد الله، مولانا الحسن

الثاني أمده الله بالعون والتوفيق. فقد تتبع طريق سلفه في الإعتناء بفلذات الأكباد في المقدمة ولده البار وولي عهده سمو الأمير الجليل سيدي محمد وشقيقه الأمثل سمو الأمير مولاي رشيد حفظهما الله. وأرشدهما للخير والبر والإحسان. فأسس لتربيتهما. «الكتاب القرآني» ودعا لتحسينه وتهذيبه. وعبر جلالته عن إرادته في إدخال حياة جديدة عليه.

وإني أنقل بعض كلمات صاحب الجلالة الحسن الثاني في موضوع الكتاب القرآني النموذجي. وفي كلامه وتوجيهاته وتعبيره الكفاية لمن أراد أن يأخذ بيد تشيئتنا لطريق الرشاد. فلقد جاء في خطاب جلالته في صفحة 311 من الجزء الثالث عشر. من كتاب إنبعاث أمة تاريخ الخميس 17 رجب 1388 هـ 10 أكتوبر 1968.

((حضرات السادات :

إن القضايا التي اجتمعنا بكم من أجلها اليوم لتمت بصلة تربية إلى مستقبل أبنائنا، ومستقبل الأجيال التي ستقطن هذا البلد الأمين، ثم قال : تربية الإسلام وتربية أجدادنا تلك التربية وتلك الأخلاق، التي جعلت من المملكة المغربية الشريفة تلك المملكة التي قيل فيها ما قيل، وتحدث عنها المؤرخون وسارت بذكرها الركاب، وكتبت في تاريخها صفحات وصفحات من المجد الاثيل.

إن الديانة الإسلامية كديانة متوازية مطابقة كل المطابقة لقضايا ومشاكل القرن العشرين، فالتربية واجبة ومن الضروري أن تكون تربية واحدة منفردة تربية وطنية متصلة كل الإتصال بالواقع الإجتماعي.

ونزولا عند مقتضيات الدستور، وبرا وتطبيقا لواجبنا الذي هو قبل كل شيء يفرض علينا أن نكون حامي الملة والدين. قررنا أن نفتح هذه السنة حملة الكتاتيب القرءانية . إلى أن قال : هـل سنجعل من الأجيال الصاعدة أجيالا تأخذ نفس التربية التي تربينا عليها ؟

من من الأجيال جاء بالإستقلال ؟ الأجيال التي تعلمت في الكتاتيب ؟ من من الأجيال التي بنت الإستقلال ؟ الأجيال التي ثنت أرجلها أمام الفقيه ؟ من من الأجيال التي تنهك الآن قوتها ؟ الأجيال التي لا تزال ترفع الفاعل والمفعول وما هي الصلوات الخمس، وما هو الصيام وما هي قواعد الحج ؟ وهل الأجيال المتشككة الشاكة الضالة المحتارة بين التجاذب الشرقي والغربي الشمالي والجنوبي، هي التي أتت بشرعها ؟ وهل هي التي من شأنها أن تأتي بشيء ما ؟ لا أعتقد ذلك لأنها لا تتوفر على الأساس، بل ليس لها المحور القوي الذي ستدور حوله، بل ستبقى كريشة في مهب الريح طائشة، لا تستقر على حال من القلق.

فكيف ستنجز عملية الكتاتيب :

عملية الكتاتيب ترمي إلى أهداف متعددة، ترمي أولا إلى التخفيف عن الأسرة من مشاكل الطفل مدة سنتين، وترمي ثانيا إلى ربح سنتين بالنسبة للتعليم الإبتدائي، أي ربح القراءة والكتابة ومن شأنها كذلك أن توفر على خزينة الدولة سنتين في التعليم الإبتدائي، لتعليم الحروف الهجائية.

وأخيرا ستخفف على الشرطة أعباء محاربة تكوين أطر اللصوص وأسافل الناس الذين لا أصل لهم. ويرتكبون أعمالا دنيئة وعمرهم لا يتجاوز خمس أو ست سنوات. وبالإضافة إلى ذلك لما يصل أبناؤنا إلى سن الخمس سنوات ندخلهم لبعض المدارس الأجنبية إذن يقع تسابق وتزاحم على أبواب تلك المدارس الأجنبية ونتيجة لدخول

الأبناء إلى هذه المدارس تصبح اللغة الفرنسية حديثهم، في المنزل مع آبائهم بل عوضا أن يتغنوا بأغانيهم العربية والشعبية، يتغنوا بأغاني أجنبية وهذا شيء مزري لا أقبله، أنا بصفتي وطنيا. بالرغم من أنني تعلمت لغة أجنبية واستعملتها أولا كسلاح لتحرير بلادي، وثانيا كسلاح لترقية بلادي، وثالثا كسلاح لأكون قادرا على تصدير العبقرية المغربية إلى الخارج على قدر جهدي وإمكانياتي المتواضعة ولكن لا جعل من تلك اللغة الكل وروح حياتي . إلى أن قال ، فالمغاربة كانوا دائما مشهورين بذاكرتهم، فأساس ذاكرتهم أنهم يحفظون القرآن دون فهمه. لقد دخلنا نحن إلى الكتاب وحفظنا من الحمد لله، حتى «سبح» حتى «عم» لا نفهم شيئا مما نقرأه، ولكن تكونت فينا رياضة فكرية جعلتنا دائما في الصف الأول في المدارس الأجنبية وفي الكليات سواء كلية الحقوق أو كلية العلوم.

فحفظ القرآن هو طريقة في التعليم وطريقة لكسب القوت في وقت مضى يوم كان عدد من العلماء يتلون بالسند الصحيح الآف الأحاديث دون تلعثم، وأنا أتحدى اليوم هؤلاء الذين تكونوا أن يتلوا أمامي فقط مائة حديث بسندها ومراجعها.

والنتيجة يصبح المرء أسير أوراق ولا يكون علمه فيه، وإنما يكون علمه معه. وقديما قال العلماء اللاتينيون «عالم مع كتابه ليس بعالـم» وأخيرا ومن مزايا هذه الكتاتيب أننا سنكون على الأقل قمنا بواجب ملقى على عاتقنا، فنحن مسؤولون، وكل واحد مسؤول في بيته عن أبنائه، فما معنى بناء الكتاتيب وبناء المساجد وطبع القرآن ولا نربي أبناءنا في ظلها وإلا فإنهم سيتساءلون بعدما يكبرون عن الصلة التي بينهم وبين ما قام به آباؤنا ؟، فأما نحن لسنا بحاجة إلى المساجد، وأما المساجد ليست بحاجة إلينا، وسنكون قد جعلناهم في حيرة إذ سيقولون أن آباءنا لم يقوموا بتربيتنا. إن آباءنا صرفوا الأموال في غير محلها ؟

ولكنني سعيد بالتربية التي تلقيت ولم تكن مدعاة خجل، وارتدينا لباس الخارج، ولم نكن مدعاة خجل، وتكلمنا لغتهم فكنا أحسن منهم. وقمنا بما قاموا به، فكنا في مرتبتهم أو أكثر في جميع الميادين.

لقد قررنا أن نبدأ حملة الكتاتيب وقررنا أن تلميذا قضى سنتين في الكتاب يحظى بالأسبقية في الدخول إلى المدرسة. قد يتساءل الأباء ولهم الحق في ذلك عن برامج وكيفية تسيير الكتاتيب أما البرامج فيمكنني أن اقول لكم انها سهلة.

اختيار الفقهاء يكون على أساس التوفر على طريقة التعليم أولا والكفاءة ثانيا سيكون لكل فقيه برنامج وكتابه مطبوع من وزارة التعليم الإبتدائي حسب الأيام والأسابيع والسنوات وطريقة التلقين والتثقيف، ويقع اختيار الأساتذة من أحسن الناس، وهنا تتدخل مساهمة الجماعات البلدية والقروية والعمال ورجال السلطة ووزارة الأحباس.

وأنا أقول بهذه المناسبة لأولئك الأساتذة كيفما كان مستواهم «عفا الله عما سلف» من الجهتين ونقول للمعلمين والأساتذة هؤلاء أبناؤنا وديعة بين أيديكم وأنتم مسؤولون عنهم أمام الله فنحن من جهتنا نربي وأنتم من جهتكم تثقفون وتعلمون فنحن مشتركون في الأمانة.

وإني أؤكد هنا لوزيرنا في التعليم الإبتدائي تعليماتنا الصارمة بأن لا يقبل من باب الأسبقية من يومنا هذا، أي تلميذ مهما كان أبوه، إذا لم يكن

قضى سنة أو سنتين في الكتاب وأنا أعرف عددا كثيرا من الناس من طبقة عالية من الناحية الإجتماعية والسياسية أبناؤهم في مدارس البعثات فعلينا نحن أن نقدم المثال، وأن أبنائي لن يذهبوا إلى مدارس البعثة وسوف يدخلون بعد عشرة أيام إن شاء الله إلى الكتاب مع جميع المغاربة.

وإننا لنرجوه سبحانه وتعالى أن يعيننا على هذه الحملة، وأن يلهم مواطنينا ورعايانا عباده المسلمين، أن يلهم الثقة والمشاركة في هذا المشروع الذي نرتجي من وراءه كل خير ونؤمل من ورائه فتح الأذهان للعبقرية وللروح الإسلامية، للشخصية المغربية لحسن المواطنة، لحسن التربية.

إن كلام الله ليس كلام عبادة فقط، بل هو كلام تعامل ومعاملات يلهم حسن التطبيق وحسن التسيير حتى يمكن لهذا الشعب المغربي المسلم أن يعطي تفسيرا جديدا لكتاب الله العزيز ويدلي بنصيب جديد في الحضارة الإسلامية تلك الحضارة التي تبحث اليوم أكثر من كل وقت مضى عن رائد وعن دافع وملجأ تلتجيء إليه وتعلم حق العلم إنه هو ذلك المجتمع وارث السر حافظ الأمانة)).

وبمناسبة الذكرى الفضية للمجلة الغراء «دعوة الحق» يشرفني أن أنقل لأسماع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على صفحات هذا العدد الممتاز ماجد في تحسين الكتاتيب القرآنية في العالم العربي الإسلامي عساها تنهج نهجه. وتقتبس منه ما يناسب ويستجيب لرغبات سيدنا الحسن الثاني ودعوته الرائدة.

فهذه مجلة (الأمة) القطرية نشرت بالعدد الثامن عشر السنة 2 صفحة 81 و82 (منهج إسلامي لرياض الأطفال) جاء فيه :

((أصدرت وزارة التربية والتعليم بدولة الإمارات العربية المتحدة تعميما لمديري رياض الأطفال الخاصة :

تضمن التعميم أهداف النشاطات المختلفة التي يجب تطبيقها في جميع الروضات وحددها فيما يلي :

التركيز على وجود الخالق، تنمية حب الرسول صلى الله عليه وسلم، التذكير بأوقات الصلوات الخمس، تنمية العادات الحسنة والتخلص من العادات السيئة استخدام الوسائل التعليمية في مجال الوضوء والصلاة وأجهزة إذاعة السور القرآنية، سرد القصص التهذيبية المختلفة، التي تثبت الإتجاهات والقيم الإسلامية الصحيحة، تحفيظ بعض الأناشيد الخفيفة ذات الإتجاهات الإسلامية.

ويمثل التعميم منهجا إسلاميا لرياض الأطفال الحديثة فهل استفادت منه واسترشدت به رياض الأطفال المنتشرة في مختلف أنحاء الوطن الإسلامي ووضعته موضع التنفيذ ؟

وأوصت الندوة بإنشاء لجنة عليا لرعاية الطفل المسلم في كل بلد إسلامي تكون مهمتها العناية بالأطفال في كل ما يتعلق بهم من شؤون صحية وتربوية وغيرها فدعت منظمة المؤتمر الإسلامي لتكوين هيأة إسلامية عليا على مستوى الوطن الإسلامي تقوم بتنسيق الجهود التي تبذل لرعاية الطفل المسلم، ومساعدة الهيئات الإقليمية على أداء مهمتها.

وأوصت الندوة كذلك بإنشاء لجنة عليا لرعاية الطفل المسلم وبإنشاء دور رعاية الأطفال المسلمين، اليتامى، وتشجيع الوقف على هذه الدور بوصفه صدقة جارية وصورة من اهم صور التكافل الإجتماعي المعاش بين أجيال المسلمين.

وفي المجال الثقافي أوصت اللجنة بالتوسع في نشر الكتب المناسبة للطفل في مختلف مراحل نموه وتطوره، وإنشاء مجلة إسلامية للأطفال على مستوى الوطن الإسلامي في مجال الدعوة أوصت الندوة أجهزة الإعلام بإنتاج مواد إذاعية وتلفزيونية ذات محتوى إسلامي يراعى حاجيات الطفل المسلم، وأن تستعين في ذلك بذوي الإختصاص وأصحاب الدراية في ميدان «رعاية الطفل» في الإسلام. وناشدت الندوة الحكومات الإسلامية توجيه عنايتها إلى مشاكل الاقليات الإسلامية في مختلف بلاد العالم. والسعي لدى الدول الأجنبية لاقناعها بمعاملة هذه الأقليات الإسلامية على قدم المساواة مع الأغلبية المحلية واحترام خصوصيتها.

كما دعت إلى إنشاء مدارس إسلامية وثانوية داخلية في البلاد التي توجد فيها أقليات إسلامية تدرس فيها المناهج التعليمية الرئيسية مع الإسلام واللغة العربية كذلك أوصت بإنشاء مكتب إسلامي للمتابعة في كل من أوربا وأمريكا واستراليا لمتابعة ما ينشر عن الإسلام. ولم تنس الحلقة الطفولة المشردة الإسلامية فناشدت منظمة المؤتمر الإسلامي العمل على وضع وثيقة تتضمن حقوق الطفل المسلم وتوجه عناية خاصة للأطفال الفلسطينيين والافغان)).

والقصد عندي توجيه عناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى الإستفادة من هذه النماذج، التربوية للطفولة المسلمة سواء منها الموجود برياض الأطفال أو الكتاتيب القرآنية.

وذلك حتى تتم الإستجابة لمضمون أول مقال نشر بأول عدد من هذه المجلة بقلم بطل الحرية والإستقلال وفقيد العروبة والإسلام ومربي الأجيال جلالة المغفور له محمد الخامس، ونكون في مستوى سعة الفكر الحسني المؤمن الطموح إلى نهضة إسلامية قرآنية في مغرب الملكية الدستورية المؤمنة. والله من وراء القصد.



بمناسبة الذكرى الفضية لمجلة "دعوة الحق" الغراء:



منبر الهدى

للشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف

دعوة الحق كالضياء الهادي ... شع من مطلع الهدى والرشاد
بزغت في الوجود تهدي الحيارى ... وجرت كالزلال يروي الصادي
حفها الطهر وهي تنشأ في مهد يناغي أنشودة الميلاد
يبسم المصطفى لها ثم يرنو ... لفضاء مكلل وقاد
طرب، ينهل السعادة عيدا ... ويفيض الهدى على الرواد
تتناجى ملائك الله فيه ... بحياة الأرواح والأجساد
بحياة ستغمر الأرض عدلا ... ونعيما تزدان فيه المبادي
ينمحي الشرك من شعاع سناها ... ويعيش التوحيد في أعياد
ويقوم التشريع كالبلسم الشا ... في لأدواء أمه وبلاد
وتقوم الأخلاق دولة حق ... لم تشبها مرارة الأحقاد
وتنادي للبذل والعمل الصا ... لح دنيا، وآخر للمعاد
صاغت المصطفى رسولا أمينا ... كان للمهتدين أفضل هاد
علم الله أنه خير مبعو ... ث فأولاه نعمة الإمداد
فتغنت بدينه ألسن الخلق، وألفت به يقين الفؤاد
أي سر قد سربل الأرض نورا ... بعد أن شانها ظلام اعتقاد
وأعاد الوجود جنة دنيا ... بعد عهد من الهوى والفساد
ومضت في مواكب النور تترى ... أمم والعلا لها في اطراد
تمسح الجهل عن عقول البرايا ... وتروي بالعلم غلة صاد

فإذا بالحضـارة البكـر تنـدا ح على كـل حاضـر أو بـاد
وإذا المسلمـون فـي كـل صقـع ذروة المجـد والنهـي والسـداد
غير أن العوادي مـرت عليهـا فتخلـت عـن دورهـا المعتـاد
وإذا الغرب يستفيـق فيطغـى بعلـوم حظوظهـا فـي ازديـاد
إنمـا العلـم عنـده بهجـة الأر ض، وغـزو الفضـاء بالمنطـاد
وخـراب الأرواح دينـا وخلقـا تحـت قصـف مـن وابـل الإلحاد
وإذ المسلمـون والصحـوة الكبـرى تنـادي فيسمعـون المنـادي
وتلبـي عقولهم بعـد ليـل مـن خمـول وذلـة ورقـاد
بعثتهـا إليهـم صفحـات «دعوة الحق» أمهـا فـي الجهـاد
طلعـت والهـدى لمفرقها تـا ج علـى نـوره يسيـر الحـادي
فتحـت منـذ ربـع قـرن سبيـل الحـق فـي وجـه رائـح أو غـاد
وازدهـى الفكـر عندهـا وهو يختا ل نقيـا مـن شائـب الأضـداد
لا استـلاب، ولا اغتـراب، ولا مسـخ وتشويـه ما لنـا مـن زاد
حفلـت بالتـراث تبعثـه حيـا، وفيـه فخـر لأهـل الضـاد
لغـة بـزت اللغـات قرونـا فـي مجـال العلـوم والإنشـاد
وإذا ما تخلفـت بعـض وقـت فتفـادي تقصرهـا اليـوم بـاد

ه + ه

«دعـوة الحـق» واصلـي دعـوة الحـق إلـى اللـه مـن ذري الإرشـاد
وانشـر الفكـر تنبـض الروح فيه بمعاني الهدى كنشر الغـوادي
واسلمي للعروبة الحـق والـد يـن دهـورا، ولا عدتـك العوادي

تطوان ـ **عبد الواحد أخريف**





دور مجلة دعوة الحق في خدمة الثقافة المغربية

للدكتور عمر الجيدي

لئن كانت المقاومة المسلحة حققت للأمة المغربية استقلالها السياسي، وردت اليها السيادة الوطنية المغصوبة - بعدما افتكت النصر من المستعمر الدخيل، واقتطعته منه اقتطاعا، فإن ذلك كان سيظل ناقصا لو لم تتجه أنظار الأمة الى العمل على استقلالها الثقافي والعناية بتراثها الفكري، ذلك أن الأمم الأصيلة هي التي تحمي ثقافتها، وتصون تراثها، وتعتز بقيمها وحضارتها، إذ بفقدانها لتراثها وثقافتها، تفقد ذاتيتها كأمة، وكيانها كدولة، ولأن أية أمة مهما كانت متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا، تراها مهتمة بتراثها، حريصة عليه، مدافعة عنه، لا تتساهل فيه، ولا تسمح لأي كان، أن ينال منه، فأحرى أن ينازعها السيطرة عليه..

وكم يكون مخطئا من يفرق بين الاستقلال السياسي والاستقلال الثقافي، فهما بالنسبة لأية أمة لاغنى عنهما معا، فبالثقافة تنهض الأمم، وعليها تبني كيانها وبالحفاظ عليها، تحصن نفسها من الضياع والانفلات، إذ هي زاد الأمم، واكسير حياة الدول والشعوب...

والمغرب وقد حقق استقلاله السياسي واستكمل سيادته ووحدته الوطنية، عز عليه أن تبقى ثقافته بعيدة عن اهتماماته، ويتركها عرضة للسقوط في أحضان التبعية والاستلاب، لذلك اتجهت الغيرة الوطنية الى هذا الجانب المهم من حياة الأمة، ترعاه وتحميه، وتذود عنه وتصونه، وتعمل على نشره واحيائه، فكانت المدارس، وكانت المعاهد، وكانت الجامعات، وكان بين هذا وذاك، من وسائل الإحياء والنشر، مجلة «دعوة الحق» التي أخذت على عاتقها النهوض بهذا العبء الثقيل، والقيام بهذه المهمة الجسيمة، وهكذا عملت على إحياء الثقافة المغربية ونشرها، وبثها في النفوس، واشاعتها بين الناس، كما عملت على صيانة تراث المغرب، وابراز أصالته وحضارته وقيمه، واستطاعت أن تحقق في هذا الميدان كسبا عظيما فاق ما حققته بعض المؤسسات التعليمية، مع ما توافر لهذه الأخيرة من أطر وكفاءات، وما رصد لها من امكانات وطاقات، وما وجه إليها من عناية ورعاية، فهي بما نشرته في صفحاتها من مقالات وأبحاث وتعاليق، كشفت عن الكثير من تراث المغرب وحضارته، وعملت على الحفاظ عليه، والإضافة اليه، فكانت وسيلة من وسائل التعريف بهذا التراث الخالد، والإرث الثقافي العظيم، الذي خلفه لنا السلف، ويضيف إليه اليوم الخلف...

كان ظهور «دعوة الحق» إذن على موعد مع التاريخ وخرجت الى الميدان في الظرف المناسب، واللحظة الحاسمة، فكان من الطبيعي أن استبشر بها حماة الثقافة الاسلامية، وحراس لغة الضاد خيرا، فاستقبلوها بالأحضان، ومنحوها حبا وعطفا، وأولوها عناية واهتماما، يغذونها بنات أفكارهم، ويغدقون عليها بعصارة عقولهم، يوثرونها

بما لديهم، ولا يبخلون عليها بالنصح والتشجيع، لعلمهم أن هذه المجلة تعني بالنسبة إليهم التاريخ والشخصية والهوية..

وإذا جاز لنا أن نختصر الكلام اختصارا، ونوجز العبارة متجاوزين المقدمات، وصولا الى النتيجة من أقرب طريق وبأقل كلام، لقلنا ـ وبكل صدق ـ إن مجلة «دعوة الحق» تعد قلعة من القلاع التي احتمت بها الثقافة الإسلامية في هذا البلد، وحصنا من أهم الحصون التي آوت إليه طوال ربع قرن من الزمن مضى، وقد أدت دورا بارزا في بعث الثقافة المغربية وإحيائها، والتعريف بها، ودفعها نحو التطور والتجديد، فعملت بذلك على إبراز الأصالة المغربية، والتعريف بها خارج الحدود، وقاومت الغزو الثقافي الدخيل، وحاربت أفكار الدجل والشعوذة والإلحاد ما استطاعت الى ذلك سبيلا...

وهي بهذا الاعتبار، وهذه المكانة، وتلك المميزات... ستظل المرجع الأساس لكل من يتصدى لتاريخ الحركة الثقافية في هذا البلد، تعينه على تلمس معالم الفكر، وفهم طبيعة الثقافة المغربية، وتشكل مصدرا من أهم المصادر التي يرجع إليها الباحثون في الحضارة المغربية، وما نظن أحدا اليوم يشتغل بفرع من فروع الثقافة المغربية لا يرجع الى أعدادها، يستعين بما نشر فيها من أبحاث، وما سطر منها من مقالات.. سواء تعلق الأمر بالأدب، أم التاريخ، أم ما يتصل بالتشريع الإسلامي، والثقافة الإسلامية عموما، إذ هي مجلة متكاملة، يجد الكل فيها طلبته، ويعثر على ما يروي غلته، ويطفىء ظمأه، الأديب والمؤرخ والفقيه... في ذلك سواء... فهي لا تستأثر بجانب من الثقافة دون جانب، ولا يطغى عليها لون دون لون، وهذا ما جعل الإقبال عليها يتكاثر مع مرور الزمان، حتى إنها لتنفرد بهذه الظاهرة أو تكاد، وهي باختيارها هذا المنهج، فتحت صدرها للجميع، لا تحتكر أقلاما دون أقلام، ولا تؤثر فنا على آخر، فكل من آنس من نفسه القدرة على الكتابة في أي فن يحسنه، أو لون يجيده ويتقنه فعل، فأنت في دعوة الحق، تقرأ للمؤرخ والفقيه والأديب واللغوي..

كما أنها لم تتشبث بالنزعة الاقليمية الضيقة، ولكنها فتحت الباب أمام الجميع فتقرأ فيها للعراقي والسوري واللبناني والمصري والتونسي.. فهي عادلة في تعاملها مع الجميع.. وقد أعطت خلال تاريخها حصيلة فكرية هائلة، بحيث لو جمع مانشر فيها من إنتاج، وما سطر فيها من أبحاث لأعطى مجلدات في كل صنف، ولقد جمع بعض كتابها ما نشروه فيها من أبحاث تباعا فجاءت كتبا قائمة برأسها، وهي بهذا الرصيد، يحق لها ـ وقد سلخت هذه الفترة من عمرها ـ أن تعتز بما قدمته لقرائها من خدمات جليلة كما يحق لها أن تنظر الى ماضيها نظرة إعجاب، وتنطلق منه نحو مستقبل مشرق بسام..

أنا لم يقدر لي أن أعايش هذه المجلة منذ نشأتها، وأول عدد منها اقتنيته كان في صيف 1967، ومعنى ذلك أنني حرمت منها طوال عقد من الزمن فاتني بفوات مافات منها علم كثير، ومن ثم لا مطمع لي في تقويم المجلة، ولا أقصد في كلماتي القصار هاته، الى إبراز محاسنها، والخدمات التي قدمتها للقارىء العربي في كل مكان، فذلك أكله الى كتابها الذين عايشوها منذ ولادتها، فهم أقدر على تقويمها والحكم عليها أو لها، أما أنا فحسبي أنني سجلت هذه الارتسامات العابرة على عجل نزولا عند رغبة رئيس تحريرها..

وإذا كان لي من اقتراح أبديه، فإني أرجو أن تفتح المجلة باب النقد والتقويم لما سينشر فيها، لأن الثقافـــة حين ينعدم النقد، تذوي وتجمد، وتموت في النهاية، ولا خير في عمل يظل بعيدا عن النقد النزيه، فبه يتم تصحيح المسار الثقافي، ومعه تنشط القرائح، وتتحرك الأقلام، وتنهض الهمم، فحبذا لو تجردت أقلام التقويم عمل كتابها، إن ذلك لو حدث، سيضفي عليها طابع التشويق والجدية، ويقربها من نفوس القراء، ويحببها إليهم، وما نزال نتذكـــر بكل اعتزاز، تلك المقارعات اللفظية التي أثيرت حول تصويبات لغوية، كانت في منتهى الروعة.

الدكتور عمر الجيدي

دعوة الحق والإعلام الإسلامي بالمغرب

للأستاذ ادريس الزمراني

منذ أكدت حضورها الفعلي، وهي تعمل كواجهة إسلامية متقدمة للدفاع عن الإسلام ومبادئه الرفيعة، وبوعي تاريخي ينسجم والرسالة التاريخية والحضارية للمغرب.

ومن خلال الحرص على تعزيز الدور الطلائعي للاعلام الإسلامي في المعركة الحاسمة التي تخوضها الأمة العربية والإسلامية ضد كل مظاهر الغزو والتفتيت، استطاعت أن تكون منبرا حرا لترسيخ المبادىء المثلى، وتعرية كافة الأفكار الهدامة التي تهب من مختلف الجهات.

وبحكم إدراكها لاشكالية التراث والمعاصرة كقضية جوهرية في الصراع الإديولوجي والعقائدي، استطاعت (دعوة الحق) أن تتعامل مع الجانب المضيء في التراث، مستلهمة منه الأسس القويمة لبناء الشخصية الإسلامية، دون أن تتخلى عن المعاصرة كضرورة تستجيب للتفاعل الحاصل بين مختلف الحضارات، وتطرح عدة أسئلة بعضها له مساس كبير بأحقية الوجود.

وإذا كانت أهمية الحضور الذي أكدته (دعوة الحق) قد تشكل من خلال الوعي بالمنطلقات الأساسية التي ميزتها عن باقي المنابر التي تعج بها الساحة الثقافية، فإن تلك المنطلقات تكمن أهميتها في كونها مبادىء راسخة فرضت نفسها على كل حملة الأقلام المخلصين ومن موقع الجهاد والمثابرة لجعلها عقيدة وسلوكا.

ذلك أن الدلالات العميقة لمفهوم الدعوة أخذت بعدها الحق من المنابع الإسلامية الصافية التي اتسمت بالحرص على الدفاع عن القيم والأخلاق الفاضلة التي جعلت من الأمة الإسلامية نموذجا رائعا لدولة الإسلام.

إن دعوة الحق التي حملت رسالتها المجلة ولمدة خمس وعشرين سنة، تؤكد ان الاعلام الإسلامي في المغرب ظل طوال هذه المدة مسؤولا ويقظا، وواعيا بخطورة المرحلة التي تجتازها الأمة العربية والإسلامية. ومن ضمنها المغرب كقلعة للإسلام والعروبة، ومعقلا حصينا للجهاد في سبيل الدفاع عن تحرير الأرض، وفي طليعتها القدس الشريف.

وهذا الوعي بخطورة ما على الاعلام الإسلامي من مسؤولية في المواجهة الشاملة، رسم العطاءات الفكرية للمجلة بالجدية والرصانة، وفرض عليها مستوا رفيعا من الكتابة تتميز بالعمق والشمولية. وتعمل في الآن نفسه على تعميق البحث العلمي للخوض في القضايا الإسلامية والاتجاهات الفكرية المعاصرة تعزيزا لحرية الفكر، ومساهمة في ترسيخ نمط الحياة الكريمة التي تحفظ للمسلم عقيدته، وتجعله قادرا على مواصلة التحدي ضد كل عوامل القهر التي تسلبه إيمانه المطلق بالحياة وقوانينها العادلة.

وإذا كانت (دعوة الحق) من خلال كل العطاءات التي قدمتها وتقدمها قد بينت بوضوح أن الثقافة كواجهة نضالية

تعتبر في طليعة الاهتمامات الأساسية التي يجب على الأمة العربية والإسلامية أن تعبأ لها كافة إمكانياتها، فإن الذي لاشك فيه هو أن تلك التعبئة لابد أن يواكبها الوعي المتبصر بالاستراتيجية المضادة التي ترمي إلى تدمير الهوية العربية والإسلامية واستيلابها حتى تقوى على الاجهاز عليها من الباب الواسع.

والاستراتيجية المضادة في مختلف صورها المتطورة، بقدر ما استطاعت التشويش على بلدان عديدة بالمعمور، إلا أنها وبعناية من الله لم تستطع أن تبلغ مداها في المغرب، ولما وجدت من أصالة وعمق في هذا الشعب العربي المسلم. ولما استطاع أن يقوم به الاعلام الإسلامي من دور في فضح أساليبها وتعرية كافة الأفكار التي تروج لها.

وإذا كان الحديث عن دور الاعلام الإسلامي في المغرب يتطلب بحثا خاصا، فإن الذي لاشك فيه أن (دعوة الحق) هي المحور الأساسي الذي ينبغي أن ينطلق منه ذلك البحث. باعتبارها المنبر الذي ظل صامدا مدة خمس وعشرين سنة بإصدار ومثابرة وإيمان.

ومن رحاب ذلك الإيمان لا يفوتني في النهاية أن أتقدم ببعض الاقتراحات التي أرى مخلصا أنها ستعمل على فتح ملفات أخرى تذكي الحوار البناء، وتخدم الأهداف النبيلة التي تسعى المجلة إلى تعميقها، وتدفع الشباب إلى الإقبال على الدراسات الإسلامية إقبالا علميا يساهم في تعزيز دور الاعلام الإسلامي المتقدم لما فيه رفعة ومناعة الإنسان المسلم.

والاقتراحات التي أرى كما يلي :

1) محور خاص باللقاءات مع مختلف رجالات الفكر والثقافة ومحاورتهم في مختلف القضايا ذات الأهمية القصوى، ولا سيما الثقافة الإسلامية، والنزعات الاستشراقية التي تروج لها بعض المنابر ولا سيما الأجنبية منها.

2) كتاب الشهر، وأرى أن يعهد به لباحث قدير يستطيع تسليط الأضواء على مؤلف هام سواء باللغة العربية أو الأجنبية، وتقديم خلاصة هامة له، مع مناقشة مختلف الأفكار الواردة فيه، والتعليق عليها.

3) إحداث باب بعنوان قرأت العدد الماضي، وفيه تقييم شامل لما ورد في العدد من دراسات وأبحاث وقصائد وقصص، والباب المذكور لا يرمي إلى إبراز العيوب بقدر ما يعنى بالمناقشة النزيهة التي تذكي الحوار وتشجع حرية الفكر.

4) أرى أن تكلف المجلة بعض الأساتذة ببعض البلدان الإسلامية بموافاتها بمختلف الأنشطة الثقافية والإسلامية من عين المكان حتى تكون الأحداث حية ومواكبة لما أصبحت تعتمده الصحافة أسلوبا جديدا في التعامل مع الوقائع، وإن كنت أقدر صعوبة هذا الاقتراح وما يكلفه من جهد.

5) إحداث باب للصحافة الإسلامية يتم فيـــه الـــرد على ما جاء فيها من مقالات وأبحاث تعتمد المغالطة سهوا أو عن قصد.

وأخيرا أتراني طموح أكثر من اللازم وأنا أترك للقلم الفنان يخط ما يحلو له من أفكار، بدون أن أضع المجلة الإسلامية الرائدة في إطارها الاجتماعي والمادي والبشري.

قد يكون ذلك ، ولكن ما العمل وأنا شاب متحفز ومقبل على الحياة يغمرني اليقين الإسلامي أن الشباب قادر على كل شيء متى خلصت السريرة، وتعبأت الإرادات.

وفي الذكرى الخامسة والعشرين لمسيرتها الظافرة، لا يسعني سوى أن أبارك تلك المسيرة الإسلامية العظيمة، مكبرا في أسرة (دعوة الحق) جهودها المخلصة من أجل ترسيخ الاعلام الإسلامي، والدفاع عن مبادىء الدعوة الطاهرة التي يعبق أريجها في كل العصور، ومهما كانت الروائح الكريهة التي تعمل على منع ذلك الاريج من الانتشار في الآفاق.

ادريس الزمراني



صورة جيل

للأستاذ أحمد تسوكي

لعبت المجلات الثقافية والأدبية في حياة الجيل الذي أنتمي إليه بالحياة والفكر معا، دورا أساسيا وعميقا في تكوين عقله، وصقل وعيه، وحفزه على ممارسة الكتابة، واستكشافه للرؤى الجديدة نحو الذات والعالم، واستجلائه للمواقف والصور الفكرية من خضم تياراتها واتجاهاتها القديمة والحديثة.

وهكذا خلفت تلك المجلات، على اختلاف مواقفها الفكرية وتباين مواقعها الثقافية، آثارا واضحة وجلية في وجداننا، كانت تصب كلها في نهر واحد لم يكن لنا مناص من السباحة فيه، مع رقة عودنا وغضارة عمرنا ونضارة شبابنا، نهر نتلقى فيه الأدب وفنونه، ونتذوق أجناسه وأساليبه من غير مرشد أو دليل، تلقيا وتذوقا كانت فيهما المتعة ممزوجة بالفائدة، لأننا في تلك السن لم نكن نفرق بين المتعة وبين الفائدة، فكلتاهما كانت مطلبا يلح علينا.

ولو سئل ذلك الجيل يوما عمن يكون المربي الرائد لثقافته والمكون الحقيقي لنمط وعيه في شبابه الأول، لأجاب على الفور - إن كان صادقا مع نفسه ومع واقعه ودون أن يجانبه الصواب ويتنكبه التوفيق - بأنهما يتمثلان أساسا في صفحات المجلات الأدبية والفكرية التي كان يطالعها بشغف عظيم، وفي الأسماء التي كان يؤثر أن يقرأ لها على غيرها.

وليس من شك في أن هذه هي إحدى الميزات التي تشرف ذلك الجيل الذي لم يقدر له أن يلج أبواب الجامعة، فيتزود منها ومن أساتذتها بثقافة منظمة ومفصلة بالبرامج والمناهج والمقررات المعتمدة في نظام الدراسة والتحصيل.. هي ميزة مشرفة له لأنه وجد نفسه - حين وعى المحيط الاجتماعي والفكري والعقلي الذي نشأ فيه نشأة لا تخلو من اضطراب وعدم توافق وانتظام - أمام تحد خطير لم يكن له فيه خيار، وهو أنه إذا شاء أن يقيم الأساس الثقافي والأدبي لعقله ووجدانه، فليس عليه إلا أن يشمر عن ساعد الجد، وأن يعتمد على نفسه وحدها في التكوين والتحصيل والصقل إذا أراد أن يكون له على الأرض موقع لقدم.

ومن هنا، فذلك الجيل يمثل البقية الأخيرة للرعيل الأول في الفكر والثقافة والأدب الذي تكبد من أجل أن يمتص ويتمثل نصيبا موفورا من ذلك كله، صنوفا وضروبا من المشقة والعناء والعنت، ربما لم يعان منها إلا نزرا يسيرا هذا الجيل الأدبي المعاصر الذي تشرب بعمق ودراية مناهج الفكر والتفكير الحديثة، وتشبع بأساليبها ومذاهبها عن طريق الدراسة المنظمة في الجامعات التي أتيح له أن يلجها ويتابع دراساته بها وهو مستقر البال على حاضره ومستقبله، مطمئن القلب إلى الوسائل والأدوات التي سيواجه بها الحياة.

ولا عجب في أن يجد جيلنا نفسه منجذبا بقوة إلى الأسماء الأدبية اللامعة التي سبقته إلى ارتياد ذلك الطريق الشاق. فمهدت له معالمه ويسرت له السير ليخطو عليها أولى خطواته التي سيعرف من بعد أنها كانت خطوات موفقة ناجحة. آلت به إلى بعض ما كان يتوخاه منها. فرضي هذا الرضى الذي يخامره منه اليوم إحساس رقيق واستبشار عميق.

ولم تكن تلك الطريق لتخلو بطبيعة الحال، مما يثير في نفس ذلك الجيل أعمق مشاعر الألم والمضض. ومما يستلزم منه جهدا جهيدا لا بد أن يبذله حتى يستقيم له الأمر فيما يسعى إليه. وليعتدل اعتدالا يسمح له ببعض الظهور في الحلبة الواسعة التي كان يقف هو على أطرافها وجنباتها المترامية قارئا متأملا، وزاهدا عاكفا على شغله العنيف الذي شغل به.

ولم تكن الأيام لتراه إلا مأخوذا ببريق الأسماء ولمعانها الذي كان ينجذب إليه انجذابا ينسيه نفسه وحاله حينا. وينسيه حينا آخر ظروفه الاجتماعية الخاصة التي كان قلبه يضطرم بنارها اللاهبة. وكان عقله يضطرب في دروبها وشعابها الملتوية. فيقسو عليه هذا وذاك قسوة لا تزال ملامحها وقسماتها باقية بارزة إلى اليوم في نفسه أولا. وفيما يكتب ثانيا.

ولا عجب أيضا في أن يلوذ ذلك الجيل - مضطرا لا مختارا - إلى مدرسته الصغيرة المتواضعة. حيث لا يعرف فيها فترة منتظمة من الدرس والتكوين والتحصيل، وفترة منتظمة من الراحة والدعة والتعطيل. وإنما يعرف فيها فصولا متعاقبة تتصل فيها ساعات القراءة والتثقيف من كل ما يصل إليه من كتب أو مجلات أو صحف أو جرائد.. لا ينتقيها من سوق المكتبات بالمدينة. بل هو مدفوع إلى أن يأخذها من مصادر مختلفة بقضها وقضيضها وغثها وسمينها. وإلى أن يقرأ ما اشتملت عليه من مقالات وموضوعات بعاطفة مشبوبة بالخيال. وشوق ملتهب بالطموح، وقلب يفيض نحوها بالمحبة والحنان والتعلق الخالص.

في غمرة هذا الجو الذي اكتنفته الغيوم والسحب الداكنة. شهدت نفسي تتفتح شهيتها للقراءة والمطالعة. وتتطلع إلى أن تلتهم - ما وسعها الجهد - جميع ما تحصل عليه من الكتب والمجلات والجرائد. وكانت «دعوة الحق» من بين الأطباق الممتعة التي امتلأت بها مائدتي الأدبية والفكرية المتواضعة. إذ لم تكن الظروف تسمح لي في تلك السنين الأولى من عقد الستينات بأن اتطلع إلى أسفار التراث وأمهات الكتب التي سبق لعناوينها المجوعة المغرية أن طرقت أذني وأنا أتردد على أحد فصول الدراسة الثانوية في سنواتها الأولى. حيث أتيح لي فقط قراءة شذرات مختارة منها في بعض الكتب الأدبية المبسطة؛ شذرات من جيد الشعر والنثر للجاحظ والمتنبي وابن المقفع والمعري وابن الرومي وأبي حيان التوحيدي من القدماء. ولطه حسين والعقاد وأحمد أمين والزيات والمازني والشابي وأبي ماضي وشوقي وحافظ ومطران والمنفلوطي وتوفيق الحكيم من المعاصرين.. إلى جانب قراءات متناثرة لأدباء وكتاب وشعراء آخرين من طبقة غير طبقة هؤلاء وأولئك. اختفت أسماؤهم من الذهن وانمحت آثارهم من الذاكرة.

وإني لأذكر أن اطلاعي على «دعوة الحق» جاء بمحض المصادفة لا الاتفاق. فقد كان شقيقي محمد يحتفظ بمجموعة منها في إحدى زوايا البيت. وكان عمله بالتعليم يلزمه السفر إلى مدينة شفشاون فكنت اغتنم فرصة سفره وغيابه عن البيت لأستولي - في تكتم شديد - على تلك المجموعة وأقبل على قراءتها في إحدى حجرات الدار التي هجرتها العائلة وانصرفت عن استعمالها. فانفردت بها وحدي لأجل القراءة والمطالعة.

وفي هذه الأعداد الأولى من «دعوة الحق». التقيت أول مرة بالمعلمين الأوائل ، محمد الطنجاوي ومحمد

الصباغ وعبد السلام الهراس وعبد الله كنون وعلال الفاسي وأحمد عبد السلام البقالي ومحمد الطنجي ومحمد بن تاويت والتهامي الوزاني وعبد الوهاب ابن منصور وأحمد زياد وتقي الدين الهلالي وعبد الكريم غلاب ومحمد برادة وعبد القادر الصحراوي والمهدي البرجالي وادريس الجاي وعزيز الحبابي ومحمد زنيبر وعبد القادر حسن وغيرهم كثير...

من هؤلاء ومن سواهم، عرفت الأدب المغربي الحديث، وعرفت بعض أعلامه في الشعر والمقالة والقصة والنقد والبحث والدراسة الأدبية والتاريخية. فكنت أقرأ لهم بانتظام في «دعوة الحق» التي كانت بالنسبة لي الباب الذي فتح أمامي آفاقا واسعة ورحبة، تفيض بألوان وصنوف ومذاهب من المعرفة بالثقافة المغربية والعربية والإسلامية.

وصارت بيني وبين «دعوة الحق» هذه العلاقة الحميمة التي تشد وتربط القارئ إلى مجلته حين يلتقي فيها بتلك الألوان والصنوف والمذاهب من المعرفة والثقافة التي يحس أنها تصور له نفسه وشخصيته وذاته. ولا تزال بيني وبينها تلك العلاقة وهي قائمة على أواصر أشد وعلائق أوثق ووشائج أوكد.

وأحب من القارئ أن يعذرني بعدما أثقلت صدره بهذه الذكريات الذاتية، وقد أردت أن أسوقها إليه ليس لقيمتها في ذاتها، فهي شيء مما يحدث ويقع في حياة القارئ. ولعلني قصرت في تصوير وتبيان نشأة هذه الصداقة الحميمة التي تربط بين القارئ والمجلة والتي تتحول مع تحول الأيام إلى حب يفوق كل قدرة على الوصف.. قلت إنني إنما أردت أن اسوق للقارئ تلك الذكرى ليس لقيمة فيها، ولكن لشيء أكبر وأعمق وأبعد غورا.

إن «دعوة الحق» ليست من المجلات التي يتلقفها المرء حين صدورها فيطالع منها ما يسعفه به الوقت، ثم يطويها طيا ويسلمها للنسيان، كأنما هي صفحة الماء ينقش عليها الريح صورا باهتة الظل، خافتة الصوت، فتأتي موجة من موجات التيار لتدفع هذه الصور مع زخات الهواء إلى الهباء، بل إنها لمن تلك الكتب الباقية التي يحن إليها الإنسان المرة تلو المرة، ويعود إليها الحين بعد الآخر، ليقرأ فيها قيما باقية لا تبلى، ومثلا خالدة لا تزول، وليطالع فيها معاني إنسانية حية ما فتئت تعيش في قلوبنا ووعينا ووجداننا جميعا، وليستحضر منها قضايا ومواقف لا تزال أحوالنا ومصائرنا وأقدارنا الفكرية والثقافية والعقلية والروحية والاجتماعية تفرضها علينا فرضا ملحا حتى يوجد لها رجال الفكر وأقطاب الاجتهاد والتجديد حلولا حاسمة، ولكن الأحوال والمصائر والأقدار في كل بيئة من البيئات البشرية التواقة إلى التطور والنمو والاكتمال، تأبى هذه الحلول لأنها تتنافى - إلا فيما اتصل ببعض الأمور والشؤون - مع الطبيعة الإنسانية وطموحها إلى الكمال والاستواء.

وإن مجلة هذه خصائصها وفلسفتها، وهذا مذهبها وطريقها، لا تسهم فحسب في تكوين العقل وتربيته وتهذيبه لظرف خاص من الظروف، وإنما تسهم أيضا في تكوينه وتربيته وتهذيبه لعقود وأجيال تجد جدا متواصلا في اعتناق وامتصاص وتمثل القيم الصالحة والمبادىء القويمة والأفكار الأصيلة التي تعرق في بناء شخصية الإنسان من أساسها، أي يكون لها في نشأة العقل والوعي والوجدان الاجتماعي والفكري والحضاري دور عريق متأصل في الجذور التي ينطلق منها البناء العام ليس للفرد الواحد فقط، وإنما للأمة بأكملها.

وأحسب أن «دعوة الحق» هي في طليعة تلك المجلات ومن أوفرها حظا في القيام بذلك الدور الكبير الذي لا يضطلع به في واقع الأمر إلا معاهد العلم والمعرفة. وإن الجيل الفكري والثقافي الذي عاش ميلادها ونموها وتطورها ونضوجها، والمقصود بهذا كله هو الفعل العقلي المتنوع والخصيب الذي تدرجت «دعوة الحق» في ممارسته طوال خمسة وعشرين عاما في حقل تثبيت وتعزيز قيم

ومبادئ الأصالة المغربية بشقيها العربي والإسلامي. ..قلت إن ذلك الجيل يدين لهذه المجلة بدين كبير طوقت به عنقه في شبابه الأول. وعلمته - فيما علمته - أن علاقة الإنسان القارئ بالمجلة علاقة دائمة لا تنحصر في مرحلة الطلب الأولى. ولكنها تستمر وتنمو حتى تكتمل وتستقيم في صورة صداقة أو حب. لا تزيدهما الأيام إلا قوة ورسوخا.

وهاهو ذلك الجيل. لا يزال إلى اليوم تستكن في أقطار نفسه كلها بصمات وروائح طيبة سخية من هذه الحقبة من الزمن التي ربطته بـ «دعوة الحق» ربطا لا انفصام له بإذن الله ومشيئته. وهي حقبة تمثل ميلاده ونموه وتطوره ونضوجه العقلي والفكري والأدبي. وتمثل له ولغيره من الأجيال اللاحقة مدرسة شامخة من القيم. تأصلت على أرض صلبة ثابتة. وقامت على جذور راسخة قويمة. هي - في النهاية - واجهة من واجهات البناء الثقافي لبلادنا. ومظهر من مظاهر أصالتنا.

ولا حاجة بي إلى القول أن «دعوة الحق» سجل للثقافة المغربية الأصيلة خلال ربع قرن. سجل حافل تطوي صفحاته قيم ومنطلقات الدعوة الفكرية وتأصيلها في الوجدان المغربي. فهي بهذا المعنى - وهو ليس المعنى الوحيد لهذه المجلة خلال هذه المرحلة من عمرها المديد بعون الله - المرآة التي تعكس طموح وآمال المثقفين والأدباء والكتاب المغاربة. وتعكس مواقفهم الفكرية والوجدانية والعقلية. وتعكس أخيرا رؤيتهم المتجددة إلى المشاكل والقضايا الفكرية المختلفة التي شغلت بالهم في أثناء تلك الفترة. ولا تزال إلى اليوم تشغلهم بنشاط أزيد. وحيوية أكثر. ونضوج أقرب ما يكون إلى الاكتمال والاستواء في الكتابة والتعبير والمعالجة.

ولعل مما يحمد لذلك الجيل الذي تعلم - أول ما تعلم - من «دعوة الحق» أنه حافظ على عاطفته وإحساسه ورقة شعوره. وحافظ أيضا على تمسكه بأصالته وبقدرته الذاتية على تطوير مواهبه وملكاته. فاستطاع من خلال هذا كله أن يكون صورة صادقة للجيل الذي سبقه على نفس الطريق. وإن لم يكن أكثر منه قدرة وامتلاكا على هضم واستيعاب الأسلوب الفكري والأدبي المتفرد الذي يتميز به. وإن لم يستطع أن يضاهيه في حرارة العاطفة وحساسية الكلمة وتوهج الشعور. ولعل لتصادم الأجيال وصراعها في الثقافة والفكر والأدب دخلا غير يسير في هذا الاختلاف والتباين.ولكنه تصادم غير عنيف لأنه لم يذهب هذا المذهب الجديد الذي أوغل في التعسف والشطط حتى كادت الصلات الثقافية تنفصم بين الأجيال. وأعتقد أن على «دعوة الحق» أن تسهم من جديد في إقامة وتجديد هذه الصلات والعلائق. حتى تستمر القيم الفكرية الأصيلة في سبيلها القويم. وحتى تدلل مرة أخرى أنها تتجدد بتجدد الأجيال. فلا خير في حياة فكرية وثقافية وعقلية بلا جديد.

الرباط أحمد تسوكي



دراسات قرآنية :

القرآن كلام الله

-2-

للدكتور عبد الله العمراني

في هذه الحلقة الثانية نواصل الحديث عن القرآن الكريم بصفته كلام الله وكتابه المبين. ومواصلة الحديث في هذا الموضوع، تقتضي البحث في نقطتين هامتين : أمية محمد (ص) ثم الوحي.

أولا : أمية محمد عليه الصلاة والسلام :

للأمية معنيان ينبغي تحديدهما :

أول المعنيين : يراد به الجهل بالقراءة والكتابة، وهو المعنى المعروف المتبادر إلى الذهن. والأمي على هذا، إما منسوب إلى الأمة، أي الجماعة أو الغوغاء أو سواد الشعب الذي غالبا ما يكون جاهلا بالقراءة والكتابة، واما منسوب إلى الأم بالفطرة الأولى التي فطر عليها الإنسان عندما ولدته أمه. ومن المعلوم أن المولود ـ في أولى مراحل طفولته المبكرة ـ يكون عاجزا حتى عن الكلام، فهو من باب أولى وأحرى عاجز عن الكتابة والقراءة. وكيفما كان الحال، فالنبي (ص) لم يكن يعرف القراءة والكتابة، وكذا مجموع القبائل العربية بشمال(1) شبه الجزيرة العربية، فقد كانت غالبيتهم تجهل القراءة والكتابة، عدا أفراد قليلين تعلموهما، ولم يكن محمد بن عبد الله من بينهم.

لقد ورد وصف النبي (ص) بالأمي في عدة آيات من كتاب الله العزيز :

ففي سورة الأعراف 157 (الذين يتبعون الرسول النبيء الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل، يامرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر...)

وفيها أيضا الآية 158 (فآمنوا بالله ورسوله النبيء الأمي الذي يومن بالله وكلماته).

وورد وصف العرب بالأميين، لأنهم اشتهروا بين الأمم بالأمية، أي بعدم معرفة القراءة والكتابة. قال تعالى في سورة الجمعة 2 (هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل في ضلال مبين).

وثاني المعنيين : يراد به عدم الاحراز على كتاب سماوي، فالأميون على هذا المعنى، من ليسوا يهودا أو نصارى، وهم مشركو العرب الجاهليون. وقد ورد هذا المعنى في سورة آل عمران مرتين : **إحداهما في الآية** 20 (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين : أسلمتم ؟) وبما أن العطف يقتضي المغايرة فعرب الجاهلية هم الأميون الذين

---

(1) يستثنى الجنوب (بلاد العرب السعيدة) حيث بنيت أولى ناطحات سحاب في التاريخ (قصر غمدان) الشهير. يذكر البكري عن الهمداني «أن غمدان صنعاء كان عشرين سقفا طباقا بين كل سقفين عشرة أذرع» ويذكر مؤلف غربي أنه كان من عشرين طبقة وكل طبقة تبلغ في الإرتفاع عشرين ذراعا، فهو أول ناطحة للسحاب في التاريخ». (تراجع صفحة 8 من كتاب : محمد الصادر في سلسلة : عظماء من كل العصور.

Grandes de Todos Los Tiempos

لم يكونوا قد آمنوا بالكتاب السماوي (القرآن). **والأخرى** في الآية 75 (ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل) والقائلون هنا هم اليهود الذين رضعوا ـ حتى التخمة ـ لبان الأثرة والتعصب الأعمى. فلم يكن مدى إبصارهم يجاوز أرنبة أنوفهم.

هذا، وتنزيل القرآن على النبي الأمي يعد أكثر دلالة على أنه من عند الله، وأظهر اعجازا، وأقوى تحديا للعرب الذين عرفوا بين الأمم القديمة، بالإعراب والفصاحة والبيان. ومع ذلك لم ينج النبي (ص) من سلاطة ألسن خصومه أهل مكة، ومن انتقاداتهم المرة، ودعاويهم ودعاياتهم المغرضة، فقالوا عنه : إنه شاعر، وقالوا : ساحر، وقالوا : مجنون. وقالوا عن القرآن إنه أساطير الأولين، وأنه مفترى. ولكن تحدي القرآن لهؤلاء ـ رغم مقدرتهم البيانية ـ ظل قائما، فتحداهم أن يأتوا بمثله. قال تعالى في سورة الطور، الآية 33 : (أم يقولون تقوله ؟ بل لا يومنون. فلياتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين).

ولما عجزوا، تحداهم أن ياتوا فقط بعشر سور مشابهة لسوره. قال تعالى في الآية 13 من سورة هود : (أم يقولون افتراه ؟ قل : فاتوا بعشر سور مثله مفتريات، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين).

وحين عجزوا أيضا، تحداهم أن ياتوا بسورة واحدة مماثلة لسورة منه. قال تعالى في سورة البقرة 23 (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا، فاتوا بسورة من مثله). وقال في سورة يونس 38 (أم يقولون افتراه ؟ قل : فاتوا بسورة مثله).

ولما وقع العجز التام الشامل، انصرف التحدي إلى الأنس والجن معا. قال تعالى في سورة الإسراء 88 (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن، لا ياتون بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا).

ثانيا الوحي : يتناول البحث في الوحي ماهيته ـ إمكانيته ـ بدء الوحي ـ التدرج فيه ـ الموحى به.

أ ـ **ماهية الوحي :** الوحي لغة الإعلام في خفاء، المدرك بسرعة، ويكون بالرمز، والتعريض، والكلام الخفي، ويكون بالإشارة (ببعض الجوارح) كما يكون بالكتابة.

أما في الإصطلاح أو الشرع فالوحي هو إلقاء الله أوامره وتعاليمه الدينية إلى أنبيائه قصد تبليغها عنه، ويكون بإحدى الطرق التالية :

1) بالرؤيا الصادقة.

2) بالإلهام فينفث الملك في روع النبي (قلبه) دون أن يراه.

3) بأن يتمثل الملك للنبي في صورة رجل.

4) بوساطة ملك ترى ذاته ويسمع كلامه.

5) بسماع كلام الله من وراء حجاب، من غير معاينة، وبلا واسطة.

6) بغير ذلك من الوسائل الربانية.

ب ـ إمكانية الوحي : تحدث الإمام ابن خلدون في مقدمته، عن الوحي حديثا رائعا ينم عن شفافية نفس النبي، وصفائها الروحي، لدرجة ترتفع معها الحجب بين العبد وربه. وكذلك عالج الإمام الشيخ محمد عبده في كتابه (رسالة التوحيد) موضوع إمكانية الوحي بما لامزيد. ولكني أريد هنا فقط، أن أؤكد أن هذه الإمكانية قد تعززت كثيرا بالمباحث التي قام بها المحدثون في ميادين البحث العلمي والتقنيات، وفي ميادين المواصلات عن بعد (السلكية واللاسلكية)، وفي المواصلات الروحية ـ إن صح التعبير ـ إلى غير ذلك من نتاج العقل البشري الجبار.

لقد تقدمت المباحث النفسية كثيرا في هذا القرن العشرين، فقرأنا، وشاهدنا الشيء الكثير عن ظواهر التنويم المغناطيسي، وقراءة الأفكار، ونقل الأفكار، والتخاطر (أي تبادل الخواطر) أو التلباث. وكلها مباحث جديدة، وللتأكد من جدتها، يمكننا أن نرجع إلى الكتب والموسوعات المؤلفة أو المطبوعة في القرن الماضي، فلا نجد لهذه المصطلحات العلمية أي ذكر أو أية إشارة.

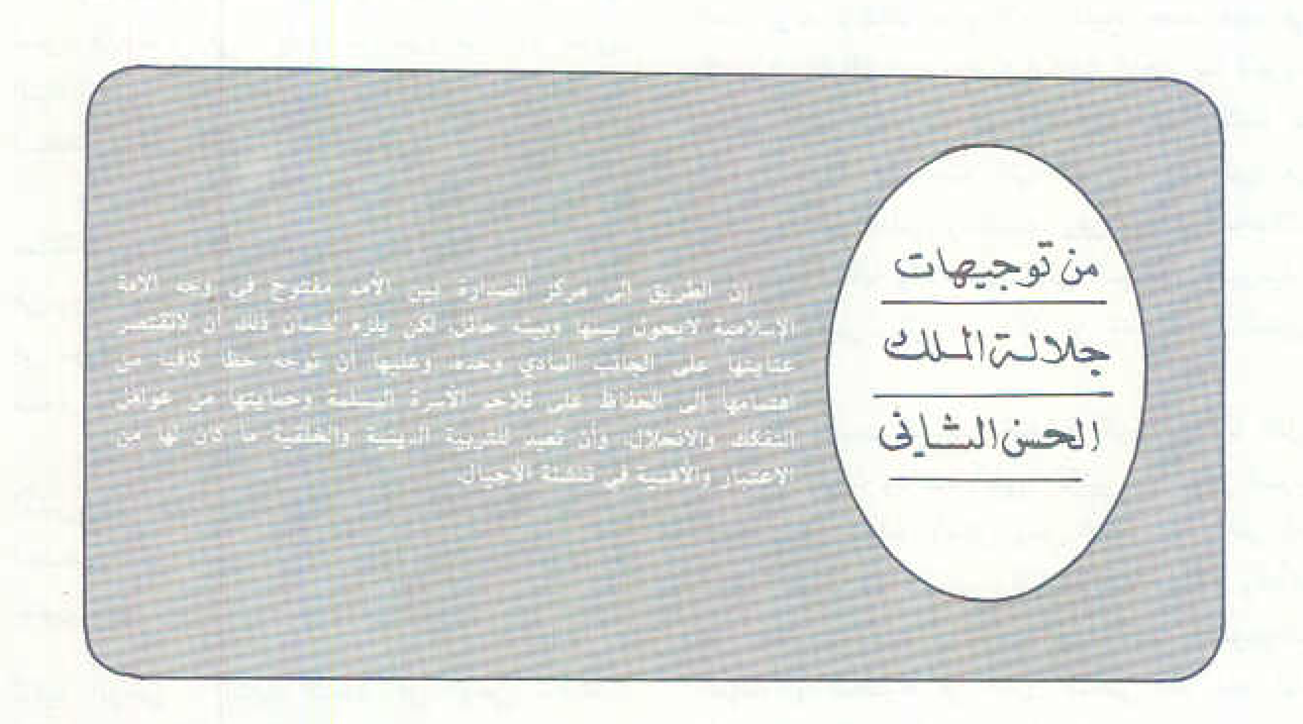
يعرف العلامة مايرز التلباث قائلا : «هو اشتراك عقلين في انفعالات من أي نوع كانت، وبكيفية مستقلة عن طرق الحواس المعروفة.» وعرفه بعضهم تعريفا أدق وأوضح فقال : (التلباث انعطاف عقلي بين شخصين، يجعل التأثيرات العاطفية قادرة على أن تمر من أحدهما إلى الآخر، رغم بعد المسافة، وبدون واسطة ظاهرة، وبكيفية مستقلة عن العمل العادي للحواس».

إن عرب الجاهلية لم يكونوا يدركون أن الوحي ممكن، أو أن الإنسان يمكنه أن يقوم - وهو قطرة فقط من بحر القدرة الإلهية - بأعمال خارقة للعادة، فينقل الكلام والصور بواسطة المذياع والتلفاز إلى مسافات شاسعة. لو تنبأ بهذا متنبيء، في أول هذا القرن، لا عند ظهور الإسلام، لقيل عنه كل شيء، إلا أنه في حالة عقلية سليمة. ولكن إنسان اليوم - وقد تقدمت التكنولوجيا وازدهر العلم - صار يبارك مثل هذه الأعمال المدهشة ويشجعها، وصارت حكومات الدول الراقية، تصرف الأموال الطائلة في سبيل تحقيقها وإنجازها. ولعل الإنسانية تجد بعض العزاء في هذه الأعمال، حين تعتبرها دليلا على وجود الله ووحدانيته وقدرته الفائقة... إن جميع أنواع المواصلات تثبت بشكل أو بآخر، أن الوحي الإلهي لعباده المصطفين ممكن، وأن رسالات الأنبياء صادقة، وأن المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وأدوها على خير وجه.

وأقف عند هذا الحد، لنعود إلى الحديث في موعد لاحق إن شاء الله تعالى.

(يـتـبـع)

الدكتور عبد الله العمراني





أنرتِ طريق الحقّ

للأستاذ الشاعر احمد عبد السلام البقالي

أنرت طريق الحق . يادعوة الحق
وسرت على درب الحقيقة والصدق
وعلمت أجيالا، وألهمت أمة
قواعد دين الله في الغرب والشرق
زرعت بذور الشك في الشك نفسه
وأحللت إيمان العجائز في الخلق
وأسمعت للإسلام صوتا مجلجلا
ونلت بما حققته قصب السبق
وكنت لأهل العلم والفكر ندوة
منورة في صمتها أبلغ النطق
وللأدب الحي الرفيع حديقة
تنسق أرجاها يدا الفن والذوق
وترعى مراعيها عيون حريصة
وتلمسها أيدي المحبة والرفق
عصارة أفكار العقول شرابها
ومثل الذي تسقى به للورى تسقي

٥ ٥ ٥

ملأت لنا خمسا وعشرين حجة
عطاء كريما دون رعد ولا برق
وفي كل شهر نلتقي بك مرة
لإطفاء ما أضرمت فى الصدر من شوق

وضعنا لها خمسا وعشريـن شمعــــــة
فبشـرى بألـف الألف يادعوة الحــق
ورفعـا لإعـلام الجهـاد إلـى العـــلا
ونفخـا لأبـواق المعـارك فـي صـــدق

علـى فرقـة الشمـل التـي عصفــت بنـا
على الجهـل والتضليـل والطيـش والحمق
علـى كـل أصناف الأنانيـة التـــي
مرضنـا بهــا أم الخيانـة والفســـق
فأعداؤنــا فينــا. وبيــن ظهورنـــــا
بداخلنــا. ليســوا بغــرب ولا شـــرق
فـلا جـار إلا وهـو خصـم لجــــاره
يذوب ويشقى كي يذيب وكي يشقـي
ولا شعب إلا وهو في الخطب مبتلــى
بحـزب علـى رأي الجماعـة منشـــق
ولـولا اقتتـالات الزعامـة ما انبـــرت
إلى طعننـا أيـدي الصهاييـن فـي العمـق
ولـو رص بنيـان التضامـن بيننــــا
لما حـاول الغـدر التسـلل مـن شـــق
مواعـظ عجـز قـد مللنـا سماعهــــا
فمـا بينهـا والصمـت واليـأس مـن فــرق
ولكـن صمـت العارفيـن خيانـــــة
وتزكيــة للخارجيــن عـــن الطـــرق
تجــاوزت حــدي فاغفـري لـي تجاوزي
فعيـدك عيـد للتدبـر والصـــدق

أحمد عبد السلام البقالي

دعوة الحق: منبر حق

للأستاذ محمد حمزة

لم يكن من قبيل الصدف، ولا من سبيل المجازفة، أن تسمت مجلة «دعوة الحق» بهذا الإسم، فاتخذته لها عنوانا، ولبسته رداء، وتلفعت به ذاتا وموضوعا، وإنما هي تسمية نابعة من صميم أهدافها، منبعثة من أعماق مقاصدها، ممثلة لقول الله سبحانه في محكم تنزيله : «له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال»(1).

ذلك أن «دعوة الحق» اسم يطابق مسماه، وينبيء عن لفظه ومعناه، ويفصح عن مضمونه ومبناه، ويعرب عن صورته وهيولاه، ويبين عن محتواه ومقصوده الذي هو الدعوة الى الله، والعمل لوجهه، والعيش في رحابه، ونشر تعاليم دينه،وآداب لغة كتابه،جهارا من غيراسرار، واظهارا من غير اضمار، فحسرت اللثام عن كنوز الإسلام، وقشعت الغمام عن حضارته الخالدة وفكره الغزير.

يقول ابن جزي الكلبي : ان المراد من دعوة الحق في الآية المذكورة هو توحيد الله سبحانه بقول لا إله إلا الله، والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله، ودعوتهم بالباطل لغيره(2).

والدين عند الله الإسلام، من احتمى به عز وعلا، ومن طلب الرفعة بغيره ذل وهوى، فتصير طباعه جامدة، ودماؤه باردة، وهمته راكدة، وعزيمته خامدة، وما القبض على الماء بالكف إلا دليل على الفراغ الروحي، والانهيار الأدبي، والتلاشي النفسي والانتحار البطيء الذي تعانيه العقول إذا تجردت عن ذكر الله، وابتعدت عن سبله، وتخلت عن نهجه وسنة رسله وأنبيائه. يقول ابن القيم : «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الإنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه الا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك الى وقت لقائه.

وفيه فاقة لا يسدها الا محبته والإنابة اليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو اعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا».

وهذا ليس كلام عالم فحسب، بل هو كلام ذائق مجرب، يقول ما يخبره ويقص ما أحس به في نفسه، وما رآه ولاحظه في الناس من حوله.

---

1) سورة الرعد، الآية 14.

2) كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ج 2 ص . 132 دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

وفي التمثيل القرآني بالقبض على الماء باليد ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن الذي يدعو لها من دون الله كالظمآن الذي يدعو الماء إلى فيه من بعيد يريد تناوله ولا يقدر عليه بلسانه. ويشير إليه بيده فلا ياتيه أبدا. لأن الماء لا يستجيب. وما الماء ببالغ إليه.

الوجه الثاني : انه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء وقد بسط كفه فيه ليبلغ فاه وما هو ببالغه. لكذب ظنه. وفساد توهمه. وخيبة حدسه. وسقم ذوقه.

الوجه الثالث : انه كباسط كفه في الماء ليقبض عليه فكان ذلك باطلا ولهوا وقبض ريحا. فالماء لا يجمد في الكف شيء منه. إلا أن تغسل ببرد الإيمان. وترحـض بجمال التقوى. وتتدثر بدثار الإحسان. مستلهمة الرشد من الله. والسداد من عنده سبحانه. مصداقا لقوله تعالى : «الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم»(3).

إن الحقيقة تفرض نفسها دائما على كل من خلصت نيته وانطلق عقله من قيود التحيز وشرك الأهواء. فلذلك اختار المغاربة الإسلام دينا. واتخذوا سنة نبيه سبيلا ومنهجا. واسترشدوا بكتاب الله سراجا ونبراسا. فعرفوا قيمة الإنسانية. وأدركوا معنى الكرامة. وتفهموا مزية المروءة. يقول جلالة الملك : «لقد اعتنق المغاربة الإسلام طوعا واختيارا. ورضى واستبشارا. إذ حمل اليهم من مكارم الأخلاق. وسليم المبادىء. وصحيح الأحكام. وقويم النظم ما سعدوا به أفرادا وجماعات» (4).

ذلك ان الإسلام هو الدين الذي أراده الله لخلقه وارتضاه لعباده. إذ خطه في لوح الأزل. وجعله ختام مسك للرسالات السموية التي سبقته يقول أمير المؤمنين **جلالة الحسن الثاني : «إن من منن الله على خلقه ورحمته بهم أن بعث فيهم سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه برسالة إلهية هي خاتمة الرسالات. تهديهم الى محجة الصواب وتفتح لهم من وجوه الخير والبر كلّ باب»(5).**

فالإسلام جمع محاسن الرسالات السماوية جميعها. وجدد ما اندثر من معالمها بالترجمة أو بسوء التأويل. فكان بذلك دين الرسل جميعا مصداقا لقوله تعالى : «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه» (6).

قال مجاهد : «لم يبعث الله نبيا قط إلا وصاه بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم(7).

فالعقيدة الإسلامية السماح منهج حياة يحمل كل الظروف المواتية لخير البشر وإسعاده. ويتناغم بكل هدوء وصفاء مع الفطرة السليمة. ويتلاءم مع الحياة في مظاهرها السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فبالملة المحمدية ترسو أقدام الهدى. وتتوثق عرى الاستقامة. وتتأكد القوة المعنوية في قلب المؤمن. وفي الإسلام تجد النفس سكينتها. وتلقي غايتها ومناها. وتحت ظله تستمر النعمة. ويرتفع السعد. وتسمو الأخلاق. وتزول الغشية. وينبدحر طائف الشيطان وتشفى جميع الأدواء النفسية. وذلك ما حاولت وتحاول مجلة «دعوة الحق» غرسه في عقول المغاربة. بل في عقول قرائها أينما كانوا وحيث ما حلوا.

ويتصل بالإسلام كتابه الخالد إذ أن «دعوة الحق» تقف موقف الحق في ميدان الدراسات القرآنية. فلا يكاد

3) سورة البقرة، الآية 268.

4) انبعاث أمة ج 10 ص 90، 1965.

5) من رسالة جلالة الملك إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن 15 هـ المنشورة بمجلة دعوة الحق ص 11 العدد 1، السنة 23 مارس 1982.

6) سورة الشورى، الآية 13.

7) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله بن أحمد الأنصاري القرطبي ج 10، ص 11 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة 1387 هـ ـ 1967م .

يخلو عدد من أعدادها من الحديث عن كتاب الله، أو شرح مضامينه أو الدفاع عن مبادئه، أو القاء الأضواء الكاشفة على تعاليمه فتتفتح القلوب على أسراره، وما يتصل بجماله وإعجازه، اثباتا لرسالة محمد، وتعريفا بالحضارة الإسلامية وما قدمته للإنسانية من أيادي بيضاء، فبفضله عرف العالم النور، وبه ارتفعت هامة العرب والمسلمين عالية، «ولقد انشأ القرآن من العدم أمة ودولة انتظمت في سلكها القارات الثلاث التي كانت معروفة إذ ذاك ودانت لها بالطاعة، ودخلت الكثرة الكاثرة من سكانها في دين الله الذي يدعو اليه القرآن، برغبة تلقائية، فتكون منها مجتمع فاضل يخضع في شؤونه الخاصة والعامة لأحكام القرآن ونظامه المثالي، وتفاعلت عبقريات الشعوب التي تكونت منها الأمة الإسلامية مع تعاليم القرآن، فشيدت تلك الحضارة الإنسانية التي لم يشهد لها التاريخ فيما مضى مثيلا» (8).

فالقرآن نعمة الله السابغة، وحجته البالغة، أودعه الله العلوم النافعة، والبراهين القاطعة، وجعله في الطبقة العليا من البيان فحار في أسلوبه وتركيبه دهاقنة الأدب وعباقرة التأليف.

وفي ضوء الإسلام وتعاليم كتابه، يستحث المغرب الخطى في اطمئنان، ويسير بثقة تامة، ليستكمل بناء صرحه الاقتصادي، ويستتم قواعده الاجتماعية، ويوطد اشعاعه الحضاري دفاعا عن كيانه، وذودا عن بيضة الإسلام والمسلمين متفاعلا مع الحضارات الإنسانية المختلفة دون شعور بالاغتراب أو الاستلاب ، «إن حيوية الأمة الإسلامية وتداخل مجتمعاتها مع غيرها، وتفاعلها مع حضارات ولقاءات وديانات ومذاهب أخرى الى أمد قريب تفصلها عنها المسافات المادية والمعنوية، وان التطـــورات والتغييرات السريعة التي طرأت على المجتمع البشري في السبعين سنة الماضية، والتي قال عنها أحد المستقبليين ، «بان ما حدث خلالها من تقدم يوازي ما حدث في مدى خمسة آلاف سنة الماضية»، كل هذا يفرض علينا أسلوبا جديدا في التعامل مع تراثنا الحضاري بجميع جوانبه، أسلوبا يتيح للمسلم والمسلمة أن يندمجا في المجتمع التكنولوجي الذي يعيشان فيه (9).

والحق أنه لا يمكن لمقالي المتواضع هذا أن يفي «دعوة الحق» حقها فكيف وقد مضى لها من العمر ربع قرن شهد أحداثا جساما على الساحة الإسلامية، وعاش تقلبات غيرت نظر القارئ الواعي في مختلف القول من مقالة وقصة ومسرحية... وقد استوعبت المجلة أكثرها إذ صارت منبرا حرا للكاتب والقارئ على السواء، معبرة عن شعور الإنسان المغربي بذاته بما تحمله من تراث وتعيه من أمانة ضاربة في أحشاء التاريخ، إذ فرضت نفسها على الزمن، وكتبت صفحاتها على جبين الدهور، لا يماري في ذلك إلا كاذب الحدس أو فاسد الظنون.

وإن فنون القول وأصناف الفكر وضروب الأدب لتجد نفسها اليوم أكثر موضوعية على صعيد كل من يحمل القلم، أو ينشد الكلمة، أو ينمق العبارة، اعرابا عن الملحمة الحسنية الخالدة التي تحقق كل يوم أمجادا وتسجل مفاخر في شتى مجالات الحياة.

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

---

8) من مقال للأستاذ عبد الله كنون في مجلة دعوة الحق السنة 19 العدد الأول.

9) من رسالة جلالة الملك إلى ندوة الإمام مالك دعوة الحق العدد 3 السنة 23 ص 27.



للأستاذ محمد الحجرة

من حسن حظي أن عثرت بين أعداد من المجلات والصحف مضى عليها زمن بعيد، العدد الأول من مجلة **«دعوة الحق»** الغراء، الصادر في شهر ذي الحجة عام 1376 هـ الموافق لشهر يوليوز 1957م، وهي مجلة شهرية تعنى بالبحوث الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، ثمن العدد، 100 فرنك، تصدرها وزارة عموم الأوقاف ـ الرباط.

هذا ما حمله غلاف هذا العدد، أما الصفحة الأولى منه فقد زينت بصورة لجلالة الملك المغفور له مهداة إلى المجلة كتب عليها : محمد بن يوسف.

كما توجت الصفحة الثانية بقلادة من الدرر الناصعة الخالدة لرائد الحرية والاستقلال المغفور له محمد الخامس رحمة الله عليه، تبرز النهج القويم الصالح الذي على المجلة أن تسلكه في سبيل الدعوة لمعالجة الشؤون الفكرية والإسلامية وبالأخص منها الناحية الدينية، ومن دررها «ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء».

وكأنني لم أقرأ هذا العدد، أو أن سرعة هذا الزمن الذي طوى معه فترة ربع قرن دون أن نشعر بمرورها، أنساني ما بين دفتي هذا العدد، فحداني الشوق إلى تصفحه من جديد وإعادة قراءته، فوجدت نفسي بين أرواح طاهرة منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، بعضهم اختار جوار ربه مع الصديقين والشهداء والصالحين بعد كفاح متواصل في الميدان السياسي والأدبي والتحريري والفكري وتأدية رسالتهم بكل أمانة وصدق وإخلاص فداء لهذا البلد العزيز إلى أن لبوا داعي الله عليهم الرحمة والمغفرة.

وبين رجال لازالوا يؤدون رسالتهم العلمية والأدبية والتاريخية بما عهد فيهم من صدق وحماس لنصرة لغة القرآن وحماية المقدسات الإسلامية من الدسائس والأفكار التي ينشرها أعداء ديننا الحنيف.

وهكذا وقفت وقفة صمت وترحم على من استشهد، ومقدرا همة الباقين الأحياء الاجلاء، الحاملين مشعل النور والثقافة والفكر في هذا البلد الأصيل الذي يربط بين الماضي والحاضر، ويحافظ على أصالته وشرفه وكرامته.

وهكذا تحرك قطار مجلة **«دعوة الحق»** منذ خمس وعشرين سنة، قدمت خلالها للقراء على رأس كل شهر عددا ومجلدا حافلا بالأبحاث القيمة التي تغني الباحث عن عدد من المراجع، وأحيانا أعدادا خاصة عن الدراسات الإسلامية

والتاريخية والأدبية مما أنار المتتبع للحياة الفكرية في المغرب.

وتلبية لنداء الحق الذي نادت به **«دعوة الحق»** للاحتفال بعيدها الفضي وصدور عدد خاص بذكرى مرور خمس وعشرين سنة على صدورها، نرى من الواجب على كل من ساير الحركة الفكرية في بلادنا ولمس جوانبها، وعالج اشكالاتها، وأبرز ظواهرها، وغاص وراء العبقرية المغربية واستخرجها نقية صافية لماعة، حتى أشرق شعاعها وأينعت ثمارها، واشتد ساعدها وتحملت مسؤوليتها في هذا المجال، كان لا بد وأن نشارك معا في عيد الفكر والعلم والأدب تحت ظلال الروح الإسلامية التي وهبت لها مجلة **«دعوة الحق»** كل صفحاتها من أول نشأتها.

صادف صدور مجلة **«دعوة الحق»**الزاهرة ركودا في الميدان الفكري بعد عام بالضبط من التوقيف المفاجىء لجميع المجلات الأدبية والفنية التي كانت تصدر بتطوان في شهر يوليوز 1956 ولقد كان هذا التوقيف بالنسبة لأصحابها ولقرائها في الداخل والخارج مأساة ونكبة، وفي نفس الوقت خسارة لمجلات ثقافية كان بعضها بالنسبة لذاك العهد، اكتسبت رواجا وانتشارا واقبالا من القراء والكتاب، وحققت رابطة قلمية بين المغاربة والمشارقة وحملة الأقلام من أدباء المهجر الذين يتطلعون بكل شوق إلى النهضة الأدبية في المغرب.

وكانت مجلة «الأنيس» هي رائدة المجلات الثقافية أنذاك، ولا ينكر فضلها في خدمة الأدبي المغربي خاصة والعربي عامة، فخلدت صفحات مجيدة في تاريخ الأدب المغربي، وبزغت على صفحاتها أقلام خلاقة، وكانت رسولا أمينا بين أدباء المغرب العربي والمشرق العربي، وتحملت الأخطار، إلى ما وراء البحار، حاملة رسالتها الأدبية المغربية لأدباء المهجر، فكانت مدرسة للأقلام الفتية الناشئة، ومجالا واسعا لأساتذة وكتاب وباحثين، وقد استفاد من هذا المزيج الأدبي كتاب وشعراء وأدباء، نرى أقلامهم اليوم في أعلى المستويات في شتى الفنون الأدبية.

ونبقى مع مجلة «الأنيس» التي صمدت وتابرت مدة عشر سنوات في ظروف أشد ما تكون من الصعوبة والأخطار منذ صدورها سنة 1946 إلى توقفها سنة 1956 وهي تساير الظروف بإرادة قوية ومجهود فردي، وبمعنوية طموحة لبلورة الأدب المغربي والتعريف به في الأقطار الشقيقة، وكانت تغمرها الأفراح والمسرات لاستقبال عهد الحرية والاستقلال لتطلق العنان لأقلامها وتجول وتتجول بدون خوف بعد عهد الحجر والحماية، وبزوغ نعم الاستقلال، ولكن مع الأسف توقفت كما توقف غيرها من المجلات التي كانت تصدر بتطوان والتي يزيد عددها على أكثر من عشر صحف ما بين مجلات شهرية وجرائد يومية وأسبوعية.

وترك هذا التوقيف لكل هذه الصحف مرة واحدة وراءه فترة حالكة في ميدان الفكر وفي الميدان الصحافي، لا في شمال المغرب فحسب، بل وحتى في جنوبه، مما أحدث فراغا في الميدان وصدمة للقارىء والناشر.

في هذا الفراغ وفي ظروفه، اهتدت وزارة عمــــوم الأوقاف إلى ملء هذا الفراغ بإصدار مجلة **«دعوة الحق»** لتربط بين الماضي القريب والحاضر الباسم والمستقبل الزاهر في نعيم الاستقلال وبذلك فتحت باب التفاؤل للقراء، ومجالا للكتاب والأدباء.

وما دام حديثنا عن التجربة الصحفية التي سبقت مجلة **«دعوة الحق»** والتي خاضت تجربتها وزارة عموم الأوقاف على صفحات مجلتها الفيحاء منذ ربع قرن، فإنه لابد وأن نفكر في مجلة مغربية إلى جانب المجلات الخاصة التي تصدر بالمغرب، إن مساندة الوزارة لمجلتها وتخصيص ميزانية سنوية لها هو الدعامة الكبرى لمثابرتها طوال هذه السنين، وكل صحيفة لابد لها من سند يقويها ويدفعها إلى الأمام.

غير أننا في هذا العيد الفضي نتمنى أن يكون عمر المجلة طويلا حتى تحتفل بعيدها الذهبي، فهذا تقديرا لجهودها وخدماتها الجليلة التي قدمتها للدراسات الإسلامية في المغرب وفي العالم الإسلامي، واحتفاء بالعيد الفضي للمجلة التي وهبت صفحاتها وأجزاءها لخدمة الإســــلام والدعوة الإسلامية، وزينت المكتبات العامة والخاصة بمجلداتها الغنية ببحوث رواد الفكر العربي والإسلامي، وفي الوقت نفسه، فتحت المجال الواسع أمام المنتجين والباحثين في الشؤون الدينية والأدبية والحضارية، حتى جمعت نخبة من حملة الأقلام واتسع انتشارها، وأصبحت من المجلات العربية الأكثر انتشارا ورواجا بما تحمله في المرتبة الأولى من بحوثها الإسلامية إلى جانب الحفاظ على أصالة الحضارة المغربية وآدابها والاعتزاز بالتراث الحضاري في مختلف الميادين.

وشكرا لهيئة تحرير المجلة التي تكرمت باهدائها أول عدد من مجلتها، ولولاه لحرمت من المشاركة في هذا الحفل الفضي.

محمد الجحرة

جائزة الحسن الثاني للبحوث الإسلامية

●● تنظم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مسابقة حول : (جائزة الحسن الثاني للبحوث الإسلامية). ة).

وقد رصدت الوزارة لهذه الغاية الجوائز المالية التالية :

- جائزة أولى مبلغها خمسون ألف درهم (50.000).
- جائزة ثانية مبلغها ثلاثون ألف درهم (30.000)
- جائزة ثالثة مبلغها عشرون ألف درهم (20.000).

ويشترط لقبول الإنتاج ما يلي :

1) أن يكتسي البحث طابع الجدة والابتكار، ويكون في عرضه وتحليله مبدعا ودقيقا يبرز خصائص السيرة النبوية ومميزاتها وما تتضمنه من عبر ومواقف ومثل ودروس.
2) أن لا يقل البحث عن ثلاثمائة صفحة.
3) أن يقدم في ثلاثة نظائر مضروبة على الآلة الكاتبة.
4) أن يقدم البحث قبل نهاية شهر يناير 1983 ●●

منبر الأصالة العربية الإسلامية ولسان الصدق للحضارة المغربية العريقة

للأستاذ محمد محمد العلمي

تلقيت دعوة كريمة من الأستاذ الجليل، والوطني المكافح، العلامة النابغة السيد الهاشمي الفيلالي، للمشاركة في العدد الممتاز الذي اعتزمت مجلة (دعوة الحق) المناضلة، إصداره في عيدها الفضي. والأستاذ الهاشمي الفيلالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية غني عن كل تعريف وتقديم، فمواقفه الشريفة النبيلة تدل عليه، كما يدل على الشمس سناها، وعلى الوردة شذاها، كيف لا، وهو بكل فخر واعتزاز معلم أجيال وأجيال، ورائد نخبة طيبة من الأبناء البررة لهذا البلد الأمين. أبلى في الله البلاء الحسن، وجاهد حق الجهاد، فكان أهلا للثقة المولوية السامية، التي زادته مجدا على مجد، وأضافت إليه فائق التشريف، في ذلك التكليف ؟! فهنيئا له مريئا !

ولم أجد بدا من تلبية هذه الرغبة النبيلة، بالرغم من زحمة الأشغال الإدارية، والمسؤوليات الجسام التي لا ترحم، فسارعت إلى أن أدلي بدلوي بين الدلاء، يقينا مني بأنني سأخوض في هذا المضمار بحرا بعيد الأغوار، يحتاج إلى مهارة في الغوص، وأناة ودقة في الإستقصاء، خصوصا وأن مجلة (دعوة الحق) الغراء، من النوع المستظرف الذي يأخذ من كل فن بطرف، فهي تهدي لقرائها الكثيرين في العالم العربي والإسلامي عموما، من كل بستان زهرة، ومن كل رحيق قطرة، وهي دائما ذات نكهة فريدة، وجوهر نفيس، وقيمة عليا في الحس والمعنى إذ ليست نفاستها في ذاتها فقط، ولكن أيضا في الهدف الشريف الذي ترمز وتسعى إليه، من تعزيز الثقافة العربية، وإثراء الرصيد الإسلامي من كتاب الله وسنة رسوله، ومن شتى الإجتهادات والبحوث العلمية، على جميع الأصعدة وكافة المستويات، ولها في الإقتباس من التراث الثقافي الإنساني، ما يشوق وما يروق، فالحكمة ضالة المؤمن، يلتقطها حيث وجدها، كما جاء في الحديث الشريف.

وإن المتتبع لمجلة (دعوة الحق) منذ نشأتها إلى حد الآن، وإلى أن يشاء الله، يلاحظ التحسن المطرد، والتقدم الملموس، في أناقة الطبع، وعامل التشويق وتحريك الهمم، وحسن اختيار المواضيع والأبحاث والدراسات العربية والإسلامية والعالمية، والإستفادة العظمى من ثمرات المطابع والنقد الذاتي الذي لا يخلو من متعة وتفتح وتبصر، والسعي دائما لما هو أليق وأحسن وأجود.

ولقد كانت مجلة (دعوة الحق) بحق منبر الأصالة العربية الإسلامية، ولسان الصدق للحضارة المغربية، انطلاقا من عهد الأدارسة الذي أعقب فتح عقبة بن نافع الفهري، ومرورا بالمرابطين، والموحدين، والمرينيين، والسعديين، إلى عهد الأشراف العلويين، أعز الله أمرهم، وخلد في الصالحات ذكرهم.

فالرسالة التي تبلغها هذه المجلة، والأمانة المناطة بها ذات أبعاد سيكولوجية ودينية واجتماعية بعيدة الآفاق، من أجل رفع راية القرآن في كافة أصقاع الدنيا، شمالا وجنوبا، شرقا وغربا، فإذا تحدثنا عن ذكرى نزول كتاب الله العزيز،

وعن التضامن الإسلامي العربي، من خلال لجنة القدس التي يترأسها مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك المظفر الحسن الثاني - أدام الله بقاءه -. وإذا تناولنا بالدرس والتحليل والإستعبار من مؤتمرات القمة في الرباط، وفاس، ومكة والطائف. وإذا بحثنا عن مؤتمرات رابطة علماء المغرب، أو خريجي دار الحديث الحسنية. وإذا نظرنا إلى التعاطف الإسلامي المطلق مع إخواننا في أفغانستان وإيريتريا المجاهدة على سبيل المثال لا الحصـــر، وإذا توسعنا في الرؤية إلى نصرة القضايا العادلة العالمية، فإننا نلمس عن كثب، أن (دعوة الحق) سباقة إلى الحضور في طليعة الجهر بالجوهر، ومساندته بكل مالديها من طاقة وجهد.

إن أياديها البيضاء لا ولن تنسى أبدا على إذكاء الروح الوطنية المترفعة عن الطائفيات والملابسات والمفارقات في الوسائل، وشتى الإعتبارات، فالأهم لديها المصلحة العليا للبلاد، وتأييد كل ما يدعو إلى محبة الله، والوطن، والملك ! فياما أجلها من وسيلة ! وياما أحسنها من غاية !

فمن منا لا يتذكر ما رصعته من روائع وبدائع، حول قضيتنا الأولى، قضية وحدة التراب الوطني، واسترجاع صحرائنا الحبيبة، عملا بمقتضى قسم المسيرة الخضراء الحسنية المظفرة ؟ ومن منا لا يقف وقفة تأمل في أعداد (دعوة الحق) الخاصة بالمجالس العلمية لأقاليم المملكة ؟ وبذكرى نزول القرآن الكريم ؟ وبمناسبة بزوغ القرن الخامس عشر الهجري ؟ وبشتى اجتماعات لجنة القدس، ومؤتمرات فاس، ومكة والطائف ؟ ومن منا لم يستفد من ندوة القاضي عياض ؟ ومن منا لم تتحرك غيرته، ولم يصح ضميره في أعداد (دعوة الحق) التي تفوح مسكا وطيبا في عيد العرش المجيد ؟ وفي عيد الشباب ؟ وفي ذكرى ثورة الملك والشعب ؟ وفي عيد المسيرة الخضراء ؟ وفي الأعياد المجيدة الثلاثة ، عيد العودة، وعيد الإنبعاث، وعيد الإستقلال ؟ ومن منا لم يخشع ولم يستعبر بمعركتي الأرك، ووادي المخازن ؟ أو بإحياء قصة عبور البطل المغربي طارق بن زياد، إلى الأندلس، فردوسنا المفقود ؟ ومن منا لا يتذكر بفخر واعتزاز معركة الزلاقة التي قادها الأمير المرابطي العظيم يوسف بن تاشفين، والتي وطدت للإسلام وجوده وبقاءه بالأندلس، أكثر من أربعة قرون ؟!

ومن منا لم يستوعب بقلبه وجوارحه ما يبعثه فينا من أمجاد إحياء عيد المولد النبوي الشريف، أو ذكرى الهجرة المحمدية من مكة إلى المدينة، أو ذكرى الاسراء والمعراج التي تشد المسلمين أجمعين في أقطار المعمور، إلى مأساة فلسطين السليبة، وإحراق المسجد الأقصى، أولى القبلتين، وثالث الحرمين، من لدن الصهاينة، شذاذ الآفاق، ونفاية الشعوب ؟!

ومن منا لا يذكر رحلة الكفاح والصمود والتحدي التي قام بها جلالة المغفور له مولانا محمد الخامس - قدس الله روحه - إلى طنجة، حيث أرسلها صيحة مدوية من ذلك المنبر الدولي، ليعلن للعالم أجمع أن المغرب عضو من صميم الأسرة العربية والإسلامية الكبرى، وأنه وحدة لا تتجزأ في شماله وجنوبه، وفي شرقه وغربه، فلا مكان لدخيل ولا لمستعمر بين الأحرار والأسياد ! إن تلك الإنطلاقة الأولى، فصل رائع من تاريخ المقاومة المغربية، التي شبت وترعرعت في بذرة محاربة الظهير البربري المشؤوم ! وما تزال ولن تزال المعركة مستمرة عبر عصورنا وأجيالنا، كابرا عن كابر، وماجدا عن ماجد، من أجل الإستقلال والوحدة الترابية ! فنحن ذات واحدة، وقلب واحد، من طنجة إلى الكويرة، وفي صميم سبتة ومليلية، قد قضينا على خرافة الحماية، وأوهام الإحتلال والتدويل ، فقد حافظنا ونحافظ دائما على تلك النوعية البالغة الجرأة في درب الجهاد المستميت من أجل الوحدة والحرية والإستقلال، وركبنا ونركب أصعب الطرق، إيمانا منا واقتناعا بحتمية الظفر والنصر المؤزر ! فالشعب والعرش لا يملان من الكفاح المتواصل، انطلاقا من العقيدة الراسخة والمبدإ الذي لا يتزعزع ! ونحن إذ نبر بقسمنا، فإنما

نخوض مزيدا من الجهاد الأكبر في مجالات المشاريع والمنجزات، وذلك في ظل القائد الرائد الذي لا يزداد شعبه الوفي، إلا تعلقا بعرشه، وحبا وولاء لشخصه الذي هو منار النماء والإزدهار والوحدة... ولا تزداد القارة السمراء، والعالم كله إلا إعجابا بمواقفه الحكيمة، وبطولاته النادرة، وعبقريته الفذة ! والله متم نوره ولو كره الجاحدون والناقمون والحاسدون ! وما النصر إلا من عند الله وحده دون سواه !

وقد أولت مجلة (دعوة الحق) النصيب الأكبر من اهتمامها إلى قضية الإستشراق والمستشرقين الذين يسهمون على نطاق واسع في الدراسات العربية والإسلامية، وهم غالبا ما يقومون بذلك لا حبا في سواد عيون العرب واللغة العربية، ولا محاولة لاستكشاف جمال وجلال الدين الإسلامي وشموليته، ولكن لينالوا من العقيدة، وليزرعوا بذور الشك والبلبلة، وليشجعوا الإسرائيليات والإنحرافات والتأويلات الخاطئة، والمذاهب الهامشية الهدامة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والتي هي من نسج الخيال المحض، إسرافا في صب جام العداوة والبغضاء على كل ما يمت بصلة للمسلمين، وسعيا في انحسار المد الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها. فالمستشرقون يبرزون نقاط الضعف والتشفي - في نظرهم - ويؤججون نيران التعصب والشعوبية، ولا يتركون فرصة تمر، دون أن يدعوا بأن الإسلام دين التأخر، وأن المسيحية هي دين التقدم. وقد نسوا حين يرمون الدين الإسلامي بالتجمد والعقم، وينسبون التفتح إلى سواه، أن الإسلام يأمر أتباعه بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل، وبكل الكتب السماوية المنزلة كصحف ابراهيم وموسى، والزبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن. يقول الله تعالى : **«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون. كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله. وقالوا سمعنا وأطعنا. غفرانك ربنا، وإليك المصير»**. ويقول عز وجل مخاطبا رسوله الكريم : **«وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا»**. وهذا ما يدل دلالة قاطعة على شمولية الدين الحنيف الذي جاء لإسعاد البشرية جمعاء، فلا فضل لعربي على عجمي، ولا لرئيس على مرؤوس، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى. فلون الإسلام هو الصفاء والطهر والإستقامة والنور والبشرى والصلاح والفلاح. ولا عيب في الإسلام من حيث هو، لأنه دين الفطرة التي فطر الناس عليها، لا تبديل لكلمات الله. ألم يقل النبي - ص - : «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» ؟ فالحديث الشريف ذكر بالخصوص التهويد والتنصير والتمجيس، ولم يذكر الدخول في الإسلام، لأنه هو الفطرة المتحدث عنها بالذات ! والجوهر قائم بنفسه، ولا يحتاج إلى عناصر أجنبية عنه تقومه.

وبهذه المناسبة، أعجب كل العجب من أولئك الذين يهيؤون دراساتهم الإسلامية الجامعية، بتوجيهات من مستشرقين مسيحيين أو من ديانات أخرى ؟! ألا يخاف أولئك الطلبة ما يبث في طريقهم من مزالق وأحابيل للتشكيك في معتقداتهم، وللزج بهم في متاهات المجادلات السفسطائية الفارغة، التي إن هم استغرقوا فيها، فإنهم يفقدون الفضل والربح ورأس المال معا ؟ ويجنون الأذى والخسارة من حيث توهموا النفع والإستفادة ؟ إن الله تعالى يقول : **«ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم»** ويقول جل وعلا : **«ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»** ويقول أيضا : **«إن الدين عند الله الإسلام - ومن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين - ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»**. ومجمل القول : إن الإسلام هو الخط المستقيم الذي يعتبر أقرب مسافة بين نقطة وأخرى، والمسلم المؤمن بصير على نفسه، يتقي شر التورط بأي شكل من الأشكال، أو بأي أسلوب من الأساليب في نهج الفتنة والإغراء والإنزلاق والإنحدار إلى الهاوية، والدرك الأسفل من الجهل والضلال. فالثبات الثبات على العقيدة ! بالرغم من أساليب الضياع والتضليل

والمذاهب الإنحلالية المستوردة. فالحفاظ على الأصالة الإسلامية الصافية، أمانة في عنق كل واحد منا «**ياأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**». ومن احتاط لدينه وعراقته، فقد ارتاح ضميره، وفاز فوزا عظيما.

فلنتأمل هذا التنبيه الإلهي : «**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء، وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب. كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم. تشابهت قلوبهم**» ويصبح التنبيه أكثر دقة وعمقا وشمولية، في هذا النداء الرباني، القائم على الدعوة النزيهة إلى الحقيقة الجوهرية : «**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله. فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**».

ويخبر عن أب التوحيد، فيقول في حقه : «**إن ابراهيم كان أمة**» ـ «**ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين**». ـ «**هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم، وتكونوا شهداء على الناس**».

ويمتدح سيدنا موسى عليه السلام بقوله : «**وألقيت عليك محبة مني**» ـ «**واصطنعتك لنفسي**» ـ «**إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي، فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين**».

ويتحدث عن اليهود والنصارى بصراحة وصدق، فيقول «**لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون. وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق. يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين**».

ويخص السيد المسيح عليه السلام بالذكر، فيقول عنه، وهذا مهم جدا في كمال التوحيد، وصفاء العقيدة، وجلال الربوبية، وجمال العبودية لله تعالى الواحد الحي القيوم.

«**وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق. إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب. ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم. وأنت على كل شيء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم**».

ويدعو كتاب الله إلى التعقل والرزانة، والنضج، وانفتاح البصيرة، وحرية الإختيار، إذ يقول : «**لا إكراه في الدين. قد تبين الرشد من الغي**». ـ «**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟**» ـ «**ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن**» ـ «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة، وجادلهم بالتي هي أحسن**».

«**ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم**» ـ «**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله، فيسبوا الله عدوا بغير علم**». ـ «**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا. إن أكرمكم عند الله أتقاكم**» ـ «**وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا**».

إن الكفر ملة واحدة، سواء في الشرق أو الغرب، وإذا كانت وسائله تختلف، فإن معاول هدمه ذات غاية واحدة مشتركة، وهي النيل بوسيلة أو بأخرى من المسلمين «**وما**

نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السماوات والأرض، والله على كل شيء شهيد. إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات، ثم لم يتوبوا، فلهم عذاب جهنم، ولهم عذاب الحريق»...

فالإسلام سلوك يفرض نفسه، بدعوته إلى توحيد الله، وتكريم الإنسان، ورفع راية المثل العليا لإخراج البشرية جمعاء من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، من أجل الإستخلاف في الأرض، والتمكين فيها وإصلاحها وعمارتها بالعدل والإنصاف، حتى يزول الخوف، ويسود الأمن والإستقرار والإطمئنان.

وفي هذا الوعي الإسلامي الخالص، واضطلاعا بالرسالة النبيلة المناطة بها، أولت «دعوة الحق» عناية خاصة وفائقة برسالة مولانا أمير المؤمنين، جلالة الملك الحسن الثاني إلى الأمة الإسلامية، بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وذلك تجديدا للتقليد الشريف المتعارف عليه منذ عهد أجداده الغر الميامين. فقد أبرزت هذه المجلة أن الرسالة الملكية السامية إلى الأمة الإسلامية تنص على أن «الإسلام دين يعامل الناس بالإنصاف والسوية، ويلزم بالشورى بين الراعي والرعية»، وأن الله «اختار لنا أن نكون أمة وسطا، رحمة بنا، وحفاظا على وحدتنا وألفتنا، وضمانا لاستمرار حياتنا، وحماية لما لنا من أضرار التطرف التي قد تهددنا»، وأن «الطريق إلى مركز الصدارة بين الأمم مفتوح في وجه الأمة الإسلامية، ولضمان ذلك، وجب الحفاظ على تلاحم الأسرة الإسلامية، وحمايتها من عوامل التفكك والإنحلال»، وأنه «بالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير من الأزمات، ويتصدى لكثير من التحديات، فعلينا نحن المسلمين كافة، فرادى وجماعات، أن نتحمل مسؤوليتنا التاريخية بكل شهامة، داخلا وخارجا، حتى يواصل الإسلام سيره، ويسترجع مركزه الممتاز» ـ «فلنجعل من القرن الخامس عشر حلقة ذهبية في سلسلة تاريخ الإسلام المجيد، ولنكن في مستوى هذا القرن الجديد، إذ من واجب القادة المسلمين، والزعماء البارزين، أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي، والدعوة الإسلامية.. فكل مسلم يعتبر راعيا ومسؤولا عن رعيته، كل في دائرة اختصاصه ومسؤوليته».

ـ «ولقد امتاز المغرب الإسلامي بملوك بررة، جعلوا الحفاظ على الإسلام، والدفاع عنه ونشره مهمتهم الأولى، ففي الإسلام ـ والفضل لله ـ طاقات زاخرة، ما تزال مكنونة لم تستثمر لحد الآن، وما علينا إلا أن نكشف الستار عنها ونستثمرها، والإسلام دين يقرر كرامة الإنسان، ولا يرضى له بالتعرض للذل والهوان، وهو دين العلم والحرية والوفاء بالعهود».

لقد كانت الرسالة الملكية بحق في ظروفها الخاصة، تأكيدا للإلتزام الإسلامي، وتجديدا لنداء جلالة المغفور له المولى الحسن الأول تحت شعار (الدين النصيحة)، واستلهام مقومات الإسلام في العلاقات والمعاملات بين الأفراد والجماعات، وتنقية الأجواء مما ران عليها من أوساخ التفسخ وأدران الإنحلال والاباحية، وإحلال القيم الإسلامية الحقيقية، لمواجهة التحديات.. وإحباط المؤامرات التي تحاك سرا وعلنا ضد العالم الإسلامي، وإطفاء نيران التفرقة التي ترمي إلى استنزاف الطاقات الإقتصادية والسياسية للمسلمين، من أجل الحيلولة دون الإمتداد الحضاري لأمة الإسلام التي يجب أن تقوم قومة رجل واحد للمواجهة المصيرية، وتكريس التعاون والتكامل والتكافؤ بين أطراف العالم الإسلامي، وتدعيم وتعزيز الإلتزام الإسلامي قولا وفعلا وممارسة، وذلك هو المنهج الإسلامي القويم والسليم.

فالرسالة الملكية السامية، كلها حث على التواصل بين ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها، وتذكير بأمجادها كيف كانت، وكيف يجب أن تكون. وقد كان لتلك الرسالة صدى خاص، ونكهة رفيعة بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وما تحيط به من ظروف وملابسات، إذ نادت بإبراز المواقف المشرفة للواقع الملموس للمسلمين في

شؤونهم الدينية والدنيوية. مهيبة بهم إلى الإضطلاع بأمانة المسؤولية التي يجسدها العرش للذود عن كرامة المسلمين. وزاجرة إياهم عن مواقف الذل والإستكانة والقبول بالأمر الواقع. وداعية إياهم لمحاربة جميع أشكال الإنحراف والتردي كيفما كانت. وأينما كانت. واستيعاب الظروف الموضوعية والذاتية. والسعي على منهج السلف الصالح للخروج من الظلمات إلى النور. وذلك بالإستحضار الدائم للمقومات التي تطبع الوجود الإسلامي القوي المتجدد بذاته، علما بأن هذا الوجود الإسلامي يفرض نفسه منذ انبثاق الدعوة الإسلامية. إذ إن دوام المحافظة على الرسالة الإسلامية، حافز من الحوافز القوية على انطلاق الصحوة الإسلامية واستمرارها في عز صفائها وقوتها ونبل رسالتها المقدسة.

ثم إن المعطيات الحضارية الإسلامية زاخرة بالدلالات والمغازي. فهي إذ تخدم أهداف الأمة الإسلامية. والغايات التحررية للمجتمع الإسلامي برمته، فإنها هي قائمة في القاعدة والقمة على شريعة الله التي ترمي إلى إسعاد البشرية. وتعميق الإيمان بالله ووحدانيته. فالإسلام غير تغييرا جذريا مظاهر الحياة الإنسانية من حيث العلاقات المجتمعية والروحية، ومن حيث المعاش المستقبلي لبني البشر أجمعين.

والرسالة الملكية الكريمة تقديم رائع للميزات التي رافقت انطلاق الدعوة الإسلامية. وسبر عميق، وغوص ماهر في أغوار الصراعات القائمة على ضوء العوامل التاريخية والاقتصادية والسياسية التي هي أحوج ماتكون محتاجة. أكثر من أي وقت مضى، إلى استلهام روح الشريعة السمحاء. إن إنارة السبيل أمام الإنسانية في كل عصر وفي كل حين، هي بالذات مايبلور جانبا كبيرا من الإعجاز الذي تحفل به العقيدة الإسلامية. فالعناية الربانية. والرحمة الإلهية، منهما وقع الاختيار على الأمة الإسلامية لتضطلع بذلك الدور الروحي والحضاري. امتثالا لأمر السماء، ومواكبة للمستجدات. وتعمقا في الفهم. وتقوية للإيمان. وإشاعة للطمأنينة والاستقرار. ومعالجة لما أصاب المجتمع من تفسخ وانحلال. أمام التيارات والمذاهب الإباحية. وأساليب الإغراء الهدامة. التي تفتن الناس. ومواجهة لمتطلبات الحياة المتطورة. وصيانة للأصالة والاستفادة مما ينتفع به حسا ومعنى من جوهر ولباب، والأعراض عن القشور والتفاهات.

إن الفضل الإلهي قد طبع الأمة الإسلامية. ووجودها الحضاري والروحي والاقتصادي بميزات الفاعلية ولا أدل على ذلك. من كون الطاقات البشرية والاقتصادية للأمة الإسلامية تتحكم في شرايين الحياة الدولية. وعليه. فإن تسخير طاقاتها وإمكاناتها. يجب أن يبقى لفائدة البشرية. وذلك. للمسير بها قدما على نهج النور والهداية. وإعطاء نفس جديد لذلك المنطلق الرائع الذي غير وجه التاريخ.

۵ ۵ ۵

وفلسطين ؟ والقدس الشريف ؟ والمسجد الأقصى ؟ وكافة المقدسات الإسلامية ؟ إنها جميعها محور اهتمامات مجلة **«دعوة الحق»** في جوهر أعدادها. فكم نشرت في هذا الموضوع من بحث تاريخي قيم، وقصيدة شعرية رائعة، لشعراء فطاحل من كل نواحي العالم الإسلامي ! وكم شجبت من عدوان وشحذت من عزائم. وأيقظت من همم ! وتوجت هذا المجهود الجبار. والسعي المشكور. باصدار عدد ضخم من أعدادها خاص بالقدس الشريف. يعتبر في حد ذاته مرجعا هاما من المراجع النفيسة التي يرجع إليها الباحثون والمستقرئون لأطوار القضية الفلسطينية. وغير خاف ما يوليه مولانا أمير المؤمنين جلالة الملك **الحسن الثاني** من رعاية سابغة للرفع من مستوى العالم الإسلامي بالإقدام على إحياء المبادىء الإسلامية الأساسية التي جعلت على امتداد التاريخ من هذه الأمة. قوة ذات منعة وإشعاع. وفي ظل هذا الإشعاع بالذات. أصبح المغرب قلعة من قلاع الإسلام. وحصنا من حصونه. يعتمد السنة والكتاب

منهجا قويما في شتى مستويات حياته، مما عزز مسيرته الظافرة، خصوصا وأن جلالة الملك الصالح المصلح - أيده الله ونصره - ، وبشهادة المؤتمر الإسلامي، اعتبر القائد والزعيم الإفريقي والعربي الذي ساهم مساهمة فعالة في الرفع من قيمته، على نهج السلف الصالح بعدم التفريط في حرف من الكتاب والسنة والتشريع، ليجعل من إصلاحاته ثورة إسلامية في مستوى التحديات التي تجابه الأمة العربية والإسلامية في هذه المرحلة من تاريخها الدقيق. إذ لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تكون هناك أمة تابعة إلى جهة من الجهات ذات الصبغة الاقتصادية واللغة، ثم تحقق لها الشخصية المطلوبة، بدون التحرر من كل الروابط التي تملي عليها القرارات، سواء منها السياسية أو الثقافية بغية ربطها بالبلد المعني، وجعلها تدور على الدوام في فلكه.

والحضارة الإسلامية قد اعتمدت على أسس ثابتة ومعروفة جعلت منها حضارة تستفيد منها شعوب المعمور.

وانطلاقا من التشبع بالروح الإسلامية الأصيلة، اجتاحت العالم العربي والإسلامي بصفة عامة، والمملكة المغربية بصفة خاصة، موجة كبيرة وعارمة من السخط على ما أقدمت عليه العصابات الصهيونية من إطلاق نيران أسلحتها على المسلمين الذين كانوا يؤدون الصلاة في المسجد الأقصى، وقمعها الوحشي للمتظاهرين في قطاع غزة والضفة، بحصدها عشرات المواطنين الفلسطينيين الذين خرجوا للتعبير عن رفضهم لكل أنواع الاعتداء التي تقوم بها الإدارة الصهيونية المتغطرسة ضدهم، فالأمة العربية والإسلامية واحدة في همومها وانشغالاتها ومصيرها وطموحاتها، ولم يدهشها ما قامت به العصابات الصهيونية، من شذاذ الآفاق، ونفايات الشعوب، - ومن جاء على أصله فلا سؤال عليه - ، وإنما أضافت النزعة اليهودية العنصرية المتطرفة فصلا جديدا إلى مخازيها، وذلك بارتكاب تلك المجزرة الشنيعة والجريمة الفظيعة، في مسلسل القمع والإرهاب ضد الشعب العربي الفلسطيني.

وقد تتبع مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، صاحب الجلالة الملك **الحسن الثاني** أيده الله - ببالغ الاهتمام الأحداث الخطيرة التي هزت أركان الأراضي العربية المحتلة، ومدينة القدس الشريف على إثر أعمال الإرهاب الأعمى، التي شنتها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد السكان المدنيين، وأمام المنعطف الخطير الذي اكتسته هذه الاصطدامات التي أسفرت عن عدد كبير من القتلى والجرحى، وعن اعتقالات واسعة في صفوف السكان الأبرياء، وعن انتهاك حرمة المسجد الأقصى، ومسجد عمر، من طرف عسكريين إسرائيليين مسلحين، لم يتردد بعضهم في إطلاق النار على المؤمنين داخل المسجد، مخلفا عدة ضحايا، قرر صاحب الجلالة، بصفته رئيس لجنة القدس، دعوة مجلس الأمن لدراسة هذه التصرفات الخرقاء التي تشكل تهديدا خطيرا للسلام والأمن الدوليين.

ففي الرسالة الملكية السامية إلى مجلس الأمن الدولي صرح مولانا أمير المؤمنين على الخصوص بقوله : «نؤكد باسمنا، وباسم إحدى وأربعين دولة إسلامية، احتجاجنا الصارخ ضد هذه المحاولة التي جعلت إسرائيل تغوص في اللامشروعية الدولية، والتحريض، ونطالب بإلحاح لا هوادة فيه ولا تراجع، بإدانة حالة العنف، وعدم التسامح الذي يشوه مدينة القدس ويدنسها، فالعمل الدموي الذي انتهك المقدسات ، وداس الحرمات، زاد في تصعيد خطورة حالة كانت من قبل تهدد السلام العالمي، ولا جدال في مسؤولية إسرائيل، ولا يمكن لها أن تتنصل من هذه المسؤولية».

واجتمع مجلس الأمن يوم 13 / 4 / 1982 مساء، بناء على طلب جلالة الملك **الحسن الثاني** بوصفه رئيسا للجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي، وذلك لشجب العدوان على المسجد الأقصى، والوضع المتردي في الأراضي العربية المحتلة، وكان ممثل المغرب السيد لمراني زنطار، أول المتحدثين في الاجتماع، حيث تلا رسالة جلالة الملك **الحسن الثاني** - نصره الله - وحمل إسرائيل مسؤولية الهجوم على قبة الصخرة المقدسة، وتدنيس المقدسات

الإسلامية.. وأعمال العنف يجب التنديد بها، وعدم السكوت عنها. ولا يمكن الادعاء بأن الشخص الذي ارتكب جريمة إطلاق النار في المسجد الأقصى، قد تصرف بمبادرة منه. وإن قرار إسرائيل بإعلان القدس عاصمة أبدية لها، يعتبر انتهاكا لقرارات الأمم المتحدة. وإن الأسرة الدولية لم تعترف بذلك القرار المنفرد. وتشعر إسرائيل بالعار والاشمئزاز إزاء هذا العمل الخسيس من لدن (هاري كودمان) اليهودي الامريكي المهاجر البالغ من العمر 38 سنة. وقد سبق أن فعلها من قبله (روهان) الذي كان قد أحرق المسجد الأقصى، في 21 غشت من سنة 1969.

هذا، وقد استجاب مئات الملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لدعوة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز، عاهل المملكة العربية السعودية، للقيام بإضراب مدة يوم واحد عن العمل، احتجاجا على حادث إطلاق النار الذي وقع يوم الأحد 11 أبريل 1982.

وفضحا للمؤامرة الصهيونية الدنيئة ، كان يوم الأربعاء 14 أبريل 1982، يوم إضراب شامل في العالم العربي والإسلامي قاطبة، تضامنا مع الشعب الفلسطيني المناضل من أجل قضيته العادلة. وإذا كانت إسرائيل مصرة على عنادها وتعنتها، ابتداء من احتلالها اللاشرعي للأراضي الفلسطينية والعربية، وانتهاء بقرار ضم الجولان والقدس، وإذا كانت تمني نفسها بإسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، فنحن لها - إن شاء الله - بالمرصاد، ونقسم مثلما أقسم مليكنا الحبيب، المسلم المؤمن المخلص لرسالته العظمى، بأننا سنصلي في القدس ! وما ذلك على الله بعزيز، وما ضاع حق من ورائه طالبه !

لقد كان احتلال القدس من طرف إسرائيل يوم 7 يونيه 1967 وجراحاتها النازفة، ماتزال تصرخ باسترداد الكرامة، والتخلص من أقبح عار. فقد كانت وما تزال، ولن تزال عربية مسلمة. وما الإضراب الجماعي سوى تعبير للمسلمين والعرب قاطبة عن التشبث بمقدساتهم. والصدى العميق الذي تركته الرسالة الملكية في أوساط مجلس الأمن، دليل قاطع على الإشادة بموقف جلالة الملك **الحسن الثاني** الحازم من الانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى الذي أجمع مجلس الأمن الدولي على إدانة السلطات الإسرائيلية التي استباحت حرمته، ودنست رحابه.

إن تاريخ نضال الشعب الفلسطيني سيذكر بكثير من الاستعبار والجلال يوم الرابع عشر من شهر أبريل 1982، حيث أضرب المسلمون والعرب عن العمل، تعبيرا عن استنكارهم لجريمة تدنيس الأقصى، وتضامنهم الفعال مع الشعب الفلسطيني الشقيق، وإصرارهم على التصدي للصهيونية والامبريالية بفضل رسوخ همتهم، وقوة إرادتهم، فالفلسطينيون المجاهدون الذين ليسوا وحدهم في الميدان، سيكيلون لإسرائيل الصاع صاعين، فالغضب العام، والتنديد الشامل بإسرائيل لهما ما بعدهما من الدروس القاسية التي تأتي على بنيان إسرائيل من القواعد، فتجتثه بإذن الله، خصوصا وأن الوحدة أصبحت أقوى وأنصع دلالة على القدرة الهائلة على التعبئة التي لم تكن للطاغين في الحسبان **(وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هي إلا ذكرى للبشر)**، إن التضامن مع منظمة التحرير الفلسطينية، أصبح يفرض نفسه أكثر من ذي قبل على جميع الواجهات، وكافة المستويات، البشرية منها والعسكرية، والمالية، والديبلوماسية، فبقطع النظر عن الحوافز الدينية، هنالك عوامل إنسانية محضة تستوجبها الظروف في هذا الشأن ، فلا يمكن قبول أو تمرير التقتيل، من دون أن ينال مقترفوه ما يستحقونه من الردع والعقاب، فيجب إرغامهم وإجبارهم، والضغط عليهم بجميع الوسائل السياسية منها والاقتصادية، والمالية، والتجارية، حتى يعود الحق إلى نصابه، والغرباء إلى وطنهم أعزاء مكرمين. فالإخوان الفلسطينيون سيلقون المزيد من الدعم والمساعدة، وفي الإضراب الشامل يوم الأربعاء 14 أبريل 1982 تأكيد لذلك. فإذا اختلفت الأساليب على طريق الجهاد الصعب الطويل، فإن طموحات الشعب الفلسطيني لابد وأن تظفر

بالرضاء الكامل، والرفض القاطع للاحتلال الصهيوني منذ سنة 1948.

لقد تبلور التضامن الاحتجاجي في استجابة جلالة الملك **الحسن الثاني** أيده الله وشعبه الوفي للنداء الذي وجهه أخوه الملك خالد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية، بالإضراب الشامل عن العمل، شجبا للمارسات الصهيونية اللاإنسانية في الأراضي المحتلة، والتقنية العالية لهذا الإضراب الهائل، قد أبرزت أكثر فأكثر وحدة الموقف الإسلامي في مشارق الدنيا ومغاربها، وقد اتضح للملاحظين السياسيين في أعلى المستويات، نجاعة التوجيهات الحسنية الرشيدة في رئاسة لجنة القدس، حيث تبخرت أمامها خرافات وأوهام ومطامع الصهاينة الغلاة، وأصبحت الطاقات الجادة للعالم الإسلامي تحسب حساباتها الدقيقة لمواجهة مخططات العدوان كيفما كانت، ومن أي مصدر نبعت، وصار الاستعمار بكل جبروته وكبريائه، وقمعه وتعنته يفقد صوابه، ويحصى دقات قلبه أمام غضبة الشعوب المؤمنة بحقها، والحرة في اختياراتها، فلا مهاودة في الحقوق العادلة للشعب الفلسطيني ! ولا مساومة في المحارم الإسلامية في القدس الشريف، فمزيدا من الحزم والعزم ! **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره).**

٥ ٥ ٥

وإذا كان الإعلام يعتبر في عصرنا الحاضر، السلطة الرابعة، بعد السلط الثلاث : التشريعية، والقضائية، والتنفيذية، فإن الإعلام الإسلامي الذي تحمل لواءه مجلة **«دعوة الحق»** عن جدارة واستحقاق، ليس شرقيا ولا غربيا، وليس رأسماليا ولا ماركسيا، ولكنه إعلام قائم على الاعتدال والاستقامة التامة، انطلاقا من قول الله عز وجل : **(وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) - (إن ربي على صراط مستقيم) (كنتم خير أمة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله).**

ولعل في الافتتاحيات التي تدبجها يراعة الأستاذ عبد القادر الإدريسي - وفقه الله وأعانه - ما يضيف إلى مجلة **«دعوة الحق»** رونقا فوق رونقها، وإشراقا إلى إشراقها، ففي أسلوبه الرشيق والممتع، تبرز رصانة التفكير والنفوذ إلى الأعماق، والتشبع بكلمة الحق المدموغة بالحجة والبرهان، والاقتناع الذاتي الهادف إلى إقناع الآخرين، فتلك الافتتاحيات هي الوجه الوضاء للمجلة، وميزان نضجها، وإدراكها تمام الإدراك للقضايا التي تهم المسلمين، والجواب الشافي لشتى التساؤلات التي تشغل بال الباحثين والعلماء والأدباء والمفكرين.

هذا، إلى جانب ما تكرسه مجلة **«دعوة الحق»** من تكريم لحملة الأقلام، والمثقفين عموما، في إخوانياتها، وردودها السريعة، وانتقاداتها الذاتية التي لاتخلو أبدا من متعة وفائدة.

إن مجلة **«دعوة الحق»** المرجع الأدبي والعلمي، والثقافي والتاريخي، أسهمت وتسهم بجهود مشكورة في واجهة كبرى من واجهات جهادنا الأقدس، وإنها لعلى صراط مستقيم، وكفاها بذلك فخرا واعتزازا ! وعمرا مديدا، وسعيا حميدا إن شاء الله تعالى ! برعاية كريمة من عالم الملوك وملك العلماء، مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين، محرر الصحراء، ومحقق وحدة التراب الوطني، من كان للآداب شعارا، وللفنون منارا، جلالة الملك **الحسن الثاني** دام له التأييد والتمكين، والفتح المبين.

الرباط - **محمد بن محمد العلمي**

سلام

على مجلة "دعوة الحق" في عيدها الفضي

للأستاذ محمد حمادي العزيز

قال الله عز وجل في القرآن الكريم :

ـ «قوله الحق، وله الملك يوم ينفخ في الصور، عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير». (سورة الأنعام الآية 74).

ـ «له دعوة الحق،والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه،وما هو ببالغه،وما دعاء الكافرين إلا في ضلال».(سورة الرعد الآية 16).

الحق هو الإسم الثاني والخمسون من أسماء الله الحسنى التي قال سبحانه وتعالى في حقها في الكتاب المجيد : **«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»** (سورة الأعراف الآية 180). و **«قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمان أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى»** (سورة الاسراء الآية 110).

وقال في حقها الرسول الأمين سيدنا محمد (ص) : .
«إن لله تسعة وتسعين اسما. من حفظها دخل الجنة. وإن الله وتر يحب الوتر».

يدخل الجنة من حفظ أسماء الله الحسنى ! إنه قول رسول أمين صادق الوعد، معصوم. «وما ينطق عن الهوى» (سورة النجم الآية 3).

.. فما أعظم رحمة الله وغفرانه ونعمه ورضوانه على عباده المؤمنين المسلمين المشتاقين إلى النعيم المقيم الخالد في الجنان !

(«له دعوة الحق» أي كلمته وهي لا إله إلا الله) (الجلالين ـ سورة الرعد).

هذا هو إسم مجلتنا الغراء «دعوة الحق» التي تحتفل أسرتها الفاضلة بعيدها الفضي في عامنا هذا 1402 هـ الموافق لسنة 1982 م. ويشاركها في هذا الاحتفال التاريخي قراؤها العديدون في أنحاء المعمور من عالمنا حيث يمكن أن يصل بأعدادها موزعو البريد.

أجل إسمها هو : لا إله إلا الله !

«دعوة الحق» إسم مجلتنا عبارة واضحة، سهلة الفهم لا تحتاج إلى شرح كثير .. معناها الدعوة إلى الإيمان بالله، وبدينه الحنيف القويم «الإسلام»، وبالخير والصلاح والهدى والرشاد.

إسمها يبين سبيلها، ونهجها، ومقصدها، واختيارها والتزامها.

ومعناه بعبارة أخرى : الدعوة إلى الإسلام !

الإسلام، وما أدراك ما الإسلام ! إنه دين الله عز وجل. وإنه دين ودولة، هكذا أنزله الحق سبحانه، وهكذا أراده لعباده المؤمنين المسلمين، وزكاه وأكده بقوله سبحانه : «وأن أحكم بينهم بما أنزل الله» (سورة المائدة الآية 53).

على أسسه قامت الدولة الإسلامية الأصيلة الأولى، دولة الرسول الكريم (ص) وخلفائه الراشدين رضوان الله عليهم بالمدينة المنورة..

وما ينفك الإسلام، الدين والدولة، الأمل المنشود الذي يتوق إليه المسلمون في كل حين من أحيان العصور في جميع جهات أرضنا، ويرجونه بشوق لأن فيه الخلاص والإنقاذ والأمن والأمان.

وهو دين الدنيا والآخرة، ودين العبادة والمعاملة الحسنة الخالصة الصادقة، أتى بقواعد ربانية لمكارم الأخلاق وحسن السلوك، وحضارة رفيعة للإنسان المؤمن المسلم في كل زمان ومكان..

ورسولنا الأمين سيدنا محمد (ص) ذو الأخلاق السامية المرضية الكريمة الذي قال في حديثه : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» كان خلقه القرآن.

ثم إن الإسلام، قبل هذا وبعده، هو الدين الذي قال في حقه الله عز وجل في القرآن المجيد : **«إن الدين عند الله الإسلام»** (سورة آل عمران الآية 20). و**«من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين»** (سورة آل عمران الآية 86).

فالدعوة إلى الله إنما تعني الدعوة إلى مكارم الأخلاق الربانية، وإلى الحضارة الآلهية التي اختار الله لعباده المؤمنين المسلمين أن يتحضروا بها إلى جانب تدينهم بالإسلام دينه الحنيف الذي اختاره لهم وارتضاه.

الدين الحق هو الإسلام، والحضارة الحقة هي الحضارة الإسلامية وبالتالي، فالمتحضر الحق هو الإنسان المؤمن المسلم !

ولا غرابة في هذا، فالحضارة إيمان، وأخلاق، وسلوك حسن، ومعاملة صادقة، وتعاون على البر والتقوى، وهي مفاهيم روحية رفيعة قبل أن تكون مظاهر حياتية أخرى يبدو فيها الإنسان كأنه «متحضر» لكنه في حقيقة أمره «همجي» و«متوحش» وربما كان أي وحش في الغابة إذا ما دجن واستأنس أقرب إلى التحضر منه.

الحضارة كلمة اصطلاحية ثقيلة الوزن، عظيمة المضمون والمفهوم، جليلة المقصد والغاية، تكاد تكون «أسطورية» عند سماعها لأول وهلة بالرغم من واقعيتها الحياتية المحسوسة في مجتمعنا وفي كل المجتمعات الإنسانية.

وهي ليست في حقيقتها، بالنسبة لنا نحن المسلمين، إلا الصورة الظاهرة الحية لمدى ما وصل إليه عقلنا من معارف وعلوم وفنون وثقافة ورقي في التفكير والتأمل والتدبر، ولما استقر في وجداننا من إيمان عميق بالحق، وبما هو حق، وبالمقاصد النبيلة الرفيعة التي تشمخ بإنساننا المؤمن المسلم إلى الدرجات السامية في الرقي المعنوي والمادي.

وحضارتنا من حيث الوجدان حضارة متميزة تختلف عن بقية الحضارات الإنسانية الأخرى التي تعايشنا اختلافا بينا، فالوجدان فيها أرقى من أي وجدان في أية حضارة كانت.. لأن تربيته صاغتها التعاليم الإلهية الحقة.

فلو استطاع عقل الإنسان المسلم استيعاب معارف عصرنا الحديث وعلومه وفنونه وتكنولوجياته استيعابا فكريا حقيقيا نظريا وعمليا، وألم بها الماما تاما، وصار ماسكا لزمام أمورها يتصرف بها ويطورها كيف شاء، وأدمجها في حضارتنا الإسلامية إدماجا ملائما يتناسب

ومقوماته الروحية والوجدانية لأصبحت مجتمعاتنا في كل مكان من جهات المعمور راقية، زاهرة، تنعم بالرفاه، والاستقرار، والأمان، وتتوفر على حضارة نموذجية مثالية طالما تاق إليها الإنسان وتمناها.

لكن عقلنا، ومع الأسف والحق يجب أن يقال، ما يزال قاصرا عن بلوغ هذا المطمح الجليل الشأن قصورا واضحا !!

الحضارة الإسلامية التي هي حضارة الإنسان المؤمن المسلم، هي لب الإسلام وغايته ومقصده، وهي صالحة لكل زمان ومكان، وقابلة للتطور والتلاؤم مع تقدم الحياة، ليست فيها أية مشكلة.. لكن مشاكلها تكمن في مستوى عقل الإنسان المؤمن المسلم الذي يسير ببطء في مواكبة الركب الحضاري العالمي..

الإسلام يريد أن يكون الإنسان المؤمن المسلم متحضرا، ومثالا للحضارة الإسلامية التي اختارها الله عز وجل.

ربما نكون قد أصبحنا في أيامنا هذه غرباء عن الحضارة، بعيدين عن طليعة ركبها، نسير في «ذيل» القافلة ونحن ذوو حضارة رفيعة، جليلة الشأن، عظيمة الغاية..

الإسلام حق لا يمكن أن يلحقه باطل أبدا.

والحضارة الإسلامية حق هي الأخرى، ولا يمكن أن يلحقها أبدا باطل..

فمتى تمسكنا بهما، وعملنا بتعاليمهما الحقة، وسرنا على هديهما فإننا نكون مسلمين حقا، ومتحضرين حقا بالحضارة الإسلامية.

وإن خالفناهما، وأهملنا العمل بتعاليمهما، وسرنا على غير هديهما فسنظل دائما في «ذيل» قافلة الحضارة، يتقدمنا غيرنا، ونحن نتأخر، ويرتقي غيرنا، ونحن باقون حيث كنا، وكأننا بدون حضارة، ونحن أصحاب حضارة ربانية عظيمة اختارها الله لنا وارتضاها..

الحضارة الإسلامية حضارة الإنسان المؤمن المسلم الذي ينظر بنور الله.. والنظر بنور الله يتوقف على مدى عمق إيمانه، وعلى مقدار العطاء والبذل اللذين يمكن أن يقدمهما من أجلها.

ومن أراد صادقا أن يعرف حقيقة الحضارة الإسلامية فليبحث عنها في «عقله» وفي «وجدانه» فهما الوحيدان اللذان يخبرانه خبر اليقين بحقيقتها.

ثم قبل هذا وبعده، لا بد أن نعرف أن الحضارة الإسلامية تحمل في لبها جميع مقومات الرجولة والبطولة والقوة، وتحارب جميع أسباب الميوعة، والتفسخ، والانحلال..

فليست الحضارة الإسلامية ذلك السراب البراق الخادع الذي يلبي هوى النفس لأنها الحقيقة الربانية الحقة التي ترضي العقل والوجدان.. وترضي الله كما ترضي الإنسان المؤمن المسلم.

هذا لنعرف بحق ويقين أين نحن من الإسلام ومن الحضارة الإسلامية وأين نحن من حضارات عصرنا !

فإذا توصل كل منا نحن المسلمين إلى جواب صادق حق على حقيقة ما في عقله ووجدانه يكون قد عرف الحقيقة الخالدة حقيقة الإسلام، وحقيقة الحضارة الإسلامية، وحقيقة المسافة التي بينه وبينهما، وبينه وبين الحضارات السائدة في عصرنا، وعرف بالتالي نفسه على حقيقتها !

إن كل حق وخير، وكل ما هو حق وما هو خير ينبع من معرفة هذه الحقيقة..

فكل نزوع إلى السمو والشموخ والتسامي إنما ينبعث من معرفة الإنسان لنفسه فإذا كان راضيا عنها فهو راض عن «عقله» وعن «وجدانه».. وإن لم يكن عنها راضيا فهو بالتالي غير راض عن «عقله» وعن «وجدانه».

لذلك قال الحق عز وجل في القرآن المجيد **«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»**.

«فالتغيير» الحضاري الشامل الذي قصده الله سبحانه وتعالى مرتبط بالنفس وبأحداث التحولات الإصلاحية الصالحة فيها.تلك النفس التي قال فيها عز وجل: **« إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي»** (سورة يوسف الآية 53)، لأنها إذا عملت

لإرضاء «هواها» فإنها ستنزل «بالعقل» و«بالوجدان» إلى مستوى الهوى. ولن يستطيعا أن يرتقيا إلى مراقي السمو والتسامي.. وحينئذ يعيش الإنسان من الحضارة سرابها البراق الخادع الذي يلبي «هوى» نفسه فقط على حساب «عقله» و«وجدانه» اللذين يظلان فارغين فراغا عميقا.. أما الحضارة الحقة. الحضارة الإسلامية. فإنه يكون قد تنكب عن هديها وهداها وضل السبيل إليها.. وعندئذ تحل به الكارثة..

هذا «التغيير» لا يمكن أن يكون إلا «نفسيا» في قرارة «النفس» في بادىء الأمر ليتحول بعد ذلك تحولا آخر فيصبح «عقليا» و«وجدانيا» يسمو ويتسامى تدريجيا وتصاعديا في مراقي العلا والنور.

المشكلة الكبرى التي يعاني منها الإنسان المؤمن المسلم هي اتباع «الهوى».. وقد أمرنا الحق عز وجل بعدم اتباعه فقال في القرآن الكريم : «.. **ولا تتبع الهوى فيصدك عن سبيل الله**» (سورة ص الآية 26).

هذه أم المشاكل في مجتمعنا. فعندما يتبع الإنسان «هواه» يفرط في أداء الواجبات. وفي تحمل أعباء المسؤوليات دون أن يشعر بتفريطه وبمغبة نتائجه لأنه يكون ضالا تائها خارج جادة «الصواب» بعيدا عن «الرشد». فيجنح إلى الأنانية والفردية. فتضعف فيه روح الجماعة. «ويد الله مع الجماعة». وبضعف روح الجماعة تضعف روح الأمة. ويضعف حماسها. وتذهب ريحها. وتفتر شوكتها فإذا هي واهنة لا تستطيع أن تقف على قدميها في مواجهة التحديات. والاعتداءات..

هذا يؤكد لنا أن الإسلام دين «العقل» و«الوجدان» جاء ليعالج «النفس» في الإنسان المؤمن المسلم بانتشالها من الميل إلى «الهوى» لئلا تغوص في مهاوي «الهمجية». ويهذبها بالهدى والصلاح والتقوى ومكارم الأخلاق ليرتفع بها بعد ذلك إلى المراقي العليا اللائقة بالإنسان الذي أراد له الله الخالق عز وجل أن يكون كريما مصداقا لقوله تعالى : «**ولقد كرمنا بني آدم**» (سورة الاسراء الآية 70).. ولا كرامة لإنسان مع «الهوى» أبدا.

كرامة الإنسان. إذن. هي مقصد الإسلام. وهدف الحضارة الإسلامية. وهي الغاية التي من أجلها خلقه الله وأوجده.

«**أفحسبتم إنما خلقناكم عبثا**» (سورة المومنون الآية 115) لأنه بدون كرامة يسود العبث ويكون الفراغ والضياع ويحدث الظلم ووقتئذ ينطبق عليه قوله تعالى : «**وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين**». (الزخرف 76).

والظلم كما هو معلوم ضد العدل. ونقيض الإنصاف. وبداية العدل والإنصاف أن ينتهي الإنسان عن ظلمه «لنفسه» وذلك بأن يبادر إلى «تغيير» مابها. وأن يلتزم بالسير في السبيل القويم. وبسلوك الصراط المستقيم !

مشكلتنا الحضارية الأساسية هي مشكلتنا مع «أنفسنا» في قراراتها يبتدىء «التغيير» المطلوب في كل حين. ومنها ينبغي أن يصدر الإصلاح الذي نريد..

ونحن الآن في عصرنا هذا أحوج ما نكون إلى الإصلاح والصلاح وأشد شوقا إليهما في جميع مجتمعاتنا الإسلامية.

ولن يكون هناك أي إصلاح وصلاح لنا بدون الإسلام. وخارج نطاق الحضارة الإسلامية !

فبالنسبة لنا كل إصلاح وصلاح خارج إطارهما إنما هو في حقيقة الأمر «تهديم» لنا و«تحطيم» لكياننا «وإزالة» لوجودنا و«تخريب» لذاتيتنا. لكي لا نكون نحن حسب حقيقتنا الخالدة وطبقا لمقوماتنا الأساسية الحقة.. وإنما لنصير «مسخا» آخر بأي إسم يراد لنا. وقد نتحرك أو نبدو متحركين صوريا لكننا عبارة عن «كراكيز» في أيدى «الغير» و«اصداء» لأقواله وكلامه.. لا أقل ولا أكثر شأننا شأن «الفونوغراف» القديم المكتوب عليه «أنه يردد صوت سيده».

وهذا عقاب الردة عن الإسلام في الدنيا. وهو ليس عقابا إسلاميا ولكنه عقاب «غيرى» عاقبنا به «الغير» فجعلنا

«كالببغاء». وكالقردة امعات تابعين ليس لنا قـــول ولا كلمة !

أما عقاب الله في الآخرة فهو أشد وأقوى !

هنا يتضح لنا أن مجلة «دعوة الحق» الغراء التزمت منذ صدورها بالسير قدما في مسار إسلامي حق. غايته إعلاء شأن الإسلام والحضارة الإسلامية وتوعية المسلمين بواجباتهم ومسؤولياتهم، وحثهم على سلوك الصراط المستقيم..

قد يبدو أن مأمورية الدعوة إلى الإسلام سهلة ومع ذلك فقد أصبحت إلى يومنا هذا «كالغريبة» حتى في بلاد الإسلام. وعند المسلمين أنفسهم... وصار الدعاة مضطهدين وينظر إليهم «كالغرباء».

ولله الأمر من قبل ومن بعد، وما شاء الله كان، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

× × ×

الإسلام هو الدين الحق.. وهو الرسالة الالهية الخالدة التي بعث بها الله عز وجل الرسول الأمين سيدنا محمد (ص) ليبلغها إلى العالمين كافة.

إنها رسالة جميع المؤمنين المسلمين في كل زمان ومكان وفي كل جهة من جهات المعمور.

هذه الرسالة صارت أمانة في عنق كل مؤمن مسلم، مفروض عليه تبليغها، ونشرها، والدعوة لها، وحمايتها، والحفاظ عليها والدفاع عنها ضد الردة، والكفر، والشرك، والالحاد ، وضد كل عـدوان أثيـم، وضـد كـل شكـــل من أشكال الضلال، والمروق، والغلو، والفسوق، والفجور، والتحريف، والتزوير، والشعوذة، والتدجيل، والفساد، والاستغلال، والاتجار والبهتان ونصرتها بكل الوسائل والإمكانات.

والمؤمن المسلم يتحمل مسؤولية هذا التبليغ تنفيذا لقوله تعالى في القرآن الكريم ، **«فاصدع بما تومـــر وأعرض عن المشركين»** (سورة الحجر الآية 94) و **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة»** (سورة النحل الآية 125).

الصدع بالأمر لا يكون إلا بعد معرفة حقيقية.

والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لا يمكن أن تصدر إلا عن «عقل» مؤمن مسلم رشيد عالم واع، بعد تفكر وتدبر وفهم حق لرسالة الإسلام وحضارته.

. وتقضي الأصول أن يكون كل مؤمن مسلم عالما عارفا بالرسالة الإسلامية، وغايتها الحضارية وأبعادها ومقاصدها، لأنه لا جهل في الإسلام ولا أمية في حضارته، ولا فقر في مجتمعه. فقد كانت أول آية من القرآن الكريم نزلت على الرسول الأمين (ص) ، **«إقرأ باسم ربك الذي خلق..»** (سورة العلق الآية 1) نزلت بغار حراء حيث كان يتحنف بجبل النور القريب من مكة المكرمة.. وهي تتضمن أمرا صريحا لكل مؤمن مسلم بالقراءة والكتابة. وبتعلمها وبالتالي، بطلب العلم والمعرفة، ولا أمية ولا فقر مع العلم والمعرفة !

لكننا مع هذا غدونا أمة أكثر أعضائها لا يقرأون، ولا يكتبون، وغارقون في الجهل والفقر وسائر الآفات... والذنب ذنبنا لا ذنب غيرنا.

وما دام فاقد الشيء لا يعطيه فإن الجاهل لا يستطيع أن يضطلع بأعباء الدعوة إلى الحق التي تتطلب فكرا حيا يقظا لاحياء الأفكار وايقاظها وبعثها من غفلتها بقصد تكوين فكر إسلامي سليم..

لذا كان الفكر وسيلة مجلة **«دعوة الحق»** وغاية لها، ورائدها في دعوتها إلى الحق عز وجل وإلى سبيله القويم.

فكانت منذ صدورها في سنة 1957 منبرا حرا للإسلام والحضارة الإسلامية خارج المساجد يدعو منه الداعون، بشتى الأساليب والمواضيع والمناهج بالنثر والشعر، إخوانهم المسلمين لتوعيتهم بقيمهم الحضارية لتأكيدها وتدعيمها، وتذكيرهم بعظمة رسالتهم الخالدة في الوجود والحياة وهي رسالة الله إلى العالمين قاطبة في كل

زمان ومكان في جميع أنحاء المعمور **«فإن الذكرى تنفع المؤمنين»** وتنبيههم إلى الأمل الذي تعلقه عليهم الإنسانية التي ما تزال سادرة في الضلال والغواية والجاهلية الجهلاء المقنعة بقناع حضاري زائف لإنقاذها وانتشالها من هذه الأخطار الجسيمة التي تحدق بها من كل جانب، وتكاد تطوح بها أيما تطويح، وتعصف بها أيما عصف.

لكن لا بد للناظر إلى بعيد حيث امتداد الآفاق الواسعة من العودة أخيرا إلى نفسه، وإلى حيث هو واقف في مكانه وزمانه، ليفكر فيها ويتدبر في أمورها وشؤونها ليبادر إلى إصلاحها وتقويم اعوجاجها، عاملا على «تغيير» ما بها من منكر ليجعل منها قاعدة صالحة سليمة ينطلق منها بعد ذلك إلى الإنفتاح على كل الآفاق ساعيا إلى خلاصها..

والمسيرة الطويلة نحو الآفاق البعيدة، تبدأ بالخطوة الأولى الثابتة الحازمة إذا صح العزم !

«وتغيير» النفس لإصلاحها وتقويم اعوجاجها هو المفتاح الحقيقي إلى «العقل» وإلى «الوجدان».. وهو الجهاد الأكبر الذي قال فيه رسول الله الصادق الأمين سيدنا محمد (ص) : «لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر فقيل له ، وما الجهاد الأكبر يا رسول الله فقال : «جهاد النفس».

إن «النفس» إذا تركت دون عقل فإنها غالبا ما تميل إلى «الهوى» الذي كان دائما مطية الشيطان ليسوق الإنسان بها إلى المزالق الخطيرة حيث يقع رغم أنفه في الردى والهلاك والبوار..

وإذا لم يبادر الإنسان إلى تدارك أمر نفسه بتغيير حالها فإنه يصير لا محالة من حزب الشيطان ويكون مصيره في الآخرة الجحيم.

والفكر باعتباره الوسيلة والغاية للدعوة أصبح الوسيلة والغاية الإستراتيجية والسياسية في الصراعات الحضارية الدائمة في الحياة الإنسانية على مواقع النفوذ، وعلى الهيمنة على العالم أو على الأقل احتلال مكانات مرموقة ومهمة من أمكنة الصدارة فيه..

ولأهميته هاته نرى الغزو الفكري يسبق الغزو العسكري !

والغزو العسكري بالأسلحة والجيوش عمل محدود يقف بتحقيق هدفه بالاحتلال، أو بنتيجة أخرى يتم التفاوض عليها، أما الغزو الفكري فإنه عمل دائم لا يقف، ولا يتوقف، ولا ينقطع وذلك لأن عمل الفكر دائم لا يقف، ولا يتوقف، ولا ينقطع..

لذلك كان الجهاد الأكبر جهادا دائما، لا يقف ولا يتوقف، ولا ينقطع أبدا في الليل ولا في النهار.

هكذا يجب أن نفهمه ونعرفه، وهكذا ينبغي أن نمارس مسؤولياته ممارسة واعية دائمة.

فإذا كان الجهاد الأصغر أثناء القتال فرض كفاية في أغلب الأحوال، وفرض عين عندما تكون دار الإسلام مهددة بسقوطها في أيدي الأعداء، أو بوجود قوات العدو في عقرها فإن الجهاد الأكبر يكون فرض عين ويجب أن يكون حينئذ دائما فرض عين.. وينبغي لنا أن نفهمه هكذا لأن مجهودات جميع المؤمنين المسلمين في الحياة على مختلف أنواعها وأحجامها تسهم في تكوين القدرة الحضارية والقدرة الجهادية والدفاعية، لتدعيم الإستمرار في الحياة بحرية واستقلال وسيادة وكرامة..

فبممارسة الجهاد الأكبر كفرض عين ممارسة دائمة يسهل علينا مباشرة أعمال الجهاد الأصغر كفرض كفاية وعين في آن واحد مصداقا لقوله تعالى : **(يا أيها الذين منوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا)** (سورة النساء الآية 71).

والدعوة إلى الحق تستوجب ممارسة الجهاد على مستوييه الأكبر والأصغر تنفيذا لقوله تعالى : **«يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في**

سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون» (سورة الصف الآيات 11 ـ 14).

ورد الجهاد في هذه الآية الكريمة بعد الإيمان بالله وبرسوله مباشرة. وسبق الله عز وجل كلمة (بأموالكم) لإنها تندرج في ميدان الجهاد الأكبر الدائم لإعداد العدة الضرورية للجهاد الأصغر تنفيذا لقوله تعالى : **«وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل»** (سورة الانفال الآية 60) . وإعداد العدة كما هو معلوم يتطلب أموالا وأوقاتا.

وذكر بعد ذلك كلمة «أنفسكم» لاندراجها في ميدان الجهاد الأصغر.. والآيات الواردة في الجهاد كثيرة.. وهي كلها تؤكد فرضه علينا.

فالجهاد الأكبر. إذن. فرض علينا ممارسته يوميا في حياتنا. استعدادا للقيام بمسؤوليات الجهاد الأصغر عندما يناد ينا إليه نفيره.

وجهاد النفس «لتغيير» ما بها من ميل إلى «الهوى» والمنكر والظلم والضلال يندرج في الجهاد الأكبر بنص حديث رسول (ص) وهو فسيح الميادين لا يقف عند اصلاحها فحسب وانما يتعداه إلى الساحة الاجتماعية لإصلاحها وتنظيمها تنظيما عادلا وإقامتها على دعائم الاخوة الإسلامية المتينة التي تجعل من مجتمع المسلمين مجتمعا وسطا متماسكا تسوده طبقة واحدة وسطى. بعيدا كل البعد عن تطرف شطط الترف والفقر لأن التوسط هو الحل الإسلامي لإقامة مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية. وتزول فيه الفوارق. وتختفى منه الطبقات. وترعاه السلم الاجتماعية التي تسندها الاخوة في الله والدين والوطن والإنسانية. مبعدة بذلك شبح صراع الطبقات ، وما يثيره من مشاكل. وتمزق في جسم الأمة الإسلامية.

هذا هو جهاد كل يوم. وكل حين. لأن الحياة الاجتماعية تفرضه. وتتطلبه. كما أن الاخوة الإسلامية الحقة بين المؤمنين المسلمين تستلزمه استلزاما لتلتزم به وتلزم به كل من ينتمي إليها.

ويندرج في الجهاد الأكبر الدائم كل ما يهم المسلمين لرفع شأنهم. وإعلاء كلمتهم. وتحسين أوضاعهم وأحوالهم من أمر بالمعروف. ونهي عن المنكر. وإقامة لحدود الله..

من هنا كان القلم رمزا للجهاد الأكبر وأداته. كما كان السيف رمزا للجهاد الأصغر وآلته.

ويغفر الله لأمير الشعراء أحمد شوقي بك إذ قال :

فقل لبان بقول ركن مملكـــــــة
على الكتائب يبنى الملك لا الكتب

الكتب تكتب بالقلم. وهـــي من وسائـــل الجهاد الأكبر. والجهاد الأصغر معا. وعامل أساسي في الحضارة. لكن زمان شاعرنا الذي كان معروفا بهيمنة الاستعمار الأوربي على البلاد العربية والإسلامية وغيرها جعله يحث على تنظيم الكتائب ويحرض عليه..

تراه ماذا كان يقول لو عاش في زماننا... وشاهد مأساة فلسطين ، والقدس... والمسجد الأقصى ؟ !

فبالجهاد الأكبر يصبح كل مؤمن مسلم مجاهدا. كما تضحي كل مؤمنة مسلمة مجاهدة.. الكل يعمل لاعداد العدة. والكل مستعد للانضواء في صفوف الجهاد الأصغر.. فلا مكان «للخوالف». ولا لمن يريد أن يكون لهن مكان ليقعد معهن. بعد ما تكون النفوس قد تبدلت تبديلا بتأثير ما حدث فيها من «تغيير».

مفهوم الجهاد الأكبر يبقى دائما عميقا وقابلا للتفسير تفسيرات تتلاءم وأنواع المعارف والتكنولوجيات والنظريات الاستراتيجية في كل عصر من العصور.

وبتقدم الزمان تتجلى عظمة المفهوم الإسلامي للجهاد الأكبر وتعمقه في الحياة الاجتماعية للأمة الإسلامية في جميع مجتمعاتها.

والجهاد الأكبر بمفهوم جهاد النفس يعنى الإحسان أي عبادة المؤمن المسلم الله كأنه يراه. وهو ما تتوخاه الصوفية الصادقة. وفيه يقول عبد الواحد ابن عاشر :

أما الإحسان فقال من دراه أن تعبد الله كأنك تراه

عندما يعبد الإنسان الله كأنه يراه يكون حينئذ مؤمنا مسلما رشيدا، ويطيعه في كل شيء طاعة مثلى، ويكون أخا لكل مؤمن مسلم، وعندئذ تسود السلم الاجتماعية سيادة حقة شاملة بفضل تقوى الله.

والدعوة إلى الحق جهاد أكبر وجهاد أصغر..

من خلال هذا نفهم أن المؤمن المسلم بممارستـــه الجهاد على مستوييه الأكبر والأصغر ممارسة حياتية يومية يكون في منزلة صانعي القرارات بإسهامه مساهمة جادة ومباشرة في صنعها بما يبذله في كل حين من مجهودات للمجتمع الإسلامي في أي موقع حياتي كان بالإضافة إلى الإسهام العقلي والوجداني والعلمي في تكوين القدرة الحضارية، والقدرة الجهادية للدفاع عن حوزة الإسلام.

بهذا يكون للمؤمن المسلم دوره اللائق الذي أراده له الله عز وجل في الوجود والحياة.

وعندما يحس بقيمته هذه، وينقل تأثيره هذا في مجتمعه فإن مكانته في الوجود يكون لها معنى في نظره، وفي فكره، ويصبح لحياته كذلك مغزى عظيم يدفعه لحمل المسؤولية فيتقدم مختارا لبذل الجهود في الدعوة الخالصة للإسلام، وفي خدمة المسلمين...

هكذا يتضح لنا أنه لا مجال «لتهميش» الإنسان في الحضارة الإسلامية، وان ما يجري في هذا الشأن إنما يعد مخالفا لروح الإسلام وتعاليمه.

كما يتأكد لنا أيضا أن الإسلام الذي حرم الرق حرم معه كذلك كل وجوه استغلال الإنسان للإنسان، فليس مؤمنا من لا يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه كما جاء في حديث رسول الله (ص) : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

والاستغلال غش، ومن غش المسلمين فليس منهم.. ومن غش المسلمين فالله به عليم، وهو إنما يغش نفسه ويجني في الدنيا والآخرة ما زرعت يداه.

لهذا كانت مجلتنا **«دعوة الحق»** الغراء مجاهدة منذ صدروها، وتمارس مسؤوليات الجهاد على مستوييه الأكبر والأصغر ممارسة واعية.

انه جهاد «العقل» و «الوجدان» والفكر الراشد بالقلم الذي أقسم به الحق عز وجل في القرآن الكريم فقال : **«ن والقلم وما يسطرون»** (سورة القلم الآية 1).

ويكفي القلم فخرا وتنويها أن الله أقسم به وبما يسطره من سطور ! وينال «العقل» و «الوجدان» والفكر من هذا التنويه الإلهي نصيبا وافرا.

٥ ٥ ٥

لكن، مع كل هذا، فالحديث ذو شجون !

في البدء كان الشرق العربي العريق في القدم أول مهد للحضارة الإنسانية.

وفي البدء ظهرت الرسالات السماوية في شرقنا العربي.

ثم جاءت رسالة الإسلام لتختم النبوءات والرسالات السماوية التي تقدمتها.

الشرق هو أول مهد للفكر الإنساني في عالمنا.

الشرق هو الذي علم العالم.. شاء من في العالم أم أبى.

لقد آن لنا أن ننفض عن عقولنا غبار «الانبهـــــار» بزخارف الحضارة الحديثة التي تخاطب فينا الغرائز لتوقعنا في فخ الاستلاب، وتسحقنا بالتالي في «مطاحن» الغزو الفكري لتجعل منا مجرد أناس مسحوقين لا شخصية لهم.. ولا فكر ولا حضارة.. أي مجرد امعات وتابعين.. وفي خاتمة المطاف مجرد عملاء !

فنحن أصحاب رسالة إلاهية، وأصحاب حضارة عريقة، هي الحضارة الإسلامية العربية، وأصحاب فكر أصيل طالما أعطى، وطالما أبدع وأجاد، وما زال يشجع على المزيد من العطاء والإبداع والجودة.

لقد حان الحين لأن يفكر كل مؤمن مسلم فينا «بعقله» بوعي والهام من «وجدانه» ليسهم في احداث «التغيير» النفسي المطلوب في نفس كل مؤمن مسلم بقصد إعادة عظمة الإسلام والحضارة الإسلامية إلى مجدها ورونقها.

الفكر الإسلامي الأصيل وحده هو الذي يعيد الإسلام رونق الحضارة الإسلامية إلى ذروة المجد والعظمة.

عندما يشعر الإنسان المؤمن المسلم بهذه الحقيقة يستعيد وعيه «بشخصيته» و «بذاته». ويبدأ «التحدي» الحقيقي لتأكيدهما. ويبدأ «التصدي» و «الصمود» في سيرته الهادفة إلى رفع شأن الإسلام والحضارة الإسلامية في أعلى موقع في عالمنا متجشما في ذلك الصعاب والمشاق والخطر.. كما يتجشمها «غيرنا».

المشكلة الكبرى في عالم الفكر والحضارة بالنسبة لنا اليوم هي : أن نفكر «بعقلنا» بوحي وإلهام من «وجداننا» أو لا نفكر.. !

الويل كل الويل لمن عطل «فكره» واتبع فكر «غيره»

ألا ليت قومي وأهل أمتي وملتي الإسلامية يعرفون عظمة الفكر الإسلامي وثراءه.. وقيمة تفكير المؤمن المسلم «بعقله» بوحي إلهام من وجدانه.. !

وجدان «الغير» ليس «كوجداننا». والغايات والأهداف عنده لاتتوافق وغاياتنا وأهدافنا.. ومن ثم «فعقله» ليس في توافق مع «عقلنا» .. وهو في تناقض تام مع فكرنا كذلك.

عقل «الغير» يريد أن يستعمر «عقلنا». وفكره يستهدف استعباد فكرنا.

هذه هي الحقيقة المرة العارية الصريحة.

ونحن في جميع مجتمعاتنا الإسلامية نريد أن نكون حقيقة أحرارا وسادة ومستقلين في «عقلنا» وفي «وجداننا» وفي فكرنا.

الويل لمن دخل «الغير» الأجنبي إلى «عقله» و «وجدانه» و «نفسه» وفكره فإنه يستعمره لا محالة ويستعبده بكل تأكيد ودون أي شك.. ويسخره تسخيرا مهينا.

لقد قال الإمام علي كرم الله وجهه «ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا».

فكيف بمن غزى في عقر «عقله» وفي عقر «وجدانه» وفي عقر «نفسه» !

اعتقد جازما أننا نكره الاستعمار والاستعباد من أي نوع وإلا لما كنا قد سعينا للتحرر وثرنا !.

إذن، من هنا يجب أن نبدأ دعوتنا إلى الحق عز وجل لإعلاء شأن الإسلام والحضارة الإسلامية.

إنما جاء الإسلام ليحرر الإنسان المؤمن المسلم من كل قيد، ومن كل رق، ومن كل عبودية لأي مخلوق. ومن كل استعمار واستعباد لأي شيء كان معنويا أو ماديا..

وبعد :

يكفي هذا لمجلتنا **«دعوة الحق»** الغراء في عيدها الفضي. وإذا أمد الله سبحانه وتعالى في عمري حتى أبلغ الثمانين وأتجاوزها بحمده وفضله فسوف لا أسأم كما سئم الشاعر العربي الجاهلي صاحب المعلقة المذهبة الشهيرة زهير ابن أبي سلمى إذ قال :

سئمت تكاليف الحياة من يعيش
ثمانين حولا (لا أخا له) يسأم

ويومئذ، إن شاء الله، سأكتب لها باسهاب كلمة في عيدها الذهبي تليق بمقام مسارها في نصف قرن من الدعوة إلى الله الحق جل وعلا، وبإخلاصها في ممارسة الجهاد الأكبر دفاعا وذبا عن حياض الإسلام والحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي. وبصدق قولها في حثها المسلمين على التخلق بمكارم الأخلاق والاقدام على إنجاز الأعمال الجليلة الصالحة **«ومن أحسن قولا مما دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين»** (سورة فصلت، الآية 33).

... والا فسلام عليها في الأولين والآخرين والله نعم المعين بها.

الرباط ـ **محمد حمادي العزيز**



سجل ثقافي

عايش المغرب منذ الاستقلال

للأستاذ محمد عبد العزيز الدباغ

«دعوة الحق» مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر تصدرها وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ولطالما تأملت في وظيفتها الفكرية وفي مدى ما استطاعت أن تقوم به من إحياء الفكر ونشر الوعي وتعميم الثقافة وتفسير مفهومها الالتحامي الذي يمتاز بالحرية والشمولية والتطور والتنويع فرأيتها منبرا يدعو للحق بالحجة والبرهان لا تحول بين الاتجاهات الفكرية اللهم إلا إذا كانت منحرفة تتضارب مع روح فلسفتنا الإسلامية والوطنية أما إذا كان الغرض البنائي واضحا فهي تترك للذين يشرحون ويحللون ويجتهدون مجال القول ومجال الاجتهاد.

ولدت هذه المجلة في أحضان استقلال المغرب بعد أن قاوم الحماية الفرنسية بكل قواه لذلك سنجدها مصدرا تاريخيا يواكب تجربتنا الاستقلالية في المجال السياسي والفكري والاجتماعي كما يواكبها في التفتح الخارجي الذي كنا مكرهين قبل الاستقلال على الانغلاق دونه فقد حصل المغرب على الاستقلال بعد كفاح طويل وجهاد مرير وكان يتطلع دائما إلى أن يجد مفكروه وأدباؤه فرصة لشرح نظرياتهم وتحليل آمالهم وتسجيل بطولاتهم وإحياء تاريخهم وتبادل وجهات نظرهم سواء بينهم وبين إخوانهم في المغرب أو بينهم وبين المهتمين بالثقافة والفكر في العالم العربي والإسلامي أو في غيره من دول العالم.

لهذا وجدوا في هاته المجلة سبيلا إلى التعبير الحر ورأوها حافزا عمليا يدعوهم إلى العمل وإلى الاجتهاد والمواطنة فلم يبق لهم مبرر إذا تقاعسوا أو تكاسلوا أو انغلقوا على أنفسهم فالحواجز قد انهارت والاستعمار قد ذهب إلى غير رجعة لكنه ترك بصماته على كثير من المناحي الثقافية في بلادنا فكان من اللازم أن نعمل على تطهير المغرب من هاته البصمات الممثلة للاستعمار الفكري وليس هناك أي سبيل إلى هذا التحرر إلا بفسح المجال للمومنين بالقيم الدينية والوطنية ليعبروا وليخططوا سواء بالمساهمة الفعالة في تسيير دواليب الحكم أو بالمساهمة الفكرية في توجيه الرأي العام وفي إعداد المواطن الصالح القادر على تحمل مسؤولية الاستقلال.

ومن المعلوم أن تحقيق الجانب الثاني يحتاج إلى وضع مجلة واعية تفسح آفاقها للذين يملكون منظورا اجتماعيا وفلسفيا يناهض الفكر الاستعماري ويمحو ما تركه من مخلفات في عقول عدد من الذين عبأهم الاستعمار بأفكاره المنحرفة وإيحاءاته الضالة سواء في الداخل أو الخارج.

رجال الفكر والأدب ساهموا بإنتاجهم في هذه المجلة التي أثرت الحركة الفكرية ببلادنا وساهمت في نهضتها

إنها عملية ستؤدي حتما - إذا طبقت - إلى استحضار عدد كبير من الأدباء سواء كانوا مغاربة أو غير مغاربة وستعيننا على الموازنة والمقارنة وستهدينا إلى الموضوعات الأساسية والتي شغلت العرب والمسلمين منذ خمس وعشرين سنة فكم من ثورة كانت تحتاج إلى توضيح أهدافها وكم من قضية كانت تحتاج إلى تبيين ملابساتها ويكفينا دليلا على ذلك ما سجلته هاته المجلة حول الوحدة الإسلامية وحول الجامعة العربية وحول القضية الفلسطينية وحول قضية الصحراء المغربية.

إنها مجلة هادفة إلى التحرير ساعية في إبعاد الطغيان حريصة على الربط بين آمال المواطنين داعية إلى الخير راغبة في الألفة وهي في كل أعمالها معتزة بالوعي الوطني المغربي الذي تلتحم فيه القاعدة بالقمة والذي تتآزر فيه المبادئ الوطنية بالمبادئ الإسلامية. وهذا هو السر الذي يدفعها إلى إصدار أعداد خاصة في المناسبات الوطنية والدينية ففي كل مناسبة من هاته المناسبات تتسابق الأقلام إلى التعبير عما تكنه نحو العرش من مودة ونحو الدين من إحساس يبدو ذلك في عيد العرش وفي عيد الشباب وفي عيد المسيرة الخضراء، كما يبدو ذلك في ذكرى نزول القرآن وفي الاحتفال بالقرن الخامس عشر الهجري وفي الافتخار بالأعياد النبوية وفي غير ذلك من الظروف الدالة على أن المغرب يسير سيرا نحو التكامل والصلاح.

ومما يدعو إلى الإعجاب أن هذه المجلة متطلعة إلى الأحسن راغبة في المزيد من الرعاية لهذا التمست من كتابها أن يدلوا بآرائهم فيما حققته من إغناء المسيرة الفكرية وفيما يقترحون للإبقاء عليها سامية مسايرة للتطور المنشود.

أما ماحققته من الإثراء الفكري فأمر قد اتضح فيما ذكرناه وأما الاستمرارية فمرجعها إلى إيمان المثقفين بدورهم الإيجابي في إحياء العقول وفي تنمية المدارك وفي ترقية البلاد فإن النكوص عن العمل يعد من أكبر الأخطار التي تهدد الحضارات بالزوال والانهيار. فلنسع قدر الإمكان في تزويد هاته المجلة بما يرفع من شأنها وبما يترك لها قوة الاستمرارية وبما يجعلها تساير التطور المعاصر ولنعمل على أن يكون الاتجاه الفكري الذي تتزعمه معتمدا على الدراسات العلمية الدقيقة لا على الإطار الخطابي الذي تنتهي قيمته بمجرد مرور الوقت عليه وهذه مسؤولية ليست مقتصرة علينا نحن المغاربة بل هي مسؤولية المفكر العربي والإسلامي في كل مكان فإن هذه المجلة كما لاحظنا من قبل تفسح المجال لكل المثقفين الواعين في العالم الإسلامي فلنحافظ جميعا على مستواها ولنحرص على أن تبقى مشرفة للفكر داعية للحق حاملة للواء الثقافة مسايرة لروح مسيرتنا الحضارية التي لا تتنكر للأصالة من جهة ولا تضيق بأصول الفكر من جهة أخرى.

وإننا بعملنا هذا سنمنح لمجلتنا قوة جديدة تساعدها على الاستمرارية وتترك لها الطابع الشمولي الذي يجعلها من أشهر المجلات في القرن العشرين.

فاس : **محمد بن عبد العزيز الدباغ**



أراد أن يساجل أو يواجه. شهدنا ذلك منذ البداية وأحسسنا به منذ ساهمنا بمقالاتنا وأبحاثنا في هذه المجلة الغراء.

إن هاته المجلة تعتبر نفسها واسطة للنشر وتحترم التزامها هذا فتترك للأدباء والعلماء حق القبول والرفض وتبيح لهم حق النقد وتلك سجية من سجايا الحرية الفكرية التي تبنتها منذ بدايتها ولكنها في الوقت ذاته كانت تسمح للباحثين أن ينقدوا وكانت تترك لمن أراد أن يتصدى للأفكار المنشورة أن يكتب ما شاء ثم تعرضه على القراء ليوازنوا وليقارنوا وليقبلوا ما ينسجم مع القواعد العلمية وليرفضوا كل ما عجز أصحابه عن الدفاع عنه. ولا تبالي في ذلك أكان المنقود من أسرتها القريبة أو من أسرتها البعيدة وتلك ميزة من مميزات الحوار الفكري الذي تنمو معه الثقافة وتزدهر.

إن المساجلات الفكرية ذات قيمة كبرى في الازدهار الثقافي إلا أن هذا الازدهار لا يكون قائما على ركائز قوية إلا إذا كان العلم منتشرا بين الربوع المختلفة بحيث تتيسر المطالعة وتسهل الاستفادة بل لا يكون قائما إلا إذا كان المثقفون قد اعتادوا المطالعة وتربوا على الانقياد إليها والتأمل فيما ينشر سواء كان مطابقا لمنظورهم أو مخالفا لأنه فرق كبير بين أن تحجر رأيك فلا تقرأ إلا ما يكون موافقا له وبين أن تقرأ الآراء المتضاربة ثم تختار من مقروءاتك ما ينفع فالعقل الضيق يجعل الصدر ضيقا والجهل حرمان يبعث على التعصب ويخنق روح التطور فما أقسى على المؤلفين والمنتجين أن يكتبوا فلا يجدوا من يقرأ لهم أو من يحاورهم. إنها إذن لنكبة كبرى يصاب بها الفكر ما أحرانا أن نتجاوزها بخلق جيل حريص على المعرفة مجتهد في الطلب يعرف قيمة الكتاب وقيمة المنشورات الدورية والمجلات الفكرية.

إن من الوسائل التي يجب أن ننهض بها في أمتنا ونحن نتحدث عن الاحتفال بالذكرى الفضية لمجلة «دعوة الحق» الاهتمام بالمطالعة والدراسة والحرص على التوعية الكافية التي تجعل من قرائنا جمهورا متحمسا للمطالعة عالما بفوائدها وبما تدره من الخيرات على نهضتنا الوطنية وحضارتنا الإسلامية فإن من أخطر ما وقعت فيه حياتنا العصرية مزاحمة وسائل النشر الإعلامية المرئية والسمعية للكتاب والمجلات فأصبح الكسل العقلي مسيطرا على عدد من الناس الشيء الذي يجعلنا نخشى على مصير الدراسات المعمقة وعلى مصير الكلمة المكتوبة مع أن الفرق كبير بين ما يكتب فينشر وبين ما يقال فيذاع أو يبصر فالمنشور ملك لك تتصرف فيه وتعاود النظر في محتواه وتعايش جزئياته وتباشر مضمونه مباشرة الناقد الممحص أما ما يذاع فهو شيء عابر لا استقرار له فلنعمل على تلافي هذا المشكل ولنوجه عناية طلبتنا وأبنائنا إلى المطالعة الحرة بكل تبعاتها لنخرج الأدباء والعلماء والباحثين والمفكرين الذين يقدرون على استيعاب الحقيقة وعلى مناقشة الأفكار وعلى الأخذ والعطاء.

هذا وإني لأود وأنا أتحدث عن هاته المناسبة أن تساهم وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية في عملية مفيدة جدا تتعلق بوضع فهرست عامة لما نشر في هاته المجلة من موضوعات داخل هاته المدة وأن توازي ذلك بفهرست للمشاركين من العلماء والأدباء والشعراء والباحثين شرقيين أو غربيين ليتسنى لمن يريد البحث أن يجد في هاته المجلة ما يساعده ويرشده فقد اصبحت الآن كلياتنا مليئة بطلبة العلم وبالمحضرين للشهادات العليا وهم لا يتيسر لهم في كثير من الأحيان معرفة بعض المظان النافعة وحيث إن مجلة «دعوة الحق» تعد من أقوى المجلات الفكرية دراسة للمجال التاريخي وأكثرها حرصا على إحياء التراث فسيكون هذا الاقتراح سبيلا إلى تيسير البحث وتوفير عناصر ه للمهتمين.

وإن عملا كهذا سيجعلنا نطلع على موضوعات شتى ومختلفة منها التاريخي والسياسي والعلمي ومنها الوطني الإقليمي ومنها الإسلامي المشترك ومنها الإنساني المتصل بمشاكل العصر وبفلسفاته كما يجعلنا نطلع على أعلام من

وعمل كهذا يحتاج إلى الإخلاص والمواظبة وإلى الاطلاع على الأحوال العامة وإلى المشاركة الفعالة في الدراسات الجادة الهادفة إلى وصف الوضع الاجتماعي كما هو وإلى تحديد ما يجب أن يصير عليه لأن المغرب بعد الاستقلال كان يتطلع إلى الوحدة والاستقرار وكان يتطلع إلى العلم ويود أن يحافظ على أصول مبادئه المثلى المتجلية في المحافظة على الدين الإسلامي وإحياء اللغة العربية. ولم يجد سبيلا إلى البلوغ إلى هاته الغايات إلا بإشراك رجال الفكر في هذه المهمة العظمى. لهذا فكرت وزارة عموم الأوقاف آنذاك في إنشاء مجلة «دعوة الحق» لتقوم بهذه المهمة ولتتولى هذه المسؤولية فاستجاب لها عدد من الكتاب والأدباء وتحملوا الأمانة بإخلاص وصارت المجلة بسبب ذلك سجلا حافلا بالوثائق القيمة، وروضة متفتحة الأزهار يانعة الثمار تمنح لناظريها باقات من الفكر مختلفة الألوان متعددة الأشكال.

أنشئت هذه المجلة في مرحلة عصيبة من مراحل الانتقال فكانت بسبب ذلك حاملة لرسالة هادفة إلى التوعية وإلى نشر المبادئ الإسلامية في صورة متفتحة وكان المجتمع حين ظهورها متعطشا إلى المعرفة باحثا عن سبل الحياة الرغيدة هائما في البحث عن المصير المشرق مضطربا بين شتى المذاهب الاقتصادية والاجتماعية لكنه كان ينتظر من المفكرين المسلمين أبحاثهم وكان متشوقا إلى منظورهم ليقتدي بهم فيما بلغوا إليه وليتأمل في مخططاتهم عساه أن يجد فيها ما يشفي غليله ويزيل قلقه واضطرابه.

وليس هناك مرحلة من المراحل الفكرية تحتاج إلى العمق الثقافي كالمرحلة التي يكون فيها المجتمع مضطربا في مناهله الفكرية وفي تصوراته الاجتماعية والاقتصادية. إنه حينئذ يكون في حاجة ماسة إلى المثقفين يعبدون له الطريق ويمهدون له وسائل الاستقرار ووسائل الاطمئنان.

لقد حملت مجلة «دعوة الحق» هاته المهمة على عاتقها وساعدت بوسائلها الخاصة كل الذين كانوا يرغبون في تحمل المسؤولية الفكرية في بلادنا أو في غيرها من البلدان الأخرى ولم تحجر أساليب التعبير والإفصاح فهي كانت تقبل البحث والمقالة والقصة والمسرحية والقصيدة وتترك لأصحاب المواهب حق التصرف في مواهبهم وحق الحرية في استغلال سجاياهم حسب استعداداتهم ومؤهلاتهم.

كانت تقبل الإنتاج العربي المحض وتقبل الإنتاج الإسلامي المكتوب بلغة بعض الدول الإسلامية التي لا تتكلم العربية بعد ترجمته فكم قرأنا من مقالات وأبحاث مترجمة عن الكردية أو الفارسية أو التركية كما كانت تقبل الإنتاج الأوربي المترجم إلى العربية بحيث نجد في هاته المجلة مترجمات كثيرة عن الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية وغير ذلك من اللغات العالمية الحية.

إن هذه المجلة إذن ليست مجلة إقليمية وليست صفحاتها مخصصة لفئة دون أخرى فهي منذ البداية تعرف أهدافها وتحرص على تحقيق هاته الأهداف. ولقد تعاقب عليها محررون وتداولتها أقلام مفكرين وواكبت مشاكل كبرى حدثت للمسلمين وللعرب بل واكبت أحداثا خطيرة ارتبطت بالعالم ككل فكان من الطبيعي أن تكون اهتماماتها منصبة على هاته المشاكل كلها وأن تعنى في بعض الفترات ببعضها دون البعض حسب الظروف المحيطة بالعالم إذ لا يمكن أن تنفصل مجلة واعية عن المجرى الكوني ونحن نعيش في عالم الأقمار الاصطناعية وفي عصر الثورة التقنية.

ومن أهم ما تمتاز به هاته المجلة أنها تفسح القول للرأي ولما يقابله وتترك مجال الحكم للذين يقارنون ويوازنون وقد تصل هذه الحرية أحيانا إلى حد الاحتدام وقد تكون أحيانا في حدود الإقناع الهادئ وهي في كل ذلك تترك للعلم هيبته ولا تتداخل في المجال القولي لمن



الدعوة

للأستاذ محمد قشتيليو

تبليغ الدعوة أو أداء الرسالة إنه شيء واحد ومعنى واحد ومضمون واحد. ما هي الشهادة التي نعطوها في «دعوة الحق» يا ترى ؟ وما هو نوع الكلام الذى نعبر به حول ما أسدته المجلة من أداء الأمانة في سبيل الدعوة إلى الحق خلال هذه السنين من عمرها التي تكون في مجموعها ربع قرن من الزمن ؟ إنه ربع قرن من أداء رسالة مقدسة. ما هو نوع الأسلوب الذى نعبر به عما يجيش في نفوسنا من تقدير لها ؟ إن الزمن الذى مر يعد بحق عمر جيل من بنى الإنسان ـ إنه عمر يحتاج إلى كثير من التحليل. تحليل في أدائها للرسالة من جوانب متعددة :

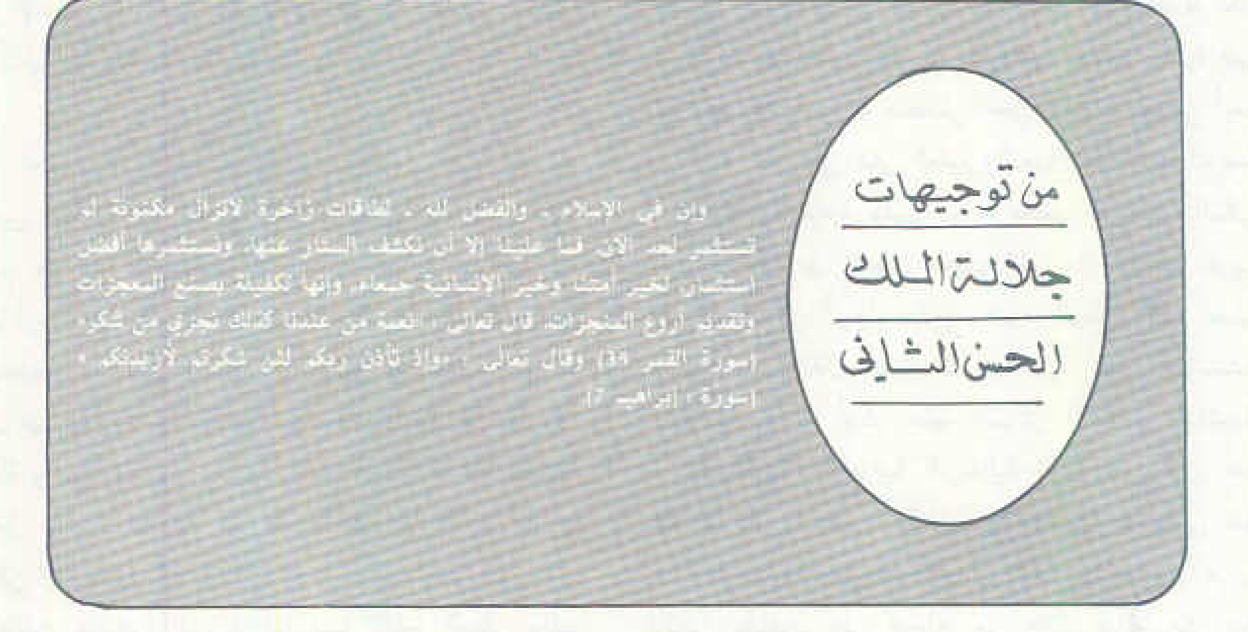
تحليل في الجانب الديني. تحليل في الجانب العلمي. تحليل في الجانب الثقافي وغير هذا كثير. فكل جانب من هذه الجوانب يحتاج إلى صفحات غير قليلة إذا أردنا أن نعطى لكل جانب من الجوانب حقه من التفحيص والتمحيص والتحليل والتعليل والتحقيق والتدقيق. فكل ما يقال فهو قليل من كثير عما أسدته دعوة الحق من خدمات جليلة وكفاح نبيل في سبيل المثل العليا. فدعوة الحق ـ والحق يقال ـ قد أدت في هذه الحقبة من الدهر كل ما يمكن أن يؤدى من عمل نزيه وخدمات جلى في شتى المجالات فالدعوة الدينية لما فيها القدح المعلى واليد الطولى فقد أحاطتها من جميع جوانبها فلا تترك مناسبة تمر دون أن تكون سباقة لها بإحياء ذكريات واحتفاء بأمجاد وتسخير أحسن أقلام الكتاب وأبرع شعراء وأكبر وعاظ للدعوة لها والإشادة بذكرها فتزخر صفحات المجلة بمقالات وأبحاث قيمة ناهيك بقصائد شعرية تصف ما جادت به قرائح الأدباء والشعراء من بلاغة وبيان في الموضوع. فهي بحق قد حوت كل نفيس وغال من شؤون الدنيا والدين فهي دعوة إلى الخير وإلى طريق الفلاح وإرشاد الناس إلى طريق الصلاح الذى جاء به الدين الحنيف. بالإضافة إلى فسح المجال على أوسع نطاقه لكل من يريد المساهمة بقلمه أو يدلى في الميدان بدلوه فهى تعد دعوة حق لمن هو متعطش للحق. ودورها المثالي أيضا في اثراء الفكر في شتى العلوم والمعرفة سواء منها الدينية أو العلمية أو الثقافية. وليس دورها مقصور على إثراء الفكر العربي فقط بل تتعدى دعوتها إلى ما هو غير عربي ومازلت أتذكر أثرها خارج حدود الوطن أثناء عملى بسفارتنا بالبرتغال حيث كنا نمد بها بعض المؤسسات الإسلامية هناك أذكر منهم المركز الإسلامي بلشبونة ومكتب الصداقة العربية البرتغالية فكان المشرفون على هذه المراكز يطلبون منا أن نزودهم بها ويسالونني عنها إذا تأخرت بإرسالها لهم رغم أن فيهم من هو غير عربي فكانوا يطلعون على فحواها من خلال قرائها من أبناء الضاد في الجماعة.

إن مجلة دعوة الحق يمكن القول أنها موسوعة بكل ما في الكلمة من معنى. فلا أريد أن أدلي برأى أعده سديدا أو فكرة أحسبها صائبة. فلنجعل من كلمة «الموسوعة» التي ذكرت موسوعة مجسمة ومحسوسة بجمع اعداد السنة الواحدة وجعلها في مجلد واحد يصدر عند نهاية كل سنة ليغنى المكتبة العربية ويزيدها درة ثمينة في عقدها لأن القارىء ربما تعوزه في بعض الأحيان بعض الأعداد. ولا أريد إبداء رأي أكثر فأهل مكة أدرى بشعابها كما يقولون، إنني أمسك هنا عنان القلم تاركا التوسع والتفصيل إلى من هم أقدر مني في هذا الميدان من أرباب الفن الصحفي. واختم قولي بتهنئتي لك يا دعوة الحق بعيدك الفضي فصفاؤك في حقل نشر الدعوة ونقاؤك في توعية ذهن القارىء وتثقيف فكره مثل صفاء المعدن الذى وصف به عيدك.

فسيرى على بركة الله مخلصة مؤمنة برسالتك المثلى في رعاية الله من أجل الدعوة إلى الله ومن كان لله دام واتصل ومن كان لغير الله انقطع وانفصل. وفي كنف وحامى حمى الدين والعلم، جلالة الحسن العظيم.

واجعلوا دائما شعاركم الآية الكريمة : «**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**». والحديث الشريف : «بلغوا عنى ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع».

الربـــاط محمد قشتيليو



المجلة الرّائدة

للأستاذ محمد بن ابراهيم بنخات

إنها المجلة الأولى في المغرب في عهده الجديد عهد الإستقلال. وقد كانت حقا مجلة رائدة. هذه الريادة التي تتجلى عندي من اختيار الشعار والعنوان.

وهو شعار دل على جسامة الدور الذي اضطلعت به من أول يوم. وهو عنوان ينم عن الغاية المقدسة التي توختها من أجل التصحيح والإصلاح وهي الدعوة بالحق وإليه.

وما أعظمها من دعوة خالدة تحمي وتقي من الباطل والضلال : (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء...) «الرعد : 14» وقد كانت تحية المغفور له مولانا محمد الخامس للمجلة في عددها الأول حافزا لها على تحمل المسؤولية ونبراسا أضاء لها معالم الطريق الطويل في عهد الإستقلال وهو طريق البناء لهذا الإستقلال.

قال رضي الله عنه في تحيته للمجلة : «أصبح من آكد الواجبات المنوطة بنا في فجر نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض القيود والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف.

إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين. بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب. وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة» (1).

لأنه للحفاظ على هذا الإستقلال ولصيانته لا بد أن يكون بناؤه سليما وقويا، أسسه روح وثابة وفكر ثاقب وعقل نير وفهم صائب. وهذه أوصاف إنما تنسحب على عناصر البناء من رجالات المغرب الحبيب وأطره الفتية : عناصر مؤمنة مخلصة شعارها دينها الحنيف، وعملها الدائب لصالح البلاد دينها الشريف.

وكما كانت التحية الملكية للمجلة دعوة صادقة للإلتزام بمبادىء ديننا، كانت مقدمتها أيضا مقدرة للمسؤولية واعية للدور الخطير الذي ينتظر هذا المنبر الجديد.

وهو التزام الحق مع الإستفادة من حضارة القرن العشرين : «إن الطريق الحق هي من جهة التمسك بأهداب الدين، والتحلي بالفضيلة، واحترام القيم العليا، ومن جهة أخرى، الأخذ بأسباب الحضارة، والإستفادة من علوم العصر

1) دعوة الحق، سنة أولى، عدد 1، ذو الحجة 1376 - يوليوز 1957، صفحة : 3.

وأفكاره وفلسفاته، بعد تمييز صحيحها من سقيمها، ولبابها من قشورها، ونافعها من ضارها» (2).

وقد صدر العدد الأول وما بعده من أعداد السنة الأولى وما تلتها من سنوات في المستوى الراقي من حيث المحتوى الرفيع إذ دلت مقالاتها وبحوثها على أصالة المغرب ونجابة أبنائه، فمغربنا مذكان وهو العريق : رجاله أعلام ومفكروه جهابذة. ولا ريب عندي أن مجلة **دعوة الحق** فضيلة وحسنة من فضائل وحسنات الإستقلال.

وحري بي هنا أن أشير إلى أن نعمة الإستقلال هي التي أتاحت الفرص لظهور البراعم وإبراز المواهب التي تبني وتصون هذا الإستقلال.

وقد كانت مجلة **دعوة الحق** ميدانا لعلمائنا وكتابنا أظهروا من خلاله نتاج عقولهم وبنات أفكارهم بغزارة ورصانة.

ولست مغاليا إذا قلت بأن كل مقال من مقالات السنة الأولى كان معلما من معالم الفكر النير وجوهرة من جواهر الكلم الطيب، كله دعوة وحكمة وموعظة حسنة ومجادلة بالتي هي أحسن.

ولنذكر على سبيل المثال مقال الزعيم المفكر علال الفاسي في العدد الأول (3) : «.. لقد كانت محنة أرادها الله، أيقظتنا من سباتنا، ونبهتنا من غفلتنا فتقدمنا نتساءل : ما هي الأسباب وما هو الدافع لسقوطنا ونهوض غيرنا ؟

ما هي العوامل التي جعلت تلامذتنا بالأمس أساتذة لنا بل سادة يحكموننا ؟ وهكذا وقف المسلمون - والمغاربة منهم - في مفترق الطرق، يبحثون عن الوسائل التي تعيدهم لما كانوا عليه من مجد ورفعة، وارتبك اتجاههم بين آثار الجمود ودعوة الجحود، وزادهم ارتباكا أن الغرب نفسه غير متفق في برامجه ولا في خططه، فله هو الآخر جموده متعدد الألوان والأشكال، وله هو الآخر جحود، مختلف الأنظمة والأوضاع».

وقد حلل الزعيم الراحل موضوع الجمود والجحود فكان موفقا رحمه الله إذ وضع النقط على الحروف فكأن انحراف المسلمين الذي تحدث عنه الزعيم وتنكبهم سواء السبيل يعود لتفشي داء الجمود مع جحود طبقة منهم.

وهو لعمري قول حق يذكرني بقولة الأمير شكيب أرسلان : «أضاع هذا الدين جامد وجاحد» (4) كما تحضرني أيضا في هذا الشأن حكمة الشيخ محمد عبده : «هذا الدين محجوب بالمسلمين».

وقد نشرت مجلة **دعوة الحق** الكثير الجيد من البحوث العلمية والفلسفية والأدبية مما جعلها مرجعا وثائقيا لا يستغنى عنه ودليلا علميا لكل راغب وطالب، وهنا يتبادر إلى الذهن ذكر تلك السلسلة الذهبية (5) من الردود المفحمة المفلحة، والمقولات البينة المؤمنة للدكتور تقي الدين الهلالي التي نشرها على صفحات المجلة خلال السنوات (3، 4، 8، 9، 10) من عمرها المبارك المديد والتي كانت نقدا بناء وردا رادعا للمتطاولين المدعين ودواءا للشاكين وقامعا للمشككين.

ومما يزيدنا اغتباطا بمجلتنا الرائدة ويزيدنا اعتزازا بها أن دورها التثقيفي كان بارزا وفعالا، وهنا أشير بإكبار إلى الأستاذ محمد الحمداوي الذي خص المجلة في سنتها الثامنة والتاسعة بسلسلة ردود في موضوع ثقافة القرآن والثقافة العالمية.

وفي نظري وبدون مبالغة أن ردود (6) الأستاذ الحمداوي في موضوع ثقافة القرآن كانت القول الفصل في

---

2) للأستاذ المكي بادو ـ صفحة : 6.
3) لاجمود ولا جحود، صفحة : 6.
4) لقد خانتني الذاكرة، فلست أجزم بأنها لشكيب أو لمحمد كرد علي.
5) وهي «نقد العوائق النفسية للتخطيط» و «دواء الشاكين وقامع المشككين»
في 40 مقالا، وقد جمعت فيما بعد في كتاب تحت عنوان (دواء الشاكين وقامع المشككين).
6) دعوة الحق سنة 8، 9، وقد جمعت تلك المقالات مع أخرى نشرت بالمجلة وطبعت في كتاب منذ سنتين (في نطاق التفكير الإسلامي).

هذا الشأن. وحجتي أن كثيرا من الكتاب والمفسرين تاهوا في موضوع **ذي القرنين** مثلا. ولم يحالفهم التوفيق ولم يهتدوا للتفريق بين الإسكندر المقدوني وذي القرنين. ولكن حينما طالعت للأستاذ الحمداوي على صفحات **دعوة الحق** ردوده طمأنتني وأقنعتني أيما إقناع جزاه الله خير الجزاء وزاده توفيقا. وأخيرا أقول : هذا استعراض مني لبعض مراحل المسيرة العلمية والفكرية التي قطعتها وتقطعها مجلة المغرب الأولى وهو جهد المقل.

وما قلته عنها نزر يسير. وهذا اعتراف مني بالتقصير. ولكن عذري أن الكثير الطيب من فضائلها وأدوارها سيستغرق الكثير من الصفحات والصفحات.. وهذا الذي أتركه لغيري.

فتحيتي إلى المجلة الرائدة في ذكراها الفضية.

محمد بن إبراهيم بخات

من توجيهات جلالة الملك الحسن الثاني

منذ ولانا الله أمر هذا الجانب الغربي من دار الإسلام ضاعفنا الجهود لتعزيز جانب الدين في كل حين، ولم ننقطع عن العمل المتواصل لبعث حيويته وتجديد معالمه وإبراز محاسنه للموافقين والمخالفين، اقتداء بصاحب الرسالة وخاتم النبيئين عليه الصلاة والسلام وإيمانا منا بأن دين الحق لابد أن يبقى ظاهرا مستمرا على مر الأيام مصداقا لقوله تعالى: «ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا» سورة الفتح 28.



للأستاذ محمد أجانا

«دعوة الحق» إلى الله منار
وإلى الإسلام هدي ونهار
إنها عطر من الله شذا
ه إلى العقل رسول وبشار
إنها تسكب في الفكر رحيـ
ـقا مصفى طاهرا فيه وقار
عزة الإسلام تبدو في مقا
لات قلب شعر منه انفجار
راية الله بها اليوم استنا
رت وأمست شعلة الله تنار
صحوة الإسلام منها انبثقت
والنضال الحر منها والبدار
إنها الإشعاع والنور الحضا
ري طليقا فهي والله قطار
أدب القلب ووجدان نغو
س لها في الصفحات مدار

منبــر حــر لأقـــلام بـــدت
حــرة الــرأي الــذي ليـس يحـار

حـارس للديــن والإســلام فـي الــ
ـمغـرب الأقصــى أميــن وجدار

يتلاقــى عندهـــا أنصــار خيــ
ــر هواهــم نصــر ديــن وانتصــار

يتبـــارون علــى الحــق ليبـــ
ـدو نقيــا وعليـــه قــد نغــار

حــزب ربـي قـد تجلـى فـي السطو
ر وضيئـا ليـس يعلــوه غبــــار

ناشـرا منهــج ربـي فــي العبــا
د ليحيــوا ولهــم منـه اعتبـــار

«دعوة الحق» جهـــاد وكفـــا
ح مريــر كلـــه عـــزم واقتــدار

تقــف اليــوم كصخــر صامــــد
تتحـدى الغــرب معــاه دمـــار

وتــرد الكيــد والغــزو الثقــا
فـي الــذي فيـه سمــوم وخســار

هجمـات كالأفاعــي تتلـــ
ـوى علــى الشـرق لـه منهـا بـوار

إن للشــرق ضيــاء ليــس يخـــ
ـبـو لــه جمـر ولا يفنــى أوار

إنــه الفجــر الــذي أطلعـــه اللـــ
ـــه بشـرى وبهـا غنــى الهــزار

«دعــوة الحــق» فأنــت اليـــوم نــو
ر مشـع ورجـاء ودثــــــــار
عيـدك الفضــي حلــى جيـــده
عقـــد أعـــوام ينميـــه افتخـــار
أنــت أصبحــت شموعـــا لامعـــا
ت ستبقـــى وسيحييهـــا اخضـرار
إنمـــا عيـــدك عـــرس رائـــــع
قـد ســرى منـه إلـى الأفـق انبهـار
إن أيامــك سعــــد طالـــــع
فــي صعــود مثلمـــا يسمــو البخار
يتوالـى عمــرك الحافـــل طيـــــ
ــبا ستعلـــوه زهـــور وثمـــــار
غـدك الزاهــر يطفـو مشرقــــا
شمســه تلــك الأمانــي الغـــزار
فانعمـــي اليـــوم بعيـــد شيـــق
إنمـــا العيـــد ســرور مستطـــار
لــك مــن قلبــي التهانــي مخلصـــا
أنــت للديــن وللنــاس شعــــار
زودينـــا بفنـــون القـــول نحـــ
ـــيا جديـــد امالنــــا منــه انحــدار
نعمـــة أنـــت مـــن اللـــه لنـــا
وظــــلال وارفــــــات وقـــرار

مكناس ـ **محمد أجانا**

دور مجلة "دعوة الحق" في بعث النهضة ونشر الدعوة الإسلامية

للأستاذ المبارك الريسوني

إن مجلة «دعوة الحق» كلما سلخت عاما من حياتها ودخلت بوابة عام جديد عرفت ألوانا من التجديد في موضوعاتها ومظهرها إلى جانب الدقة والعمق في بحوثها. وكلما أضاءت شمعة جديدة أعادت الحساب وأرجعت البصر وكررت النظر في أعمالها باحثة عن الإيجابيات والحسنات لتعميقهما والسلبيات والسيئات للتخلص منهما.

ومجلتنا اليوم تحتفل بذكرى عيد ميلادها الفضي بقدر ما يدعوها هذا الإحتفال إلى الزهو والسعادة بما حققته من مكاسب بقدر ما يدعوها هذا إلى أن تقوم أعمالها من جديد وتدرس متطلبات التجديد لتبلور من خلال ذلك كله الموقف الصحيح الذى يليق بها كمجلة إسلامية جامعة أنيطت بها سعادة المغاربة، ووكلت إليها هدايتهم. ليتأتى لنا ولأبنائنا ولحفدتنا من بعدنا الإحتفال بذكرى أعياد ميلادها وقد حققت كل الطموحات.

قليلة هي المجلات التي عاشت ربع قرن من الزمان إلا التي تميزت بمميزات وخصائص تختلف بها عن نظيراتها من حيث العمق والتنوع والجدة والأصالة ومواكبة الأحداث والصدق والأمانة فيما تكتبه من أبحاث ودراسات. ومجلتنا من هذه النوادر التي تنطبق عليها تمام الإنطباق هذه الأوصاف لذا نحن نحتفل بالذكرى التي تفصلها عن ميلادها مدة زمنية جديرة بالتأمل والتفكير الرصين. وسنحتفل - إن شاء الله - بأعياد ميلادها في المستقبل وهي أحسن حالا مضمونا وشكلا.

وبعد هذا نتساءل. لماذا هذا الإهتمام بجمعها وتسفيرها والعناية بها والإعتماد عليها في كل المؤسسات العلمية بالمغرب وخارجه.

وإلى أي حد استطاعت شق طريقها الوعر وسط تيارات وإديلوجيات تستهدف النيل من كرامة المسلم ؟

إن مجلتنا هذه صارت وثيقة تاريخية لا غنى لكل باحث عنها، ولا مناص لكل دارس منها وهو يتحدث أو يكتب عن النهضة الفكرية بالمغرب أو حضارته. أو عن الحركة السلفية. أو تاريخ المغرب الإجتماعي والسياسي والتربوى. وهذه الحقيقة تؤكدها لنا معظم المؤلفات على اختلاف تخصصاتها التي ألفت منذ فجر استقلال المغرب إلى يومنا هذا إذ تعتمد عليها كمرجع من المراجع. وهذا شرف وفخر وتكريم على كل حال لا تحظى به سوى قلة قليلة من المجلات والمراجع.

إنها تحاول أن تبتعد عن أن تكون لها صفة الصحافة اليومية ووظيفة الصحافة الأسبوعية لتظل خالصة للثقافة وقيمها، ومتربعة على أريكة الخلود تشرئب إليها أعناق الباحثين والدارسين وتستقطب اهتمامهم، ومما يعمق هذه الثقة بها أنها قد غدت فعلا منبرا للجهابذة من رجـالات العلم وأساطين الفكر على اختلاف تخصصاتهم يشهد بها ما تنشره من أبحاث ودراسات لهؤلاء، وما تحظى به من اهتمام من لدن الجميع، ولولا هذا وذاك لما كان بمستطاعها أن تشهد عيد ميلادها الفضي وهي أكثر أملا في المستقبل وأصلب عودا وأوفر حظوظا.

ومن يلازم قراءتها يلاحظ بأنها حققت خلال هذه السنوات الأخيرة خطوات واسعة إلى الأمام وتقدما في الإرتقاء بمستوى مادتها العلمية وفي الموازنة بين الحياة الروحية والعلمية والإجتماعية والسياسية، وكذا في التوفيق بين هذه الجوانب، مبرزة صلات الترابط والتكامل القائمة بينها.

ومجلة «دعوة الحق» بالإضافة إلى ما ذكر أصبحت مدرسة غير نظامية قائمة الذات تغذي العقول والأدمغة بسلسل عذب من العلوم على اختلافها، وتطعم أخرى بفيض منها سعيا في صقلها والإرتقاء بها، وتلقح عقولا فتية ضد الأمراض الإجتماعية التي تجتاح بلدنا بمعلومات هادفة ليلا تزل وتنزلق ولتحصنها وتقيها من كل خطر محتمل.

إن رسالتها هاته التي قامت بها على كل الأصعدة والمستويات تستوجب منا جميعا على اختلاف مهماتنا ووظائفنا آباء وأمهات ومربين و... أن نحتفل بذكراها متمنين أن تواصل مسيرتها الظافرة على النهج الذى رسمه لها باعث النهضة أمير المؤمنين حامي الملة والدين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ أطال الله بقاءه ـ ألا وهو مواكبة العصر الذى تعيش فيه بأحداثه وقضاياه ومعاناته وتطلعات المغاربة إلى غد أفضل.

وإذا نحن عدنا إلى مجلة «دعوة الحق» وتصفحناها ألفيناها تتناول مختلف فنون المعرفة مستهدفة من هذه الأبحاث والدراسات غايات معينة كما أومأنا لذلك آنفا.

وعلى سبيل المثال نذكر بعض الدراسات القيمة التي تناولتها المجلة في رحاب التربية الخصب وميدان علم النفس الواسع، فتارة تحدثنا عن التربية بالمغرب عبر التاريخ، وأخرى تحدثنا فيه عن النهضة الفكرية به، كما تحدثنا عن المناهج التقليدية وآفاتها على مستقبل أبنائنا وحضارتنا، والمعاصرة وآفاقها ومحاسنها مع دراسات مقارنة لهما، وعلى كل فإذا نحن قمنا بدراسات تحليلية استقرائية لهذه الموضوعات كلها المطروقة في التربية وعلم النفس وسبرنا أغوارها منذ نشأة المجلة إلى يومنا هذا أمكننا الخروج بحصيلة من المعلومات عن الحياة التربوية والتعليمية في المغرب قديما وحديثا حاضرا وآفاق هذه الحياة استقبالا، وبالمناسبة نقتطف فصلا من فصولها وهي تحدثنا عن التربية التقليدية بالمغرب.

«الطفل المغربي كان يدخل إلى المسيد فالجامع فيبدأ بتعليم الكتابة والقراءة تقليدا من غير إتقان لقواعدهما وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم محاكاة دون فهم لمعانيه، ولا معرفة لما يتضمنه من أحكام وأخلاق وقصص ومواعظ، فإذا حذق (المحضرى) القرآن انتقل يقرأ العلوم ويحفظ متونها كالاجرومية في النحو والمرشد المعين في الفقه والمقدمة الصغرى في التوحيد والحســـــاب وكلما حفظ متنا وفهم ما فيه من قواعد انتقل إلى متن في نفس الموضوع أوسع من الأول واشمل موضوعا، وهذه العلوم والمعارف كانت لا تخرج عن مادتي الدين واللغة» فإن الدراسة بهذه الطريقة البدائية العقيمة كانت في غالب الأحوال لا تؤدى إلى نتائج إيجابية، ولعقم الطريقة كانوا يتوسلون (أى القائمون بالتعليم) بشتى الوسائل القسرية والقهرية لحمل الطفل كرها على مواصلة العمل في ظل منهج يرفضه لكونه يسبب له متاعب نفسية وبدنية، وشعورا

من المجلة بعقم الطريقة التقليدية أخذت تسعى إلى تخليص بعض العقول المتحجرة من فكرة حكم الأموات للأحياء.

إن بعض هذه العقول بقيت مخلصة للأحكام الإعتباطية البائدة الموروثة وظلت، أسيرة لفكرة الرفض المطلق للتجديد والتحديث قرونا، ولم تستطع التحرر من هذه الأفكار المتجاوزة رغم الضوء الساطع والبرهان القاطع الذي أسفرت عنه الدراسات الحديثة في إيجاد المناهج المكيفة التي تلائم ميول الطفل وحاجاته وقدراته واستعداداته، كل هذا لينشأ نشأة تحررية وواقعية متكاملة حسا ومعنا وروحا واجتماعا خلقا وجماليا.

وتحدثنا كذلك عن تاريخ نشأة جامع القرويين وعن الحياة التربوية والتعليمية بها وأنظمتها، وكذا عن مساهمتها كأقدم جامعة في بناء صرح الحضارة الإنسانية. إن القرويين كانت المنار الهادي للحائرين والمورد الروى للظامئين من أبناء المغرب وافريقيا والأندلس والمشرق وذلك في أيام عزها، فليس يحصى من استضاء بنورها، ولا ينبغي أن نغفل ما كان لمؤلفات علمائها من تأثير على النهضة العلمية بأوربا، تلك المؤلفات التي ترجمت واستفيد منها أعظم استفادة في العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها.

وإلى جانب ذلك نجد في صفحاتها أبحاثا ودراسات لبعض رجالات التربية تدعو إلى التجديد والتحديث في المناهج والبرامج والطرق لمسايرة ركب الحضارة. كل هذا في إطار ديننا الإسلامي وأصالتنا، وعلى كل فمجلة «دعوة الحق» أصبحت موسوعة متكاملة شاملة لكل ميادين المعرفة.

وإلى جانب هذه الدراسات التربوية والأبحاث البيداغوجية قامت بدراسات اجتماعية قيمة ومفيدة استهدفت طرح المشاكل الحقيقية التي تقف سدا منيعا في وجه النهضة وبالتالي التقدم العربي والإسلامي.

ومن هذه المشاكل التي تناولتها المجلة بالدرس والتحليل مشكل التقليد، تقليد الضعيف للقوي والصغير للكبير وتتمثل صفاته في الخمول والكسل والبلادة وحالة من التشتت والشعور بالعجز. كما تناولت مشكل انسلاخ الإنسان عن مجتمعه والتظاهر بالزهد إلى حد الإفراط أو مشكل الدنيوية فالحالة الأولى مشكل الصوفية التي لا نعني بها التقوى أو الروحانية الخاصة بالإسلام المستمدة من الإيمان الحقيقي، بل نعني بها الصوفية المرادفة للشعوذة التي تتنكر تحت هذا الإسم لغرض من الأغراض الخبيثة والتي تستعيض عن المعرفة العقلانية بالكشف والتأييد للكرامات والتوكل والإستسلام، ولقد أدى شيوع مثل هذه الظاهرات المرضية إلى اجتياح اوبئة اجتماعية كان لها أبعد الاثر سلبا على حياة العرب والمسلمين، كما كانت لها انعكاسات خطيرة على العقلية والسلوك ومثل هذه الظواهر تتعارض لا ريب مع الحياة الحقيقية لكونها تستنزف قوات بشرية عبثا وتمتص طاقات أخرى هدرا.

أما الحالة الثانية فنعني بها مشكل الدنيوية وهي تنشئة الفرد في غيبة عن الجانب الديني، وكأن لا علاقة للدين بالدنيا، وهذا الشعور بالإزدواجية المصطنعة أدى إلى صراع وتطاحن وإلى إشكالية ذات أبعاد خطيرة في المجتمع، إن كل ما يلاحظ من تهاون وتخاذل واستهتار بالقيم والمبادىء وتفشي الكثير من الأمراض هو نتيجة حتمية لهذا التقسيم التعسفي بين المادة والروح وبين الدين والدنيا، وشعورا من المجلة بخطورة الحالة والموقف، وسعيا منها في إيقاف هذا الداء العضال بادرت بتخصيص دراسات مركزة استهدفت إعادة النظر في تنشئة الفرد تنشئة دينية في إطار اجتماعي. كما عالجت المجلة بكل موضوعية مشكل الإستعمار، أسلوبه، هويته، استيلابه، إنه في كل يوم يتخذ أسلوبا جديدا للهيمنة والقرصنة تحت غطاء الإنسانية والتحضر، ويتوسل لذلك بوسائل ثقافية وعلمية وتكنولوجية وغير ذلك، إنه فقط يسعى بكل الحيل

والمكائد ليصل إلى أغراضه ومبتغاه ألا وهو التوصل إلى استلاب الإنسان، بمعنى أن يجعله يشعر بالدونية والعجز والنقص ولا أمل له في تدارك مافات سوى التعلق بأذياله أو السير في فلكه. إن مجلتنا غنية بمثل هذه الدراسات التي تكشف لنا عن نواياهم الحقيقية، وهناك موضوعات أخرى عالجتها المجلة بنجاح تناولت مشاكل أخرى وإشكاليات على صعيد الفرد والجماعة من جهة والعالم العربي والإسلامي من جهة ثانية.

ومن خلال هذا العرض الموجز لبعض أعمال المجلة تأتي أهمية ما تطرحه من أبحاث ودراسات، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا أن التاريخ التربوي الذى اهتمت به يحمل إلينا فلسفة الحياة في السلوك والقيم ويحمل إلينا رائحة الماضي تحضيرا للحاضر واستلهاما يقربنا من اليقين في معرفة معالم المستقبل.

وخلاصة القول ، أن مجلة دعوة الحق ساهمت مساهمة فعالة في التوعية وقامت برسالتها خير قيام في ميدان نشر الدعوة الدينية الصحيحة السليمة بمنهجها الواضح وطريقها اللاحب، إنما يبقى أن نتساءل إلى أي حد نجحت في مقاومة الفكر الخرافي والتحديات الصهيونية وزحف التيارات الهدامة والإديولوجيات الأجنبية ؟

هذا موضوع آخر يمكن تناوله في بحث مستقل. ولكن قبل أن أختم عرضي هذا أود أن أقول ، أن مجلة «دعوة الحق» مدعوة اليوم أكثر من أى وقت مضى لأن تتخذ منهجا جديدا وأسلوبا حكيما للوقوف بثبات واستعلاء لفضح نوايا الإستعمار والصهيونية التي تحاك ضد الإسلام بدهاء وخبث ومكر.

المبارك الريسوني



تقييم لدور المجلة في الحياة الفكرية المغربية

كسفارة ثقافية متنقلة

للأستاذ محمد عبد الفتاح الابراهيمي

تدخل مجلة «دعوة الحق» في عامها الخامس والعشرين بفخر واعتزاز وهي مضطلعة بمسؤولياتها فيما تنشره من معلومات قيمة تتسم بالإبداع والعمق والطرافة والابتكار... تعرف بما لبلادنا من تراث خالد.. وإنها لجديرة بالتنويه والإكبار. حملت إلى اشقائنا العرب والمسلمين باقات من الزهور النادرة عم اريجها الوطن العربي والإسلامي. وقد قطعت ربع قرن من الزمن. تبلورت فيه التجربة الثقافية. وأعطت أكلها عذب المذاق. شهي الثمر. كما حافظت على الأصالة والوفاء بالرسالة المنوطة بها إلى الأمة الإسلامية لتطلعهم عن كثب وتحمل ما خلفه أبناء عمومتهم من تراث خالد جدير بالاطلاع والتقييم خدمة للمعرفة فكانت بذلك حلقات اتصال بين الشرق والغرب بل بين مختلف القارات لا سيما والمغاربة أحفاد من امتصوا فلسفة الإغريق وعلومهم. وارتشفوا حكمة الهند. وأحاطوا بمعالم الفرس وبلوروا تلك المعارف والمعلومات بطابعهم الإسلامي الخاص وقدموها للأجيال من بعدهم باقات مرصفة ملقحة منقحة. مفيدة...

وعن طريق الأندلس وغيرها من المراقي دخلت الأرقام العربية إلى أوربا كما دخلت لعبة الشطرنج والتحليلات الكيماوية والعلاجات الطبية كالتداوي بالأعشاب وطرق استعمالها وتركيبها كما دخلت الزراعة وطريقة تحسينها وترصيف الجنا ين ووسائل الري المبتكرة فعرف هذا الربع كثيرا من الخضروات والفواكه التي لم يسبق لهم أن رأوها... كما ادخلوا فن الهندسة والمعمار تشهد بذلك الآثار الخالدة إلى الآن في الأندلس وغيرها من البلدان ولأول مرة وعن طريق العرب تمكن الأروبيون من القيام بالحسابات التي تتدرج فيها اليوم والتي لم يكن في استطاعة الرومان أن يقوموا بها رغم ما كانوا عليه من الحضارة والتفوق الحربي... وذلك أن جهازهم العددي كان مختلا لخلوه من الصفر ولم تعرفه أي دولة حتى اضافه العرب وبذلك قدموا للعالم اجمع هدية جليلة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الإنسانية حلت كثيرا من الألغاز المستعصية ودفعت بالتقدم إلى الأمام.

وأحسن ما يهدى ويقتنى في هذا العصر إلى الأجيال هي المجلة أو الكتاب ففيها من المواضيع الشيقة والنكتة الطريفة والحكم ما لاتجده عند معظم الجلساء. وفيها من الأفكار النيرة ما هو جدير بالرجوع إليه والاحتفاظ به كاللؤلؤة المصونة التي تحتوي على الدرر النفيسة. والذي يهتم بالثقافة المثلى لا تفوته تلك الدرر. كما يحسن به أن يلم بالأخبار المستجدة الحدث أو غيره من الأحداث التي

تتصل بالعالم الذي يعيش فيه... ولقد اتبعت مجلة «دعوة الحق» سياسة تبني المواضيع القيمة المتنوعة والتي تتصل بالنبوغ المغربي ولا تبعد عن المصير المشترك وتقديم الأهم على المهم.. فقفزت بذلك قفزات مهمة كبيرة منذ ظهورها إلى الآن واصبحت بفضل كتابها ومحرريها الأفذاذ لا غناء عنها للقارئ المثقف كغذاء ضروري لما تنشره على صفحاتها من المواضيع الدسمة المهمة.. كما اصبحت درعا واقيا... ضد الجهل بما تحضنه من المعرفة ورعايتها، وتنشده من التثقيف الإسلامي السليم، بتبنيها الكتاب المرموقين... فهي كسفارة متنقلة من مكان إلى مكان تضم خيرة الديبلوماسيين العارفين... تسافر إلى قرائها وزبنائها أينما حلوا ونزلوا، لتحيطهم علما بما جد في عالم المعرفة وما ألف أو طبع من الكتب، فهي منبر حر لاقتراح ما يجب أن يكتب أو يقدم على غيره... تطلع قارئها على ملخص الأحداث الثقافية والمعارف الإسلامية ومن صميم رسالاتها تحري الدقة وتصحيح الأخبار وتوجيهها الوجهة السليمة بالمنطق والحجة...

وبما أننا في عصر السرعة أصدق ما يطلق عليه... عصر المعلومات . فلا غناء لأحد عن الكتاب والمجلة، ولا سيما التي تجعل من اهدافها اختيار المعارف بعد تنقيحها وتمحيصها وإخراجها في شكل أنيق جذاب لتقدمها لنا كأزهى ما تكون الزهريات، ومن هنا يقول بعض المفكرين الكبار... أن المجلة لا تعلق على الحدث بقدر ما تستوعبه، وتضعه في إطاره التاريخي أو الاقتصادي والاجتماعي...

وإذا كان هذا شأن المجلة الملتزمة فإنها تقوم بمهمة أساسية لا يستغنى عنها عالم مختص، ولا قارئ مهتم بمتابعة الأحداث... وذلك أن هذا اللون من الدراسة المستفيضة من شأنه أن يساهم في تكوين عقلية الشباب، ويؤثر في طريقة تفكيرهم بما يضع أمامهم من مبادئ ويقدم لهم من أحكام مبدئية وحلول قد تكون مفاتح يستخدمونها في حل مغالق الأحداث.. وإذا تعودوا على حل مشاكلهم بأنفسهم كانوا جديرين بالقيادة ولا شك أن الحوار بين المجلة وقرائها قائم وصادق لأن التفكير في القضايا الوطنية مستمر ومتبادل وهذا الحدث الذي تتطرق إليه المجلة بالنسبة لما يكون قد جرى ووقع من الأحداث ينطبق بالضبط حينما تتعرض لما يمكن أن تتوقعه أو تقع فيه من أحداث طارئة وتطورات مستحدثة فيما يقترحه الكتاب أو القراء من قضايا أو حلول بالنسبة لمشاكل الحاضر والمستقبل وفي مقدمة هذه المشاكل التدهور والتفرقة والخدلان الجاثم على صدور الأمة الإسلامية... وما هي الحلول المقترحة ؟ وكيف الخروج أو المخرج ؟ وما هي المنجزات التي أنجزناها والمراحل التي قطعناها أمام التقدم الأجنبي ؟.. إلى غير ذلك من الأسئلة. ويعجبني سؤال طريف كان قد طرح في مؤتمر ثقافي كانت عقدته جامعة الكويت وحضره أغلب المفكرين والباحثين من مختلف بلدان العالم... فكان السؤال كما يلي : مالذي أصاب الأمة الإسلامية ؟ أو الإبداع العربي ؟ وتبين من خلال المناقشة والحوار والأخذ والرد أن حل اللغز في يد أهل الحل والربط.. ومحترفي السياسة وليس في مقدور أهل الفكر والقلم والتنفيذ... إنما هم يصدرون التوصيات ويقترحون الحلول وذلك أضعف الإيمان. وعلى السلطة السياسية أو الهيئة التنفيذية تبعية الإهمال، وأن الجهاز الثقافي لا يمكن أن يتوفر له النجاح إلا في ظل هيئة سياسية متفتحة متوازية، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن. وإذا تتبعنا المناظرات والمؤتمرات الثقافية وما يتخللها من دراسة الواقع العربي المؤلم والوقائع، وجدنا أن الحل الوحيد يكمن في العدل الاجتماعي وحرية الرأي، وإحلال الديمقراطية الحقة إلى آخر البنود والتوصيات المتخذة، والتي تفتح المجال أمام الخلق والإبداع وتعين على النهوض والتقدم إلى الأمام وما نزوع العلماء والمثقفين إلى الغموض في اللفظ والتحايل على المعنى والتعبير باسم الحيوانات والطيور إلا لأن الحرية في تلك البلاد مهضومة... كما أن بعض الكتاب اليوم يعمدون إلى المراثي

يندبون البلاد الضائعة ويتحسرون على المجد الغابر.. أو التغني بالعصر الذهبي ويعددون انتصارات الأمة حينما كانت آخذة بطرق البحث الصحيح متمسكة بالعقيدة الدينية... وبعضهم يدعو إلى الرجوع إلى التعاليم السمحة واتباع سير الأنبياء والصحبة والصالحين لعلهم يجدون المنفذ والمنقذ. والسلوان. وإذا كان المسؤولون عن التنفيذ أو التأطير يتحملون التبعية... فهل هذا يعفي العلماء أو المفكرين من تحمل نصيبهم من المسؤولية. إذا كان دورهم سلبيا أو محدودا وهامشيا ؟. وكيف يكون العالم نائما أو متخاذلا وهو مسئول أمام الله والخلائق مع أن دوره مهم كبير وليس من السهل الغاؤه أو التقليل من شأنه ومهمته تبتدئ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مع عدم الخنوع أو الخضوع والاستسلام إلا للحق والعدل فكيف به ينتكس إلى ترسيخ الباطل وتمكينه بالتصفيق والابتهاج !! أين نحن من قول الله تعالى ؟ **(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولائك هم المفلحون...)** وقول الله تعالى : **(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات وأولائك لهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أنه الحق المبين..)** وقول الرسول عليه الصلاة والسلام : من رأى منكم منكرا فليغيره بيديه فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

وأبو بكر الصديق حيث يقول : إني وليت عليكم ولست بخيركم أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم... ولم يغضب حينما سلوا سيوفهم وقالوا له : والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا هذه. فما كان منه إلا أن قال . بصدر رحب الحمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم الاعوجاج بالسيف وهذا عمر ابن الخطاب على ما عرف عنه من صلابة واعتداد... تراجعه امرأة في حق من الحقوق عند تحديده للصداق... ويرى أن الحق معها فلا يتحرج أن يعلن للناس خطأه حيث قال : أصابت المرأة وأخطأ عمر.. وهذا عمر بن عبد العزيز ياخذ ما عند أقاربه وأهله من ضياع ومال ويرده لبيت مال المسلمين فيكلمه أحدهم فيقول له اغرب عني والا بعتك وألحقت ثمنك ببيت المسلمين : يقصد أن أمه اشتريت من بيت المال... وما قصة القنديل بخافية... ولم يستنكف صلاح الدين أن يبايع أحد ابناء الخلافة العباسية جمعا للكلمة ولشتات العروبة والمسلمين وبذلك أطال عمر الخلافة العباسية حيث أعادها في القاهرة... ولنا قدوة في السلف الصالح وإلا تدهورت الأحوال. وساءت الأمور. ورحم الله أبا الأسود الدؤلي إذ يقول :

أليت لا ينثني الإلـه عمــــاد
ولا عماد ان لم ترس أوتــــاد
فإن تجمع أوتــاد وأعمـــــدة
وساكن بلغوا الأمر الذي كـــادوا
لا يصلح الناس فوضى لاسرات لهـم
ولا سرات إذا جهالهـم ســـادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ماصلحـت
فإن تولت فبالأشـرار تنقـــاد

وبمناسبة مرور خمسة وعشرين عاما على مجلة «دعوة الحق» أتذكر قول بعض المثقفين إذ قال بالحرف قد لا نجد مثل هذا المنبر مجالا لكتابة ما يجب أن يكتب. أو اقتراح ما يمكن أن نفعله غدا أو بعد غد. إنما نتصدى للحلول في مجرياتها وبعد آفاقها أو ميدانها الأرحب. وهنا يمكن تقريب الفكرة باستخدام عملية التكتيك والاستراتيجية الحربية التي تعلمناها حينما كنا نتابع دراستنا في القاهرة وقبل أن نتطوع لصد العدوان الثلاثي الغادر على مصر 31 أكتوبر 56 والإسم مسجل في لواء جامعة القاهرة تحت رقم 206.

وكانت المعركة لها أهداف وخطة استراتيجية مدروسة.. تحدد الهدف المطلوب.. فلم يبق إلا تضعيفه... أو

الحد من تطبيقه والتقليل من فعالية العدو... حيث حشدت كل القوى العسكرية والمدنية وجمعت كل الطاقات والامكانيات وقد جعلت مصر نصب اعينها كل الاحتمالات واستعدت كل الاستعداد حيث تم تدريب الأهالي والمتطوعين وعبئت أكبر الطاقات مراعية ظروف الشعب وإمكانيته وطاقته القتالية ونفسيته والظروف الدولية المؤثرة في المعركة والاستشارة مع الأصدقاء وجس نبض الأعداء أو الممولين للعدو وبعد ذلك قررت الدفاع أو الدخول في الحرب فحققت بعض النجاح... ولا أقول النجاح كله لأنه إلى الآن لا زالت أجزاء مغتصبة... والتكتيك هنا نقصد به الحساب الخاص بكل قائد في معركته أو موقعه أقرب إلى التجديد أو التفصيل والأمة التي تنشد التصنيع أو التثقيف دون تخطيط أو تأطير كالشعب الذي يخوض معركة ما دون استراتيجية مدروسة أو تكتيك لا يمكن أن يصل إلى نتيجة مفيدة... والاستراتيجية هي الأخرى إذا ظلت علوية وليست مترجمة إلى مجموعة تكتيكية تفصيلية متقنة مقننة تكون استراتيجية نظرية غير قابلة لأن توضع موضع التطبيق ونفس الشيء ينطبق على كل شيء ذي بال في الحياة لأي أمة تريد التقدم وهذا ينطبق على خطة التعليم أو التنمية أو التصنيع الخ...

ومهما بعدت الشقة واختلفت المسافات فلا مندوحة لنا من التأثير بما حولنا ولا سيما والتقدم والمعلومات لم تعد مقصورة أو محجورة كما كانت أو محصورة على أمة دون أخرى... ولا تنقص سوى النية الحسنة فلنتوكل على الله وهناك الكتب والمجلات العلمية والأدبية والاقتصادية والوسائل السمعية والبصرية التي توجه المرء وجهة حسنة إذا أحسن استعمالها والعكس ظاهر...

والمجلة كالمدرسة أو الجامعة إذا نظرنا إلى ما تقدمه من المعارف والمعلومات والمحاضرات... وهي فرصة لمن فاته قطار المدرسة أو الكليات من الشباب أو الكهول... كما أنها حديقة خصبة لتجديد الأفكار التي قد بليت والتذكير بمعارف قد نسيت أو عفى عليها الزمان فتحولت إلى لون باهت تافه قد يكون مضحكا في أغلب الأحيان وقد يكون أهم ما يميز المجلة أنها تبذل ما في وسعها لمد قرائها بأحسن ما انتجته العقول الواعية وسطرته يراعة العلماء الأفذاذ لاستنهاض الهمم وبعث الآمال في النفوس لمقاومة الباطل ودحض الخرافات. ودفع عجلة التقدم إلى الأمام ومجلتنا تقوم بمهمة صعبة في تحقيق بناء هيكل أفكار شبابنا وتنمية ملكاتهم بضم تجارب الآخرين إلى تجاربهم حتى لا يقضوا العمر كله في التجارب وهنا يذكرني الجاحظ بقوله العقل عقلان، عقل طبيعي وعقل مكتسب ولا ينمو العقل الطبيعي إلا بالعقل المكتسب كالنار مع الحطب ومن السخف أن يعيش المرء دون الكتاب أو المجلة ولا يؤدي أي رسالة ثم يحسب نفسه أو يحسبه غيره إنسانا.

ومجلة «دعوة الحق» والحمد لله تؤدي رسالتها كل شهر على أحسن ما يرام... ولا أدعى لها أنها وصلت إلى القمة أو الكمال فالكمال لله.

إذا تم شيء بدا نقصه فترقب زوالا إذا قيل تم

ولست أنكر رسالتها الشاقة أو فضلها على شبابنا المعاصر ودورها الفعال في محاربة الإلحاد وتنوير الطريق أمام الملحدين... وقد قطعت أشواطا لا بأس بها في عالم البحث ونشر المعرفة ولكن لا زالت أمامها عقبات صعبة الاجتياز... وللبحر مد وجزر، كما أن للقمر اكتمالا ونقصانا وكما أن للزمان خريفا وربيعا وصيفا وشتاء...

فكذلك الحقل الثقافي، والمعرفة تزدهر وتخبو حسب الطقس وتهييء المناخ. ومع ذلك فإن الكتاب أو المجلة الملتزمة لا تزالان المرجع والملاذ الميسور لاقتناء المعرفة غير أن دور الخيالة والمسرح والتلفزة أو الفيديو إلى غيره من وسائل الوسائل السمعية والبصرية قد حد من نشاط الكتاب والمجلة... إلا أن النخبة المثقفة أو الواعية لا تدع لهذه الوسائل السيطرة عليها واستغلالها استغلالا مجحفا..

ومن ثم لا يستغنى عن الكتب أو المجلات لأن هذه الطائفة الواعية على بصيرة بالأعمال المطبوخة المستعجلة أو الموجهة للتخدير أو قتل الوقت ويجب على الكتاب التأني في الكتابة والمراجعة لأن الضبط الموثوق به. هو عنوان النجاح، والدواء الناجع والعصمة من الخطأ أو الانفعال... ولا يخفى أن العجلة أو الميل نحو العاطفة مظهر من مظاهر الشعوب البدائية وتنكر للبحث العلمي الصحيح والكتابة السريعة، أو الأدب السريع سرعان ما يشيع ويضيع، وكلما كان الحديث متأنقا مرسلا ومسلسلا، كان متألقا، وأدعى إلى الاستزادة والخلود... وإنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك كما قال أستاذنا عميد الأدب العربي طه حسين رحمه الله.

وقد شاهدنا مجلة «دعوة الحق» في أغلب أعدادها ساعدت على حوار بين الكتاب والقراء كما عملت على إيجاد نقد استقطب نخبة من رجالات الفكر في المشرق والمغرب فكانت بذلك رسولا أمينا يحمل رسالة صادقة أو صورة مثلى إلى الأقطار العربية والإسلامية على السواء كما أنها همزة وصل بين أبنائها وأبناء الأقطار الأخرى لما تتسم به من الأصالة والجدة... وتفيض به من الطرافة واللطف... ذات المستوى الرصين والمحتوى الرفيع الذي يتطلب الأناة والجهد وطول النفس...

وخلاصة القول أن مجلة «دعوة الحق» تبتدئ بالدراسات الإسلامية لتتدرج إلى الدراسات الأدبية والتاريخية والقضايا الفكرية مما يجعل أبحاثها وموضوعاتها حديقة أنيقة منسقة أو بستانا متألقا شهي الثمر مستساغا لكل الذين يرغبون في تحصيل المعرفة عن طريق المجلة التي تحترم مستواها وتحافظ على مركزها ولا تزال بها قدم لتتدنى إلى الميوعة المقيتة وطرق الإعلام الرخيص أو المتاجرة بالإعلانات على حساب القراء وما اجدرها بهذا الإسم «دعوة الحق» وما أحوجنا إلى الحق والعدل وإلى غذاء روحي وماء نمير صافي نرتشف منه جرعة لنشفي غلتنا ونثوب إلى العالي القدير ونتوب إليه توبة نصوحا.

محمد عبد الفتاح الإبراهيمي



تحية من المملكة العربية السعودية:

مراكش الحمراء!!

للشاعر الاستاذ عثمان بن سيار
(الرياض)

ياليل في «مراكش الحمراء» ياجنة العشاق، والشعراء
أنساك، لالاليس أنسى طلعة الـ ـوجه الضحوك، وعاطر الأشذاء؟!
وصباحك الجذلان أيقظ في دمي مشبوب أيام الغرام النائي
أطرقت أستوحي جمالك خاشعا ياليل في «مراكش الحمراء»
ما كنت ياليل الفتون إخالني أنسى طويل كآبتي وشقائي
حتى احتوتني في ظلالك فرحة وافتر ثغرك باسم الأضواء
ووجدتني أختال بين خمائل أشدو لها جذلا أرق غنائي
ما بين غابات النخيل، وسحرها عند الأصيل يطيل صمت الرائي
وحدائق الليمون تسبح في الندى نشوى تعاطيني بكل سخاء

٥ + ٥

بمدينة الأسوار والأبواب، والليـ ـمون، والزيتون طاب ثوائي
مذجئتها، والليل نشوة شاعر والصبح فرحة واحق للقاء
حرا يعانقني النسيم كزهرها ثملا بلا كأس، ولا صهباء
طوفت في أرجائها متأملا أرلهي تليد مجادة، واباء
في كل قصر من قصور بناتها أتلو سطور تصارع الأكفاء
فن من المعمار ما شاهدته الا عجبت لقدرة البناء
العبقرية في الفنون، وجدتها في تلك لا في (لوحة) شوهاء

الرياض ـ **عثمان بن سيار**



للأستاذ عبد القادر القادري

تعتبر مجلة «دعوة الحق» التي تحتفل اليوم بالذكرى الخامسة والعشرين لإنشائها وذلك بإصدارها عددا ممتازا يخلد هذه الذكرى من أبرز المجلات الإسلامية فقد قامت برحلات إلى آسيا الوسطى الإسلامية وحضرت مؤتمرات إسلامية هامة في أندونيسيا وماليزيا والسينغال وعرفت بكثير من رجالات المغرب ورجالات المشرق واهتمت بتاريخ المغرب خاصة وبتاريخ المشرق عامة وأثرت الفكر العربي الإسلامي في المغرب ولعبت دورا هاما في الحياة الفكرية المغربية وبذلك تكون قد اسدت خدمة جليلة للأجيال الماضية والحاضرة والقادمة وللفكر والحضارة العربية الإسلامية. وإذا كان كتاب آخرون تحدثوا في هذا العدد الممتاز ما شاء لهم الحديث عن إثراء مجلة «دعوة الحق» الفكر العربي الإسلامي في المغرب وعن دورها في الحياة الفكرية المغربية فقد ارتأينا نحن أن نطرق جانبا آخر من الأهمية بمكان للتعريف بأصدائه في المشرق والمغرب ذلك الجانب هو الدفاع عن الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها. فقد عرفنا العدد العاشر من السنة الأولى بتاريخ أبريل 1958 وحرب الجزائر على أشدها بالأمير عبد القادر الجزائري وكشفنا في العدد الرابع من السنة الثانية تاريخ يناير 1959 الغطاء عن جماعة الدونمه بتركيا وأساليبها الشيطانية في نخر هيكل الخلافة العثمانية وهذا البحث لم تتناوله الصحافة الإسلامية إلا في الأعوام الأخيرة وبذلك تكون مجلة «دعوة الحق» قد حصلت على سبق صحفي في هذا المضمار. وعقبنا في العدد الخامس السنة التاسعة بتاريخ مارس 1966 على محاضرة الدكتور عزيز بلال التي ألقاها بوزارة الشبيبة والرياضة عن الماركسية والإسلام فبينا نحن أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان.

وفي العدد التاسع من السنة الحادية عشرة قدمنا ترجمة الإمام شامل القوقازي بطل الثورة القوقازية في القرن الماضي وعززنا الترجمة بصورته النادرة المثال. ودافعنا في العدد الخامس السنة الثانية عشرة بتاريخ أبريل 1969 عن الأتراك العثمانيين وكان لهذا المقال صدى بعيد في الداخل والخارج حيث أرسل إلينا سفير تركيا بالمغرب كتابا يشكرنا فيه عن تصحيحنا آراء كتاب العرب من مسيحيين ومسلمين في الحكم التركي للبلاد العربية وينوه به كما أن مجلة غلاسنيق (GLASNİK) التي يصدرها مسلمو يوغلافيا بسيرايفو باللغة اليوغلافية وبالحروف اللاتينية نقلت المقال المذكور في عددها الخامس لسنة 1969.

وبعد مضي ثلاثة عشر عاما على هذا البحث ألقى الأستاذ هرمان الألماني بكلية الآداب بالرباط مساء يوم

الخميس 11 مارس 1982 محاضرة تحت عنوان «العرب والترك» تناول فيها المحاضر المذكور نفس الموضوع الذي تناولناه نحن في مجلة «دعوة الحق» السنة 12 العدد 5 تاريخ ابريل 1969.

وظفرت مجلة «دعوة الحق» بسبق صحفي عن السلطان التركي عبد الحميد الثاني حيث دحضنا في العدد التاسع - السنة السابعة عشرة تاريخ نونبر 1971 افتراءات الصهاينة وكتاب لبنان المراونة على السلطان المذكور ولم تطرق «مجلة العربي» الكويتية نفس الموضوع إلا في سنة 1976 كما دحضنا في العدد التاسع من السنة السابعة عشرة تاريخ نونبر 1976 افتراءات بعض كتاب المشرق حول معركة إيسلي الشهيرة. وقدمنا في العدد الرابع من السنة الواحدة والعشرين تاريخ يوليوز 1980 ترجمة وافية للشيخ عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية الشهيرة في العالم الإسلامي.

وبالجملة فإن هذه الكلمة لا يمكنها أن تستوعب كل المواقف الإسلامية التي وقفتها مجلة «دعوة الحق» الزاهرة في إعلاء كلمة الله بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة وإحقاق الحق وإزهاق الباطل والله يهدي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم.

عبد القادر القادري



ربع قرن في

عمل مثمر وجهاد مستمر

للأستاذ محمد العربي الزكاري

مدخـل

عندما دعتني وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى المساهمة في العدد الخاص بتخليد العيد الفضى لمجلة (دعوة الحق) حاولت استعراض شريط حياة المجلة منذ نشأتها لاستلهام موضوع لهذه المساهمة، ولا مناص من الإعتراف بأنى لم أساير حياتها بانتظام، وإنما اطلعت على بعض أعدادها بالصدفة وعلى فترات، ولست أدرى هل كان هذا الموقف «إهمالا» منى لمجلة تعنى بالفكر والدعوة إلى الله، أم «تقصيرا» منها في غزو المجتمع المغربي وإبلاغ صوتها إلى كل الأصقاع وجميع الطبقات.

والحقيقة أن مواكبتى لنشاطها ومساهمتي المتواضعة في حقلها لم تتعد عشر سنوات خلت، حيث شعرت بأنها تحررت من كابوس الإحتكار الذى كانت ترزح تحت أثقاله، وفسحت المجال للمثقفين المغاربة على مختلف مستوياتهم، وفتحت الباب على مصراعيه للاقلام المتعددة الإتجاهات والتى لا تقبل المساهمة بإنتاجاتها إلا في جو الحرية الفكرية التي أتاحها للمجلة سماحة الشيخ محمد المكى الناصري عندما تولى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة.

هذه المقدمة كان لا مناص منها كشفيع إذا ما قصرت في إنزال هذه المجلة المنزلة التي تستحقها والمكانة المرموقة التى هى جديرة بها وقد قطعت ربع قرن من حياتها، وإنى لأرجو أن يكون عمرها طويلا وطافحا بتعميق الفكر الإسلامى في الوسط المغربي المتطلع دائما والتواق باستمرار إلى المزيد من التحليق في الأجواء الإسلامية التي كانت وستظل القوة الدافعة لرفع مستوى الإنسان والأخذ بيده إلى الهدى والرشاد، باعتبار أن الإسلام هو طوق النجاة لهذه الإنسانية الحائرة والمتخبطة في مشاكل اجتماعية وسياسية واقتصادية وعقائدية خطيرة، والسائرة في متاهات حضارة صماء لا تقيم وزنا لخلق رفيع، ولم تستطع أن تقدم الإطمئنان النفسي حتى لأصحابها والمفتونين بسرابها رغم ما وصلوا إليه من تفوق في مجالات كثيرة وإنجازات متنوعة، فهم في تعب ونصب، وحيرة وارتباك، وريبة وفزع، وخوف وهلع، مما أعدته حضارتهم من وسائل التخريب والتدمير.

رسالـة

وإنى على يقين من أن ربع قرن ليس بالشيء الكثير في حياة «الأمة» ولكنه بالنسبة «لمجلة» لا يستهان به وله وزنه الثقيل إذا ما قسناه برسالة سامية تتصل بالعقيدة والأصالة كمجلتنا التى نحتفل معها بهذه الذكرى الفضية التي تدل على صحة اتجاه الفكر المغربي في مساره الثقافي والفكرى والإسلامي.

فدعوة الحق في نظرى «رسالة» والقيام بأعباء الرسالة يتطلب نفسا طويلا وعميقا ليقتحم كل ميدان، ويغزو كل مجتمع، وينفذ لكل قلب، ويدق بلين كل باب يحجب

الحقيقة ويخفى القلوب المظلمة والعقول المهزوزة والمجتمعات الضالة، لينتشلها كلها من ظلمات الحيرة والإرتباك إلى نور اليقين والهدى.

التــزام

وإذا كانت مجلتنا تضطلع بأعباء هذه الرسالة السامية، فهى «ملتزمة» من تلقاء نفسها وبحكم انتمائها إلى وزارة لها ارتباط وثيق بالإسلام كعقيدة وبتوجهاته كسلوك وقانون.

وهذا الإلتزام وتلك الرسالة من مميزات شعبنا، فتطوعه لأداء رسالة الإسلام والتزامه بالدفاع عن العقيدة المحمدية عرضته لكثير من المضايقات وعديد من الأزمات، وخلقت له شرذمة من الحاسدين والمعاندين الذين جردهم التنطع من كل خلق شريف فعجزوا في مسيرتهم عن أي إبداع، ولم يتقنوا إلا المكر والخداع. ورحم الله فاروق الإسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قال : «يا حق ! ما تركت لى من صديق».

الحقل المثمـر

والواقع أن الفكر الإسلامي وجد في المغرب الميدان الواسع للإنتشار، وفي قلوب المغاربة وعقولهم ووجدانهم الحقول الخصبة والصالحة للبذر والنمو والإزدهار، وكأن شعبنا كان على موعد مع الاشعاع الإسلامي والإمتداد الروحي لبلورة طاقاته الفكرية وإبراز إيمانه الصادق والعميق برسالة السماء، ففي ربوعنا أينعت شجرة الفكر الديني الخلاق، حيث تعمقت جذورها، وتطاولت فروعها، وامتدت أغصانها ليستظل بها من هم وراء صحرائنا.

المواطن العـادى

وجدير بالملاحظة أن الاشعاع المغربي الذي امتد خارج حدودنا الجغرافية لم يساهم فيه العلماء والمثقفون والمرشدون وحدهم، وإنما شاركهم في أداء هذا الواجب الديني والقومي المواطن العادى بسلوكه المتزن، ومعاشرته الممتازة، وهيامه بالفضيلة، وتدينه الصادق، فكان داعيا إلى الله بفطرته، وقدوة لمن عايشه وتعامل معه في تجارته عبر أقطار نائية، مما يؤكد أن المغاربة أخذوا العهد على أنفسهم بأن يكونوا دعاة للإسلام ومبشرين بعقائده لهداية الضالين إلى الصراط المستقيم.

تعبير صـادق

وإذا كانت «دعوة الحق» قد التزمت طيلة ربع قرن بأداء هذه الرسالة الرفيعة وتطوعت لحمل أعباء الدعوة إلى الله فهى تعبر أصدق تعبير عما يختلج في صدر كل مسلم في هذا البلد الأمين على العقيدة الإسلامية، وتترجم بالمقالة والقصيدة والدراسة عن إحساسات المواطنين والمواطنات في هذه القلعة الصامدة في وجه التيارات الملحدة والدعوات الهدامة التي تعمل جاهدة على تخريب العقول وإفراغ القلوب ليسهل بعد ذلك اقتناصها بسهولة لفائدة الإلحاد والزندقة والإنحراف بأشكاله الواضحة والخفية.

جسامة المسئوليـة

من هنا ندرك جسامة المسئولية الأدبية التي تضطلع بها مجلة إسلامية ملتزمة كدعوة الحق، وهى رسالة ثقيلة وضخمة جدا، ولكنها سامية ونبيلة ورفيعة، ولو لم تكن مجلتنا صادقة في التزامها لما استطاعت مواكبة الزمن طيلة خمسة وعشرين سنة دون تعثر في السير ومن غير التواء في الأسلوب.

وكفاها فخرا أنها حافظت على العهد، وواكبت مسيرة المغرب الظافرة، وساهمت بجدية وفعالية في إثراء الفكر الإسلامي والثقافة العربية داخل المغرب وخارجه.

تقدير وتطلـع

وانى وإن كنت لا أقنع في هذه المجالات كلها بما بذلته المجلة من جهد، وما قدمته من عطاء، ولا أشبع في

ميدان الدعوة إلى الله بما هو أكبر وأعظم مما بذلته من خدمات. فإني أقدر مواقفها المشرفة كل التقدير، ولكنها في نظري مدعوة إلى مضاعفة الجهد ومزيد من العطاء في حقل الإشعاع الحضاري والفكري والديني حتى نراها في مستقبل قريب بحول الله وقد تضاعف حجمها، وتكاثرت أقلامها، وتعددت أبوابها، وتنوعت موضوعاتها، طبقا لسنة التطور وتطلعا منا إلى أن تظل رائدة على الدوام والإستمرار.

وبعـد

وبعد، ففي تصوري أن «دعوة الحق» لها وزنها الثقيل ولها طابعها الخاص وذوقها الحلو، فقد ساهمت بجهد كبير وتضحية عالية لإبراز معالم الحضارة الإسلامية، وواكبت الأحداث الداخلية والخارجية التي لها ارتباط بالإسلام والمسلمين بموضوعية واتزان، ودافعت بشجاعة عن عقيدتنا ومكتسباتنا وحقوقنا، وهي مواقف تستحق عليها كل تبجيل وإكبار وتنويه واعتبار.

فتحية من الأعماق لدعوة الحق وهي تستقبل عاما جديدا ومشرقا من حياتها، ومرحى لأمتنا بمجلة ترفع رأسنا عاليا بين الاشقاء في دنيا العروبة والإسلام، وهنيئا لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتبنيها لمجلة تدعو إلى الله في ظل أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني الحارس الأمين والمدافع الشجاع عن الإسلام والمسلمين.





للأستاذ عبد الفتاح إمام

قدمت إلى هذا الوطن السعيد في نوفمبر سنة 1961 فكانت مجلة «دعوة الحق» كالطفل الذي بدأت حياته تطل على هذا الوجود، تحمل بين صفحاتها قطوفا من العلوم والفنون. بدأت كالشمس حين تلقى أشعتها من مطلعها، وتظهر شيئا فشيئا حتى يتكامل ضوؤها، وينتفع الكون بها....

هكذا أنشأت «دعوة الحق» في مطلع عهد الحرية والاستقلال، فكانت نورا يخبو حينا، ويسطع أحيانا، ثم صارت منبرا حرا للنابهين من الكتاب، وكوكبا يدور مع الأفلاك، فيكلأ القلوب هدى وعرفانا، والعقول علما وبيانا...

تدرجت في الحسن والبهاء، حتى صارت أعذب من الماء، وألذ من الصهباء، واستغنى بها قارئها عن فوائد الحكماء، وخطب البلغاء، إذ جاءت موضوعاتها أبدع من الوفاء، وأبهى من الروضة الغناء، والزهرة الزهراء، والغرة الغراء...

كأنها روضة الحسن جامعـــــة
تستوقف العقل من إبداعهـــــا
عجبـــا إذا تصفحتها تحلو إعادتها
كأنها الراح مزجاة لم طربـــــا
أنعم بها تحفة تهدى لقارئهـــــا
علما وفنا وآدابا ومنتخبـــــا

حديثها في الأندية بين الأصدقاء، أطيب من وصال الحسناء، وأهنأ من الشفاء بعد الداء، فبدت عروسا تفتن الناظر، وتغطي المناظر، وبلغت في هذا العهد من التأييد والتسديد، ما يبلغه الحظ السعيد، ويشهد به القريب والبعيد....

إذا ارتعت في رياض فنونها، وأجلت عينك وخاطرك في ميادين علومها، تقلبت في روضة وغدير، وأدرت عينيك في تحفة ما لها نظير، فسبقت بذلك الأولين، وأتعبت من يقلدها من المعاصرين والمتأخرين....

نفضنا بقراءتها الكسل، وجلونا عن أنفسنا الفتور والملل، بحديث مطرز بالأدب، مرصع بأخبار العجم والعرب، وألفاظ أنيقة النظم، وثيقة النثر، رصعت بالخطاب الجزل، والمنطق الفصل، فهي أميرة النظم والنثر، ونزهة القلوب والأعين، وبستان الأفكار، وجلاء الأبصار، نادرة العصر، وبيضة العقر، تتفتح صفحاتها عن در منثور، وجوهر منظوم...

وزاد من روعتها ـ أن تولت إدارتها يد بيضاء طورتها، وأمدتها بالعناية ـ حتى علا منارها، وذاع صيتها، تلك هي يد الأستاذ عبد القادر الإدريسي...

لله ما فعلت تلك اليد البيضاء، من حسن الاختيار، والترتيب والتنسيق، حتى صارت عميدة المجلات، وآية من الآيات، وكأنها باقة من الأزهار يفوح عبيرها، وتقر العيون والأبصار بمشاهدتها، أسأل الله أن يطيل بقاءها، ويجعل من يحسدها فداءها.



الأخ الصديق الأستاذ السيد ....

تحية وسلاما، وبعد :

توصلت بالرسالة التي بعث بها إلى السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المجاهد الأستاذ السيد الهاشمي الفيلالي من أجل المشاركة في العدد الذي تقرر إصداره بمناسبة الذكرى الفضية لصدور مجلة (دعوة الحق) أمد الله في حياتها ووفقكم جميعا.

ونظرا لظروف قاهرة ولعدم تمكني من القيام بإعداد دراسة في الموضوع فإنني أبعث إليكم بهذه الرسالة راجيا من أخوتكم الاعتذار نيابة عني للسيد الوزير المحترم ولإخواني أسرة المجلة مؤكدا على قبول اعتذاري والتعهدي بانجاز الموضوع الذي التزمت في فرصة قادمة بحول الله.

ولا يفوتني أن أسجل بهذه المناسبة أن صدور عدد خاص بالمناسبة يعتبر من الناحية الإعلامية ـ التي تتصل بجانب من تخصصي ـ جانب إعلامي له أهميته إذا ما تمكن القائمون عليه من إعطائه ما يستحق من تحديد وإبراز للمجلة، ودورها الطلائعي بالنسبة للمجلة العربية والإسلامية بصفة عامة من حيث طبيعة الاستمرار والالتزام والشمولية والاستقطاب سواء بالنسبة للمغرب أو بالنسبة للبلاد الشقيقة والصديقة.

وإذا كانت الظروف لم تسمح لي بتحقيق ما كنت أنوي القيام به من دراسة ميدانية متخصصة في هذه المناسبة، فإنني أردت أن لا تفوتني المناسبة للإشارة إلى هذا الجانب البارز في مجال الاعلام المتوازن الذي سجلته مجلة (دعوة الحق) بالرغم من ضعف الإمكانيات التقنية المتوفرة لأسرتها تبعا لوضعها الإداري الصرف. غير أنها ولله المنة والحمد استطاعت أن توفر ـ تبعا شخصية المسؤولين الذين أشرفوا عليها ـ رصيدا من المتعاونين المؤمنين الذين

يتزاحمون على صفحاتها بإيمان وثقة باستمرار، وينطلقون من تخطيط التزموه وهو ما جعل هذا المنبر في مستوى الرسالة المخططة له..

فالمشاركون المغاربة انطلقوا من تخطيط اتفقوا عليه فقط بالوعي بالرسالة سواء منهم الذين كتبوا في مجال الدعوة أو الإصلاح أو الموضوع المغربي العام في شتى المجالات حيث نجد هذا التخطيط يكون إطار للعمل المدروس، يجعل من موضوعاتهم مادة لموسوعة تعتز مجلـة (دعوة الحق) أن تفاخر به، فهي لم تترك مجالا من مجالات المعرفة إلا طرقته ابتداء من موضوعات الكتاب والسنة، إلى موضوعات المسرح والقصة والنقد، شاركت فيه أقلام متخصصة في أغلبها، وباشرت هذه الموضوعات بمنتهى الموضوعية والالتزام بالبحث العلمي انطلاقا مما أشار إليه القائد محمد الخامس رضي الله عنه عندما توج أول عدد صدر منها بقوله :

«... ويسرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار **مجلة جامعة**، تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء...».

ه "–" ه

أما الأقلام الخارجية فهي أيضا كانت شاملة، ومتنوعة وتمثل مختلف جهات الرقعة الأرضية مما يتعذر الحصول عليه في منبر آخر من منابر الاعلام الإسلامي المشابه (لدعوة الحق) ويشير في مجموعه إلى موضوعية لها أهميتها البالغة، يستطيع الدارس المنصف ان يحـــدد المعالـــم العميقة للمشاركين فيها باستمرار، ويضع هذا الإنتاج في إطار مهمة (دعوة الحق) التي انطلقت دائما من الإصلاح وللاصلاح على المستوى الإنساني المؤمن.

ه "–" ه

في حين أن افتتاحيات المجلة في كل أعداد سنواتها المتواصلة الحلقات كانت منبرا واضحا ومحددا للدعوة التي واكبت طريق المجلة، خصوصا إذا ما أضيف إليها باب شهريات الفكروالثقافة وشموليته شرقا وغربا وكذا متابعات الملتقيات والتطورات السياسية للعالم العربي والإسلامي ومعاركها التحريرية، إلى غير ذلك من النصوص والوثائق التي تحتفظ بها سلسلة المجلة عبر هذا العمر المديد إن شاء الله (وهذا يقر به للباحث والناقد الفهرس العام للمجلة).

وسأكون سعيدا إذا كان الذين شاركوا في هذا العدد قد أدركوا أهمية إصدار هذا العدد من الناحية العلمية الصرفة، فتاريخ خمس وعشرين سنة من حياة (دعوة الحق) بأقلام أبنائها سيمكن (المكتبة الإعلامية) بالذات بمادة جديدة ما أحوج طلبتنا والبحث العلمي إلى تحقيقه، فهذا العمل هو أبرز مظهر لمواجهة خصومنا من الاستعماريين الاستغلاليين الذين يعاكسوننا في إرادة الحياة الحـــرة الكريمة بعد ما عاينـــا منهـــم - ولا زلنـــا - نعانـــي مـــن تخالفهم، وجبورتهم العسكري الإرهابي انطلاقا من إيماننا بحتمية الحياة والخلاص، وتحقيقا للنظرية الإعلامية المغربية للشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الذي أوضح سنة 1311 هـ - 1903م).. **ان ظهور الجرائد العجمية التي انتشرت هي حرب بالأقلام في الحقيقة لأهل الملة..**

ه "–" ه

وبعد فإن أملي وطيد، وثقتي كبيرة في أن تبقى (دعوة الحق) كما قال جلالة **الحسن الثاني** العظيم : «مدعوة إلى الضرب بسهم في تجلية محاسن الإسلام، ورفع الحجب عن قواه المستورة، ويرى - الشباب المغربي - أن بين يديه كنوزا من المعنويات أعلى بكثير من الكنوز الذي يروج لها الدعاة في هذه الأيام، وبها يستطيع أن يشارك مع المخلصين من الشباب الإسلامـــي العمل في خلق النهضة الإسلامية المرتقبة، التي لا تعصـــف بهـــا الانقلابات، ولا تذهب بها الفتن والثورات..».

زين العابدين الكتاني



قولٌ كريمٌ مهذبٌ

للشاعر الأستاذ شهاب جنبكلي

دعوة للحق تبدو بسمة ... للعاقلين وروضة لا تنضب
فيها الحياة لمن أراد غذاءها ... والروح تسعد إذ ترى ما يوجب
أدب وعلم، والثقافة منهج ... والصدق في طياتها مستعذب
دين ونور، في طليعة ملك ... تهدي العقول إلى النعيم وترقب
هبت نضالا من سنين عديدة ... توفي حقوق المسلمين وتعتب
حملت لواء المخلصين وعانقت ... بالود ما يبقي الوفاء ويوكب
إن كان نور المسلمين متوجا ... بالحق. فهي غذاؤه والمشرب
أغرودة كانت تردد عزة ... لله. والقول الكريم مهذب
كلماتها، من حقها، تسعى إلى ... بحر الكتاب (1)، وسنة لا تجدب
فتفتحت للمومنين وأينعت ... درر الكلام من الهداية. تنقب (2)
هي كالسحاب إذا همى مستعطفا ... في أرضنا المعطاء، حيث يصوب
راحت بها الآفاق تثني هامة ... لحقيقة أو حكمة تتوثب
غذت سلاح المرشدين وقاتلت ... بالحق جهلا، لو بدا يتذوب
صدرت على البطحاء ترفع راية ... من دونها صدق العزيمة يوقب (3)
خفقت صدور المخلصين بمتنها ... وتألقت آمالها والمطلب
وعلى خطا نهج الإمام (4) تلمست ... من هديه، مجدا لها يترتب
حفظ الإله رعاتها في رفعة ... وأجلها إسلامنا والمغرب

---

1) الكتاب : هو قرآننا الكريم ودستور المسلمين.
2) نقب عن الشيء : بحث عنه.
3) يوقب : يضيء.
4) هو أمير المؤمنين الحسن الثاني رئيس لجنة القدس.

رسالة مجلة "دعوة الحق":

نضال واستمرار في مجال الإعلام الإسلامي

للأستاذ علال البوزيدي

إن المحاور التي تدور حولها الرسالة الاعلامية التي تقوم بها **دعوة الحق** باعتبارها مجلة ملتزمة ورائدة في مجال الصحافة الإسلامية تعتبر مفخرة من المفاخر التي شاعت عن فضائل الدولة العلوية خلفا عن سلف. وتعد هذه المجلة من الوثائق التي يرجع إليها الباحث في ميدان الدراسات والنصوص التي تؤرخ لأمجاد الشخصية المغربية. كما لا تخفى المساهمة الإيجابية لمجلة **«دعوة الحق»** في تنشيط الإعلام الإسلامي وخدمة الحياة الثقافية والفكرية على نطاق واسع. لقد سلكت هذه المنهجية منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر الذي تخلد فيه ذكراها الفضية. وهكذا فإن العمل الصحفي الذي تمارسه **«دعوة الحق»** يجعلها تعتمد في مسيرتها خلال ربع قرن مضى. تلك المواقف الفكرية الشجاعة لرائد البعث الإسلامي صاحب الجلالة الملك **الحسن الثاني** نصره الله. وهي مواقف متعقلة ونابضة بالحكمة وبعد النظر. ومتميزة بالإلمام وسعة الأفق الثقافي والفكري. ومستوعبة لمقتضيات الإسلام ومستمدة روحها من تعاليمه السمحاء وشريعته الخالدة. فهو الذي قال حفظه الله :

«يقول أهل الإجتهاد أن الفقه ينقل ولا يتعقل. أنا أقول - وهذه نظرية شخصية - أن الفقه ينقل ويتعقل. فإذا كانت هناك ديانة سماوية تتحاشى النقل بل وتتحاشى أن تورث عقيدتها كما يرث الإبن دار أبيه فهي الديانة الإسلامية. إنها ديانة بلا أسرار ومن أجل ذلك فهي تتطلب من معتنقيها جهدا يوميا للبحث».

وبالفعل فإن المتتبع والقارىء بانتظام سلسلة هذه المجلة يتضح أمامه بأنها تسير وفق هذا المبدأ الإيجابي الذي يتسم بالمرونة والانفتاح ويتحاشى الإنطواء والتحجر والجمود. ذلك لأن الإسلام دين عملي اجتماعي يرفض التقاعس والخمول والكسل. ويبارك البحث والاجتهاد والعمل الصالح لما فيه نفع البلاد والعباد. ومن هذه المنطلقات تبدو الأبعاد التي تهدف إليها هذه المجلة وهي أبعاد محمودة أبانت الأيام عن أهميتها وجدواها ويكفي أنها تغطي جانبا هاما يتصل بالإعلام الإسلامي. وقامت بهذا الدور الهام بنضال واستمرار. بل برهنت عن حضورها الفعال في مواكبة الأحداث الكبرى التي يسجلها تاريخ المغرب الحديث على عهد مبدع المسيرة الخضراء. ذلك الإبداع التاريخي الحي الذي عرفته البشرية في القرن العشرين والذي أبدعه وأخرجه من أعماق التاريخ الإسلامي قائد هذه الأمة وبرز من خلاله التماسك والتجاوب والالتحام بين عرش وشعب وقائد وأمة وأظهر للعالم كيف يبني **الحسن الثاني** المغرب الجديد على أساس الإسلام والعروبة. ذلك لأن التاج المغربي في الملاحم الإسلامية

والعربية وانطلاقا من ذلك جاءت الدعوة الملكية إلى البعث الإسلامي ترسيخا لروح الالتزام بالأصالة والتشبث بالكرامة وبالتالي حماية اللغة العربية والتراث الحضاري وتحصين المكاسب والمقدسات. ولذلك نجد بأن ذلك الذي قال : «أعطى الشرق أحسن ما عنده : الإسلام والعروبة، وأعطى المغرب التربة والإنسان. كان موفقا. وليس أدل على ذلك من جهود المغرب بقيادة جلالة الملك في سبيل قضايا العروبة والإسلام فإذا حاولنا الإلماح إلى مواقف المغرب بهذا الخصوص فقد يطول الحديث، وهناك صفحات مشرقة من تاريخ المغرب الديبلوماسي تؤكد الدور الطلائعي للمغرب من أجل تحرير الإنسان ونشر السلم والعدل بين الأمم.

مساهمة لا تنكر في إحياء التراث وتعزيز مكانة اللغة العربية

لقد دخلت **دعوة الحق** معترك العمل الإعلامي مباشرة مع دخول المغرب في عهده الجديد عهد الحرية والاستقلال وكانت البداية صعبة وشاقة. وبذلك تميزت مسيرتها بالنضال والاستمرار. وبهذه الروح سايرت ملاحم الجهاد الأكبر الذي خاضه المغرب بقيادة العرش وفي درب النضال والاستمرار. ظلت **«دعوة الحق»** صامدة وسائرة في الساحة الفكرية، متحملة الأعباء ومقتحمة المشاكل التي يموج بها عالم النشر والصحافة. ولا غرو أن مهنة الصحافة توصف بكونها مهنة المتاعب. وفي هذا الخضم استطاعت هذه المجلة أن تفرض وجودها وتواصل رسالتها حتى أصبحت بمثابة جامعة وموسوعة حافلة بفنون المعرفة وشاملة بما تحفل به من المقالات الأدبية والدراسات والأبحاث في مجال الفقه والشريعة وعلوم القرآن. وبذلك تسنى لها أن تخدم جوانب كثيرة من الثقافة الإسلامية. بل أصبحت مدرسة ومنتدى تتنافس في ساحتها أقلام خيرة الكتاب من المغرب والوطن العربي والعالم الإسلامي. وهنا مكنها من استقطاب الأفكار النيرة والأراء الراجحة. دون أن تهمل دورها الإعلامي في تغطية النشاط الوطني ومتابعة مسيرة الحركة الثقافية في المغرب وفي المشرق وفي عالم العروبة والإسلام. ودون إهمال كذلك لمسيرة إحياء التراث الفكري وإبراز الجهود التي تقوم بها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على أصعدة مختلفة.

وكذا على ضوء مفهوم الوقف كما حدده الإسلام والذي تظهر تجلياته في : السهر على نشر العقيدة والدعوة الإسلامية وتنشيط الأعمال الخيرية، ودعم جهود مؤسسات البر والإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبناء المساجد والاعتناء بالكتاتيب القرآنية وإحياء الأعياد والذكريات الوطنية والدينية وتخليد مشاهير الاعلام من أبناء الأمة الإسلامية. أولئك الأبرار الذين اشتهروا بالنبوغ والاجتهاد، في مجالات العلوم والعرفان وشرح وتفسير السنة والقرآن. وإتاحة الفرصة لأرباب الفكر وذوي العرفان وأصحاب المواهب والملكات من الكتاب والأدباء والشعراء. الذين لا يقل عددهم والحمد لله في هذا المغرب الحبيب. ولذلك تعتبر **«دعوة الحق»** مرجعا للمثقفين والباحثين وأصحاب القرائح وذوي الإهتمام بميدان الكتابة والثقافة والفكر.

السر في استمرارية دعوة الحق

لكي ندرك السر في استمراية **«دعوة الحق»** لا بد من الرجوع إلى بدايتها وانطلاقتها الأولى. وهنا يتضح بأنها لم تستهدف كبعض المجلات أهدافا تجارية ولا أغراضا ظرفية. بل التزمت منذ نشأتها بخدمة أهداف سامية والإضطلاع برسالة إعلامية كانت الحاجة إليها ماسة. ومساهمتها تعتبر فعالة لكونها تتصدر زميلاتها في حقل الصحافة المقروءة في المغرب والعالم العربي. ذلك لأن أهمية الجانب الإعلامي في الدعوة الإسلامية أصبحت تتطلبه المرحلة التي يجتازها الإسلام في مواجهته لايديولوجيات الفكر المعاصر. ولهذه الميزة لم يعد

بالإمكان الإستغناء عن مجلة **«كدعوة الحق»** تترجــم جملة من الجهود المبذولة من أجل ترسيخ الكيان الإسلامي، كما أن النشاط الذي يتزايد في مجالات العمل الإسلامي يقتضي كذلك استمرارية هذه المجلة وتعزيز مكانتها، ويتجلى هذا في تطوير الأسلوب وتوسيع آفاق النشر والتوزيع ومضاعفة عدد النسخ التي تصدر منها. وهكذا يلاحظ بأن ما قامت به هذه المجلة من مجهود فكري وثقافي وإعلامي، خلال ربع قرن يدل على نضالية لا هوادة فيها، ذلك لأن أي شيء يعيش أمدا طويلا إنما ينمو بطيئا ويمر بمراحل. وتأتي الذكرى الفضية والمجلة بلغت مرحلة من النضج وتجاوزت سن الرشد وتختال في حلة قشيبة مزهوة بما تحققه من تقدم وارتقاء تظهر تجلياته في سلسلة الأعداد الممتازة.. وخاصة المكرسة لأعياد العرش والشباب والمسيرة والقدس الشريف.

الشيء الذي يجعل ثمرة الخمس والعشرين سنة الماضية تؤتي أكلها، وبذلك تكون **«دعوة الحق»** وهي تخلد ذكراها الفضية قد بلغت سنا تبدأ فيها مرحلة جديدة من حياتها الإعلامية وكلها تطلع وطموح لخدمة قضايا الثقافة والفكر والإنسان على أساس الإسلام الحنيف، وبما أن حصيلة الشطر السالف من عمر هذه المجلة يشكل رصيدا لا يستهان به من العمل المتواصل، فسوف ينعكس ذلك المجهود على مسيرتها المستقبلية، خاصة وقد أصبح الاهتمام بها كبيرا والإقبال على قرائتها ملحوظا، لكونها تقوم بمهمة حيوية ألا وهي التعريف بالمغرب وبالعالم العربي والإسلامي وقضاياه، ولم تعد قاصرة على النطاق المحدود.

الإنطباعات التي ينبغي أن تتركها «دعوة الحق» على روح القارىء وفكره :

لا ينكر إلا جاحد الغزو الفكري والتسرب الإيديولوجي إلى أوساط العناصر الساذجة غير الواعية من الشباب، وهذا الإنفعال والعقوق نراه يتكرر نتيجة التسلل الايديولوجي الهدام. والذي ننشده ونعهده في **«دعوة الحق»** هو أن تحمل المشعل وتنير معالم الطريق وذلك بفتح المجال أمام أقلام الشباب لتصحيح المفاهيم الثقافية والفكرية لديهم، وإمدادهم بالتوجيه ومناقشة قضاياهم بمقتضى الفلسفة الإسلامية، حتى يتضح أمام الشباب ، الحق من الباطل، والواقع من الخيال، وإن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدين عند الله الإسلام، وأن الجنة حفت بالمكاره، وأن النار حفت بالشهوات. وكما يقول المثل الفرنسي ، الافضل عدو الفاضل، والحياة شر، لأن الحياة حرب كما يقول الفلاسفة. إن أهم انطباع ينبغي أن تتركه هذه المجلة في الجيل الجديد هو حفزه على السير على أثر السلف الصالح من الآباء والأجداد الذين قاموا بأداء الرسالة بصدق وأمانة في بناء الأمجاد والذود عن الحياض. ولم يكونوا كما نلاحظ عليه شباب اليوم الذين تعتبر الدنيا أكبر همهم، بل إن اهتمام الناس أمسى كبيرا بالحياة المادية ولو على حساب الجانب الروحي والأخلاقي، المهم عندهم هو أن يصبحوا أثرياء أكثر من اهتمامهم بالثقافة، متجاهلين أن ما يكون عليه الإنسان يساهم في إسعاده أكثر مما قد يكون لديه. ولعل الفراغ الذي وقع فيه الشباب والإنسان المعاصر هو ركود النشاط العقلي والثقافي والفكري، فلم يعرف ماذا يفعل في وقت فراغه، وبذلك يطغى الفراغ الممل على حياته روحيا وأخلاقيا. ويتسبب في مرض الإرادة والضمير، كما يسبب الضجر ويجلب الشقاء والآلام وبالتالي تتولد عنه تعاسة النفس وظلمة القلب.

فالإنسان الجديد يطمح في تحقيق الكثير ولكن بالعمل القليل وهذا تناقض، ولكنه يحاول تبرير ذلك بكونه عبقريا وأن العبقرية أغلبها معرفة وأقلها إرادة، غير أن الحدس والبصيرة توحد كل شيء، إلا أن البعض من

الشباب لا يتوفر على الذكاء الكافي ليدرك مدى قصر تلك اللحظات التي تغريه بها الحياة المادية بكل شهواتها وملذاتها ومفاتنها. وعندما يدركه الذكاء يكون الأوان قد فاته. وتلك هي حكمة الموت.

وهكذا فإن مجلة **«دعوة الحق»** إذا قامت برسالتها الإعلامية على هذه المحاور فإنها ستترك لا محالة انطباعات راسخة في نفوس الأجيال وفي عقولهم وأفكارهم كذلك. وهذا ما نرجوه ونتمناه لهذه المجلة وهي تطفىء خمسا وعشرين شمعة. وقبل أن أختتم هذا الحديث المتواضع أود أن أنقل هنا إعجابي الكبير بالطريقة والإخراج والتبويب والتنسيق التي أصبحت تطالع بها مجلة **«دعوة الحق»** القراء الكرام وخاصة في سلسلة أعدادها الخاصة الممتازة التي تعد وثائق تفيد الدارسين والباحثين. لكونها ترجمان اجتهاد علماء الإسلام في هذه البلاد وغيرها من الوطن الأكبر.

والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم.

ســـلا : علال البوزيدي



الدَّورُ وأثره فينا

للأستاذ مالك محمد بنونة

بتوجيه من المغفور له مولانا أمير المومنين محمد بن يوسف صدر أول عدد من «دعوة الحق» بتاريخ ذي الحجة عام 1376 هـ يوليوز سنة 1957م.

كان العدد مستهلا بصورته رحمه الله وبكلماته القيمة التي رسمت لهذه المجلة الطريقة والمنهجية الواجب اتباعها وشرفها بتحمل مسؤولية ذلك الإصلاح الديني والاجتماعي والفكري طبقا لمبادئنا الإسلامية وبناء على حاجاتنا لذلك الإصلاح بعدما حصلنا على استقلالنا وغدونا أحرارا في وطن حر.

واشتمل العدد على ستة عشر موضوعا لأساتذة لعبوا دورهم بكل تفان وإخلاص وأمانة من أجل تطوير فكر الناشئة منذ شعروا بحاجة الأمة لهذا العمل وعندما أيقنوا أنهم بذلك سينيرون أذهان الشعب فتتم وحدتهم ويسهل حثهم على نيل حريتهم واستقلالهم حينما يغدون أهلا لذلك.

لقد هلل هؤلاء الرواد من حملة الأقلام بظهور المجلة التي تحملت الدعوة إلى الحق في كل المجالات وبمواجهة تلك التيارات الفكرية على جميع الواجهات، وبتعريف الناس أمر دينهم وزيادتهم به يقينا على يقينهم، وبما يخص دنياهم مفسحة أمامهم آفاقا أوسع مما قد يحصرونها بأبصارهم ويدركونها ببصيرتهم.

خمس وعشرون سنة من الكفاح المتواصل شملت الآلاف من الصفحات تناولت المواضيع المختلفة تأكيدا لما أراده لها مولانا أمير المومنين محمد الخامس طيب الله ثراه.

فـ «دعوة الحق» بحق صورة حية للفكر المغربي المتطور، ظلت دائما مثالا للاستمرارية الصامدة. فقد ظهرت معها، قبلها وبعدها مجلات وصحف أفلت بغياب أصحابها وتبخرت كالسراب و - «دعوتنا» - بقيت قائمة على الحق المتين المشيد على الأسس الراسخة، منطلقة نحو سبل النجاح بأقلام أعلامنا المغربية العربية المسلمة، وتبنت مع الأيام مشاركات متعددة مما كثف مواضيعها ووسع نطاق اختصاصاتها واهتماماتها وجمعت جل الجوانب الثقافية المغربية الحديثة.

هكذا عملت «دعوة الحق» على تخصيب المجال الفكري بتلك الدراسات والتحقيقات والمناقشات في اعدادها العادية والممتازة؛ وكان بين غلافيها أبواب قدر لها البقاء وأخرى نتأسى على ضياعها مثل «قرأت في العدد...» ومثل «حول قصيدة..» أو «العدد في الميزان» وهي صورة لمدرسة نقدية بأقلام أعلام مغربية علمونا ولا زالوا ينعمون علينا بالكثير الكثير أمثال الأستاذ سيدي عبد الله كنون والأستاذ ابن تاويت، والأستاذ الشاعر محمد الحلوي، وما

كان بينه وبين الأستاذ الشاعر التواتي من نقاش ادبي، والناقد الفذ «أبو طارق» كما كنا نعرفه في عهد الحماية أو الأستاذ أحمد زياد.

والحق أن تلك الدراسات والمناقشات كانت لها اليد الطولى في إثراء ثقافتنا النقدية والأدبية. وكان ذلك الحوار يعود علينا بنتائج مرضية، يعلمنا كيف يفكر كبار مثقفينا الذين قدموا لنا ثمرات أبحاثهم غذاء يشبع نهم الجائع، **وعصارة تروي ظما المتعطش، وبردا يثلج صدر المروع،** ونورا ينير الطريق لذوي النظر المحدود ويزيد ويوسع من أفق المتطلع.

كنا طلبة بإحدى الثانويات المغربية. وكانت «دعوة الحق» تشاركنا درس الأدب فكثيرا ماسئلنا عن **رأينا في** مقال نقدي ما. ورحم الله ذلك الأستاذ فقد كان محبا للنقد بل كان، كما نقول بالعامية المغربية ـ (حكّاكا) ـ فاستفدنا في دراستنا الأدبية بفضلها وبفضل كتابها الباحثين والناقدين.

هكذا يبقى الحق قائما على أسس راسخة متينة لايهدم كيانه هادم ولا ينال من بنيانه نائل ولا يحجبه عن البصيرة غمام المظاهر الجوفاء، فهو نور يزيد الموقنين به نورا ويعمي أبصار الكافرين.

فمن أجل الحق انطلقت دعوة آبائنا على أننا أفراد أمة واحدة مهما كانت القيود والحواجز وكيفما كانت الطبقات والدرجات. ومن أجل الحق والإيمان به والتفاني في سبيله حصلنا على استقلالنا. فتحررت بلادنا بفضلهم ، وبخيرهم نرفل في هذا النعيم ـ وإن كان هناك من يتناساه ولأجل هذا الحق والمحافظة عليه تكونت ـ «دعوة الحق» ـ التي تخطت كل الصعاب لتنقل لنا ولغيرنا صورة المغربي الحر الأبي المسلم المثقف العالم. الأديب. الناقد. الباحث المؤرخ. المشارك.

لقد كنا صغارا في أعين الآخرين. كما كنا في صبانا نرقب من قريب أو من بعيد ما كانت تحذفه الرقابة السياسية من مقالات وأخبار من جل صحفنا ومجلاتنا الوطنية ـ وفي بعض الأحيان نتفقد أعدادا كاملة ـ وما من سبب غير أن ما بها يشوش على الحاكمين المحتلين.

وبعدما نلنا مبتغانا بوحدة طبقات الأمة الملتحمة بالعرش انبثقت من عهد الاستقلال (دعوة الحق) بإشارة من الداعي إليه أمير المومنين وولي عهده الذي سار على دربه فكان نبراس عصره في كل الميادين وكانت «دعوة الحق» مفخرة لجميع المواطنين

فإن هزتنا الفرحة اليوم وعمنا البشر والسرور فلأننا **نرى أحد مشروعاتنا الثقافية يحافظ على هذه الاستمرارية** بجميع مظاهرها.

خمس وعشرون سنة كلها من العمل المتواصل الدؤوب : طلب المقالات والمواضيع تصفيفها وطبعها ومراجعتها لتقدم لنا في أبهى حلة وأحسن زي، وأكمل وجه. وتشرفنا أمام إخواننا من العالم الإسلامي والعربي بفتح نافذة عن حياتنا الثقافية منذ أخذنا بزمام أمرنا وتحملنا مسؤولياتنا.

وماذا عسى المقل أن يقول في مجلة مكافحة مجاهدة مثل «دعوة الحق».

فقط هذه كلمة وجيزة بمناسبة عيدها الفضي ـ اعترافا مني بدورها الثقافي الفعال ـ أعاده الله على أسرة المجلة بكل ما يرتجيه من ربه أخ مؤمن لأخيه من زيادة تقدم وازدهار خدمة لصالح المؤمنين أجمعين.

وأختم قولي بما تمناه لها المجاهد الوطني الغيور الأستاذ محمد الطنجي عندما قال فيها بالعدد الأول : ـ (مع بعض التصرف).

«مثلما قد طلع النور على قلب الجدود»
«دعوة الحق» أعيدي   للهدى أزكى عهود

تطوان : **كرمة شيخ الجبل**
مالك محمد بنونة

تحية تقدير وإجلال

إلى مجلة "دعوة الحق" في عيدها الفضي

1957 - 1982

للأستاذ الشاعر محمد محمد العلمي

إلى (دعوة الحق) البهية كالروض، ... يعبر قلبي عن تحاياه بالنبض،
وأرفع باقات الزهور ندية. ... معطرة الأنسام في عيدها الفضي !
إلى تلكم الحسناء نرنو جميعنا ... بأفئدة عاشت على حبها المحض
إلى (دعوة الحق) المسار هداية ... تزيد وتزكو بالزمان الذي يمضي !
لقد زودتنا من نفيس علومها ... بأروع ما يحيي، وأحسن ما يرضي
فخير البحوث استأثرت بمجالها ، ... فمن منهل ثر، إلى أدب غض،
ومن قصة محبوكة حلقاتها. ... بأسلوبها الزاهي، ومضمونها البض.
ومن عبر التاريخ فيها كفاية ... تدل على عمق التجرد والنبض
إذا طلب الغواص فيها جواهرا، ... أصاب الغنى، وارتاح بالغرض المقضي
لقد طبعتنا العبقرية دائما ... بتوأمة تحنو على بعضنا البعض
وديوانها ضم الروائع، وانتقى ... عرائس فكر في البلاغة والقرض
يروق صداها في العروبة كلها. ... وفي دولة الإسلام، في الطول والعرض !
بدائعها فيها البيان موله. ... وإني أرى الجوزاء من حسنها تغضي
تفرد فيها السر من فضل أهلها. ... فما لندى تلك العناصر من عوض ،
ففي كل حين تنجلي بسمائها ... نجوم من العرفان، دائمة الومض !
ومن كوثر الإسلام طاب شرابها. ... وزاد عطاء الله من ذلك الحوض
وفي مشرق يزكو سناها ومغرب، ... فينهمر الإشعاع من ذلك الفيض ؛
فكم عالم فيها أبان سرائرا ... وفند أقوال الضلالة بالدحض.

وفي موجة الإلحاد، كان سلاحها   يصيب دعاة الكفر بالنكس والهيض
وكم من فقيه فوق منبرها انبرى   يبين تفصيلا من النفل والفرض
ففي الدين والدنيا تعاظم شأوها   وحازت سباقا في القريحة والحض
وفي وحدة الأوطان تحيي مواقفا،   تزلزل أحلام التمزق والبغض
ورابطة الحق المبين توطدت   بخير نداء في السماء، وفي الأرض !
ومن جوهر القران عز كيانها،   فقد قابلت زيغ المذاهب بالرفض
ومن أجود التفسير كان عطاؤها   جزيلا كريما بالكنوز التي ترضي
ومن سنة الهادي الأمين محمد،   ضمان به تنجو، وحكم به تقضي
وإن الصراط المستقيم سبيلها،   فقد كان دوما للسلام بها يقضي
لها فطرة في الطهر عز نظيرها،   إذ ابتعدت عن فتنة اللغو والخوض
إذا ما غفت منا العيون، فإنها   مسهدة الوجدان، تنأى عن الغمض ؛
تحرك منا همة مغربية،   إلى المثل الأعلى، فنمعن في الركض
(فلسطين) كم أحيت لها من ملاحم   فدائية ذودا عن المجد والعرض
وفي (لجنة القدس) الصفوف توحدت،   ولبت نداء للتضامن والنهض
وإن عرين الأسد ليس يناله   دخيل، سواء في الوثوب أو الربض
و(صهيون) رغم البغي حان هلاكه،   برأي شتيت في العوالم مرفض !
وفي (دعوة الحق) القريحة بلورت   مجالس علم عقدها غير منفض
وفي أختها (الإرشاد) أسمى رسالة،   وأفضل تكميل إلى بعضها البعض !
ففي كل ميدان عريق لشعبنا،   لقد برهنت فعلا على نهجها المرضي
فكانت كنسر يعتلي خير قمة،   وأعظم بسر كالقذيفة منقض !
فماذا عساني أن أقول ؟! فليس ما   أقول سوى غيض تسرب من فيض ؛
قلائد عقيان، وسمط لآلىء،   تملكت الوجدان في السبك والعرض
تسوق من الأمثال أعظم حكمة،   إلى هذه الأجيال في البسط والقبض
أرى أن أخلاق الشعوب شعارها،   ومعيارها المشهود في الرفع والخفض !
وبيعتنا للعرش رمز ولائنا،   وذلك عهد الله، ماله من نقض !
يبارك ربي (دعوة الحق) دائما،   فأكرم بها للفكر والعلم من روض !!!

الرباط ـ **محمد بن محمد العلمي**

ربع قرن في رحاب دعوة الحق

للدكتور عثمان عثمان إسماعيل

يحق لنا اليوم أن نحتفل مع كافة الكتاب المنصفين والمفكرين الواعين والمثقفين المخلصين بذكرى تأسيس مجلة دعوة الحق التي أضاءت شعلتها مع تباشير استقلال المملكة المغربية الذي جاء نتيجة حتمية لجهود وتضحيات العرش والشعب.

وفي هذا المقام نود أن نشير في إيجاز إلى عدد من المشاعر والأحاسيس التي عايشناها مع دعوة الحق والتي كانت حصيلة إيجابية لدى كاتب وقارىء اتصل اتصالا مباشرا ووثيقا منذ بداية ظهور المجلة بمختلف أجهزتها وجميع رؤساء التحرير الذين عرفتهم المجلة أثناء مسيرتها المباركة.

الإستقلال السياسي والإستقلال الفكري :

لم يكن الجهاد السياسي والنضال الوطني هدفا في حد ذاته، ولم يكن الإستقلال السياسي نفسه بابا تنتهي عنده الأماني وإنما كان وسيلة لغاية أسمى عبر عنها المولى المقدس المرحوم أبو المغرب طيب الله ثراه صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس عندما عاد إلى أرض الوطن بوثيقة الإستقلال وقال (لقد رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر).

لقد أوضح أبو المغرب وباعث نهضته أن الإستقلال السياسي كان وسيلة لغاية أسمى. وليس بخاف أن كل نضال على مستوى الجبهة الداخلية ينشد الإصلاح الإقتصادى والإجتماعي يرتكز في أساسه على ركيزة ثابتة تنبعث من الإستقلال الفكرى لمجموع الأمة التي لا يمكن أن يتم لها استقلال فعلى قبل الإستقلال الفكرى.

وفي هذا السبيل وضعت مجلة دعوة الحق بصدر الحلبة في أول المضمار لسبق الرهان كشعلة للإستقلال الفكرى استقطبت في المقام الأول ارهاصات وتصورات رجال الفكر الوطنيين ومن ورائهم مفكرو العروبة والإسلام الذين عايشوا فترة الصراع العنيد ضد قوى القهر والإستعمار والإستعباد التي أحدقت بأمم العروبة وشعوب الإسلام شرقا وغربا. وما أن استقر المقام لتلك الأفكار التي بلورت منهجية العمل الوطني والإسلامي في الربع الثالث من القرن العشرين حتى بدأت جحافل الأبحاث الموضوعية العلمية والتخصصية تظهر في رحاب مجلة دعوة الحق من علم وفن ودين وسياسة وتراث.

استقلال الشخصية الإعلامية :

لازالت دعوة الحق منذ تأسيسها تعتبر من المجلات الفريدة في الإعلام العربي التي تميزت باستقلال شخصى بعيد عن التيارات والتقلبات، وهي بذلك قد سمحت لنفسها أن تكون منبرا عاليا ومنارا مدعما لكلمة الحق ومقولة الصدق والدفاع عن القضايا العادلة مهما كان مصدر تهديد

العدالة. وانني أصرح كأحد كتاب المجلة الأحرار من واقع تجربتي الذاتية حيث نشرت لي المجلة مقالا بعنوان (دفاعا عن الإسلام والمغرب والمنصور) وهو مقال على الرغم من انصافه فإنه لا يخلو من القسوة والعنف النقدي ردا على بحث نشر مطولا في إحدى مجلات المغرب التي تصدر عن هيئة رسمية انبعثت منه رائحة التجني والعدوان.

الثبات على المبدأ :

وإذا كانت الأهواء الجهوية والانواء العربية كثيرا ما تعصف بالأعمال المجيدة فتتغير المناهج والأساليب بالمجلة أو غيرها من وسائل الإعلام العربية بمجرد تغير شخص الوزير أو المسئول. غير أن (دعوة الحق) كما أراد لها باعث النهضة سيدي محمد الخامس طيب الله ثراه ورائد الصحوة الإسلامية صاحب الجلالة أمير المؤمنين الحسن الثاني ثبت الله خطاه... ظلت ثابتة على المبدأ لا تتغير بتغير الوزير أو رئيس التحرير ولا تشيم أبدا غير منهجها القويم.

أن عددا كبيرا من المجلات والحوليات في بلاد العرب وغيرها من البلدان يعرف تطورا في الإسم أو تعديلا في الرسم من حين إلى حين غير أن دعوة الحق ظلت متميزة في مجال الثبات على المبدأ تلتزم نفس الأسلوب الوطني والإسلامي الواعي مع تنوع الحصيلة العلمية والمجالات الفكرية كلما أمكن ذلك بتجديد الدماء والأقلام لمواكبة العصر وتطوراته دون الخروج عن إطار المبدأ الواضح والخط الثابت للهدف الاسمى من الثقافة الوطنية والإسلامية الواعية.

التفتح على الثقافات والتخصصات :

لعله من أصعب الأمور في وسائل الإعلام الإمساك بمعدل التوازنات بين مختلف الثقافات والتخصصات المحلية والجهوية والعرقية. ومع هذا فإن النظرة الموضوعية والرسالة الواعية لا تهدف غير وجه الحقيقة دون سواه. وقد دفعت النظرة الموضوعية والرسالة الواعية بكتاب دعوة الحق إلى الإنفتاح على مختلف الثقافات بالعرض والتلخيص والترجمة والنقد لأعمال صدرت بعدة لغات دون أي شعور بالنقص أو التعصب الأعمى. كما قادت تلك الحقيقة إلى نتيجة أخرى ظهرت مع ظهور التخصصات العلمية والأبحاث المعمقة التي يكشف عنها مجرد النظر في حصيلة الأعوام التي عاشتها المجلة وهي وجود كتابات علمية متخصصة على مستوى يسمح بإفادة الأطروحات العلمية وقد أكون في هذا المجال أول من استفاد بأبحاث دعوة الحق في إنجاز الأطروحة التي حصلت بها على درجة الدكتوراة كما هو ثابت بقوائم المصادر والمراجع المنشورة مع أطروحتي في ثلاثة أجزاء حول حضارة شالة الإسلامية.

ومن تجربتي الشخصية مع المجلة كوسيلة من وسائل الإعلام العربية اعترف بفضلها الكبير في إتاحة الفرصة لي منذ ربع قرن كباحث صاحب اختصاص دقيق في فنون العمارة والصناعات الإسلامية وجد صدرا رحبا لنشر الكثير من الأبحاث والآراء والنظريات التي خالفت الكثير من علماء العرب والأجانب ومن بينهم مغاربة على وجه الخصوص.

لقد أتاحت (دعوة الحق) ـ بهذا ـ لشخصي الضعيف فرصة تأسيس مدرسة عربية وطنية لدراسة الاثار الإسلامية من عمائر وفنون وصناعات تصحح أخطاء المستشرقين الإستعماريين وترد على مزاعمهم وتدحض افتراءاتهم وتفتح الطريق أمام تخصص علمي مبتكر يهدف بناء الشخصية العربية الإسلامية من الداخل عن طريق الإيمان بالذات والثقة بالنفس واكتشاف القدرات العربية والملكات الإسلامية التي لم تبخل بها فترة من فترات العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية شرقا وغربا.

أطال الله عمر دعوة الحق وبلغ بها مبتغانا وأعان القائمين عليها لتظل للدين حصنا وللعلم منارا.

دكتور : عثمان عثمان إسماعيل



للأستاذ عثمان بن خضراء

مجلة «دعوة الحق» من المشاريع البارزة التي نهضت بأعبائها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في بداية الاستقلال، وهي أقرب الأعمال المبرورة الجليلة إلى الخير الخالص المحض... وقد سدت فراغا هائلا كان يشكوه المغرب بعد الاستقلال في الميدان الثقافي والفكري والأدبي... وتحمل المسؤولون عن وزارة الأوقاف في سبيل إبرازها من عالم الذهن إلى دنيا الواقع صعوبات مادية وأدبية، ذللت عقباتها بفضل الهمم الكثيرة التي أذكت الشعلة، وانارت السبيل.

ولقد سلخت «دعوة الحق» من عمرها المديد، بإذن الله تعالى، خمسا وعشرين سنة عرف القراء عن طريقها النخبة المومنة التي يتسم نتاجها بالأخيلة الخصبة، والعقول النيرة،، والأبحاث الناضجة... بل إنها فتحت ذراعيها لجميع الكتاب والشعراء من مختلف الطبقات الذين يبعدون عن الثقافة الضحلة إلى الدراسات الجادة العميقة التي تمتاز بالأسلوب المتفتح، والسياق الواضح والمعنى الفحل، فلا تقفل الباب دونهم، بل إنها تأخذ بضبعهم وتشجعهم، فتفسح أمامهم مجال الدراسة النافعة والبحث البحت، حتى أصبحت من أجود المجلات التي تصدر اليوم في العالم الإسلامي.

كما استطاع القراء في كل مكان، أن يلحظوا مدى الجهد الموصول الذي بذل لجعل هذه المجلة، التي بقيت على المستوى المعهود، الذي يتسم بأصالة الفقه وعمق النظر، وغزارة الفائدة، ملتقى أقطاب الفقه والأدب والتاريخ والاجتماع الذين يتنامى عددهم للإسهام في حقولها، مستشعرين الشجاعة في مواطن «الحق» وحين البأس لتصحيح الزائف وتقويم المعوج.

وانبثقت هذه المجلة إلى الوجود منذ ربع قرن وهي تحمل «دعوة الحق» وأست على الهدى من أول يوم، وظلت أوسع دائرة للتثقيف والتوجيه تنير الأذهان وتهذب الأفكار وتحمل سريرة طيبة صافية، وقصارى جهدها أن تعمل على نشر آداب الإسلام وإظهار حقائقه، نقية من كل لبس، واضحة من كل غموض، تقذف «بالحق» على الباطل فيدمغه، فإذا هو زاهق، كما كان رائدها الكشف عما ألحق بالدين من بدع ومحدثات مقررة حقائقه على وجهها الصحيح، داعية إلى الفلاح بالتي هي أرفق وأدعى إلى الرضى والقبول.

وقد حرصت مجلة «دعوة الحق» على تمتين الصلات الروحية والفكرية بين أعضائها في المغرب والمشرق، واستقطبت حولها صفوة مختارة من الباحثين ومجموعة من رجال الفكر والأدب الذين أذكوا روح البحث والدرس في هذه البلاد، وكشفوا للعقل آفاق المعرفة، ونهجوا للنفس طرائق الكمال محاولين انتشال هذا الوطن الغالي من ضروب التفسخ والانحلال، عاملين على حركة البعث والنشور، فاجتثوا شجرة هذه الأدواء أو كادوا وأرسلوها «كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء» كانت غذاء القلب وطمأنينة الروح، ومبعث حرارة الدفء

في القلوب، فتدفعها إلى الأمام، وتملأها بالأمل والرجاء... مما شيد لهذه المجلة صرح مجدها خلال الخمس والعشرين سنة الماضية والتي تعتبر تاريخ نهضة وتراث فكر إنساني خلاق.

ولقد اهتمت المجلة بما يحيط بهذا العصر من مشكلات عقلية ومعضلات ذوقية فحللتها تحليلا علميا على ضوء التفكير القوي القويم، والتعبير الدقيق المهذب اللذين يتمشيان وروح الإسلام ومقتضيات التطور حتى لا يبقى الفكر الإسلامي في عزلة عن أية مشاركة في تيار الحياة العالمية، لأن أحوال العالم كما أراد الله تعالى في تجدد مستمر، وحاجات الناس في توسع مطرد، وعقولهم في نمو متكامل، فشرائعهم لا تقف بهم عند وضع واحد وإلا كانت الحياة جامدة هامدة، ولأمر ما يبعث الله تعالى على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها.

وعملت كذلك على مقاومة البدع والأوهام، وما لفق ضد الإسلام من ترهات وأباطيل، وأنكر من بديهيات وحقائق، وكشف الغطاء عن السرائر، ممن بدت البغضاء من أفواههم، وما تخفى صدورهم أكبر، فيذهب الباطل زاهقا، وتبقى كلمة «الحق» هي العليا.

ولا تقتصر «دعوة الحق» على أن تكون مرآة صافية لوجه المغرب بل عمدت إلى أن تكون من أفضل الوسائل للتعريف بتراث العرب في الأندلس، ذلك التراث الذي لم ينل من اهتمام الناقدين والكتاب العرب إلا الحظ المحدود، هذا مضافا إلى أنها جاءت ترجمانا صادقا للاتجاهات الأدبية في إفريقيا العربية برمتها !

لقد حققت للعالم العربي في مغربه ما يصبو إليه من نزعات دينية وأدبية وعلمية وفكرية، فجاءت مصداقا لروح المناضلة الطويلة من أجل الفكرة العربية وما يتصل بها من المواريث والأمجاد.

فللمجلة دعوة في الدين تنشرها بأقلام من يحفظون أصوله ويحررون قواعده وفصوله، من المجددين الذين قال الرسول عليه السلام في حقهم : يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فيعرضونه على الخاصة والعامة خاليا من الأوهام والأباطيل، والتدجيل والأضاليل، عرضا سليما يبينون فيه أخلاقه ويجلون به أحكامه العادلة وآفاقه، بطريقة تستلفت الأنظار، وتستهوي الأبرار والأحرار بما فيه من قيم روحية ومبادىء سامية، تبعث الهمم وتحفظ الذمم، وتتكون منها خير الروابط الاجتماعية بين الأفراد والأمم، وغرض المجلة من نشر هذه الدعوة... دعوة الحق... هو حفظ المجتمع المسلم من تيار هذه الموجة الكاسحة من الإباحية والانحلال، حتى يعم الاعتراف من جديد بفضل تشريع هذا الدين وأخلاقه وآدابه على المجتمع.

ولهذه المجلة أيضا رسالة في عالم الثقافة تريد أداءها فتكون صفحاتها معرضا تتجلى فيه بحوث علمية وتاريخية واجتماعية من مختلف العلوم والفنون القديمة والحديثة ترفع المستوى الفكري وتفتح الآفاق العلمية والأدبية أمام روادهما،وتربط ماضينا المجيد بمستقبلنا السعيد،وتظهرمالنا من تراث فكري ورصيد روحي، ومساهمة جلى في مضمار الحضارة الإنسانية بمعناها الأوسع، كما تبين ما لنا من استعداد وإمكانيات لمسايرة التطورات العلمية والأدبية في العصر الحديث.

وتعمل هذه المجلة برغبة صادقة على إحياء اللغة العربية لغة الدين والوطن والتي تنتظم بلاد العروبة جمعاء، وتحتضن جميع التراث الإسلامي في مختلف الأنحاء، فتعمل «دعوة الحق» على الدعوة إلى تعميم تلك اللغة في كل المدارس والمعاهد، والمصالح العامة، والدواليب الحكومية والشعبية، حتى تعود إلى ما كانت عليه في سالف عهدها .. لغة الدين والعلم والأدب والفلسفة والحضارة... فدأبت على نشر أدبها الرفيع، وقصصها البديع، الذي يحتفظ بالطابع الأخلاقي الجميل، وتكون مغازيه ومراميه ذات قصد نبيل، دون أدب المجون السخيف ولهو الحديث وتهييج الغرائز واستهواء النفوس المريضة، الذي هو

من أكبر العوامل في هذا الانحلال والإلحاد... فالمجلة تعتبر الأدب خادما للمثل العليا، لا معولا هادما للمجتمع.

وهكذا ساهم كثير من العلماء والمفكرين من أصحاب الأقلام العالية، وفي ضمنهم صاحب هذا المقال، في تجلية هذه الأغراض السامية، بكل عناية واهتمام. فسدت هذه المجلة فراغا كبيرا في مجتمعنا. وذكر بعض كتاب الشرق أنها وجه العرب في المغرب... على أننا نعتبرها وجه عرب المغرب في المشرق، إذ بواسطتها بمثيلاتها يرى إخواننا العرب بعض مزايا المغرب فهي ترجمانه الصادق.

لقد كانت «دعوة الحق» وما تزال وستظل بحول الله صلة وصل بين المغرب وغيره من الأقطار العربية والإسلامية حيث تتمتع بسمعة طيبة واقبال عظيم... وهذه السمعة تعتبر تشريفا للمغرب واعلاء لشأنه... وإن جلالة الملك الحسن الثاني يحرص على أن تظل هذه المجلة قوية العماد ثابتة الأركان تعطي بواسطة الدراسات القيمة التي تنشرها صورة صحيحة عن تعاليم الإسلام، وذلك في أسلوب علمي منظم يقدم للقراء أصدق صورة عن آراء الإسلام في كثير من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهو حفظه الله حريص كذلك على تثبيت دعائم الدين، ونشر الثقافة العربية على نطاق أوسع، وتشجيع الحركة الفكرية الرامية إلى خلق مثقف واع معتز بقوميته ومحافظ على شخصيته العربية المسلمة المغربية.

وحينما تستعرض مجلتنا هذه مع قرائها أعمال الخمس والعشرين سنة التي انصرمت فإنها ستخرج بنتيجة سارة، ذلك أنها استطاعت مواصلة هذه الرسالة وإدخال تحسينات إضافية سواء من ناحية المادة أو من ناحية الإنتاج... وان الملمين بشؤون الثقافة والصحافة والطباعة ليعلمون حق العلم ما يتطلبه إخراج مجلة مثل «دعوة الحق» من جهد ووقت ومال - غير أن الرسالة التي تضطلع بها... وهي رسالة سامية.. تجعل كل صعب يهون، مستعينة على تذليل العقبات التي تعترضها بعطف صاحب الجلالة الملك المعظم وبمؤازرة رجال الفكر الباحثين في المغـــــرب والمشرق الذين سادت فيما بينهم وبين إدارة المجلة روح التعاون الصادق، وتستعين كذلك على أداء هذه الرسالة برسائل التشجيع والثناء التي ترد عليها من داخل المغرب ومن خارجه... كما أنها تحرص على تسجيل الحوادث المهمة التي تقع في المغرب لتحتفظ بها كوثائق لها صلة بأحداث المغرب من تاريخه المعاصر...

وهي بذلك تمثل صورة حية وعملا إيجابيا بناء في عهد الاستقلال، ذلك أنها أصبحت تمثل أداة قوية لتعزيز شأن اللغة العربية وتركيز سلطتها، ونشر آدابها... وتلك رسالة لا يستهان بها في هذا العهد الذي يتطلع فيه المغرب إلى سيادة لغته باعتبارها من المقومات الأساسية وجزء لا يتجزأ من السيادة السياسية.

فوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية التي تبنت مشروع مجلة «دعوة الحق» في وطننا الإسلامي وأنفقت عليـــه بسخاء إنما تنجز تعليمات وأوامر صاحب الجلالة الحسن الثاني الذي لا يريد غير الإصلاح الكامل لأحوال رعيته الدينية والاجتماعية والذي أقام الدليل على عنايته وحبه ووفائه لهذا الشعب... وإن وزارة الأوقاف يحق لها أن تشعر بالغبطة في نجاح مشروعها، الذي إنما هو تدعيم لقيم الأمة الروحية التي تحرص هذه الوزارة على إسنادها وتقويتها في الأمة، لأن ذلك من أجل المقاصد في أعمالها المختلفة الميادين... وهي تعلم حق العلم أنه لا يمكن لأي أمة أن تسعد في الحياة ماديا ومعنويا إلا إذا عاش العلم في كنفها وأنزلته منها منزلة الروح من الجسد، وهذا هو الصراط المستقيم الذي خطه لها الإسلام، صراط العمل المثمـــر النافع الذي يكفل حياة العزة والكرامة تحت راية العلم والأخلاق.

لقد مرت خمسة وعشرون عاما على صدور أول عدد من مجلة «دعوة الحق» وهي سنوات حافلة بالعطاء الثري، زاخرة بالإنتاج القيم، مليئة بالغذاء الصالح حيث واكبت الحركة الفكرية والعلمية منذ بداية الاستقلال، واستقطبت الصفوة المختارة التي تعد من الطراز الأول في ساحات

الفكر والمعرفة. والدراسات الناضجة والتي تزخر بالعقول النيرة والأخيلة الخصبة والنفوس الخيرة والعقيدة السليمة. والدين المتين.. فباتت أعدادها كاملة مصنفة سجلا حافلا لتاريخ نهضة وتراث جيل.. كما أن هذه المجلة الرفيعة كانت أداة تنفيس يعبر عما يختلج أو يعتلج في ضمير الجماعة المفكرة العالمة التي يضمها هذا الوطن الحبيب الذي يزخر بطاقات فكرية نابضة في شتى المجالات. كما أنها أيضا فتحت صدرها للشعوب المجاورة والبعيدة المغلوبة والتي كانت تعاني من ويلات الاستعمار في عز نهاره ونكبت به بلادها فوجدوا فيها متنفسا ومقيلا. ومفيضا لمطالبهم المشروعة. وعواطفهم الجائشة. وقد ندد كتابها. إلى جانب أبحاثهم الإسلامية والفكرية. بألاعيب الاستعمار كيفما كان لونه وجنسه وشجبوا مخلفاته...

وإنه ليحق لـ «دعوة الحق» أن يحدوها الأمل القوي لتحقيق مكاسب كثيرة. ويحفزها باعث ملح لتضيف إلى سجلها الحافل مآثر أثيرة لمستقبل الثقافة وقضايا الفكر بنفس القريحة الصادقة. والإرادة المصممة التي غمرت كتابها الأوفياء وأسرة تحريرها الوفية. لمواصلة الخطى ومتابعة السير قدما في السبيل القويم الذي انتهجته للعمل على إنتاج فكر مغربي أصيل.

واستجابة للنهضة العامة التي عرفها المغرب. وتأثرا بالنشاط الشامل الذي أدركته البلاد. فقد أثارت مجلتنا الغراء بأبحاثها الناضجة ودراساتها الإسلامية الملتزمة أذهان العامة. وهذبت أفكار الخاصة. وسجلت أحداث الزمن وجمعت مادة التاريخ. وحركت في الملكات الموهوبة ساكن الشوق إلى الإنتاج. وأهابت بالقوى المتجمعة لتجميع شمل القوى المتفرقة حتى خرجت على يدها طبقة متنورة من الأدباء وأفواج من المفكرين الأعلام الذين إزدانت بهم الابهاء العلمية والأدبية في هذه الربوع. وهي إلى ذلك تحاول دائما أن تعالج المشاكل التي يحياها الناس اليوم بالواقع الملموس بدلا من التحليق في أجواء النظريات المثالية أو اجترار الحلول التي وضعها الأولون من العلماء الأجلاء على ضوء أزمنتهم وبيئاتهم الماضية ومستلزمات الحياة التي عاشوها.

هذا ولقد أسهمت هذه المجلة منذ تأسيسها في تسديد وتطوير التحرك الإسلامي على مختلف المستويات الفردية والجماعية. استجابة للفكرة التي نادى بها مؤسسها بطل الاستقلال والنضال المغفور له الملك محمد الخامس طيب الله ثراه الذي دعا لهذا الدين وعمل له. وجاهد دونه وكافح في سبيله كما جاء في الكلمة الافتتاحية التي توج بها رضي الله عنه أول عدد من أعدادها :

«إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سنته ليعد أحد العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين بالرغم عما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب. وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة.

ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها أحسن أداء...»

وبمناسبة الذكرى الفضية لإنشائها. وقد أسست على التقوى والخير المحض من أول يوم نبارك خطواتها العملاقة في دنيا الإسلام والبحث والدرس ونزف تهانينا إلى الكتاب وهيئة التحرير ورئيس التحرير الذي ينسق ذلك كله في باقة رائعة.



«دعوة الحق» دعوة الإيمـــان
ونداء الهدى إلى الإنســـان
نزهة الروح والنهي ليس تبلى
وكتاب للعقل والوجـــدان
منبر للرشاد في كل حيـن
راسخ الخطو، ثابت الأركـان
حي فيها روح الأصالة تهدي
من ضلال وزيغة وهـــوان
حي فيها آثارها النيرات
من مبادي قويمة ومعـان
حي فيها رسالة واجتهادا
وشبابا وصحبة في العنـان
وسموا وقـدوة ونقـــاء
وشعارا من عالم القـــرآن
عيدها عيد أمة جمة الآلاء
موفورة التقـى والشـــان
حسن العيد فازدهت من فخار
قصرت عنه فكرتي وبياني

الرباط ـ أحمد تسوكي



الوجادات

857 - 846

للأستاذ عبد القادر زمامة

846 ـ الطالب المتـــــول..!

وجدت في مخطوطة ابن حارث الخشني رقم 6916 من الخزانة الملكية بالرباط وجادات تتعلق بالإمام بقي بن مخلد القرطبي، منها بحكاية بقي :

= خرجت من عنده = يحيى بن معين = فسألت عن مسكن أحمد بن حنبل. فدللت عليه. فقرعت الباب. فخرج إلى الأسطوان. فقلت له : أبا عبد الله. إني رجل غريب. من أقصى المغرب. لم تكن رحلتي إلى هذا البلد إلا من أجلك. وذهبت إلى أن تحدثني فأكتب عنك... فقال لي : يا هذا ما كان شيء أحب إلي من عون مثلك. غير أنك صادفتني ممتحنا... بالمحنة التي ترى... وهذا شيء منعت منه...

قال فسقط ما بيدي..! فقلت له : يا سيدي وافسح لي في الحيلة. فقال لي : وما حيلتك..؟ قلت له : إني رجل مجهول العين في هذا البلد..! فآتيك كل يوم في زي سائل. وأنادي بالباب. فإذا سمعت فتفضل بالخروج إلي وأنا أستعد بكاغدي ومحبرتي. فتملي علي ما أمكن كل يوم. فقال لي : تفعل... فكنت ءاتيه كل يوم في زي سائل. وبيدي قصبة. وفي رأسي خرقة. فأصيح بالباب : الأجر رحمكم الله..! وكذلك يصيح السؤال عندهم..! فيخرج إلي فيملي علي حديثين أو ثلاثة. ثم أخرج. فكان هذا شأني معه برهة. فكتبت عنه على هذه الوتيرة نحو ثلثمائة حديث...!!!

847 ـ دواء للهيــــــام ...!

ووجدت في المخطوطة المذكورة :

= كان بقي بن مخلد أنيس المجلس ذكر بعض الرواة قال :

أتاه رجل فقال له : رحمك الله..! تأمر بأخذ لوحي وقراءته فقال له بقي : يا هذا وما أقرأ فيه ..؟ فقد قرأت لك ألواحا..! وقد بعثت في المرأة. وعالجت بها جهدي في أن تراجعك فأبت..!

قال فامتقع لون الرجل..! ثم قال له : فما أصنع..؟ قال له بقي : تأتي المقبرة...! وتنظر إلى أطرا قبر فيها. فتجلس إليه وتقول : هذا قبر فلانة...! فتبكي عليها...! وتعدها قد ماتت..! فتتعزى بذلك إن شاء الله.

وأضاف ابن الحارث... ثم عطف بقي فقال : أنشدني محمد بن سهيل ابن عم الكميت قال : أنشدني الكميت :

الحب فيه حلاوة ومــــــــــرارة
سائل بذلك من تطعــــــــم، أوذق
ماذاق طعم معيشة ونعيمهـــــــــــا
من كان ذا عقل إذا لم يعشـــــــق

848 ـ ابن حنبل يعود بقي بن مخلد...!

ووجدت في المخطوطة المذكورة.

... ثم اعتللت علة أشفيت منها. ففقدني في مجلسه. فسأل عني. فأعلم بعلتي. فقام من فوره مقبلا إلي عائدا بمن معه. وأنا مضطجع في البيت الذي كنت اكتريته. ولبدي تحتي. وكسائي علي. وكتبي عند رأسي. فسمعت الفندق قد ارتج بأهله. وأنا أسمعهم...! هو ذاك..! أبصروه هو إمام المسلمين...!!

فبدر إلى صاحب الفندق مسرعا.. فقال لي : يا أبا عبد الرحمن. هذا أبو عبد الله أحمد بن حنبل إمام المسلمين مقبلا عائدا إليك. فدخل فجلس عند رأسي. وقد إحتشد البيت من أصحابه. فلم يسعهم. حتى صارت فرقة منهم في الدار. وهم وقوف. واقلامهم بأيديهم... فما زاد على هذه الكلمات. فقال لي : يا أبا عبد الرحمن أبشر بثواب الله. أيام الصحة لاسقم فيها... وأيام السقم لا صحة فيها. أعادك الله إلى العافية. ومسح عنك بيمينه الشافية. فرأيت الأقلام تكتب لفظه. ثم خرج عني فأتاني أهل الفندق يلطفون بي ويخدمونني ديانة وحسبة فواحد يأتيني بفراش وآخر بلحاف وبلطائف من الاغذية وكانوا في تمريضي أكثر من تمريض أهلي لي لو كنت بين أظهرهم لعيادة الرجل الصالح لي...!

849 ـ الخناقـــون....!

وجدت في مخطوطة فهرست القاضي العميري الشهير. كلاما حول فاس ونهرها جاء فيه ما يأتي :

= ... وكان إذ ذاك بصفتي الوادي من حيث يبتدىء دخوله إليها إلى أن يخرج منها دور الصباغة وحوانيتهم ودور الدباغة. والصابون. وحوانيت الخناقين... والقصابين. والسفاجين. والمواضع المعدة لطبخ الغزل... والفوالين وغيرهم مما يحتاج إلى الماء...!!!

850 ـ مكـــــــوار...!

وجدت في كتاب = عشرة أيام في السودان = للدكتور محمد حسين هيكل ص 134 ط القاهرة 1927م - خزان سنار. أصبح الآن الاسم الرسمي لهذا الخزان القائم على النيل الأزرق. تحجز مياهه لري أراضي الجزيرة الواقعة بين النيلين : الأبيض والأزرق. لكن هذا الإسم لم يخلع عليه بصفة رسمية حاسمة إلا في حفلة افتتاحه. أما إلى يومئذ. فكان كثيرون يسمونه خزان مكوار...! باسم البلد الذي بني عنده. كما سمي خزان أصوان باسم أصوان..!

851 ـ تاج الملك المبتكر...!

وجدت في خزانة أحد العلماء مخطوطة لكتاب يسميه مؤلفه هكذا :

= تاج الملك المبتكر. ومواده من خراج وعسكر : ومؤلفه هو محمد بن محمد الفلاق السفياني وهو من تلاميذ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الكردودي..!

والمؤلف أهدى كتابه إلى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن بن هشام سنة 1279 هـ.

852 ـ ابن خلدون وابن السكاك..!

وجدت في كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ص 127 أثناء ترجمة أبي يحيى عبد الرحمن الشريف التلمساني ما يأتي :

= ... واتفق ليلة مولده. أن بات عند أبيه الفقيه العالم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون. والفقيه القاضي أبو يحيى ابن السكاك. وطلب كل واحد أن يسميه باسمه...! فأسعفهما. فسماه عبد الرحمن... وكناه أبا يحيى...!!!

853 ـ كتاب الصحـــاح

وجدت في مخطوطة كتاب = الإنشادات والإفادات = لأبي إسحاق الشاطبي :

= سألت الشيخ القاضي أبا عبد الله المقري عن إسم كتاب الجوهري. فقلت له :

من الناس من يقول : = الصحاح = بالكسر. ومن الناس من يقول : = الصحاح = بالفتح...!!! فقال :

ـ إنما هو بالفتح. بمعنى الصحيح. ويحتمل أن يكون مصدر صح... =

854 ـ وعيدي.. وعيــــــد...!!

وجدت في مخطوطة كتاب = الإنشادات والإفادات = لأبي إسحاق الشاطبي :

= أنشدني صاحبنا الفقيه الأديب أبو محمد بن حدلم لنفسه :

يقولون لي : خل عنك الأســـــى
ولذ بالسرور فذا يوم عيـــــــد

فقلت لهم. والأسى غالـــــــب
ووجدي يحيى. وشوقي يزيـــــد

توعدني مالكي بالفـــــــــــرا
ق فكيف أسر وعيدي وعيـــــــد

855 ـ الكازيطـــة...!!

وجدت في كتاب = رحلة الوزير في افتكاك الأسير = لأبي عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ط العرائش 1940م.

= وبمدريد شيء آخر زائد في الأخبار عن البراوات. وذلك أنه إذا كان خبر من بلدان بعيدة نائية. فإن فيها دارا فيها قالب الكتابة وهو على يد رجل واحد قد تحمل لذلك مكسا للطاغية معينا على رأس كل سنة. فمهما سمع بخبر. أو طرقه خبر وبحث عنه. يجمع من الأخبار ما يجمع ويفرغ عليها قالبا يطبع عليه آلافا من القراطيس ويبيعها بأقل ثمن. فتجد الرجل في يده منها شيء كثير ينادي عليها. ويقول : ـ من يشتري أخبار البلاد الفلانية. والبلاد الفلانية..؟ فمن أراد الإطلاع على ذلك يشتري منها قرطاسا. ويسمونها الكازيطة...!!!

856 ـ جبل القلال بإفرنجــــة :

وجدت في جغرافية ابن حوقل ص 185 ط بيروت. أثناء الكلام على بحر الروم.

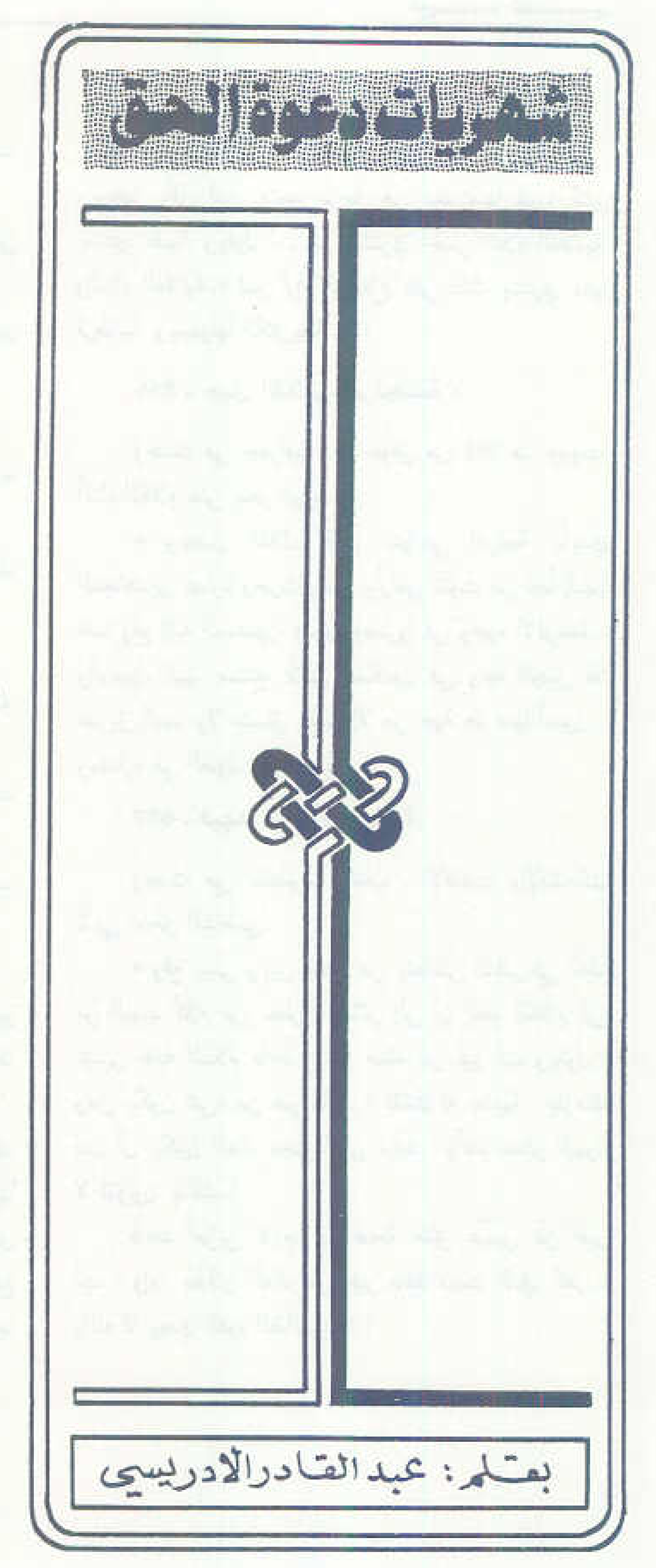
= وبجبل القلال الذي بنواحي افرنجة بأيدي المجاهدين عمارة وحرث ومياه وأراض تقوت من لجأ إليهم. فلما وقع إليه المسلمون عمروه وصاروا في وجوه الافرنجة..! والوصول إليهم ممتنع. لأنهم يسكنون في وجه الجبل فلا طريق إليهم. ولا متسلق عليهم إلا من جهة هم منها آمنون..! ومقداره في الطول نحو يومين..!!!

857 ـ فبهت الذي كفـــر...!

وجدت في مخطوطة كتاب : الإفادات والإنشادات لأبي اسحق الشاطبي.

= وقع بيني وبين بعض من يتعاطى النظر في العلم من اليهود كلام في بعض المسائل إلى أن إنجر الكلام إلى عيسى عليه السلام فأخذ ينكر خلقه من غير أب ويقول : وهل يكون شيء من غير مادة...؟ فقلت له بديهة : يلزمك إذن أن يكون العالم مخلوقا من مادة..! وأنتم معشر اليهود لا تقولون بذلك..!

فأحد أمرين لازم. إما صحة خلق عيسى من غير أب..! وإما بطلان العالم من غير مادة فبهت الذي كفر..! والله لا يهدي القوم الظالمين..!!!



كلمة الأستاذ عبد الله كنون
باسم الأعضاء العرب
في مؤتمر مجمع اللغة العربية

● ألقى الأستاذ عبد الله كنون كلمة الأعضاء العرب في المؤتمر الأخير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفيما يلي نصها ●

سيدي الرئيس،
السيد نائب وزير التعليم،
السادة العلماء والأساتذة،

أحييكم تحية مباركة طيبة باسم أعضاء المجمع الوافدين من مختلف أنحاء العالم العربي لمشاركة إخوانهم أعضاء المجمع من المصريين في هذا المؤتمر الذي يعد مظهرا من مظاهر وحدة الأمة العربية يمثل نضالها وتضامنها في ميدان الفكر والتعبير الذي هو أساس كل وحدة في أي ميدان آخر.

وانها لفرصة عظيمة يتيحها لنا انعقاد هذا المؤتمر كل سنة في مدينة القاهرة قلب العرب النابض وعاصمة الفكر العربي للالتقاء برجال اللغة وأعلام الأدب المؤتمنين على تراث العرب الذين قلما يجتمعون على صعيد واحد إلا في هذه المناسبة الفريدة.

لذلك تهفو قلوبنا وتتحرك مشاعرنا كلما دنا الموعد وتلقينا الدعوة الكريمة للحضور إلى مؤتمر المجمع فنفد في غبطة وسرور ونهبط مصر العزيزة فيها كل ما نريد من متعة النفس والعقل والقلب والروح إلى حفاوة الأهل والأخوة وإكرام الأقارب والخلان. وإذا كان لي أن أذكر بشيء من التنويه والإكبار ما يبذله المجمع في سبيل النهوض باللغة العربية وإحلالها المحل اللائق بها بصفتها لغة أكثر من مائة مليون نسمة ولغة الإسلام الذي يدين به نحو خمس سكان العالم ولغة العلم والحضارة في الماضي والتجديد والانبعاث في الحاضر. فهذه أعماله ومنشآته كفيلة بإسماع الصم وإنطاق البكم ممن يتجنون عليه وينكرون أن يكون صنع شيئا للغتنا الضادية الشريفة.

فقد بلغ ما وضعه أو أقره من المصطلحات العلمية الجديدة أزيد من خمسين ألف مصطلح، وما أصدره من قرارات تتعلق بتيسير قواعد اللغة العربية المئات. وما أخرجه من مجموعات للمصطلح العلمي العشرات مما يكون معجما علميا بحثا بالمعنى الصحيح، وهذا إلى المعجم الوسيط الذي شرق وغرب وأصبح توأم القاموس المحيط في الشهرة والاستعمال، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم والجزء الأول من المعجم الكبير الذي هو أول معجم من نوعه في العربية والمعجم الوجيز الذي سد فراغا كبيرا في الاستعمال اليومي للكاتب والطالب وعموم الناس إلى مجلته التي دأب على إصدارها منذ أكثر من أربعين عاما، ولا أنسى ما يهتم المجمع بإخراجه من الكتب الأمهات في اللغة مثل كتاب التكملة للصاغاني، وكتاب الجيم لأبي عمر الشيباني، وكتاب الأفعال للسرقسطي وغيرها من

نوافل الخير التي يقوم بها في سبيل خدمة اللغة العربية وإن لم تكن من واجباته الأساسية. ان الكثير من الناس لا يعرفون شيئا عن هذا المجهود الضخم الذي يبذله المجمع، وكيف يعرفون وهو يعمل في صمت العلماء وتواضع الحكماء والجزء الأكبر من أعماله يخص النشاط العلمي والجامعي ولا يطلع عليه إلا من كان من أهل المعرفة الكاملة والانقطاع إلى البحث اللغوي الصحيح.

ان المجمع كان مقصورا ـ أو يكاد ـ على زملائنا من أهل الكنانة فلم تكن الأقطار العربية الأخرى تسهم في أعماله أو تلم بمنجزاته إلى أن وسعت دائرته فشمل البلاد العربية كلها، وضم إلى حظيرته أعضاء من المشرق والمغرب العربيين فصار عمله معروفا ومجهوده مقدورا من كل من يعنى بتتبع النشاط الفكري والعلمي في العالم العربي، ولا أدل على ذلك من ظهور أثره في المعاجم الجديدة والاقتباس منه في كتب الاختصاصات العلمية التي تصدرها هنا وهناك، ولا شك أن الفضل في هذا الإنتاج الوافر يرجع إلى زملائنا أعضاء المجمع من أبناء مصر الحبيبة الذين يؤلفون مجلسه الدائب العمل الراتب الاجتماع واللجان العلمية المختلفة الاختصاصات التي تضم إليها العديد من الخبراء في العلوم والاختصاصات المتنوعة وإن كانت الهيئة الإدارية للمجمع تتفضل بإطلاعنا على أعمال المجلس وتستطلع آراءنا فيها فنبدها في بعض الأحيان بملاحظاتنا التي تأخذ بعين الاعتبار لكننا في ذلك نبقى معجبين بهذا العمل الرائع ونتطلع إلى أصحابه ونتوق إلى لقياهم في هذا المؤتمر لتزداد الرابطة العلمية بيننا قوة ومتانة ولنشهد من كثب عملهم في حرم المجمع ونتعاون معهم ولو في أيام قليلة على البر بحرف الضاد ولغة القرآن متمثلين في ذلك بما قاله بعض علماء المغرب :

ولله قوم كلما جئت زائـــرا
وجدت قلوبا صبة ملئت حلما
إذا اجتمعوا كانوا نجوم هداية
ويزداد بعض القوم من بعضهم علما
أولئك مثل الطيب كل له شـــذى
ومجموعة ذكى اريجا إذا شـــا

بارك الله في أنفاسهم ونفوسهم، وأدام حياتهم وحيويتهم وجمع كلمة العرب ووحد صفهم وأدال لهم من عدوهم وحرر الأرض المغتصبة من وطنهم، وأسبل على الإنسانية جمعاء رداء الأمن والسلام والسعادة والاخاء.

وأختم هذه التحية بأبيات شعرية تعبر عن مشاعر خاصة نحو الزملاء عامة :

التحايـــا كأنهـــن عبيـــر
أو نسيـم يـرق منـه الشعـور
والســلام الأمـــان تقـــرأه الأمـ
ـلاك عند استقبالهـا والحـور
والأماني دوانيـــا كالمجانـــي
كلهـا يانع الثمـــار نضيـــر
والصلاة والخشوع في هياكل الخلـ
ـد الذي يستطير منه النـور
تمت البر والتـودد والتعـــ
ـظيم للخالديـــن والتوقيـــر
من زميل وما زميل هنـا إلا
مجـاز عن عاجـز لا يحيـــر
قاصر أو مقصر بل هما قالشـأ
ن فيه القصـور والتقصيـــر
ان يكن قد غدا جليس الثريـــا
وهو منها سهيـل المجهـــود
فالليالـــي يدنييـــن كـل بعيـد
يقطع الدرب ـ ما نأى ـ من يسير
ولكم فاز غير قيس بليلـــــى
ان ليلى وصالهـــا مقـــدور

والسلام عليكم ورحمة الله

توصيات وقرارات مؤتمر مجمع اللغة العربية

ـ يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم، في مصر والعالم العربي، بضرورة تيسير تعليم النحو للناشئة، على مثال ما أنتجه المجمع في مشروعه لتيسير تعليم النحو.

ـ يوصي المؤتمر بأن تعنى وسائل الإعلام ـ صحافة وإذاعة ؛ مسموعة ومرئية ـ بضرورة الحفاظ على قواعد اللغة العربية، وعلى نطق الكلمات نطقا سليما، وإعداد العاملين بها اعدادا لغويا وصوتيا، مستعينة في ذلك بالأساتذة المتخصصين في مجالي ؛ النحو والصوتيات.

ـ ان الحفاظ على سلامة اللغة العربية يتطلب من الجامعات، والمسؤولين في وزارات التربية والتعليم، ضرورة العناية باستخدام اللغة العربية السليمة في التدريس، سواء في مادة اللغة العربية، أو في المواد الأخرى.

ـ يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية، ويأمل المؤتمر بأن يفسح مجال أوسع لها، مع الاهتمام بما يخرجه المجمع، والهيئات المتخصصة في اللغة العربية وفنونها المختلفة.

ـ تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه العالم العربي جميعه، وسبيل الحق تزويد مكتباتنا الجامعية بالمصادر العربية القديمة والحديثة، وبفهارس المكتبات الأخرى في العالم العربي، حتى يتيسر للباحثين إنجاز مهامهم العلمية. ويوصي المؤتمر الجامعات العربية بأن تعهد إلى بعض أساتذته بترجمة أمهات الكتب العلمية، وبالتأليف في مختلف مجالات العلم.

ـ إحياء تراثنا العربي ـ بتحقيقه ونشره ـ من أهم الأســس التي تنهض عليها حضارتنا العلمية والأدبية. ولذلك يوصي المؤتمر بأن تقوم المجامع والهيئات الثقافية بإنشاء مراكز أو لجان لإحياء تراثنا العربي، مع العناية بإعداد شباب من المحققين، وتدريبهم على تحقيق بعض المخطوطات، بإشراف أساتذة من العاملين في هذا الميدان، حتى تتواصل أجيال المحققين، جيلا بعد جيل، وتتسع حركة إحياء تراثنا العربي. ويأمل المؤتمر أن يبادر المجمع للاستجابة العاجلة لهذه التوصية. وصى المؤتمر بأن يعمل المجمع على اتخاذ الوسائل التي تكفل الإعلان عن مطبوعاته، ونشرها على أوسع نطاق في مختلف البلدان، وذلك كما يراه المؤتمر من قصور لدى الهيئات المعنية بنشر المطبوعات المجمعية، التي يشتد الإقبال عليها ويتزايد، في مصر، وخارج مصر، مع توصيات المجمع وقراراته إلى المجامع والجامعات، ووزارات التربية والتعليم والثقافة والإعلام، في الوطن العربي.

عن محنة المسلمين في إسبانيـا ..

●● تحت هذا العنوان نشرت مجلة (المجلة العربية) التي تصدر بالمملكة العربية السعودية تعليقا لكتاب الأستاذ محمد قشتيليو (محنة الموريسكوس في اسبانيا) كتبه الأستاذ محمد بن عبد الله الحمدان في حلقتين، ونحن ننشر الحلقة الأولى من هذا التعليق على سبيل التعريف بما ينشره أشقاؤنا في المشرق عن الكتاب المغربي :

لن أكتب عن محن المسلمين في الوقت الحاضر، وإذلالهم وقهرهم في أنحاء مختلفة من العالم... في الدول الشيوعية، وفي أفغانستان، والفلبين، وغيرها. ولكني سأكتب عن المحنة التي ابتلي بها المسلمون في إسبانيا بعد استيلاء النصارى الاسبان عليها. وقبل أن أدخل في الموضوع أشير إلى ما سبق أن كتبته في جريدة الرياض بتاريخ 24 / 2 / 1398 هـ بعنوان (رسالة إلى الغرباء) وهو تعليق على ما ذكره الأخ يحيى ساعاتي من أنه لم ير رسالة أحمد بوجمعة المغراوي إلى مسلمي الأندلس منشورة في أي مطبوعة، فأخبرته بأنها نشرت في كتاب محمد عبد الله عنان عن الأندلس مما هو في مكتبي، ونوهت بجهود الأستاذين شكيب أرسلان، ومحمد عبد الله عنان، في كتابه تاريخ الأندلس ومؤلفاتهما الكثيرة في ذلك.

واليوم أجدني أعاود الكتابة في الموضوع بعد أن وجدت في مدينة طنجة الجميلة كتاب (محنة الموريسكوس في إسبانيا) لمؤلفه المغربي الأستاذ محمد قشتيليو، وقد قرأت الكتاب من ألفه إلى يائه وأحببت أن أشرك القراء في الاطلاع على بعض ما جاء فيه من حقائق ومعلومات عن محنة أولئك القوم في ظل التعصب المقيت الذي أعمى أبصار وبصائر قادة ذلك العهد في إسبانيا حتى نكلوا بالمسلمين، وأذاقوهم أصنافا من العذاب والإهانة والاضطهاد... فعلت ذلك لعلمي بعدم إطلاع الكثيرين على هذا الكتاب وأمثاله، باعتبار أن ما ينشر في جزء من أجزاء الوطن العربي والإسلامي لا يصل ـ مع الأسف ـ إلى الأجزاء الأخرى إلا نادرا.

ولست هنا في مجال استعراض الكتاب ودراسته، فلذلك أهله ووقته، لكني سأقتطف منه بعض الفقرات المهمة، وسأورد نص مخطوطة هامة نشرها المؤلف بعد أن عثر عليها في الخزانة الكتانية في مدينة فاس.

٥ = ٥

الكتاب يقع في 118 صفحة، طبع عام 1980م في مدينة تطوان بالمغرب ومؤلفه درس في كلية الآداب بمدريد، وفي نفس الوقت كان مدرسا مساعدا بها للغة العربية بشعبة اللغات السامية، وبعد استقلال المغرب تقلب في عدة وظائف في وزارة الخارجية المغربية، وفي سفارات المغرب وقنصلياتها، في كل من الجزيرة الخضراء (إسبانيا)، مدريد، الجزائر، جدة، البرازيل، والبرتغال، وأهدى مؤلفه هذا إلى (كل من عضه الدهر بنابه وطرد بغير حق من أرضه).

وعنوان الكتاب (محنة الموريسكوس في إسبانيا) وكلمة «الموريسكوس» مشتقة من «مورو» وهو المغربي بالإسبانية... وفي الكتاب أربع صور نادرة (تجدها مع هذا المقال) لم يذكر المؤلف مصدرها، ولا أين عثر عليها.

قال المؤلف في مقدمة كتابه إن فكرة الكتاب برزت في الأربعينات، وأنجز تأليفه في آخرها، ونشر مقالات منه في أول الخمسينات في مجلة (الأنيس) التي تصدر في تطوان، وفي مجلة «الشرق» في سان باولو (البرازيل) وفي مجلة (تطوان)، إلا أنه لم ير النور إلا هذا العام (1980م).

وقال أيضا إن الكتاب يتناول حياة أواخر المسلمين بالأندلس بعد انتهاء حكمهم فيها بسقوط آخر مملكة عربية (غرناطة) في الثاني من يناير 1492م) (897 هـ)، ولم يهتم بالكلام عما قبل هذه الحقبة لعلمه أنها نوقشت من طرف عدد غير قليل من المؤلفين. وهذه الفترة لا تتعدى قرنا والربع من الزمن قضاه الموريسكوس في حالة يرثى لها من التشريد والاضطهاد أيام حكم الملوك الاسبان. وقد قام الموريسكوس بعدة محاولات لإعادة ملكهم من جديد بتنصيب أشخاص من سلالة عربية إسلامية كملوك عليهم ولكن محاولاتهم كان مصيرها دائما الفشل.

وعن السبب الذي جعل المؤلف يهتم بهذا الموضوع قال إنه عندما كان طالبا ومدرسا مساعدا في نفس الوقت للغة العربية بكلية الفلسفة والآداب بجامعة مدريد كان الطلبة الاسبان يمطرونه بكثير من الأسئلة، ويستفهمونه عن سبب حمله للقب إسباني محض وهو مغربي، وكان يرد عليهم بأن أصله من هذا البلد، وأجداده هاجروا منه إلى المغرب في أيام المحن والاضطهاد على أيدي أجدادهم.

وقد اعتمد المؤلف على المؤلفين الاسبان مثل (خانير) وغيره الذين قال إن جلهم لم يخف الحقيقة التي تروى ما قاساه المسلمون على أيدي بني جلدتهم ولم يجد المؤلف من آثار أولئك الذين طردوا إلا القليل النادر من كتابات وتعاويذ وأدعية في مكتبات مدريد والاسكوريال، ومنها ما هو مكتوب بالمسمى عند الاسبان كتابة (الخميادو) وهي الاسبانية مكتوبة بالحروف العربية.

وأورد المؤلف مثالا من الاتفاقات التي تمت بين النصارى والمسلمين، وهو اتفاق خايمي الأول (الفاتح) مع مسلمي وادي وكس الذي ينص على بقائهم بالوادي المذكور، والسماح لهم في كل ما سلف، ومنحهم حق تعليم القرآن جهارا في منطقتهم، وإقامة شعائرهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية، وإعطائهم حرية التنقل على أساس أن يدفعوا الضرائب المفروضة عليهم، كما خول لهم حكم أنفسهم بأنفسهم فيما يقع بينهم من المشاكل بشأن الماء، ويتصرفون في أملاك المساجد، وتعيين حكامهم بأنفسهم، ولا يسكن بينهم نصراني أو متنصر إلا برضاهم. إلخ.

وفيما يلي بعض مقتطفات من الكتاب :

(وفي عام 1313م منع خايمي الثاني المسلمين من حمل السلاح في الشوارع، وأرغمهم بأن ينحنوا على ركبهم، أو يبتعدوا عند مرورهم أمام مكان مقدس عند النصارى، ومنعهم من أن ينادوا جهارا للصلاة في الشوارع والميادين..) (ويقول خانير إن المسلمين أقبلوا على المسيحية لما رأوا من تسامح هذا الراهب وكانوا ينادونه الفقيه العظيم المقدس) وقد وفق في عمله وأدخل في النصرانية عددا كبيرا من المسلمين حتى بلغ يوما عدد من اعتنق المسيحية أكثر من ثلاثة آلاف، واضطر لإقامة الصلبان والمنابر بالشوارع والميادين والكنائس.. وفي عام 1499م عين الملوك الكاثوليك (القسيس خيمنث دي ثيسنيروس) مساعدا للراهب (طالابرا) وبقدوم هذا للعمل ابتدأت محنة المسلمين فقد غير خطة التنصير وابتغى بجبر المسلمين على اعتناق النصرانية بالقوة والعنف، وأحرق كتبا كثيرة في الميادين العامة على مرأى ومسمع من الجميع...).

(تنصر هؤلاء المسلمون ولكن تنصرهم كان ظاهريا فقط، وعداوتهم للنصارى باطنيا، فكانت عقيدتهم التي يتمسكون بها هي الإسلام، وعاداتهم إسلامية، ولغتهم عربية، وقلبهم يؤمن بالله وبرسوله..) ص 25.

وكان الموريسكوس يجبرون على أخذ أولادهم إلى الكنيسة لتعميدهم، وتسميتهم بالأسماء النصرانية، وعند عودتهم إلى البيت سرعان ما يغسلونهم، ويختنونهم ويعطونهم أسما عربيا، وعند الزواج يجبرون أيضا على أن تلبس العروس لباسا نصرانيا، وتذهب إلى الكنيسة لتتزوج حسب الطقوس المسيحية، وعند عودتها إلى منزلها تنزع اللباس النصراني، وتلبس اللباس العربي المسلم، ويدخلونها في مكان مهيأ لذلك... وبما أنهم كانوا يجبرون على صلاة النصارى باللغة الاسبانية فكان فيهم من لا يريد تعلمها ليمكن له أن يعتذر بأنه لا يعرف الاسبانية حتى لا يصلي صلاة النصاري.. كانوا يستقبلون المغاربة والأتراك في بيوتهم وقراهم ويجعلون لهم علامات تسهل لهم، وترشدهم إلى كيفية الدخول إلى إسبانيا للسطو والإغارة والأسر.. ص 26.

(وافق فيليب الثاني على تنفيذ ما أصدره «من تحريم التكلم بالعربية ولبس اللباس الإسلامي وسفور النساء وترك أبواب البيوت مفتوحة»، ولم يتراجع رغم استعطافات الموريسكوس الذين لم يجدوا أمامهم إلا ملجأ القوة والعنف فصاروا يبعثون الحماس في نفوس الناس للانتقام واغتنام الحالة النفسية للغرناطيين المضطربة وأهالي - البوخارة (البوشارات) الذين كانوا على الدوام متشوقين للأخذ بالثأر من القوانين الشديدة التي صدرت خاصة بهم، وقد قرروا أن يهجموا على البيازين في ليلة 25 من ديسمبر ليفسحوا المجال لدخول ثمانية آلاف ممن سجلوا أسماءهم لهذا الغرض من القرى وأمكنة أخرى..) ص 33

(لقد عرقل وصول الموريسكوس لأسوار غرناطة في الموعد المحدد كثرة الثلوج المتراكمة في جبال نفادا، وكانوا قد أعلنوا ذلك ولكنه وصل إلى البيازين زعيمهم أبو الفرج على رأس جماعة من المجاهدين يوقظ الناس، وينادي بأعلى صوته «لا إله إلا الله محمد رسول الله» ورنين السلاح يتردد في الآذان ولكن النصارى صاروا يقرعون نواقيس الكنائس طلبا للنجدة...).

حرب البوشارات وأسبابها

(بعد ما أعيت النصارى كل الوسائل للقضاء على الروح الدينية الإسلامية للموريسكوس وجعلهم نصارى حقيقيين لجأوا إلى طريق العنف، وسياسة الحديد والنار، فحرموا على الموريسكوس التكلم بالعربية، والاتصال بالمسلمين بالمغرب، بل بمقاطعات أخرى باسبانيا، وحرموا على النساء الخروج إلى الشارع محتجبات، وقفل أبواب دورهم، وتحطيم الحمامات، وإقامة الحفلات والأعراس حسب تقاليدهم - كما تقدم - كل هذه الأشياء كانت الداعية إلى إثارة هذه الحرب، وحرب البوشارات هذه هي أهم حرب أو ثورة مسلحة قام بها المسلمون بعد سقوط غرناطة. كانت هذه الحرب في سنة 1568م (976هـ) وكان يتزعمها أحد الموريسكوس المتنصرين ظاهريا يدعى (فرناندو دي فالور) وسمي بعد بـ (محمد بن أمية) ص 35.

ولما وصل إلى علم النصارى أن المسلمين مقبلون على أمر أوقف النصارى القدماء التجارة، وحرموا الطريق المؤدية من غرناطة إلى الشواطىء، ولما رأى المسلمون ذلك اجتمع بعض رؤسائهم في مكان يسمى (كاديار) بين غرناطة والبحر ونهر المرية عند مدخل البوشارات، واتفقوا على عمل معين،

واجتمع أربعة آلاف رجل من البوشارات والبيازين ليدخلوا المدينة الحمراء. قسم من الباب وقسم يتسلق الأسوار. وكانوا يعلمون أن الحمراء لا بد أن تطلق مدافعها. لذلك اتفقوا مع الموريسكوفيكا عند سماعهم للطلقتين الأولين من مدافع الحمراء أن يأتوا إلى المدينة ويكسروا أبوابها ويشعلوا النيران فيها ويحطموا بالحديد والنار كل ما يتعرض سبيلهم. ولكن قبل أن يقدموا على عمل خطير كهذا أرادوا أن يتحققوا من مقدرة الشعب ومدى استعداده فبثوا جواسيس منهم يتطلعون لما يختلج في نفوس بعضهم.

وقد طلبوا قبل ذلك مساعدة من أمراء المغرب. كما طلبوا قبل ذلك بسنوات مساعدة من الخليفة العثماني بالقسطنطينة. وكذلك طلبوا مساعدة بحرية من ملك الجزائر. بعثوا عيونهم في كل المملكة لكي يتحققوا من قوتهم المسلحة. وكل جاسوس كان يمشي بصفة متسول ليعرف الطريق إلى الأماكن التي يمكن لهم أن يسلكوها لقتال أعدائهم تكون أكثر ضمانا وأقرب إليهم وأكثر سرا ويعرفون من هو مسلح في المملكة. وجعلوا كل من عمره 24 و 25 سنة مطالب بالحرب رجلا كان أو امرأة) ص 37.

محمد بن أمية

(كان من الواجب أن يكون لهذه الحركة رأس يديرها ويلتف الناس حوله. فاستقر الرأي على تنصيب من يكون من نسل ملوك الأندلس السابقين. واشترطوا أن يكون قد لحقه الأذى والإهانة من النصارى كباقي أبناء جنسه. فوقع اختيارهم على شخص كان يدعى بالاسم النصراني (فرنانثو دي فالور) وكان يلقب بالصغير وابن جوهر. وهو من نسل بني أمية ملوك الأندلس. وكان ينادي بين الموريسكوس (ابن أمية). ويتمتع بنفوذ واسع بينهم. وصرامة وقوة. خبير بالقانون وبشؤون المملكة. فاجأت هذه البيعة أبا الفرج الذي كان هو الرئيس الفعلي. ومنظم الحركة . وكان رجل حرب قاسي القلب. وأول ما فعله محمد بن أمية ـ بعد تنصيبه ملكا ـ أنه رفع علما عليه هلال. وعين بحذاقته السياسية أبا الفرج وزيرا للعدل.

وخطب فيهم خطبة قال فيها ـ بتصرف ـ (لقد أصبحنا مطرودين من رحمة الجميع. فلا النصارى يعاملوننا كنصارى. ولا المسلمون ينظرون إلينا كإخوان لهم ويساعدوننا فلا يكلمنا أحد. ولا يعاشرنا أحد. يمنعوننا من أن نتكلم لغتنا. ونحن لانعرف القشتالية. وبأي لغة يا ترى يمكن لنا أن نتفاهم ونتعامل مع الناس ؟ فإنهم يمنعوننا أن نخاطب حتى الحيوانات بلغتنا. يعلمون أبناءنا فنونا قد حرم كبراؤنا منها. ويجعلون من يتبع القانون جريمة. وكل ساعة يهددوننا وينزعون أبناءنا من أيدي أمهاتهم وآبائهم. ويرسلونهم بعيدين عنا لينسوا نوع المعيشة التي نعيشها بأن يصيروا أعداء لأبنائهم. ويعلمونهم في مدارسهم. ويمنعون حتى لباسنا العربي. ويجبروننا على استعمال اللباس الفرنجي مع أنهم يلبسون ألبسة مختلفة. فالألماني والفرنسي يتزين بزيه. والرهبان والشباب والشيوخ كل واحد بزيه الخاص. فكل حرفة وكل دولة تتزي بزيها. وكلهم نصارى. ونحن الموريسكوس نحتفظ بعقيدتنا في القلب لا في اللباس (حسبما يظهر أنهم أظهروا النصرانية ولكنهم بقوا بالزي الإسلامي) فماليتنا ليست كافية لشراء الملابس. وما عندنا لا يشتريه منا أحد. فإذا صرفنا ما عندنا لشراء الملابس فبأي شيء نعيش ؟ إذا أردنا أن نتسول لم نجد من يتصدق علينا كفقراء معوزين. اننا أغنياء ولكننا محتاجون. ولا يوجد من بعيننا. اننا موريسكوس نشعر بالبؤس والذل والهوان. لأن المسيحيين يعتبروننا خارجين عن الإنسانية. فأجدادنا بقوا فقراء من جراء الحروب ضد قشتالة. فعندما تزوجت بنت عمدة لوخا من القبطان الطاريقي مدينا لبعض الناس ـ ويوجدون هنا ـ الذين أعاروه بدلة لحضور حفلة الزفاف. في أي وقت وفي أي زمن وبأية معاملة وأية صناعة ستكون عندنا حتى يمكن لنا أن نغير زيا بآخر ؟ نزعوا من الرقيق الأسود ومنعوهم من أن يخدمون بعد ما اشتريناهم وعلمناهم وربيناهم. والبيض لا يسمح لهم بخدمتنا لأنهم من دولتنا. ماذا يفعل من ليس لهم أولاد يخدمونهم ولا ثروة لدفع رواتب الخدمة لهم إذا مرضوا أو عجزوا أو عطبوا أو حضرتهم الممات ؟ إن نساءنا وبناتنا يمشين محتجبات الوجه. فكيف يقمن بالعمل ؟ هل نأمرهن بأن يمشين سافرات الوجه حتى إذا نظر إليهم تقع الفتنة ويصرن مملوكات للذي يقع عليهم نظره ؟ كما يصرن معرضات لسفاهة الأشرار من شباب وشيوخ. يأمروننا بأن نترك أبواب بيوتنا مفتوحة. الشيء الذي كان أجدادنا يحافظون عليه لكثرة تمسكهم بالدين. وليس أبواب الدار فقط. بل حتى نوافذها. إنهم يأمروننا بهذا كله ليمكنهم أن يصلوا إلى بيوتنا وأملاكنا وعرضنا للأشرار وسفهاء القوم. ويرقبون الساعة والفرصة التي يأتون فيها لتنفيذ أغراضهم الدنيئة. ونزعوا منا ثرواتنا وشرفنا وعملنا بل حتى ملاهينا ومسلياتنا. ويتدخلون بالقوة وبأمرالحكومة في سرورنا ونشاطنا في زفافنا وفي سهراتنا ورقصاتنا وموسيقانا وأكلنا. بل حتى في نظافتنا التي هي ضرورة للصحة (كانوا يمنعونهم من الاغتسال لأنه مفروض على المسلمين) كيف تعيش نساؤنا بدون حمام. وهو عبادة قديمة عندنا ؟ ألم تروهن في البيوت حزينات قذرات مريضات فالنظافة تورثهن السرور وتحافظ على الصحة واللباس. إن الملك ينقصه المال ورجال أكفاء وإن سلاح المراكب رديء وليست غرناطة وحدها التي عليها أن تنهض وتثور بل قسم من الأندلس الذي كان عند أجدادكم وهو الآن تحت حكم أعدائكم يمكن لكم أن تحتلوه في الكرة الأولى واثبتوا في أماكنكم ـ ويضيف ـ جبال منيعة وأودية عميقة وسلاسل شاهقة وطرق ضيقة وعرة وشعاب بدون مخرج وإن هذه الحركة قد تنبأوا بها قبلنا. وإننا سنعيد مجدنا وأرضنا) ص 39 ـ 41.

تتويج محمد بن أمية

(ألبس محمد بن أمية جبة ووضع في عنقه قلادة حمراء ثم أربعة أعلام في الأرض إشارة إلى أقسام الدنيا الأربعة وأدى صلاة انحنى أثناءها على الأعلام. ووجهه لناحية المشرق وأقسم أنه سيموت من أجل شريعته ومملكته ومن أجل رعيته وعندما رفع رجليه من المكان الذي كان واقفا به جاء أبو الفرج وقبل مكان قدميه كعلامة على الطاعة والولاء نيابة عن الجميع. ثم رفع محمد بن أمية على كتفيه ونادى «الله ينصر محمد بن أمية ملك غرناطة وقرطبة») ص 42.

قاتل المريسكوس أعداءهم قتال الأبطال ولكن الهزيمة كانت تلاحقهم ـ وقد أغتيل محمد بن أمية وعين الموريسكوس (ابن عبو) خليفة له. وقد قتل هذا أيضا من قبل أقرباء بن أمية. وانتهت الحرب بهزيمة المسلمين ولما رأوا ما حل بهم لم يبق أمامهم سوى العمل المجدي بعيدا عن السياسة والحرب بل انعزلوا عن النصارى الأصليين وصرفوا همتهم للتجارة والزراعة.

(ويقول مؤرخو العصر من الاسبان إن المغاربة (موروس) أو المسلمون كما يقصدون أتوا لاسبانيا بزراعة السكر والقطن والحرير والأرز وكانوا يتقنون صناعة وزراعة هذه الأشياء ويحسنونها لدرجة أن صارت في أوج العظمة من

الرقي والاتقان بفتح الترع للري وبناء السدود لخزن المياه فكانت هندسة هذه الأشياء في الدرجة الأولى من الرقي والتقدم في ذلك العصر. فكان ميناء بلنسية يصدر منه إلى الخارج إلى أقطار أوربا وغيرها مما لم يوجد عندهم من منتوجات صناعية وزراعية وغير ذلك. وما زالت لحد الآن أراضي الأندلس وبلنسية تعيش على حساب فن الملاحة والزراعة التي أدخلها لها المسلمون، فتوزيع المياه وتقسيطها حسبما ينوب كل بيت أو حقل مما يدهش السواح الأجانب من الفن الهندسي، وكانت لهم دراية ومعرفة وخبرة بالمواسم الفلاحية، وأوقات الري، وكانت لهم قوانين خاصة بهذا) ص 51.

المكتبة الصغيرة

• • الأستاذ عبد العزيز الرفاعي من جيل الرواد في المملكة العربية السعودية، وهو أحد كبار الكتاب والباحثين في القطر الشقيق، عرف بسعة العلم، وغزارة المعرفة، وتنوع المشاركة الأدبية والثقافية في مختلف فنون القول. وله مجلس أدبي كل يوم خميس ببيته بالرياض يلتقي فيه الأدباء والشعراء والصحافيون وعلية القوم ممن يتعاطى الأدب والشعر ويشغف بالمعرفة. ومن الأعمال الثقافية التي تشهد للأستاذ عبد العزيز الرفاعي بالسبق في حلبة الكلمة إصداره للسلسلة الشهرية (المكتبة الصغيرة) التي تنشر مؤلفات ودواوين شعر لأعلام كبار من المملكة العربية السعودية والبلاد العربية والإسلامية ومنها كتب من تأليفه أذكر منها كتاب (أرطأة بن سهية : حياته وشعره) الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1978 وكتاب (ضرار بن الازور) وكتاب (خولة بنت الأزور) وقد بدأ ظهور (المكتبة الصغيرة) سنة 1969 وهي لا تقل قيمة ومستوى عن السلاسل المعروفة مثل (اقرأ) و (كتاب الهلال) و (المكتبة الثقافية) المصرية التي نشأت عليها أجيال من الكتاب والأدباء وشداة الثقافة العربية المعاصرة.

ولقد نشأت بيني وبين الأستاذ عبد العزيز الرفاعي صداقة بواسطة الأستاذ الكبير محمد سعيد العامودي، أحد شيوخ الصحافة في المملكة العربية السعودية وكان من ثمرات هذه الصداقة الأدبية المزهرة ان تكرم الأستاذ الرفاعي فأهدى إلي مجموعة من أعداد (المكتبة الصغيرة) ليضعني أمام ثروة ثقافية لا قبل لي بها تبرز مدى التطور الفكري الذي شهدته البلاد السعودية في عهودها الأخيرة في ظل سياسة الأمن والاستقرار والرخاء الذي أنعم الله به عليها.

وقد تنوعت موضوعات هذه الكتب وشملت جوانب متعددة من التاريخ والأدب والتراث والآثار والشباب والتراجم وهي جميعها بأقلام نخبة من الكتاب الدارسين المشهود لهم في الأوساط السعودية بطول الباع وعلو الكعب في الكتابة الأدبية والإسلامية والدراسات التراثية والتاريخية باستثناء واحد منهم هو الدكتور محمد محمد حسين من مصر.

والكتب هي :

- **(إمام الصابرين أحمد بن حنبل)** لعبد العزيز المسند.
- **(فيلسوف)** لمحمد حسن فقي وهو شاعر فحل وكاتب قدير.
- **(المتنبي والقرامطة)** للدكتور محمد محمد حسين صاحب كتاب (حصوننا مهددة من الداخل) الشهير والمرجع الفكري الهام (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) والمرجع الأدبي الحجة (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر).
- **(رحلة في كتاب من التراث)** لعبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة (المنهل).
- **(ذكريات مدرس)** لعبد الرحمان بكر صباغ.
- **(الشباب : دراسات ولقاءات)** لأحمد محمد جمال.

- (مدائن صالح) لمحمد عبد الحميد مرداد.
- **(حمزة شحاتة : قمة عرفت ولم تكتشف)** لعزيز ضياء.

وعلى الرغم من صغر حجم هذه السلسلة فإنها تغني في الحقل الثقافي غناء، يشهد عليه الإقبال الكبير الذي تلقاه من طرف القراء وهي بذلك تسد فراغا وتلبي حاجة ثقافية وتقدم خدمة أدبية لجمهور المثقفين. وتتضمن هذه الكتب بحوثا طريفة وآراء جريئة واجتهادات في الفكر والأدب والتاريخ وأفكارا لها وزنها وقيمتها وهي بهذا الاعتبار حرية أن تنال من اهتمام القراء والدارسين خصوصا وأنها عصارة فكر عشرات القمم الأدبية التي ترود اليوم الحركة الفكرية والثقافية في المملكة العربية السعودية.

مظاهر النهضة الحديثية في عهد يعقوب المنصور الموحدي
(554 - 595)هـ / (1159 1198م)



●● صدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية من تأليف الأستاذ عبد الهادي أحمد أحسيسن في إطار اللجنة المشتركة لإحياء التراث الإسلامي بين المملكة المغربية، ودولة الإمارات العربية المتحدة ●●

فهرس العدد 223

جائزة الحسن الثاني للبحوث الإسلامية

●● تنظم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مسابقة حول : (جائزة الحسن الثاني للبحوث الإسلامية).

وقد رصدت الوزارة لهذه الغاية الجوائز المالية التالية :

- جائزة أولى مبلغها خمسون ألف درهم (50.000).
- جائزة ثانية مبلغها ثلاثون ألف درهم (30.000)
- جائزة ثالثة مبلغها عشرون ألف درهم (20.000).

ويشترط لقبول الإنتاج ما يلي :

1) أن يكتسي البحث طابع الجدة والابتكار، ويكون في عرضه وتحليله مبدعا ودقيقا يبرز خصائص السيرة النبوية ومميزاتها وما تتضمنه من عبر ومواقف ومثل ودروس.
2) أن لا يقل البحث عن ثلاثمائة صفحة.
3) أن يقدم في ثلاثة نظائر مضروبة على الآلة الكاتبة .
4) أن يقدم البحث قبل نهاية شهر يناير 1983 ●●

مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

الحمد لله

أصبح من آكد الواجبات المنوطة بنا في حركتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف

إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين والتشبث بمبادئه والسير على سننه ليعد أهم العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين منتصرين، بالرغم مما اعترض سبيلنا من عراقيل وما منينا به من أهوال وخطوب، وسيكون عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة

ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء

وعسى أن تسلك مجلة «دعوة الحق» سبل النجاح والتوفيق والسلام

محمد بن يوسف

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها:
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الرباط - المغرب

